ذخائر العرب

٣٦



الصبح المنبي عن حيثية المتنبي

للشيخ يوسف البديعي

تحقيق

مصطفى السقا
عميد كلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض

محمد شتا
المفتش العام السابق بوزارة التربية والتعليم

عبده زيادة عبده
ناظر مدرسة مصطفى كامل الثانوية السابق



الصبح المُنبي

عن حيثية المتنبّي

ذخائر العرب
٣٦

الصبح المنبي
عن حيثية المتنبي

تحقيق

مصطفى السقا
عميد كلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض

محمد شتا
المفتش العام السابق بوزارة التربية والتعليم

عبده زيادة عبده
ناظر مدرسة مصطفى كامل الثانوية السابق

الطبعة الثالثة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذا هو الكتاب الذى نقدمه لقراء الأدب العربى فى ثوبه الجديد ، مُحققاً مضبوطاً مُعلقاً عليه بريئاً من مآخذ الطبعات السابقة مُعارضاً بخمس نسخ خطية : منها نسخة كتبت فى حياة المؤلف من نسخة أصله ؛ ولذلك اعتبرناها الأصل ، وسيأتى حديث مفصل عن هذه النسخ ، وبذلك أصبح الكتاب مرجعاً من مراجع حياة المتنبى له قيمته ، وليس يعنينا فى هذا المقام أن نتحدث عن المتنبى ، أو نشير إلى عبقريته الشعرية ، واقتداره على وصف النفس الإنسانية ، والتعبير عن خواطر الناس ، أو إلقاء الحكمة البارعة ، أو إرسال المثل السائر ؛ فهذا أمر قد مضى الحكم فيه ، وقيلت فى صاحبه القولة المشهورة : « ملأ الدنيا وشغل الناس »، على أن الكتاب كله حديث عن المتنبى ، وعما وقع له من أحداث ، وما لقى من خصومات وما عانى من حساد .

وعنوان الكتاب يدل على موضوعه ؛ فقد أراد المؤلف بكتابه هذا الإفصاح عن مكانة المتنبى ، وأبان السبب الذى دعاه إلى تأليفه فقال فى مقدمته :

وبعد فيقول المفتقر إلى عفو ربه الغنى يوسف المشهور بالبديعى : « لما تشرفت الشهباء بإنسان عين الكمال ، وعين إنسان الإفضال عَلَم العلم ، وطود الحلم .... الحسام الماضى أجلّ موالى الدهر عبد الرحمن نجل الحسام .... أحببت أن أتشرف لخدمته بتأليف كتاب يشتمل على غرر الآداب ، ونتائج الألباب لم ينسج فكر على منواله ، ولم تسمح قريحة بمثاله .... فصدتنى الأيام عن وجهتى ، وعارضتنى بعوائقها عن طلب بغيتى ، وكان — مدّ الله ظله ، .... — يلهج بقلائد ابن الحسين ، وتمييزه على الطائيين .... فصممت العزم قبل تفويف ذلك التأليف .... على جمع

مختصر يحتوى على ذكر أبى الطيب المتنبى وأخباره ؛ ويشتمل على نبذ من قلائد أشعاره ....[١]

ثم قال فى خاتمته : هذا ونوادر أبى الطيب غزيرة ، وأخباره كثيرة ، وقد اخترنا منها ما يستظرف إيراده ، ويطرب الألباب إنشاده .

استطاع مؤلفه الشيخ يوسف البديعى أن يصور فيه حياة المتنبى تصويراً شائقاً يستهوى القارئ فيجذبه إلى متابعته فيما يقول فى أسلوب أدبى مرسل ، وعبارة سهلة واضحة فيها متعة للقارئ ، يسجع أحياناً ، ولكنه سجع لا تكلف فيه ولا تعمل .

صحب المؤلف المتنبى من يوم ولد إلى يوم قتل ؛ فذكر نسبه ، ونشأته بالكوفة ، وجولانه فى بلاد الشام ، وخروجه إلى البادية والقبض عليه وسجنه . إلى أن اتصل بأبى العشائر الذى رفع من ذكره عند سيف الدولة حتى طلبه ، وعاش فى كنفه تسع سنوات كانت أخصب حياته ، وأحفلها بالإنتاج الأدبى .

وأحسن قصائد أبى الطيب ما قاله فى سيف الدولة ، وتراجع شعره بعد مفارقته ، وسئل عن ذلك فقال : تجوزت فى قولى ، وأعفيت طبعى منذ فارقت آل حمدان . وندع القارئ والمؤلف فلا نحب أن نحول بينه وبين أسلوبه وقصصه .

ومن خلال حديث المؤلف عن هذه الفترة من حياة الشاعر فى بلاط سيف الدولة يرى القارئ أن هذا البلاط كان يموج بكثير من العلماء والأدباء المجيدين ، وأن هذا الشاعر فى هذه المدة قد دوّى صيته ، وطارت شهرته ، ونال من تقدير الأمير وصلاته ما أثار حسد هؤلاء العلماء والأدباء الذين كانوا فى حاشية الأمير ، فكادوا له ، وأفلحوا فى هذا الكيد حتى تغير قلب الأمير ، ففارقه إلى كافور ، وللمؤلف أخبار طريفة يسوقها تأييداً لما يقول ، ومن تابع المؤلف فى حديثه يتبين له أن حظ المتنبى فى مصر لم يكن أفضل من حظه فى حلب ؛ فقد كان رائده فى هذه الرحلة الطمع فى أن يوليه كافور ولاية ، أو يقطعه ضيعة ؛ لذلك كانت مدائحه فى كافور لا يمليها قلب ، ولا يدفع إليها إخلاص ، ولا يحمل عليها إعجاب بممدوحه ، فخانه التوفيق ، وأساء مواجهته فى أول لقاء بقوله :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

---

(١) ستأتى عبارة المؤلف بنصها فى ص ١٧ .

وهو مطلع يتطير منه ، وأكثر من ذكر لون السواد فى مدائحه ، واسمع إليه يخاطب كافوراً :

تفضح الشمس كلما ذرت الشمـ   ـس بشمس منيرة ســوداء

إنما الجلد ملبس وابيضاض النّفـ   ـس خير من ابيضاض القباء

وقد باعدت شدة خلقه وغطرسته بينه وبين ابن حنزابة وزير كافور . والمقرب إليه ، وباب ماله ، وصاحب النسب الجليل والرياسة فى العلم والأدب . وبذلك لم ينل الرضا ، ولا ما كان يطمح إليه ، ولم ير آخر الأمر بُدًّا من الهرب . فتغفّل كافوراً فى ليلة عيد الأضحى سنة ٣٥٠ هـ وهرب من مصر فى رحلة طويلة . وفى هذه المناسبة قال قصيدته التى مطلعها :

عيد بأية حال عدت يا عيد   بما مضى أم بأمر فيك تجديد

ومنها يهجو كافوراً :

إنى نزلت بكذابين ضيفهـمُ   عن القرى وعن الترحال محدود

جود الرجال من الأيدى وجودهمُ   من اللسان فلا كانوا ولا الجود

مرّ فى هذه الرحلة بالكوفة . ومنها إلى مدينة السلام . وفيها التقى به الحاتمى ألدّ خصومه ، وناظره فى حديث طويل ذكره المؤلف بعنوان: « ما انتقده الحاتمى على المتنبى » وفى هذه المناظرة ألف الحاتمى رسالته المشهورة . ومن حديث المؤلف أن الوزير المهلبى كان ينتظر وقد نزل المتنبى مدينة السلام أن يمدحه ، ولكنه لم يفعل ترفعاً بقدره أن يمدح غير الملوك فأغرى به المهلبى شعراء العراق حتى نالوا من عرضه ، وتباروا فى هجائه ، وقيل له لم لا ترد عليهم فقال : إنى فرغت من ذلك بقولى لمن هم أرفع درجة فى الشعر منهم :

أرى المتشاعرين غَرُوا بذمى   ومن ذا يحمد الداء العضالا

ومن يك ذا فم مــرّ مريض   يجد مُرًّا به المــاء الزلالا

إلخ ما ورد فى الصبح من ذلك .

ويواصل المؤلف رحلته مع الشاعر إلى الوزير ابن العميد بفارس . وفى ط…

إليه طمع الصاحب ابن عباد أن يزوره بأصفهان فأبى وقال: إن غُلَيِّماً معطاء بالرى يريد أن أزوره وأمدحه، ولا سبيل إلى ذلك، فصيّره الصاحب غرضاً يتتبّع سقطاته وهو أعلم بحسناته والخبر بنصه وتفصيله فى الصبح .

ويتابع المؤلف حديثه عن رحلة الشاعر فيذكر أنه فى سنة أربع وخمسين وثلثمائة ورد على أبى الفضل ابن العميد بأرّجان فمدحه ، وحسن موقعه عنده ، وكان بينهما حوار أدبى تقرؤه فى موضعه من الكتاب حتّى انتهى به المطاف إلى عضد الدولة بشيراز ، ومدحه بمدائح كثيرة منها قصيدته الّتى وصف فيها شعب بوّان ، وترك شيراز — محملا بعطايا عضد الدولة وصلاته « وقد أنجحت سفرته ، وربحت تجارته » كما يقول البديعى — إلى العراق .

وفى طريقه إليها خرج عليه فاتك الأسدى ، ومعه جماعة من بنى عمه ، وكان المتنبى قد هجا ابن اخته « ضبة » هجاء مقذعاً تقرؤه فى ديوان المتنبى وفى الصبح فقتله وابنه وغلمانه،وهكذا تنتهى حياة هذا الشاعر المليئة بالشر أكثر منها بالخير ، والتى كانت كلها صخباً وعواصف .

وقد اشتمل الكتاب إلى جانب ما تقدم على : آراء العلماء فى شعره ، والسرقات الشعرية وأنواعها ، وترجمة له فى يتيمة الدهر للثعالبى ، وشراح ديوانه ، ونماذج كثيرة من سرقات الشاعر ، وأخرى من سرقات الشعراء منه، ومعايب شعره ومقابحه، ومحاسنه وروائعه .

وقد جرى المؤلف فى عرض ما يسوق من شعر المتنبى على الطريقة النقدية الأدبية الّتى ينتقل فيها القارئ بين أفنان القول من خبر مستطرف إلى معنى مستظرف مما جعل دراسة الأدب حبيبة إلى النفس ، غير مملولة الدرس ، تجمع إلى إمتاع الذهن ، إمتاع النفس ؛ ويرى القارئ أن المؤلف قد حلل كثيراً من قصائد المتنبى فى مواضع مختلفة من كتابه بذوق أدبى قلّ أن نراه لغيره من أدباء القرن الحادى عشر ، وكثيراً ما شرح جو القصيدة ، والمناسبة الّتى قيلت فيها ، ويزيد الأمر شرحاً أن يذكر ما يناسبها فى موضوعها أو فى بعض معانيها ، واقرأ قصيدة المتنبى يستعطف فيها الوالى الذى سجنه ، ثم اقرأ بعدها سجنية على بن الجهم لما حبسه المتوكل ، ثم قصيدة عاصم بن محمد الكاتب لما حبسه أحمد بن

عبد العزيز بن أبي دلف ، فالأول يستعطف ، والثانى يمدح السجن ، والثالث يذمه ، ونظير هذه الموازنة كثير فى الكتاب لا نطيل فى ذكره .

وفى خلال هذا التحليل النقدى كثيراً ما يقف المؤلف عند معنى من معانى المتنبي فيذكر ما يشبهه من أقوال الشعراء مستحسناً أو مستهجناً حتى يشبع نهمة النهم من طلاب الأدب .

ويجرى المؤلف فى كتابه على الطريقة الاستطرادية التى تدفع الملل ، وتضيف إلى المعنى الأصلى ما يتصل به من قريب أو بعيد ، فيشحذ ذهن القارئ ويحلق به فى أجواء مختلفة ، وكان ذلك خاصة من خواص التأليف فى عصر المؤلف ، فالكتاب سلسلة متصلة الحلقات لا يكاد القارئ ينتهى من واحدة حتى تسلمه إلى أخرى دون ما ملل أو سآمة فهو إذا ذكر حافظة المتنبي ذكر حافظة المعرى ، وجرّه ذلك إلى حديث عن عقيدة المعرى وقرآنه ثم حافظة ابن عباس وحفظه قصيدة عمر بن أبي ربيعة على طولها لأول ما سمعها ثم حافظة البديع ثم مناظرته مع الخوارزمى إلى كثير من ألوان الاستطراد التى يذكرها المؤلف فى مناسباتها .

ويرى القارئ من حديث المؤلف أن المتنبي كما امتحن بخصوم ألداء كالحاتمى والعميدى والصاحب ، رزق بمعجبين أصدقاء كأبى العلاء وأبى على الفارسى وابن الأثير ،وقد وقف البديعى من هؤلاء وهؤلاء موقف المنصف وزاد من إنصافه أنه كما ذكر معايب شعره ومقابحه أضاف إليها محاسنه وروائعه ، وكما ذكر سرقاته من الشعراء نقلاً عن العميدى فى الإبانة ضمّ إلى ذلك سرقات الشعراء منه ، ولكنه لم يكن دقيقاً إذ نسب إلى المتنبي أنه أخذ من أبى الفتح الإسكندرى الذى أجرى البديع على لسانه مقاماته مع أن الهمذانى قد ولد بعد وفاة المتنبي .

والكتاب يكاد يكون كله نقولاً عن أشخاص عاصروا المتنبي أو شافهوه أو كانت لهم به معرفة أو نقولا عن كتب لا تزال المرجع الوثيق فى الأدب إلى يومنا هذا كاليتيمة والوساطة والمثل السائر والإبانة ورسالة ابن شرف والكشف عن مساوئ المتنبي لابن عباد ورسالة الحاتمى إلى جانب استشهادات أخرى من ينابيع مفقودة اليوم كخلاصة ياقوت وكتاب ابن الدهان (المآخذ الكندية من المعانى الطائية) والبديعى ليس بدعاً فى هذا النقل فقد كان عصره عصر الجمع والاختصار على أن طريقته

فى هذا كانت لا تجارى لدقة السرد وحسن الاتساق .

ولسنا ندعى أن البديعى قد ألم بكل أخبار المتنبى مما هو مبعثر فى كتب الأدب فقد قال هو نفسه فى ختام كتابه : ونوادر أبى الطيب غزيرة ، وأخباره كثيرة ، وقد اخترنا منها ما يستظرف إيراده ، ويطرب الألباب إنشاده . وبعد فكتاب الصبح مهما يكن أجمع دراسة للشاعر ، وأغنى ترجمة لحياته لا يستغنى عنه باحث عن المتنبى أو مترجم له .

طبعات الصبح

وكتاب الصبح قد طبع بمصر على هامش العكبرى سنة ١٣٠٨ هـ طبعة ناقصة كثيرة التحريف خلواً من الضبط والشرح والتعليق، ثم نشرته مكتبة عرفة بدمشق ١٣٥٠ هـ وطبع بمطبعة الاعتدال بإشراف السيد/محمد ياسين عرفة طبعة لا تمتاز من السابقة إلا بخلوها من النقص أما الضبط والشرح والتعليق فكسابقتها .

والكتاب بهذا الوضع كان فى حاجة إلى إخراج جديد مُحلى بالضبط ، وشرح الغامض ، والتعريف بما ورد فيه من أعلام وبلدان ، وتوضيح ما اشتمل عليه من حوادث تاريخية ، ومواقف أدبية ، وبسط لمسائل من النقد اكتفى المؤلف بالإلماع إليها ؛ فإنه لما ذكر مطلع قصيدة المتنبى فى رثاء أخت سيف الدولة :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب

قال : وفى الشطر الثانى من هـذا البيت نقد للمتأمل . وأمثال هذا فى الكتاب كثير .

الجهد الذى بذلنا

كان من أول أهدافنا فى تحقيق هذا الكتاب أن نحصل على نص سليم خال من التحريف مستقيم الأسلوب ولذلك قابلنا بين هذه النسخ جميعها فى أول قراءة وأثبتنا بالهامش ما بينها من خلاف يفيد النص وأهملنا ما تحريفه ظاهر فلم نثبت

إلا ما يصحح خطأ أو يكمل نقصًا ولما كانت النسخة الأولى (ا) هى أصح النسخ وتليها الثالثة (حـ) — وإن كان بها نقص كثير — فقد اقتصرنا فى المراجعة الثانية عليهما ولم نلجأ إلى غيرهما من النسخ إلا إذا كان فى هذا الرجوع فائدة للنص، ثم كان من أهدافنا بعد هذا أن نعرف بالأعلام الواردة فى الكتاب — وما أكثرها — وأوجزنا التعريف بالمشهورين مثل أبى تمام والبحترى وابن الرومى وأبى نواس ومسلم وأمثالهم، فإن شهرتهم فى عالم الأدب تغنى عن كل تعريف، أما أولئك الذين لم يشتهر أمرهم فقد عرفنا بكثير منهم تعريفًا يصورهم فى ذهن القارئ حتى تكمل الفائدة، وكذلك كان دأبنا فى التعريف بالأماكن ولم نغفل توضيح ما أشار إليه المؤلف من حوادث أدبية أو تاريخية كذلك أشرنا إلى المناسبات التى قال فيها المتنبى كثيراً من قصائده حتى يتضح للقارئ معنى ما أورده المؤلف من استشهادات بحيث يغنيه ما أوردنا عن الرجوع إلى أى مصدر آخر. وإنا لنرجو أن يكون الكتاب فى ثوبه الجديد دانى القطوف، قريب التناول يغنى قارئه عن كل مرجع سواه فى موضوعه، ولعلنا بذلك نكون قد أسهمنا مع من أسهم فى خدمة لغتنا وآدابها وإبراز ذخيرة من ذخائرها فى ثوب عصرى قشيب.

مخطوطات الصبح

وكان من حسن المصادفات حين اعتزمنا هذا العمل أننا عثرنا على خمس نسخ مخطوطة: أربع منها فى دار الكتب المصرية، وخامسة وجدناها بإحدى المكتبات بالقاهرة، ورمزنا إلى هذه النسخ بالحروف الآتية: ا، ب، حـ، د، هـ على ترتيب تواريخها بادئين بأقدمها فالتى تليها وهكذا.

وصفها

والنسخة «ا» بقلم معتاد فى ١٧٦ ورقة، ومسطرتها ٢١ سطراً محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٤٦ تاريخ تيمور [٢٠ × ١٣ سم] يقول ناسخها:

« وقد تم ووقع الفراغ من نسخه من نسخة أصله على يد العبد الفقير الراجى عفو ربه الكريم المنان حسين بن الحاج عثمان الحلبى غفر الله زلله ، وختم بالصالحات عمله ، وذلك فى اليوم السابع عشر من شهر رجب الفرد من شهور سنة أربعة وخمسون[1] وألف ، أحسن الله ختامه ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين » .

ومن تاريخ كتابة هذه النسخة تظهر قيمتها ؛ فقد نسخت فى حياة المؤلف الذى توفى سنة ١٠٧٣ هـ ، وكان نسخها من نسخة أصل الكتاب ، وبمعارضتها بالنسخ الأخرى عند القراءة الأولى بانت مزاياها فى كمالها ، وقلة تصحيفها ، ولذلك آثرناها على غيرها ، واعتبرناها الأصل ، وكثيراً ما أشرنا إليها فى تعليقاتنا بهذا الاسم (الأصل) ولم نلتفت إلى النسخ الأخرى عند القراءة الأخيرة إلا إذا كان ما بها يصحح النص أو يكمله كما قدمنا ، وبهذا جمع الكتاب فى ثوبه الجديد كل ما فى النسخ من مزايا .

وفيما يلى لوحتان شمسيتان : الأولى منهما للصفحتين الأولى والثانية من هذه النسخة ، واللوحة الثانية للصفحتين الأخيرتين منها ، واللوحتان تؤكدان ما وصفنا به هذه النسخة .

والنسخة (ب) التى عثرنا عليها فى إحدى المكتبات بالقاهرة كما تقدم بقلم نسخ جيد ، وهذا نص ما جاء فى آخر الصفحة الأخيرة من هذه النسخة :

« وكان الفراغ منه يوم الأربع المبارك بعد صلاة العصر الموافق لسبع وعشرين من رجب الفرد سنة ستة وستين ومائة وألف من هجرة من له كمال العز والمجد والشرف على يد الفقير إلى الله تعالى أحمد أبو العز الشافعى مذهبا غفر الله له ولوالديه والمسلمين أجمعين » . فى ٢٩٨ صفحة ، ومسطرتها ١٩ سطراً [٢١×١٢سم] .

والنسخة الثالثة (حـ) مخطوطة بقلم تعليق معتاد لم يذكر اسم ناسخه ، تمت كتابته فى ١١ محرم سنة ١٢٦٤ هـ فى ١٣٢ ورقة ، ومسطرتها ٢١ سطراً محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٣٣ أدب [٢٣ × ١٧ سم] .

---

(١) الخطأ ظاهر وصوابه سنة أربع وخمسين . . .

والنسخة (د) مخطوطة بقلم معتاد بخط مصطفى أبو الفضل سنة ١٢٧١ هـ وأتم نسخه رمضان حلاوة سنة ١٢٧٢ هـ في ١٣٨ ورقة ومسطرتها ٢١ سطراً محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٧٥٥٥ أدب [٢١ × ١٥ سم] .

أما النسخة الأخيرة (هـ) فمخطوطة بقلم نسخ جيد بخط حسين شمس الشهير بالسنان ، تمت كتابته في ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٠٨ هـ في ٣٠٣ صفحة ، ومسطرتها ١٩ سطراً محفوظة بدار الكتب تحت رقم ١٠٧٥ تاريخ تيمور [٢٤ × ١٧ سم] .

وعناوين الصبح وضعناها جانبية كما جاء في النسخة الأصلية المرموز إليها بالحرف « ا » عدا بعض عناوين اقتبسناها من (ب) وكتبنا تحت كل عنوان منها (ب) إشارة إلى مصدره وعلنا عنوانين زدناهما وضعنا كلا منهما بين معقوفين .

أما ترجمة المؤلف الشيخ يوسف المعروف بالبديعي الدمشقي فقد انفردت بها النسخة « ا » منقولة من آخر تاريخ الأمين الدمشقي وقد جاءت هذه الترجمة في آخر صفحة من النسخة « ا » فتركناها في مكانها ونقلنا ترجمة المحبي بنصها ووضعناها بعد التعريف بالكتاب .

والحمد لله على توفيقه والصلاة والسلام على رسوله الكريم .

المحققون

ترجمة مؤلف كتاب الصبح الشيخ يوسف البديعى

ترجم له كتاب خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ج ٤ صفحة ٥١٠ — ٥١١ طبعة المطبعة الوهبية سنة ١٢٨٤ هـ قال :

يوسف المعروف بالبديعى الدمشقى الذى زيّن الطروس برشحات أقلامه ، فلو أدركه البديع لاعتزل صنعة الإنشاء والقريض عند استماع نثره ونظامه ، خرج من دمشق فى صباه ، فحلّ فى حلب حتى بلغ الشهرة الطنانة فى الفضل والأدب ، وألف المؤلفات الفائقة منها : كتاب الصبح المنبى فى حيثية المتنبى ، كتاب الحدائق فى الأدب ، ولما رأى كتاب الخفاجىّ « الريحانة » عمل كتاب ذكرى حبيب[1] فأحسن وأبدع ، وأطال وأطنب ، وأعرب عن لطافة تعبيره ، وحلاوة ترصيعه ، إلاّ أنه لم يساعده الحظ فى شهرته ، فلا أعلم له نسخة إلا فى الروم عند أستاذى الشيخ محمد عزتى ، ونسخة عندى ، ومن شعره مادحًا ومودعًا ابن الحسام[2] شيخ الإسلام حين انفصل عن قضاء دمشق :

أحاشيه عن ذكرى حديث وداعه وأُكبره عن بثه واستماعه
وما كان صبرى عند وشْك النوى على الشْـجَوَى غيرَ صبر الموت عند نزاعه
ونحن بأفق الشام فى خدمة الذى يضيق الفضا عن صدره باتساعه

---

(١) لعل اسم الكتاب : « هبة الأيام فيما يتعلق بأبى تمام » وهذا الكتاب حققه وعلق عليه الزميل الفاضل المرحوم محمود مصطفى ونشره سنة ١٩٣٤م مطبعة العلوم بمصر فى ٣١١ صفحة » أما ذكرى حبيب فالمعروف أنه شرح لديوان أبى تمام لأبى العلاء المعرى .

(٢) هو عبد الرحمن بن حسام الدين المعروف بحسام زاده مفتى الدولة العثمانية ، كان عالمًا متبحرًا فى مواد التفسير والعربية مدحاً كبير الشأن ، ولى قضاء حلب ، وسيرته بها مذكورة ، وللأدباء فيه مدائح كثيرة ، وكان الأديب يوسف البديعى الدمشقى نزيل حلب إذ ذاك من خواصه ، وندماء مجلسه ، وباسمه ألف : ذكرى حبيب ، والصبح المنبى عن حيثية المتنبى ، وأوج التحرى عن أبى العلاء المعرى ؛ لما كان يرى لابن الحسام من شغف بهؤلاء الشعراء ، وله ترجمة مطولة فى كتاب خلاصة الأثر ج ٢ من ص ٣٢١ إلى ص ٣٥٧ » ، ويلاحظ أنه ذكر كتاب ذكرى حبيب بدل : هبة الأيام فيما يتعلق بأبى تمام ، وقد نبهنا فى الهامش رقم (١) على ما نراه الصواب .

أُجِلّ حُماةَ الدين وابن حُسامه وحامى حِمى أركانه وقِطاعــه

عشيــةَ توديع المآثر والعـــلا وكلٌّ فَخار للورى فى رِباعه

وما سِرتُ عن وادى دمشق ولم يسر وسؤدده فى مُدْنه وضِياعــه

ولها تتمـــة .

وله فى مدح النجم الحلفاوى :

رُوَيداً هو الوجدُ الذى حلّ بارحُهْ فقد بَعُدتْ ممن أحبّ مطارحُه

هوًى تاهت الأفكار فى كُنه ذاته ومَنْ غرام عنه يَعجِز شارحه

منها فى المدح :

إمام أطاعته البلاغة مـــا رقى ذرا منبر إلا وكادت تصافحه

تُعَدّ الحصى ، والليل تُحصى نجومه ولم يُحصِ جزءاً من سجاياه مادحه

وشعره كثير أوردت منه فى كتابى : « النفحة » ما فيه مقنع ، ثم ولى قضاء الموصل ، ثم توفى بالروم سنة ثلاث وسبعين وألف .



بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي زين رياض الفضايل بازاهر الادب الغض، وفضل
بعض عباده باقتناء المآثر على بعض، نحمده على تراكم الائه
ونشكره على ترادف نعمائه، ونصلي على افضل مخلوقاته
المرسل رحمة للعباد، وافصح من نطق بالضاد، واعترف
بسحر بلاغته كل من وافق وضاد، وعلى اله واصحابه ينابيع
الحكم. ومصابيح الظلم وبعد فيقول المفتقر الى عفو ربه
الغني يوسف المشهور بالبديعي لما تشرفت الشهباء بانشاد
عين الكمال. وعين انسان الافضال، علم العلم، وطود
الحلم. الذي ما طلع نجم في سماء العدالة اسعد من سهيل طلعته
ولا سطع كوكب في فلك الايالة ارفع من سماك رفعته الحاوي
من الاخلاق اكرمها والطفها، ومن الاوصاف افضلها واشرفها
فلا مكرمة الا وهو لها حايز، ولا محمدة الا وهو بها فايز، يصدق
فيه المدح حتى كانما يبتع من صدق المقالة شاعره،
الماجد الذي فضايله لا تحصى، وفواضله لا تستقصى، ومن
ذا يقدر على شكر سيل البحر، وسد طريق القطر، فهو
البحر الذي يغترف العلماء من تياره، والبدر الذي تقتبس

الصفحة الأولى من الكتاب

الفضلاء من انواره، الهمام الماضي اجل موالي الدهر عبد الرحمن
نجل الحسام، حرس الله بوجوده الادب فانه حليته وزينته
وصان ببقائه العلم فانه جنته وصونه، وازدانت منه
بمولى اجمع اهل الفضل على توحيده في الدهر، واتفق اهل
العقد والحل على تفرده بالفخر، واضحت سدته المنيفة
كهف الفضلاء، وحضرته الشريفة مناخ آمال الشعراء، احببت
ان اتشرف لخدمته بتاليف كتاب يشتمل على غرر الآداب
ونتائج الالباب، لم ينسج فكر على منواله، ولم تسمح قريحة
بمثاله، ليكون وسيلة الى ان اعد من جملة خدامه، واتشرف
بتقبيل مواطي اقدامه، [illegible] فينتشلني من
شرك الفقر، ويخلصني من مخالب الدهر، فصدتني
الايام عن وجهتي، وعارضتني بعوائقها عن طلب بغيتي
وكان مد الله ظله، ورفع الى اوج المرام محله، يلهج بقلائد
ابي الطيب وتمييزه على الطائيين، ولعمري ان ما قاله
هو المعول عليه، والمرجع بعد التأمل الصادق اليه، فصممت
العزم قبل تفويف ذلك التأليف، وترصيف ذلك التصنيف
على جمع مختصر يحتوي على ذكر ابي الطيب المتنبي واخباره
ويشتمل على نبذ من فلائد اشعاره خادما به جناب
ذلك المولى، رزقه الله سعادتي الآخرة والاولى، وان
كنت في اهدائه الى عالي حضرته، وسامي سدته كمستبضع
التمر الى هجر، ومهدي الفصاحة الى اهل الوبر، وناقل المسك

الصفحة الثانية من الكتاب

راقت صفاء ورقت كل حاشية ٭ منها ودقت معانيها على الفكر
كأنها من عصى موسى قد اكتتبت ٭ فلم تدع للسوى صنعاً ولم تذر
تضمنت نظم أخبار قد انتثرت ٭ لابن الحسين بليغ البدو والحضر
ودونت باسم مولانا الذي رفعت ٭ يوح العدالة في أيامه الغرر
نجل الحسام الذي ماضي عزيمته ٭ في المشكلات يرى أمضى من القدر
مولى كريم السجايا من خلائقه ٭ تخلقت نسمات الروض في السحر
لو كان للزهر من لألاء سودده ٭ جزء لما احتجبت يوماً عن النظر
طالت مدائحه من كل ذي أدب ٭ وهل تطول يد للأنجم الزهر
وإن يقم مدحي عن علاه فكم ٭ قد انثنى مادح بالعي والحصر
أضحت ذكر اسمه في طي مدحته ٭ إذ كان أشهر في الدنيا من القمر
يا من فضائله من كل ذي بصر ٭ في الشرق والغرب ملء السمع والبصر
أبقيت ذكراً بما أسديت في حلب ٭ كالذكر نتلوه في الآصال والبكر

ثم ورد ما قاله حماد الروايه ٭ وثعالبي الدرايه
صاحبنا الشيخ عبد القادر الحموي ٭ وهو

بتأليف مولانا البديعي يوسف ٭ تجدد ما لابن الحسين من الفضل
تحلى به جيد الزمان وأصبحت ٭ له نضرة كالروض غودي بالطل
وقد زيد حسناً إذ صيغ باسم من ٭ له قلم ما زال أمضى من النصل
يذكرنا ياقوت إذ لاح وفده ٭ وكل مثال منه جل عن المثل
سما ربه كنز الهداية والحجى ٭ سماء العلى والجد والفضل والنبل
حليف التقى نجل الحسام الذي زهت ٭ به حلب الشهباء والأب كالنجل
وزحزح عنها ظلمة الظلم وانتضى ٭ على عاتق العدوان سيفاً من العدل

وابن الجابري

الصفحة التي قبل الأخيرة

، وابدا بها بدر الفضايل بازغا ، ومن قبله قد كان في سرف الجهل ،
، ومن قبله واسد لم نر قاضيا ، له سطوة الضرغام في ورع النبلي ،
هذا ما اخترناه من التقريضات ولولا خوف الاطالة
لذكرناها جميعا فانه لم يبق فاضل ولا شاعر من ابناء
الشهباء ولا من غيرها المقيمين بها الا وقد كتب تقريضا
ومدح به جناب المولى ايده الله تعالى مساعدا لنا
في مدحه لقصورنا عن شكر ما اسداه لنا وما يسديه
فلا زالت الافاضل تحت ظلال جوده قايله ، والسنة
الاقلام على امد الليالي بالافصاح عن محامده قايله ،
ولا برحت قلوب اعاديه من هيبته خافقة ، ورايات
عدله المنصورة بالشرايع خافقة ، وهذا دعاء يشمل
كل انسان ، فيجب ان ينطق به كل لسان ، وقد تم ووقع
الفراغ من نسخه ، من نسخة اصله ، على يد العبد الفقير
الراجي عفو ربه الكريم المنان حسين ابن الحاج عثمان ،
الحلبي غفر الله زلله ، وختم بالصالحات عمله ، وذلك
في اليوم السابع عشر من شهر رجب الفرد من شهور
سنة اربعة وخمسون والف احسن الله ختامها
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه
اجمعين

الصفحة الأخيرة من الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف]

سُبحان الذى زيّن رياض الفضائل بأزاهر الأدب الغضّ ، وفضّل بعض عباده باقتناء المآثر على بعض . نحمدُه على تراكم آلائه ، ونشكره على ترادف نَعمائه ، ونصلى على أفضل مخلوقاته ، المرسَل رحمة للعباد ، وأفصح من نطق بالضاد ، واعترف بسحر بلاغته كلُّ من وافق وضادّ . وعلى آله وأصحابه ينابيع الحِكَم ، ومصابيح الظلَم .

وبعدُ فيقول المفتقر إلى عفو ربه الغنىّ ، يوسف المشهور بالبديعىّ . لما تشرفت الشّهباء(١) بإنسان عين الكمال ، وعين إنسان الإفضال ، علَم العِلم ، وطَود الحِلم ، الذى ما طلع نجم فى سماء العدالة أسعدَ من سُهَيْل(٢) طلعته ، ولا سطَع كوكب فى فلك الإيالة(٣) ، أرفعَ من سِماك(٤) رفعته ، الحاوى من الأخلاق أكرمَها وألطفَها ، ومن الأوصاف أفضلها وأشرفها ، فلا مَكرُمة إلا وهو لها حائز ، ولا مَحْمَدة إلاّ وهو بها فائز .

ويصدُقُ فيــه المدح حتى كأنما يُسبِّحُ مِن صدقِ المقالة شاعرُه(٥)

---

(١) الشهباء : حلب ، سميت بذلك لأنها كانت مسورة بسور من الحجارة البيض .

(٢) سهيل : نجم عند ظهوره تنضج الفواكه ، وينقضى القيظ .

(٣) الإيالة : الولاية يريد ولاية حلب .

(٤) سماك : نجم ، وفى السماء سماكان يسمى أحدهما الرامح لأن له شعاعاً ممتداً كأنه رمح قد أمسك به ، والآخر يسمى الأعزل ، يقول أبو العلاء :

سكن السماكان السماء كلاهما هذا له رمح ، وهذا أعزل

(٥) هذا البيت من جملة أبيات لأبى الحسن على بن محمد التّهامى يمدح صاحب الشام : حسان بن جراح الطائى منها :

يخبرنا عن جوده بشر وجهه وقبل طلوع الفجر تأتى بشائره

ويصدق فيه المدح . . . .

الماجد الذى فضائلُه لا تُحصَى ، وفواضله لا تُستقصَى ؛ ومَن ذا يقدر على سَكْر[١] مَسِيل البحر ، وسَدّ طريق القَطْر ؟ فهو البحر الذى يغترف العلماء من تَيَاره ، والبدر الذى يَقتبس الفُضَلاء من أنواره . الحُسام الماضى ، أجَلّ مِوالى الدهر ، « عبد الرحمن » نَجْل الحُسام ، حرَس الله بوجوده الأدب ؛ فإنه حِليته وزينه ، وصان ببقائه العلم ؛ فإنه جُنته وصَوْنُه ، وازدانت منه بمَوْلًى أجمع أهل الفضل على توحده فى الدهر ، واتفق أهل العَقْد والحلّ على تفرُّده بالفخر ، وأضْحت سُدَّته المُنيفة كهفَ الفُضَلاء ، وحضرته الشريفة مُناخَ آمال الشعراء .

أحببتُ[٢] أن أتشرف لخدمته بتأليف كتاب ، يشتمل على غُرَر الآداب ، ونتائج الألباب ، لم ينسُج فكر على مِنواله ، ولم تسمح قريحة بمثاله ، ليكون وسيلة إلى أن أُعَد من جملة خُدّامه ، وأتشرف بتقبيل مواطئ أقدامه ، فينقذَنى من شَرَك الفقر ، ويستخلِصنى من مَخالب الدهر ، فصدَّتنى الأيام عن وِجهتى وعارضتنى بعوائقها عن طلب بُغيتى ، وكان — مدّ الله ظِله ، ورفع إلى أوْج مَرامه مَحَله — يلهَج بقلائد « ابن الحسين »[٣] ، وتمييزه على الطائيَّين[٤] ولعَمرى إن ما قاله هو المعوّل عليه ، والمرجع بعد التأمل الصادق إليه .

فصمَّمْت العزَم[٥] قبل تفويف[٦] ذلك التأليف ، وترصيف[٧] ذلك التصنيف ، على جمع مختصر يحتوى على ذكر أبى الطيب المتنبى وأخباره ،

---

(١) السكر : بفتح السين وسكون الكاف : سد النهر ، وبكسر السين : ما سد به النهر . وشبيه بهذا المعنى الذى أورده المؤلف قول المتنبى :

وما ثناك كلام الناس عن كرم ومن يسد طريق العارض الهطل ؟

(٢) أحببت : جواب « لما » فى الكلام السابق .

(٣) ابن الحسين : هو أبو الطيب المتنبى .

(٤) والطائيان هما : أبو تمام ويقال له الطائى الأكبر ، وكان واحد عصره فى الغوص وراء المعانى توفى بالموصل سنة ٢٣١ هـ . وأما الثانى — ويلقب بالطائى الأصغر — فهو البحترى الشاعر المطبوع توفى بمنبج سنة ٢٨٤ هـ .

(٥) فى اللسان : صمم فلان على كذا مضى على رأيه بعد إرادته ، صمم فى السير وغيره أى مضى ، وفى الأساس : صممت عزيمتى ولا تقل صممتها .

(٦) تفويف : تحسين وتزيين .

(٧) ترصيف : تأليف .

ويشتمل على نُبَذ من قلائد أشعاره . خادمًا به جناب ذلك المولى ، رزقه الله سعادتى الآخرة والأولى ؛ وإن كنت فى إهدائه إلى عالى حضرته ، وسامى سُدته . كمستبضع التمر إلى هَجَر[١] ، ومُهْدى الفصاحة إلى أهل الوَبَر ، وناقل المِسْك ، إلى الترك[٢] ، والعود إلى الهنود ، والعنبر إلى البحر الأخضر[٣] ، وكمن ساق إلى البحر نهراً ، وأهدى إلى الشمس نُوراً ، بل كمن أهدى كوز ماء أُجاج ، إلى بحر فرات عَجّاج ؛ فإنه الهمام الذى جمع صفات الكمال ، فلا يبارى ، وأحرز قصب السبق فى مضمار البلاغة فلا يجارى وسميته :

اسم الكتاب

بالصبح المُنبى ، عن حَيْثية[٤] المتنبى .

---

(١) هذا مثل وأصله يرجع إلى أن هجر مصدر التمر ، ومستبضع التمر إليها مخطىء ، ويقال أيضاً كمستبضع التمر إلى خيبر ، قال النابغة الجعدى :

وإن امرأ أهدى إليك قصيدة   كمستبضع تمراً إلى أهل خيبرا

(٢) لأن الترك تجاور بلاد التبت حيث يكثر غزال المسك .

(٣) البحر الأخضر : المحيط والعنبر يؤخذ من بعض حيوانه .

(٤) حيثية : مصدر صناعى من كلمة (حيث) والمراد بها المكانة .

[أخبار المتنبي]

هو أحمدُ بن الُحسين بن عبد الصمد الجُعْفِيّ الكوفيّ الملقّب بأبي الطيب وكان والده الحسين يُعرف بِعيدانَ السَّقّا[1] .

كيف كان يكتم نسبه

وكان مولد المتنبي بالكُوفة سنة ثلاث وثلاث مئة وكان شاعراً عظيماً مشهوراً مذكوراً محظوظًا من الملوك والكبراء . قدم الشام في صباه وجال في أقطارها .

وكان يكتم نسبه . فسُئل عن ذلك ، فقال : إني أنزل دائمًا على قبائل العرب ، وأحب ألاّ يعرفوني ، خِيفة أن يكون لهم في قومي تِرة[2] .

قال أبو الحسن « محمد بن يَحيي العلويّ »[3] .

كان أبو الطيب وهو صبيّ ينزل في جواري بالكوفة ، وكان محبًّا للعلم والأدب ، فصحب الأعراب في البادية ، وجاءنا بعد سنين بدويًّا قُحًّا[4] وكان تعلّمَ الكتابة والقراءة فلزم أهل العلم والأدب ، وأكثر من ملازمة الوراقين[5] فكان علمه من دفاترهم .

قوة حفظ المتنبي

وأخبرني ورّاق قال :

ما رأيت أحفظ من ابن عِيدان قَطُّ ، فقلت له : كيف ذلك ؟ فقال : كان اليومَ عندي وقد أحضر رجل كتابًا نحوَ ثلاثين ورقة ليبيعه ، فأخذ ابن عِيدان ينظر فيه طويلا . فقال له الرجل : يا هذا ، أريد بيعه ، وقد قطعتني عن

---

(1) حـ ، د ، هـ : بعبدان بالباء الموحدة وهو خطأ نبه عليه صاحب تاج العروس في مادة : عود قال : وعيدان السقاء بالكسر لقب والد الإمام أبي الطيب أحمد بن الحسين بن عبد الصمد المتنبي الكوفي الشاعر المشهور . هكذا ضبطه الصاغاني وقال : كان أبوه يعرف بعيدان السقاء بالكسر . قال الحافظ بن حجر : وهكذا ضبطه ابن ماكولا أيضاً . وقال أبو القاسم ابن برمان : هو أحمد بن عيدان بالفتح وأخطأ من قال بالكسر فتأمل .

(2) ترة : ثأر .

(3) هو محمد بن عمر بن يحيى ينتهى نسبه إلى زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ، كان من أهل الكوفة ، ثم سكن بغداد ، وكان المتقدم على الطالبيين في وقته ، والمنفرد في علو همته مع اليسار وكثرة الضياع والعقار . ولد سنة ٣١٥ هـ وتوفي سنة ٣٩٠ هـ ، ثم حمل إلى الكوفة لسنة أو أقل فدفن بها (هامش المقتطف يناير سنة ١٩٣٦) .

(4) قحًّا : خالصاً .

(5) الوراقين : الذين ينسخون الكتب ويبيعونها .

ذلك، فإن كنت تريد حفظه فهذا يكون — إن شاء الله — بعد شهر . قال: فقال له ابن عِيدان : فإن كنت حفظتُه فى هذه المدة فمالى عليك ؟ قال : أهب لك الكتاب . قال : فأخذت الدفتر من يده ، فأقبل يتلوه ، حتى انتهى إلى آخره .

قوة حافظة أبى العلاء المعرى
ب

ومثله فى قوة الحافظة ، ما حكاه الأميرُ أسامةُ بن مُنْقذ [١] عن أبى العلاء المعرىّ [٢] ، قال : كان بأنطاكية [٣] خزانة كتب ، وكان الخازن بها رجلاً علَويًّا ، فجلست يومًا عنده، فقال لى: قد خبأتُ لك خبيئة [٤] غريبة ظريفة [٥] ، لم يُسْمَع [٦] بمثلها فى تاريخ ، ولا فى كتاب منسوخ. قلت: وما هى ؟ قال : صبى دون البلوغ ضرير يتردد إلىّ ، وقد حفَّظتُه فى أيام قلائل عدة كتب ؛ وذاك [٧] أنى أقرأ عليه الكرَّاسة والكراستين مرة واحدة ، فلا يستعيد إلا ما يشكّ [٨]

---

(١) أسامة بن منقذ : كان من أكابر بنى منقذ أصحاب قلعة شيزر (حصن قرب حماة) ومن علمائهم وشجعانهم . سكن دمشق ، ثم نبت به كما تنبو الدار بالكريم ، فانتقل إلى القاهرة ، وبقى بها مؤمَّراً معظماً إلى أيام الصالح بن رزيك فرجع إلى الشام ، وله عدة تآليف فى فنون الأدب منها لباب الآداب ، وقد طبع بمصر أخيراً بتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر ، وله شعر جيد ، ونثر فائق ، فن شعره ما كتبه فى صدر كتاب إلى بعض أهل بيته :

شكا ألم الفراق الناس قبلى وروع بالنوى حى وميت
وأما مثل ما ضمت ضلوعى فإنـى ما سمعت ولا رأيت

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى اللغوى الفيلسوف الشاعر المشهور . ولد بالمعرة وهى بلدة صغيرة بالشام ، وعمى من الجدرى وهو فى الرابعة من عمره ، وتوفى بالمعرة سنة ٤٤٩ هـ .

(٣) أنطاكية : بفتح الهمزة وكسرها وسكون النون وكسر الكاف وفتح الياء المخففة : بلد معروف بالشام . ونحن نستبعد هذه الرواية عن خزانة أنطاكية ، وعن أسامة بن منقذ لأن أنطاكية أخذها الروم من المسلمين سنة ٣٥٨ هـ أى قبل ولادة أبى العلاء بنحو خمس سنين (ولد أبو العلاء سنة ٣٦٣ هـ) ولما انتزعها الروم من المسلمين أخلوها منهم ، فليس معقولا أن يكون بها خزانة كتب وخازن وتقصد للاشتغال بالعلم ، ولم يستردها المسلمون إلا فى سنة ٤٧٧ هـ أى بعد وفاة أبى العلاء (٤٤٩هـ) بنحو ثمان وعشرين سنة ، وربما كانت أنطاكية فى هذه الرواية محرفة عن كفر طاب وهى بلدة بين المعرة وحلب . كانت مشحونة بأهل العلم ، وكان بها من يقرأ الأدب ، ويشتغل به ، وكانت لأبى المتوج نصر بن منقذ فى أيام أبى العلاء فإذا ضم إلى ذلك أن أسامة بن منقذ ولد فى سنة ٤٨٨ هـ ومات سنة ٥٨٤ هـ بدمشق زمن الأيوبيين كان ابن منقذ المروية عنه هذه الرواية هو أبو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ لا أسامة المولود بعد وفاة أبى العلاء — اقرأ تعريف القدماء بأبى العلاء .

(٤) كذا فى هـ ، وفى ب : خبية ، وسقطت من « ا » . (٥) حـ : طريفة .

(٦) سائر النسخ : تسمع بتاء فى أوله . (٧) سائر النسخ : وذلك .

(٨) حـ ، د ، هـ : شك .

فيه ، ثم يتلو عليّ ما قد سمعه ، كأنه[كان](١) محفوظًا له . قلت : فلعله قد يكون (٢) . قال سبحانَ الله ! كل كتاب فى الدنيا يكون محفوظًا له ! ولئن كان ذلك كذلك فهو أعظم . ثم حضر المشار إليه ، وهو صبى دَميم الخلقة ، مُجَدَّر الوجه ، على عينيه بياض من أثَر الجدرىّ كأنه ينظر بإحدى عينيه قليلا ، وهو يتوقد ذكاء ، يقوده رجل طويل من الرجال ، أحسبه يقرب من نسبه ، فقال له الخازن : يا ولدى ، هذا السيد رجل كبير القدر ، وقد وصفتك عنده ، وهو يحب أن تحفظ اليوم ما يختاره لك . فقال : سمعًا له وطاعة ، فيختار ما يريد .

قال ابن منقذ :

فاختّرت شيئًا ، وقرأته على الصبىّ وهو يموج ويستزيد ، فإذا مر بشىء يحتاج إلى تقريره فى خاطره ، يقول : أعدْ هذا ، فأردُّده عليه مرة وأخرى (٣) ، حتى انتهيت إلى ما يزيد على كُراسة ، ثم قلت له : يُقْنع هذا من قِبَل نفسى . قال : أجَل ، حرَسكَ الله ! قلتَ : كذا ، وتلا على ما أمليته عليه ، وأنا أعارضه بالكتاب حرفًا حرفًا ، حتى انتهى إلى حيث وقفت عليه ، فكاد عقلى يذهب لما رأيتُ منه ، وعلمتُ أنه ليس فى العالم من يقدر على ذلك إلا أن يشاء الله ؛ وسألت عنه ، فقيل لى : هذا أبو العلاء المعرىّ التنوخىّ من بيت العلم والقضاء والثَّروة والغَناء(٤) .

وأعجب من هذه ، ما حكَى بعضُ طلبته عنه ، قال :

كان لأبى العلاء جار أعجمىّ ، فاتفق أنه غاب عن المَعرَّة ، فحضر رجل أعجمى يطلبه ، قد قدم من بلده ، فوجده غائبًا ، فلم يمكنه المُقام ، فأشار إليه أبو العلاء أن يذكر حاجته إليه . فجعل ذلك الرجل يتكلم بالفارسية ، وأبو العلاء يصغى إليه ، إلى أن فرَغ من كلامه ، ولم يكن أبو العلاء يعرف الفارسية ، ومضى الرجل ، وقدِم جارُه الغائب ، وحضر عند أبى العلاء ، فذكر له حال الرجل ، وجعل يذكر له بالفارسية ما قال . والرجل يبكى ويستغيث ويلطِم ، إلى أن فرغ

---

(١) زيادة تستقيم بها العبارة .

(٢) كذا فى الأصل ، سائر النسخ : قد يكون محفوظاً له .

(٣) ب : فأرده عليه مرة أخرى . سائر النسخ : فأردده عليه مرة أخرى .

(٤) الغناء : النفع وقد رسمت فى النسخ الأخرى بالألف بدون همزة بعدها .

من حديثه، وسُئل عن حاله، فأخبرَ أنه أُخبر بموت أبيه وإخوته وجماعة من أهله .

ومثل هذه ما ذكره تلميذه أبو زكريا التبريزي[١] :

أنه كان قاعداً في مجلسه بمعرَّة النعمان بين يدى أبي العلاء ، يقرأ شيئًا من تصانيفه . قال : وكنت قد أقمت عنده سنين ولم أر أحداً من أهل بلدى ، فدخل المسجدَ بعضُ جيراننا للصلاة ، فرأيته وعرفته ، وتغيرت من الفرح . فقال لى أبو العلاء : أيّ شيء أصابك ؟ فحكيت له أنى رأيت جاراً لى ، بعد أن لم ألق أحداً من أهل بلدى سنين . فقال : قمْ فكلمه . فقلت حتى أتم السبَق[٢] . فقال : قم وأنا انتظرك . فقمت وكلمته بلسان الأذْرَبية[٣] شيئًا كثيراً ، إلى أن سألت عن كل ما بدا لى ، فلما رجعتُ ، ووقفت بين يديه ، قال لى : أى لسان هذا ؟ قلت : هذا لسان أذْرَبيجان . فقال لى : ما عرفتُ اللسان ولا فهمته ، غير أنى حفظت ما قلتما ، ثم أعاد علىّ اللفظ بعينه ، من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه . وهذا من أعجب العجائب ، لأنه حفظ ما لم يفهمه .

وحكى عنه بعض أصحابه أيضًا أن جاراً سَمّانًا كان بينه وبين رجل من أهل المعرة معاملة ، فجاء ذلك الرجل ، وحاسبه برقاع يستدعى فيها ما يأخذه منه عند حاجته إليه . وكان أبو العلاء فى غرفة يسمع محاسبتهما . قال : فسمع أبو العلاء السمان المذكور بعد مدة يتأوّه ويتململ ، فسأله عن حاله ، فقال : كنت حاسبت فلانًا برقاع كانت له عندى ، وقد عَدِمتها ، ولا يحضرنى حسابه . فقال : ما عليك من بأس ، أنا أملى عليك حسابه ، وجعل يملى معاملته رقعة برقعة ، والسَّمان يكتبها ، إلى أن فرغ وقام ، فما مضت إلا أيام يسيرة ، ووجد السمان الرقاع ، فقابل بها ما أملاه عليه أبو العلاء ، فطابق إملاؤه الرّقاع .

---

(١) هو أبو زكريا يحيى بن على الشيبانى التبريزى المعروف بالخطيب ، أحد أئمة اللغة ، كانت له معرفة تامة بالأدب من النحو واللغة وغيرهما ، وكان ثقة فى اللغة وما ينقله ، وصنف فى الأدب كتباً كثيرة منها : شرح الحماسة ، وشرح دواوين أبى تمام والمتنبى والمعرى وشرح المعلقات والمفضليات ولد سنة ٤٢١ وتوفى ببغداد سنة ٥٠٢ هـ .

(٢) السبق : بالتحريك المقدار الذى يقرأ فى الدرس عادة .

(٣) جميع النسخ : الأدربية بالدال المهملة وفى هامش (هـ) : الأذربية بالذال المعجمة نسبة إلى أذربيجان وهو المعروف ولذلك أثبتناه .

ما صدر بين ابن عباس وبين ابن الأزرق بسبب شعر ابن أبي ربيعة

والعَلَم الفرد فى قوة الحافظة عبدُ الله بن عباس [١] ، رضى الله عنهما .

قال أبو العباس [٢] المبرد فى كامله : ويُروَى أن ابن الأزرق [٣] أتى ابن عباس يوماً ، فجعل يسأله حتى أمَلّه [٤] ، فجعل ابن عباس يُظهر الضَّجَر ، وطلع عمر بن عبد الله ابن أبى ربيعة [٥] على ابن عباس وهو يومئذ غلام ، فسلم وجلس ، فقال له ابن عباس : ألا تنشدنا شيئاً من شعرك ؟ فقال :

أمِنْ آل نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ ... غداة غدٍ أم رائحٌ فمُهَجِّرُ [٦]

بحاجة نفس لم تقلْ فى جوابها ... فتَبْلُغَ عُذْراً والمقالة تُعْذِر [٧]

تَهيمُ إلى نعم فلا الشملُ جامعٌ ... ولا الحبلُ موصولٌ ولا القلب مُقصِر [٨]

ولا قرب نُعْم إن دنت لك نافعٌ ... ولا نأيُها يُسْلِي ولا أنت تَصْبِر

وأخرى أتتْ من دُونِ نُعْم ومثلُها ... نَهى ذو النهى لو يَرعوِى أو يُفكر [٩]

---

(١) هو عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولد عام الهجرة ، وكان يلقب بحبر قريش لسعة علمه وأكثر ما أشتهر به أقواله فى تفسير القرآن . مات سنة ٧٠ هـ عن سبعين عاماً ، وقيل سنة ٦٨ هـ بالطائف .

(٢) هو أبو العباس محمد بن يزيد . ولد بالبصرة سنة ٢١٠ هـ ثم نزل بغداد ، وكان من أئمة العربية فى عصره ، حسن المحاضرة ، فصيح اللسان ، واسع العلم بالأخبار والنوادر ، ومات سنة ٢٨٦ هـ ببغداد .

(٣) هو نافع بن الأزرق الذى صار بعد التحكيم رئيس فرقة من الخوارج تسمى الأزارقة ، وكان من أكبر فقهائهم ، وقد كفر جميع المسلمين ما عدا أتباعه .

(٤) انظر الجزء الثانى من الكامل للمبرد ص ١٤٧ طبعة المطبعة العلمية .

(٥) شاعر قرشى من بنى مخزوم نشأ بالمدينة فى أسرة كريمة ، وقد اشتهر برقة غزله ، وشعره القصصى ، يصف فيه أحوال النساء وما يكون بينهن من تزاور ومداعبة ، وما اعتدنه من محادثة فى لفظ رشيق ، ومعنى أنيق ، ومات سنة ٩٣ هـ .

(٦) نعم : اسم محبوبته . مهجّر : من هجّر الراكب تهجيراً إذا سار وقت الهاجرة .

(٧) فى هامش (هـ) عن نسخة والديوان طبع بيروت ١٣١١ هـ : لحاجة . وعن إسحق الموصلى قلت لأعرابى ما معنى قول عمر بحاجة نفس ... قال قام كما جلس . تعذر : من أعذر إذا أثبت له عذراً ، ومعنى البيتين أن الشاعر يسأل نفسه : أهو منصرف عن صاحبته نعم فى يوم من الأيام ولما يظفر بحاجته منها مع كلفه بها ؟

(٨) فى هامش (هـ) عن نسخة والديوان : أهيم . مقصر . من أقصر عن الشىء إذا كف عنه ونزع مع القدرة عليه .

(٩) وأخرى : أى وصعوبة أخرى ومعنى البيت : عن مثل هذه الصعوبة نهى ذو العقل . وفى الكامل والديوان « ذا النهى » والمعنى على هذه الرواية نهى مثل هذه العقبة ذا النهى عنها ومعنى البيت أن أمام المحب عقبة دون ما يريد من حب نعم لو عرضت لغيره لانتهى عن حبه وسيفصل ذلك فى البيتين التاليين .

إذا زُرتُ نُعماً لم يزَلْ ذو قرابة ... لهـا كُلَّما لاقيته يَتَنَهَّرُ (١)
عزيزٌ عليـه أن أمُرَّ ببابها ... يُسِرّ لى الشَّحناءوالبغْضَ يُظهر (٢)
ألِكْنِى إليها بالسَّلام فإنـه ... يُشهَّر إلمامى بهـا ويُنكَّر (٣)
بآية ما قالت غداةَ أجبتُهـا ... بمَدْفع أكنان أهذا المُشَهَّر (٤)
قفى فانظرى يا أسْمَ هل تعرفينه ؟ ... أهذا المُغيرىّ الذى كان يُذكَر (٥) ؟
أهذا الذى أطرَيت نعتاً فلم أكُنْ ... وعيشِك أنسـاه إلى يوم أقْبَر
فقالت : نَعَم لاشكَّ غيَّرَ لونَه ... سُرَى الليل يُحيِى نصَّه والتَّهجُّر (٦)
لئن كان إياه لقد حال بَعْدنا ... عن العهدِ والإنسانُ قد يتغيرُ
رأتْ رجلاأماإذا الشمسُ عارضتْ ... فيَضْحَى وأمَّابالعشِىِ فيَخصر (٧)

حافظة ابن عباس ب

حتى أتمها ، وهى ثمانون بيتًا ، فقال له ابن الأزرق : لله أنت يابنَ عباس ! أنضربُ إليك أكباد الإبل نسألك عن الدين فتُعْرِضَ ، ويأتيك غلام من قريش فينشدك سَفهًا فتسمعَه ؟ ! فقال : تالله ما سمعت سَفهًا فقال ابن الأزرق :

رأت رجلاً أما إذا الشمسُ عارضتْ ... فيَخزى وأما بالعشىّ فيَخسَرُ (٨)

(١) فى الديوان وهامش (هـ) عن نسخة : لاقيَها . وفى جميع النسخ : يتنهر وفى الديوان والكامل وهامش (هـ) عن نسخة : يتنمر .

(٢) فى حـ : أن أمس بنابها . وفى الديوان وهامش (هـ) عن نسخة : أن ألم ببيتها .

(٣) ألكنى من الألوكة وهى الرسالة ، ولفظه يقضى بأن المخاطب مرسل ، وأن المتكلم رسول ، والعرب إنما تستعمله بمعنى كن رسولى إليها فهو من المقلوب المعنى .

وفى حـ ، د ، هـ : أكنى بدل : ألكنى أى لا أستطيع أن أصرح باسمها إذا ألممت بدارها .

(٤) أكنان بالنون فى ب ، د ، هـ والأغانى والأمالى والديوان . وفى ا ، حـ : أكناف تحريف . ومدفع أكنان : موضع .

(٥) فى الديوان وهامش هـ عن نسخة : أسماء بدل (يا أسم) . (٦) النص : السير السريع .

(٧) يضحى : من ضحى الشمس كرضى وسعى : إذا برز لها . يخصر : من الخصر بالتحريك وهو البرد يجده الإنسان فى أطرافه . عن الأصمعى قال : قال لى الرشيد أنشدنى أحسن ما قيل فى رجل قد لوحه السفر ، فأنشدته قول عمر :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت ... .
أخا سفر جواب أرض تقاذفت ... بـه فلوات فهو أشعث أغبر

فقال : أنا والله ذلك الرجل . قال : وهذا بعقب قدومه من بلاد الروم .

(٨) والبيت على حسب ما قال ابن الأزرق تبجح بالغواية ، يصفه بأنه يستحيى من سوء عمله إذا ظهر الناس فى ضوء النهار ، فإذا ما أقبل الليل فهو سادر فى غوايته .

فقال ما هكذا قال ، وإنما قال : « فيضحىَ وأما بالعشىّ فَيخصَرُ » .

قال : أوَتحفظ الذى قال ؟ [١] قال : والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه ، ولو شئتَ أن أرُدّها لرددتها[٢] . قال : فارُددْها فأنشده إياها كلَّها .

أول معرفة البحترى بأبى تمام

ومثلها ما حكاه أبو عبادةَ البُحترىّ عن أبى تمام ، قال البحترى : أول ما رأيتُ أبا تمام أنى دخلتُ على أبى سعيد محمد بن يوسف[٣] وقد مدحتُه بهذه القصيدة :

أأفاقَ صَبٌّ من هوًى فأُفيقــا	أم خان عهداً أمْ أطاع شفيقـَا
إن السلوَّ كما زعمت[٤] لَرَاحةٌ	لوْ راح قلبى للسلُوّ مُطيقــا
هذا العقيقُ وفيه مَرْأًى مُونِقٌ	للعين لو كان العقيقُ عقيقــا[٥]

---

(١) كان ابن عباس يقول : ما سمعت شيئاً قط إلا رويته ، وإنى لأسمع صوت النائحة فأسد أذنى كراهة أن أحفظ ما تقول . ولامه بعض أصحابه فى حفظ هذه القصيدة فقال : إنا نستجيدها ، وكان بعد ذلك كثيراً ما يقول : هل أحدث هذا المغيرى شيئاً بعدنا ؟

ولوم ابن الأزرق ابن عباس على استماعه لشعر عمر يمثل رأى المتشددين فى وجوب أن يكون الأدب خالياً من كل ما يقبح ، أو يثير الميول الدنيئة ، وهناك رأى أوسع من هذا يرى أصحابه أن يكون الأدب صورة صادقة لأحاسيس النفس وواقع الحياة سواء منها الخير والشر ، وصنيع ابن عباس فى رواية هذا الشعر فى المسجد يؤيد هذا الرأى الأخير .

(٢) حـ ، د ، هـ : أن أوردها لأوردتها .

(٣) هو محمد بن يوسف بن عبد الرحمن المعروف بأبى سعيد الثغرى نسبة لعمله معظم أيامه فى ثغور المسلمين . كان قائداً من كبار القواد تحت إمرة الأفشين مع أبى دلف ومحمد بن حميد الطوسى . وأصله من مرو ، وفى ذلك يقول أبو تمام :

غربته العلا على كثرة الأه	ل فأضحى فى الأقربين جنيبا
فليطل عمره فلو مات فى مر	و مقيما بها لمات غريبــا

وقد كان أبو سعيد جواداً متصل العطاء وإن لم يكثر ، وهو أحد ممدوحى أبى تمام الذين دام اتصاله بهم حتى الممات ، وربما كان ذلك لجوده المتصل كما قدمنا ، ولأنه طائى مثله ، وكان عقد له على أرمينية وأذربيجان، مات فجأة سنة ٢٣٦هـ ، وولى المتوكل ابنه يوسف ما كان لأبيه من الحرب وخراج الناحية . وللبحترى فى أبى سعيد مدائح كثيرة ، يشيد فيها بشجاعته وجوده وسداد رأيه وحسن بلائه فى غزو الروم ، ومحاربة الخوارج منها :

المزبر الذى إذا التقت الحر	ب به صرف الردى كيف شاء

(٤) فى هامش هـ عن نسخة : تقول .

(٥) العقيق : اسم لعدة أماكن فى الحجاز أشهرها عقيق المدينة وهو واد تنزله الطبقة الغنية من أهل المدينة . يقول إن بالعقيق لمنظراً يقيد النظر بحسنه لو كان كمهدنا به آهلا بمن نحب .

أشقيقةَ العلَمينْ هل من نظرةٍ ... فتَبُلَّ قلباً للغليل شقيقا ؟ (١)
وسَمَتْكِ أرْديةُ السماء بديمةٍ ... تُحيي رجاءً أو تردُّ عشيقا
ولئن تناول من بشاشتك البلَى ... طرفاً وأوحش أنسَك المموقا(٢)
فلربَّ يوم قد غنَينا نجتلى ... مغناك بالرَّشأ الأنيق أنيقا(٣)
علَّ البخيلةَ أن تجود بها النَّوى ... والدارَ تجمع شائقاً ومشوقا
كذب العواذلُ أنت أفتكُ لحظةً ... وأغضُّ أطرافاً وأعذبُ ريقا(٤)
ماذا عليك لو اقتربتِ لموعدٍ ... يُنْشى الجوى وسقَيْتنا ترنيقا(٥)
غدت الجزيرةُ فى جناب محمدٍ ... ريَّا الجنابِ مغاربًا وشروقا(٦)
برَقتْ مخايلُه لها وتخرَّقتْ ... فيها عزَالِى جوده تخريقا(٧)
صفحتْ له عنها السنونَ وواجهت ... أطرافُها وجهَ الزمان طليقا(٨)
رفع الأميرُ أبو سعيد ذكرَها ... وأقام فيها للمكارم سُوقا
يستمطرون يداً يفيضُ نوالُها ... فيُغرقُ المحرومَ والمرزوقا
يقظٌ إذا اعترض الخطوبَ برأيه ... ترك الجليلَ من الخطوب دقيقا
هلا سألتَ محمداً بمحمد ... تجدِ الخبيرَ الصادقَ المصدوقا(٩)
وسَلِ الشُّراةَ فإنهم أشقى به ... من أهل مُوقانَ الأوائل موقا(١٠)

---

(١) شقيقة العلمين : مكان يقصده الشاعر . وقلباً شقيقاً : مشقوقاً منفطراً من الظمأ ، والمراد به حرارة الشوق . يقول : هل لى من نظرة إليك تطفئ حرارة ذلك الشوق الملتهب ؟

(٢) الموموق : المحبوب .

(٣) الرشأ : الظبى إذا قوى ومشى مع أمه . الأنيق : الحسن المعجب . المغنى : المنزل .

(٤) فى مخطوطتى الديوان ، وهامش ه عن نسخة : أقتل .

(٥) الترنيق : التكدير والتصفية من الأضداد وهو هنا بمعنى الثانى .

(٦) الجزيرة : الأرض التى بين دجلة والفرات من الشمال .

(٧) برقت مخايله : دل وجوده بها على ما ينتظر لها من الخير . التخرق : التوسع فى السخاء . العزالى : جمع عزلاء وهى مصب الماء من الراوية ونحوها ، والمراد أنه أفاض عليها من كرمه وأغدق .

(٨) السنون : جمع سنة والمراد بها الجدب .

(٩) بمحمد : أى عن محمد ، قال تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع » أى عن عذاب واقع ، ولعل المراد بالمسئول هنا محمد بن حميد الطوسى ، وكان أبو سعيد قائداً تحت إمرته ، فهو أعلم بشجاعته وإقدامه .

(١٠) الشراة : الخوارج ، جمع شار ، سموا أنفسهم بذلك أخذاً من قول الله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ... » إلخ الآية . وموقان : ولاية بها قرى ومروج كثيرة يحتلها=

كنا نُكفرُ من أميةَ عُصبــةً … طلبوا الخلافةَ فَجْرةً وفسوقا
ونقول تيمٌ قرّبتْ وعَدِيُّهــا … أمراً بعيداً حيث كان سحيقا[١]
ونلومُ طلحـــةَ والزبيرَ كليهما … ونُعنّفُ الصديقَ والفاروقا[٢]
وهمُ قريشُ الأبطحَيْنِ إذا انتموا … طابوا أُصولاً فيهمُ وعروقا[٣]
حتى انبرتْ جُشَمُ بنُ بكرٍ تبتغي … إرثَ النبيِّ وتَدّعيه حقوقــا[٤]
جــاءوا بِراعيهمْ ليتخذوا به … عمْداً إلى قطعِ الطريقِ طريقا[٥]
طرحوا عَباءته وألقوْا فوقــه … ثوبَ الخلافة مُشْرَبًا رَاووقا[٦]
عقدوا عمامتَه برأسِ قَناتــه … ورَأَوْه بِرًّا فاستحال عقوقا
وأقام يُنفِذُ في الجزيرة حُكْمَـه … ويظنُّ وعدَ الكاذبين صَدوقا

=الركان للرعي، فأكثر أهلها منهم وهي بأذربيجان . الموق: طرف العين مما يلي الأنف، والمراد العين كلها . وفي البيت إشارة واضحة إلى اشتراك أبي سعيد في محاربة الخوارج وإلى اشتراكه في محاربة « بابك الخرمي » الذي كان ابتداء خروجه سنة ٢٠١ هـ ، وقد حدثت وقائع في البذ مدينة « بابك » ، وفي موقان وغيرهما ، ووقع بابك أسيراً في سنة ٢٢٢ هـ وحمل إلى المعتصم ، فأمر بقطع يديه ورجليه ، ثم بذبحه ، وأرسل رأسه إلى خراسان ، وصلب بدنه بسامرا التي بناها المعتصم ، وكانت عاصمة الخلافة في ذلك الحين .

(١) تيم : رهط أبي بكر ، وعدي : رهط عمر رضي الله عنهما .

(٢) طلحة والزبير شيخان عظيمان من السابقين الأولين إلى الإسلام، وقد كان لهما موقف معروف إلى جانب أم المؤمنين عائشة في وقعة الجمل . ا ، ب : (كلاهما) ولا وجه لرفعها .

(٣) هم قريش الأبطحين : يقال قريش البطاح أي الذين ينزلون بين أخشبي مكة أي جبليها العظيمين : أبي قبيس والأحمر .

(٤) جشم بن بكر : جماعة من تغلب خرجت على الخليفة بقيادة محمد بن عمرو الخارجي في ثلاثة عشر رجلا فخرج إليهم غانم بن أبي مسلم بن حميد الطوسي ، وكان على حرب الموصل في مثل عدتهم ، فقتل من الخوارج أربعة وأخذ محمد بن عمرو أسيراً وبعث به إلى سامرا فسجن بمطبق ببغداد ، وقطع رءوس أصحابه . فعلقت هي بأعلامهم عند خشبة بابك ، وقد ذكر البحتري هذه الموقعة مفصلة في القصيدة التي يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف التي أولها :

لا دمنة بلوى خبت ولا طلل … يرد قولا على ذي لوعة يسل

والظاهر أن أبا سعيد كان مع غانم هذا في تلك الموقعة .

(٥) حـ ، د : عهداً في موضع (عمداً) .

(٦) ب ، حـ ، د : شرباً بدل مشرباً تحريف . وفي جميع النسخ والديوان : راووقاً ، والراووق : المصفاة ، والباطية ، ناجود الشراب الذي يروق به وليس في واحد من هذه المعاني ما يناسب ما نحن فيه ولعلها محرفة عن : زاووقا ، ومن معانيه الزئبق ومنه التزويق التزيين والتحسين لأنه يجعل مع الذهب فيطلى به يدخل في النار فيطير الزاووق ويبقى الذهب ثم قيل لكل منقش ومزين مزوق والمعنى أنهم ألقوا فوقه ثوب الخلافة مزوقاً مزيناً تمويهاً وخداعاً .

حتى إذا ما الحيةُ الذكَرُ انكفا ... من أرْزَنَ حنقا يمجُّ حريقا(١)
غضبانَ يلقى الشمسَ منه بهامة ... تُغْشى البروقَ تألُّقاً وبريقا(٢)
أوفى عليه فظلَّ من دَهَش يظـ ... ـنّ البرّ بحرًا والفضاءَ مضيقا
غدرتْ أمانيه به وتمزّقتْ ... عنه غيابةُ سُكرِه تمزيقا(٣)
طلعتْ جيادُك من رُبَا الجوديّ قد ... حُمِّلْنَ من دُفَعِ المنونِ وُسُوقَا(٤)
يطلبْنَ ثارَ الله عند عصابة ... خلعوا الإمامَ وخالفوا التوفيقا
يرمون خالقَهم بأقبحِ فعلِهم ... ويحرِّقون قُرَانَه المنسوقا(٥)
فدعا فريقاً من سيوفِك حتفُهُم ... وشددتَ في عُقَدِ الحديدِ فريقا
ومضى ابنُ عَمرو قد أساء بعُمره ... ظنًّا ينزِّق مُهرَه تنزيقا(٦)
ركبتْ جوانحَه قوادمُ روْعِه ... فخذفته خذْفَ المريرِ الفُوقا(٧)
فاجتاز دجلةَ خائضًا وكأنها ... قَعْبٌ على باب الكُحَيْلِ أريقا(٨)

---

(١) الحية الذكر : كناية عن أبي سعيد . الحنق : المغيظ . يمج حريقاً : كناية عن شدة الغيظ والغضب . أرزن : مدينة بأرمينية .

(٢) هـ ، مخطوطة الديوان : غضبان تلقى الشمس منه مهابة . . .
والديوان طبع القاهرة : غضبان يلقى الشمس منه بهامة . . .
ب ، ح ، د : تغشى العيون . . . بالغين المعجمة . هـ : تعشى العيون بالمهملة . والمراد أن على رأسه بيضة لها لمعان يستر لمعان البروق .

(٣) حـ : غياهب بدل غيابة .

(٤) دفع المنون : أمواجه . سائر النسخ : دفن مكان دفع . الوسوق : جمع وسق وهو الحمل .

(٥) قرآنه : مخفف قرآنه . حدث إبراهيم بن عبد الله الكجي قال : قلت البحتري : ويحك أتقول في قصيدتك التي مدحت بها أبا سعيد « ألآفاق صب من هوى فأفيقا » : يرمون خالقهم . . . أصرت قدريا معتزليا فقال : كان هذا ديني في أيام الواثق ثم نزعت عنه في أيام المتوكل . فقلت له : يا أباعبادة، هذا دين سوء يدور مع الدول .

(٦) نزقه : جعله يعدو بسرعة وخفة .

(٧) الأصل: فحذفته حذف المرير القوقا . محرف .
ب ، حـ ، د : والديوان طبع القاهرة : فحذفته حذف . . . . هـ : فخذفته خذف . . . الديوان وهامش (هـ) عن نسخة: الفوقا .
حذف أو خذف : رمى . المرير : الحبل اشتد فتله . القوق : طائر مائي طويل العنق ولا معنى له هنا . الفوق: مشق رأس السهم حيث يقع الوتر والمراد . أن حصانه قد حمله الخوف والفزع فطار كأنه السهم يطير من القوس .

(٨) الكحيل : موضع بالجزيرة .

لو خاضها عِمليقٌ اوْعُوْجٌ إذنْ ... ما جوَّزَتْ عُوجًا ولا عِمليقا(١)
لولا اضطرابُ الخوف فى أحشائه ... رسب العُبابُ به فمات غريقـا
خاض الحتوفَ إلى الحتوف مُعانقاً ... زَجِلا كَفِهْرِ المنجنيقِ عتيقا(٢)
يجتابُ حزَّةَ سهلها ووُعورَها ... والطيرُ هان مُرادُه ودَقوقا(٣)
لو نَفَّسته الخيلُ لفتةَ ناظـر ... ملأ البـلادَ زلازلاً وفُتوقا
لَشَنَى صُدورَ السمْر تكشف كُربةً ... ولَوَى رؤوسَ الخيل تَفرُجُ ضِيقا(٤)
ولَبَكَّرتْ بكرٌ وراحتْ تَغلبُ ... فى نصرِ دعوته إليه طُروقا
حتى يعودَ الذئبُ ليثًا ضَيْغما ... والغصنُ ساقًا والقرارةُ نِيقا(٥)
هيهات مارسَ قَلْقلاً مُتَيقظا ... قَلِقًا إذا سكن البليدُ رشيقا(٦)
مُستسلِفا جعلَ الغَبوقَ صَبوحَه ... ومَرَى صَبوحَ غد فصار غَبُوقا(٧)
لله ركضُكَ إذ يُبادرُك المدى ... ومُبِينُ سَبْقِك إذ أتى مسبوقا(٨)
جاذبتَه فضلَ الحياةِ فأفلتتْ ... من كفه قَمِنًا بذاك حقيقا
فرددْتَ مهجتَه وقد كرَعَ الردى ... لِيَحُفَّ منهـا منهلا مطروقا(٩)

---

(١) عمليق ويقال عملاق واحد العماليق والعمالقة وهم قوم تفرقوا فى البلاد ضرب بهم المثل لشدتهم وعظم أجسامهم. عوج بن عوق بضم العين فيهما رجل يزعمون أنه مفرط فى الطول وشناعة الخلقة.

(٢) زجلا: من الزجل وهو الجلبة ورفع الصوت. فهر المنجنيق: حجره، والمراد أنه كحجر المنجنيق فى الصلابة.

(٣) جميع النسخ ومطبوع الديوان: يجتاب حرة بالحاء والراء المهملتين والصواب حزَّة بالزاى وهى موضع بين نصيبين ورأس عين أو بلد قرب الموصل، دقوقا: بالقصر ويمد مدينة بين إربل وبغداد كان بها وقعة الخوارج.

(٤) جميع النسخ: كربه وفى الديوان وهامش (هـ) عن نسخة: كربة.

(٥) هـ، الديوان: القرارة كما أثبتنا وسائر النسخ: القرادة تحريف.

النيق: أرفع مكان فى الجبل.

(٦) مارس أى الخارجى. قلقلا أى رجلا قلقاً نشيطاً وهو وما بعده من صفات أبى سعيد.

(٧) هـ، نسختا الديوان: مرى بمعنى جحد. ا، ب، حـ، د: يرى تحريف، والمعنى أنه لفرط نشاطه يسبق الأوقات وما ينبغى أن يكون فيها من أعمال؛ فهو يتعجل الغبوق فيتناوله صباحاً ويتعجل الصبوح فيتناوله مساء.

(٨) ا، ب، حـ، د: سيفك. هـ، والديوان: سبقك وهو الصواب، يعجب من سرعة أبى سعيد وهو يطارد ابن عمرو وقد فر يريد سبقه إلى غايته ويعجب من إدراكه إياه فلم يستطع منه فراراً.

(٩) ا: ليخف. ب، حـ، د، هـ: ليحف ومعناه يطوف والغرض أنه يذوق طعم الموت مرة بعد أخرى.

لَبِس الحديدَ أساورًا وخلاخلاً ... فكفيْتَهُ التسويرَ والتطويقا(١)
بالتلّ تلّ ربيعَ بين مواضع ... ما زال دينُ الله فيها يُوقى
ساتيدَمَا وسيوفُنا فى هضبة ... يَفْرِى إياسٌ بها الطلىَ والسوقا(٢)
حتى تناول تاجَ قيْصرَ مُشربًا ... بدم وفرّق جمْعَه تفريقا
والجازِران وهتّمُ إبراهيم فى ... ثنييْهما تلك الثنايا الرّوقا(٣)
قُتلَ الدعى ابنُ الدعىّ بضربة ... خلّس وحُرّق جيشُه تحريقا(٤)
والزاب إذ خانَتْ أميةُ فاغتدت ... تُزْجى لنا جعْدِ يّها الزِنديقا(٥)
كشفوا بتل كُشاف أروقة الدُّجى ... عن عارض ملأ السماءَ بُروقا(٦)
نلناهُمُ قبل الشروق بأذرُع ... يهْزُزْنَ فى كبِد الظلام شُروقا(٧)
حتى تركنا الهامَ يندبُ منهمُ ... هامًا ببطن الزابييْن فليقا(٨)

---

(١) ا ، ب ، حـ ، د : فكفيته . هـ : فكفينه .

(٢) حـ ، د ، هـ : سالت دماء سيوفنا تحريف والصواب ما أثبتنا ، ساتيدما بألف مقصورة نهر بقرب أرزن وقيل جبل وقيل اسم واد ، يشير بذلك إلى أن كسرى أبرويز وجه إياس بن قبيصة الطائى عامله على الحيرة لقتال الروم بساتيدما فلقيهم بها وهزمهم فافتخر بذلك البحترى لأنه طائى مثله .

(٣) الجازران : قريتان إحداهما بنواحى النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن ، والأخرى من قرى السهول بالقرب من حلب .

ب ، حـ ، د ، والديوان الخازران . تحريف .

هتّم : تكسير وتهشيم . ثنييهما : هكذا فى ا وهامش هـ عن نسخة ، والديوان أى منحنياتهما ، وفى سائر النسخ ثنيتهما . الثنايا : جمع ثنية وهى العقبة أو الطريق فى الجبل .

الروق : جمع أروق وهو من طالت أسنانه العليا على السفلى ولعله يقصد بإبراهيم إبراهيم بن مصعب من أكبر قواد الدولة العباسية .

(٤) خلس : سريعة . فى هامش هـ عن نسخة وفى الديوان : وحرق جيشه تحريقا .

(٥) خانت بالخاء المعجمة فى جميع النسخ . وفى نسختى الديوان : حانت بالحاء المهملة ومعناها : هلكت . تزجى : ساقطة من ا ، ب ، حـ ، د ترجى . تحريف .

الزاب : نهر بين الموصل وإربل ، ويسمى الزاب الأعلى ، والزاب الأسفل بين شهرزور وأذربيجان ، وهما من روافد دجلة من الشرق بينهما مسيرة يومين أو ثلاثة . والجعدى هو مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين نسب إلى أستاذه الجعد بن درهم ، وكان فيلسوفاً يرى بالزندقة .

(٦) تل كشاف بضم الكاف موضع بناحية الزاب أى كان هؤلاء الأعداء لكثرة عددهم وشدة لمعان أسلحتهم ينيرون ظلام الليل .

(٧) ا ، ب ، حـ ، د : أدرع وفى هـ والديوان : أذرع .

(٨) الهام : جمع هامة وهى فى زعم العرب طائر يخرج من قبر القتيل يصيح : اسقونى اسقونى حتى يؤخذ بثأره ، والهام الثانية جمع هامة بمعنى الرأس .

يا تغلبَ ابنةَ تغلب حتَّى متَى ... تَردون كُفْراً مُوبِقا ومُروقا(١)

تتجاوبون بدعوة مخـــذولة ... دعوى الحميرِ إذا أردنَ نهيقا(٢)

ولقد نظرنا فى الكتاب فلم نجـــدْ ... لمقالـــكم فى آيةٍ تحقيقا

أوَ ما علمتمْ أنَّ سيفَ محمد ... أمسى عذاباً بالطغاةِ مُحيقا(٣)

لا تَنتضوه بأن تروموا خُطَّةً ... عسراءَ تُعيى الطالبين لُحوقا

لاتحسبُنَّ الناس إن صَفَرَتْ بهم ... رُعيانُكم بَهْماً أطاع ونُوقا(٤)

خلَّوا الخلافةَ إنَّ دون لِقائها ... قَدَراً بأخذ الظالمين خليقا

قد ردَّها زيدُ بنُ حِصن بعلما ... مدُّوا عليه رِداءَها المشقوقا(٥)

بالنَّهروانِ فعاهدوه وأكدوا ... عَقْداً له بين القلوب وثيقا(٦)

ورجالُ طَىِّ مُصْلِتون أمامَه ... وَرَقاً هناك من الحديد رقيقا

لم يَرْضَها لمـــا اجتلاها صَعبةً ... لم تَرْضَه خِدناً لهـــا ورفيقا(٧)

لو واصلت أحداً سوى أصحابها ... منهمْ لكان أخاً لها وصديقا(٨)

فسُرَّ بها أبو سعيد ، وقال : أحسنت والله يا فتى .

ما جرى بين أبى تمـــام والبحترى

وكان فى مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه ، فوق كل من حضر فى مجلسه ، يكاد يمسّ ركبته ، فأقبل علىّ وقال : يا فتى أمَا تستحى(٩) ؟ هذا شعرى تنتحله

---

(١) كذا فى ا ، نسختى الديوان . وفى سائر النسخ : بروقا يريد سيفاً كالبروق وتستبعد هذه الرواية لأن البحترى لا يكرر القافية بعد بيتين

(٢) كذا فى ا ، ب والديوان وهامش ه وفى حـ ، د ، ه : يتجاذبون .

(٣) ه : عذاباً الطغاة .

(٤) صفر بالحمار من باب ضرب : دعاه بالصفير ليشرب ، والخطاب فى البيت لتغلب ابنة تغلب الذين وجه إليهم النداء فى البيت (٦١) ويقول لهم هنا إن دعوتهم ليست من الدين فى شىء وإنهم يشبهون الحمير فى ترديدها . البهم جمع بهمة وهى ولد الضأن .

(٥) حـ ، د : ودها تحريف بدليل قوله بعد : لم يرضها . وزيد بن حصن أحد الثوار فى هذا العهد وظاهر أنه ادعى الخلافة ولبس رداءها وكان ذلك بالنهروان وهى وكر الخوارج منذ نشئوا .

(٦) سائر النسخ : تعاهدوه وفى ه عن نسخة ومطبوع الديوان : وعاهدوه . مخطوط الديوان : وعاقدوه .

(٧) اجتلاها كذا فى نسختى الديوان ، ه من اجتلاء العروس . سائر النسخ : اختلاها .

(٨) سائر النسخ : لكان لها أخاً ، والوزن مستقيم .

(٩) أما تستحى كذا فى حـ وفى غيرها بسقوط الهمزة .

وتنشده بحضرتى ؟ فقال أبو سعيد : أحقًّا ما تقول[1] ؟ قال : نعم ، وإنما علِقه منى فسبقنى به إليك ، ثم اندفع فأنشد القصيدة حتى شككنى – علم الله – فى نفسى ، وبقيت متحيراً فأقبل علىّ أبو سعيد وقال : يافتى لقد كان فى قرابتك منا ، وودّك لنا ما يُغْنيك عن[2] هذا ، فجعلت أحلف بكل مُحرجة من الأيمان أن الشعر لى ، ما سبقنى إليه أحد ، ولا سمعته ولا انتحلته ، فلم ينفع ذلك شيئًا ، وأطرق أبو سعيد ، وقطع الكلام حتى تمنيت أنى سُخْتُ فى الأرض ، فقمت منكسر البال أجر رجلىّ فخرجتُ ، فما هو إلا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان إلىّ[3] فردونى ، فأقبل علىّ الرجل ، وقال : الشعر لك يا بنى ، والله ما قلته قطّ ، ولا سمعتُ به إلا منك ، ولكن ظننت أنك تهاونتَ بموضعى فأقدمتَ على الإنشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا ، تريد بذلك مُضاهاتى ومُكاثرتى حتى عرّفنى الأمير نسبَك وموضعَك ، ولَوَدِدْتُ ألاّ تلدَ طائية إلا[4] مثلَك . وجعل أبو سعيد يضحك ، فدعانى أبو تمام فضمنى إليه وعانقنى ، وأقبل يُقرِّضنى[5] ولزمته بعد ذلك ، وأخذت عنه ، واقتديت به[6] .

---

(١) أحقاً ما تقول ، كذا فى هـ وفى غيرها بسقوط (ما) .

(٢) ا : ما يغنيك من . (٣) كذا فى ا ، ب وفى غيرهما : علىّ بدل إلىّ .

(٤) إلا : ساقطة من سائر النسخ . (٥) هـ : يقرظنى وهما بمعنى .

(٦) قال الوليد بن عبيد البحترى : كنت فى حداثتى أروم الشعر ، وأرجع فيه إلى طبعى ، ولم أكن أقف على تسهيل مآخذه ، حتى قصدت أبا تمام ، وانقطعت فيه إليه ، واتكلت فى تعريفه عليه ، فقال لى : تخير الأوقات وأنت قليل الهموم ، صفر من الغموم ، وأحسن الأوقات لتأليف شىء أو حفظه وقت السحر ، لأن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة ، وقسطها من النوم ، فإن أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رشيقاً ، وأكثر فيه من بيان الصبابة ، وتوجع الكآبة ، وقلق الأشواق ، ولوعة الفراق ، وإذا أخذت فى مديح سيد ذى أياد ، فأشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه ، وأبن معالمه ، وشرف مقامه ، ونضد المعانى ، واحذر المجهول منها ، وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الزرية ، وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام ، وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ، ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب ، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى نظمه ، فإن الشهوة نعم المعين ، وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين ، فما استحسنه العلماء فاقصده ، وما تركوه فاجتنبه ترشد إن شاء الله .

وروى أبو العباس سوار بن شراحة قال : حدثنى البحترى قال : كان أول أمرى فى الشعر ونباهتى فيه أنى صرت إلى أبى تمام وهو بحمص ، فعرضت عليه شعرى ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم ، فأقبل على وترك سائر الناس ، فلما تفرقوا قال : أنت أشعر من أنشدنى ، فكيف حالك ؟ فشكوت إليه خلة ، فكتب إلى أهل معرة النعمان ، وشهد لى بالحذق فى الشعر ، وشهد لى إليهم ، وقال : امتدحهم فصرت إليهم بكتابه فأكرمونى ووظفوا لى أربعة آلاف درهم وكان أول ما أصبته بالشعر .

حافظة بديع الزمان ب

ونادرة الدنيا فى سرعة الحفظ الأستاذ أبو الفضل أحمد بن الحسين بديع الزمان[١] الهمذانى ، فإنه كان يُنشدُ القصيدة التى لم يسمعها قطّ فيحفظها كلها ويؤديها[٢] من أولها إلى آخرها لا يَخرم حرفًا ، وينظر فى الأربعة والخمسة الأوراق[٣] من كتاب لا يعرفه ثم يهذها[٤] عن ظهر قلبه هذًّا ، ويسردها سردًا[٥] .

ما جرى بين بديع الزمان وأبى بكر الخوارزمى

ويطلعك على حقيقته ذلك ما جرى بينه وبين الأستاذ أبى بكر الخوارزمى[٦] من المناظرة يوم اجتماعهما فى دار السيد أبى القاسم المستوفى، بمشهد من القضاة والفقهاء والأشراف وغيرهم من سائر الناس* .

---

(١) هو الكاتب المترسل والشاعر المبدع صاحب المقامات المشهورة نشأ بهمذان ونبغ فى الأدب وتكسب به لدى الملوك والأمراء وكان معجزة زمانه فى الحفظ وفيه يقول الثعالبى صاحب اليتيمة : إنه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب فيها . . . وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة فى معنى بديع وباب غريب فيفرغ منها فى الوقت والساعة والجواب عنها فيها ، وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بآخر سطر ثم هلم جرا إلى الأول ويخرجه كأحسن شىء وأملحه ، ويوشح القصيدة الفريدة من قوله بالرسالة الشريفة من إنشائه . . . ويعطى القوافى الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقة ، ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم فيرتجله فى أسرع من الطرف على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه .

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) كذا فى جميع النسخ والصواب : الأربع والخمس الورقات .

(٤) يهذها : يسرع فى سردها وقراءتها . جميع النسخ : يهدها بالدال المهملة .

(٥) فى الذى ذكره من سرعة الحفظ كثير من الغرابة ربما لا يستساغ على أنه يصح شىء من ذلك على سبيل الشذوذ ، والذين درسوا علم النفس وقوى العقل يقولون إن هذا جائز وإن كان نادراً ويسمون الحوافظ التى من هذا النوع الحوافظ الصم يقصدون بذلك أنها مستعدة لأن تملأ بما ينقل إليها تشبيهاً لها بالخرائط الخالية التى يراد ملؤها بأسماء الأنهار والبلاد وغير ذلك وهى من الهبات التى يختص الله بها من يشاء من عباده . شأنها شأن الهبات فى كل ناحية من نواحى الحياة . وقد روى عن أبى العلاء المعرى كثير مما يثير الدهشة من قوة حافظته ورقة حسه .

(٦) لم نجد هذه المناظرة إلا فى نسخة الأصل وفى مطبوعة دمشق وقد تقدم التعريف ببديع الزمان أما أبو بكر الخوارزمى فهو محمد بن العباس الخوارزمى الكاتب الشاعر اللغوى الأديب المؤلف الرحالة المدرس توفى سنة ٣٨٣ هـ وأشهر ما فى حياته الأدبية اتصاله بالصاحب بن عباد ومناظرته لبديع الزمان . واتصاله بالصاحب يفسر حملته على المتنبى جرياً على مذهب صاحبه .

* المناظرة الواردة هنا ملخصة بقلم المؤلف من نسختها التى أملاها بديع الزمان استجابة لرغبة السيد أبى القاسم من أشراف بغداد وهى ساقطة من النسخ التى بأيدينا ما عدا الأصل وقد رجعنا فى تصحيحها إلى نسختى الرسائل المطبوعة والمخطوطة بدار الكتب واقرأها فى رسائل بديع الزمان على هامش خزانة الأدب لابن حجة من ص ٢٩ وما بعدها . ولنا عليها تعليق تقرؤه بعد ، واقرأها أيضاً فى إرشاد الأريب لياقوت طبع دار المأمون جـ ٢ من ص ١٧٣ — ص ٢٠٠ .

قال البديع : وأول القصة أنا وطِئنا خُراسان، فما اخترنا إلا نيسابور[١] دارا ، وإلاّ جوار السادة جوارا ، وقديمًا كنا نسمع بهذا الفاضل ، ونقدّر أنا إذا وردنا بلده يخرج لنا فى العِشرة عن القِشرة[٢] ؛ فقد كانت لُحمة الأدب جمعتنا ، وكلمة الغُربة نظمتنا ، وقد قال الشاعر[٣] :

أجارتَنــا إنا غريبان ها هنــا وكلُّ غريب للغريب نسيبُ

فأخلف ذلك الظنّ كلّ الإخلاف ، واختلف ذلك التقديرُ كلّ الاختلاف ، وقد كان اتفق علينا فى الطريق [من العرب][٤] اتفاق ، لم يوجبه استحقاق من بِزّة[٥] بزّوها ، وفِضّة فَضّوها[٦] وذهب ذهبوا به ؛ ووردنا نيسابورَ براحة أنقى من الراحة[٧] ؛ و زىّ[٨] أوحش من طلعة المعلم ، فما حللنا إلاّ قصبةَ جواره . ولا وطئنا إلا عتبة داره بعد ما كتبنا له :

إنا لقرب الأستاذ أطال الله بقاه (كما طرِب النشوان مالت به الخمر) .

ومن الارتياح للقائه (كما انتفض العصفور بلله القطر)[٩] .

ومن الامتزاج بولائه (كما التقت الصهباء والبارد العذب)[١٠] .

ومن الابتهاج بمزاره (كما اهتز تحت البارح الغُصُن الرطب)[١١] .

فكيف نشاط الأستاذ لصديق طوى إليه ما بين قصبتى[١٢] العراق وخراسان ،

---

(١) نيسابور : إحدى مدن خراسان .

(٢) يخرج فى العشرة عن القشرة : أى يطلعنا على حقيقة حاله ودخيلة نفسه بعد أن يأنس إلينا .

(٣) هو امرؤ القيس بن حجر الكندى وقد قال هذا البيت فى رجوعه من عند قيصر .

(٤) زيادة من رسائل بديع الزمان التى اختصر منها المؤلف .

(٥) البزة : بالكسر الثياب والسلاح . بزوها : نزعوها وسلبوها .

(٦) فضوها : فرقوها .

(٧) براحة أنقى من الراحة : الراحة الأولى بمعنى جميع اليد ، والراحة الثانية بطن الكف . أى ورد نيسابور ويده خلو من كل شىء كما يخلو باطن الكف من الشعر .

(٨) الزى : بكسر أوله : الهيئة .

(٩) البيت لأبى صخر الهذلى وصدره : * وإنى لتعرونى لذكراك هزة *

(١٠) ومثله لأبى فراس :

وحاربت أهلى فى هواك وإنهم وإياى لولا حبك الماء والخمر

(١١) البيت لبشار ، وصدره : * وتأخذه عند المكارم هزة *

(١٢) قصبتى العراق وخراسان : بغداد ومرو .

بل عتبى الجبل[1] ونيسابور ؟ وكيف اهتزازه لضيف :

رثّ الشمائل مُنْهَج الأثواب بكرتْ عليه مُغيرة الأعراب[2]

وهو أيده ، الله ولىّ إنعامه ، بإنفاذ غلامه ، إلى مستقرى لأفضى إليه بما عندى .

قال البديع : فلما أخذتنا عينُه سقانا الدُّرْدى[3] من أول دَنّه . وأجنانا سوءَ العشرة من باكورة فنّه . من طَرْف نظر بشَطْره، وقيام دَفع فى صَدْره ، وصديق استهان بقدره، وضيف استخفّ بأمره ، فقاربناه إذ جانب ، وواصلناه إذ جاذب ، وشربناه على كدورته ، ولَبِسناه على خشونته ، ورَددْنا الأمر فى ذلك إلى زىّ استغثه ، ولباس استرثّه، وكاتبناه نستمد وداده ، ونَستميل فؤادَه ، بقولنا : الأستاذ أزرى[4] بضيفه إذ وجده يضربُ آباطَ القِلّة فى أطمار[5] الذّلة . فأعمل فى تربيته أنواع المصارفة[6] ، وفى الاهتزاز[7] له أصناف المضايقة ؛ من إيماء بنصف الطَّرْف، وإشارة بشَطْر الكفّ ، ودفع فى صدر القيام عن التمام ، ومَضغ الكلام ، وتكلف لردّ السلام ، وقد قبلت تربيته صَعرا ، واحتملته وزْرا ، واحتضنته نُكْرا وتأبطته شرا . ولم آلُهُ عذرا[8] ؛ فإن المرء بالمال، وثياب الجمال ، ولست مع هذه الحال ، وفى هذه الأسمال[9] ، أتقزّز[10] صفّ النعال .

---

(١) الجبل : إقليم جنوبى بحر قزوين .

(٢) أنهج الثوب : أبلاه . وفى ياقوت جـ ٢ ص ١٨٥ : رق فى موضع رث .

(٣) الدردى : عكر الزيت يرسب فى أسفل الوعاء ، وفى المثل : أول الدن دردى .

(٤) أزرى بضيفه : احتقره .

(٥) آباط القلة فى أطمار الذلة : آباط : جمع إبط . والقلة : المراد بها الفقر والفاقة . والأطمار : جمع طمر بكسر الطاء : الثوب الخلق البالى . والمعنى أنه وجده فقيراً غريباً رث الهيئة .

(٦) فى ياقوت : ترتيبه . والمصارفة : يراد بها صرفه بأى سبب لاحتقاره .

(٧) الاهتزاز له : الاحتفال به .

(٨) فى ياقوت : ترتيبه . والصعر : ميل الوجه والنظر عن الناس تهاوناً . الوزر : الإثم . النكر : المنكر . تأبط الشر : جعله تحت إبطه . لم آل له عذرا : لم أقصر فى الاعتذار له .

(٩) الأسمال : جمع سمل كالأطمار وزناً ومعنى .

(١٠) فى الأصل : أتعزز . وفى نسختى الرسائل المطبوعة والمخطوطة : أتقزز صف النعال كما فى إرشاد الأريب جـ ٢ ص ١٨٦ .

فلو صدقتُه العتاب ، وناقشتُه الحساب لقلتُ إنّ بوادينا ثاغيةَ صَباح ، وراغية[١] رواح ، وناسًا يَجرّون المطارف ، ولا يمنعون المعارف :

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوهُهُم وأندية ينتابها القولُ والفعل[٢]

ولو طَرّحت بأبى بكر إليهم طوارحُ[٣]الغربة ، لوجد مَنال البِشْر قريبًا ، ومحطّ الرحلِ رحيبًا ، ووجهَ لمُضيف[٤]خصيبا ، ورَأْىُ الأستاذ أبى بكر فى الوقوف على هذا العتاب الذى معناه ود ، والمر الذى يتلوه شهد ، موفق إن شاء الله .

فأجاب :

وصلتْ رقعةُ سيدى ومولاى ، ورئيسى أطال الله بقاءه إلى آخر السكباج[٥] ، وعرفتُ ما تضمنتْه من حسنِ خطابه ومؤلِم عتابه وصرفتُ ذلك منه إلى الضّجر الذى لا يخلو منه من مسَّه عُسْر . ونَبَا به دهر .أما ما شكاه سيدى من[٦] مضايقتى إياه فى القيام ، فقد وفيته حقه على قدر ما قدَرت عليه ، ووصلت إليه . فأما القوم الذين صدر عنهم فكما وصف . ولقد جاورتهم فأحمدتُ المَراد ، ونلت المُراد[٧] .

---

(١) فى الأصل وفى الرسائل المخطوطة : صياح . وفى الرسائل المطبوعة صباح وهو ما تقتضيه المطابقة . والثاغية : الغنم ونحوها . والثغاء : صوتها . والراغية : الإبل . والرغاء صوتها .
والمراد أن لنا بأرضنا أهلا لهم ثروة و جاه يمدوننا عند الاحتياج .

(٢) البيت لزهير بن أبى سلمى من قصيدة أولها :

« صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو »

فى مدح سنان بن أبى حارثة المرى يمدحه هو وقومه بإشراق الوجوه والشهرة ، وأن لهم مجالس وأندية يتشاورون فيها فى فهم الأمور ، ويشفعون القول بالعمل .

(٣) فى نسختى الرسائل : ولو طوحت بأبى بكر أيده الله إليهم طوائح الغربة .

(٤) الأصل : ووجه المضيف . تحريف . وهو ينظر إلى قول القائل :

أضاحك ضيفى قبل إنزال رحله ويخصب عندى والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن تكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

(٥) السكباج : لفظ فارسى معناه طبيخ يعمل من اللحم والخل والمرق . والمراد هنا : ألوان العتاب التى اشتمل عليها كتاب الخوارزمى للبديع .

(٦) كذا فى الرسائل طبع الجوائب ص ١٦ ، وهى ساقطة من الأصل .

(٧) المراد الأولى بفتح الميم مصدر ميمى أو اسم مكان أو زمان من راد القوم يرود إذا تقدم أمامهم فى طلب الماء ، والمراد الثانية بضم الميم : اسم مفعول من أراد .

فإن أكُ قد فارقتُ نجداً وأهلَه ... فما عهد نجد عندنا بذميم*

والله يعلمُ نيتي للناس كافة ، ولسيدى خاصة ، فإن أعاننى على ما فى نفسى . بلغتُ إليه ما فى النية ، وجاوزتُ مسافة القدرة ، وإن قطع علىَّ طريق عشرتى بالمعارضة ، وسوء المؤاخذة ، صرفتُ عِنانى عن طريق الاختيار ، بيد الاضطرار :

فما النفسُ إلا نطفةٌ بقرارة ... إذا لم تُكدَّر كان صفواً معينها [١]

وبعد فحبذا عتاب سيدى إذا استوجبنا عَتبًا ، واقترفنا ذنبًا ، فأما أن يُسلِفنا العربدة ، فنحن نصونه عن ذلك ، ونصون أنفسنا عن احتماله .

قال البديع : فلما ورد الجواب عمَدنا لذكره فسحوناه[٢] عن صحيفتنا ، ومحوناه . وصرنا إلى اسمه فأخذناه ، ونبذناه ، وتركنا خطته ، وتجنَّبنا[٣] خلُطته ، ومضى على ذلك الأسبوع ، ودبت الأيام ، ودرجت الليالى ، وتطاولت المدة ، وتصرم الشهر ، وصرنا لا نعير السماع ذكره ، ولا نودع الصدرَ حديثَه ، وجعل يستزيد ويستعيد بألفاظ تَقطعُها[٤] الأسماعُ من لسانه ، وتردُّها[٥] إلىَّ ، وكلمات تحفظُها الألسنةُ من فيه[٦] وتعيدُها علىَّ . فكاتبناه : أنا أرِد من الأستاذ شِرْعة وده وإن لم تصفُ ، وألبس خِلعة بره وإن لم تضْفُ ، وقُصاراىَ أن أكيلَه صاعًا عن مُدّ ، وإن كنت فى الأدب دعىَّ النسب ، ضعيفَ السبب ، ضيق المضطَرب ، سيئ المنقلب .

---

* نص البيت كما جاء فى مقدمة نفح الطيب للمقرى :

فإن نك ودعنا الديار وأهلها ... فما عهد نجد عندنا بذميم

(١) النطفة : الماء الصافى . القرارة : محل الماء .

المعين : الماء الظاهر الجارى على وجه الأرض ، والمراد أن النفس إذا بقيت بدون ما يكدرها كانت طيبة كثيرة البشر .

(٢) السحو : القشر ، والمعنى أنه محاه من صحيفته .

(٣) هكذا فى نسختى الرسائل ، وفى الأصل : « وكتبنا خطته » . تحريف .

(٤) تقطعها : تنقلها .

(٥) فى نسختى الرسائل : توردها إلى .

(٦) فى الرسائل المطبوعة : « وكلمات تخطفها الألسنة من فيه » ، وفى المخطوطة : « وكلام يخطفه الألسنة من فيه » .

سيدى ناقَشَنى فى الحساب القبول أولاً ، وصار فنى فى الإقبال ثانياً ؛ فأما حديثُ الاستقبالِ وأمرُ الإنزال فنِطاق الطمع ضيقٌ عنه ، غيرُ متسع لتوقعه منه ، وبعدُ فكُلْفة الفضل بينة ، وفروض الود متعينة ، وأرض العشرة لينة ، فلِمَ اختار قَعودَ[1] التعالى مركباً ، وصَعود التغالى مَذهباً[2] ، وشوقى قد كدَّ الفؤاد بَرْحاً إلى بَرْح[3] ، ونكأه قَرْحاً على قَرْح[4] ، ولكنها مِرَّة مُرَّة[5] . ونفسٌ حُرة ، وليس إلا غُصصُ الشوق نتجرعُها وحُلل الصبر نتدرَّعُها ، وأنا لو أعِرتُ جناحَ طائر لما طِرتُ إلا إليه ، ولا وقعتُ إلا عليه .

قال البديع : وبَقينا نقنعُ بالذكر وَصْلا حتى جعلتْ عواصفُه تَهُب ، وعقاربُه تَدب ، وأفضت الحالُ إلى أنْ قال : لو أن بهذا البلد رجلاً تأخذه أرْيحية الكرم يجمعُ بينى وبينه ؟ ، واتفق أن السيد أبا على نشِط للجمع بيننا ، فدعانى فأجبتُ ، ثم عرض علىَّ حضورَه فطلبتُ ، فلما جاءنا تركناه على غُلَوائه[6] حتى إذا نفض ما فى راسه وفرَّغ جَعبة[7] وَسواسه ، عطفنا عليه ، وقلنا : فلتهدأ ضلوعُك ، ولْيُفرخ رَوْعُك[8] ولتسكن سَورتك[9] . ولْتلِن فورتك[10] ، ولا ترقص لغير طرب . ولا تحمَ[11] لغير سبب ، وقديماً كنت أسمع بحديثك ؛ فيعجبنى الالتقاء بك ، والاجتماع معك ، والآن إذ سهل الله ذلك ، فهلمَّ إلى الأدب ننفق يومنا عليه ، وإلى الجدل نتجاذب طرفيه ، ولنبدأ بالفن الذى ملكتَ به زمانَك ، وأخذتَ منه مكانك ، وطار به اسمك بعد وقوعه ، وارتفع له ذكرك عقب خضوعه . . .

فقال : وما هو[12] ؟ قلتُ الحفظُ إن شئتَ ، والنظم إن أردتَ ، والنثر إن اخترت ،

---

(١) القعود : البكر من الإبل ، وفى الكلام استعارة .

(٢) الصعود : بفتح الصاد المكان المنحدر يصعد فيه ، ضد الهبوط .

(٣) كد الفؤاد أجهده . والبرح : الشدة ، والمعنى أن شوقى إليه برح به ، وزاده ألما .

(٤) نكأ القرحة : قشرها قبل أن تبرأ .

(٥) المرة الأولى بكسر الميم : أى القوة . والمرة الثانية بضم الميم من المرارة ضد الحلاوة .

(٦) الغلواء : الغلو ، وأول الشباب ، والمراد هنا : التكبر .

(٧) الجعبة : وعاء السهام . (٨) الروع : الخوف ، وإفراخه : ذهابه وسكون النفس.

(٩) الحدة . (١٠) حركة اضطرابه .

(١١) لا تحم : من حمى إذا غضب. (١٢) (هو) ساقطة من الأصل .

والبديهة إن نشِطت ، فأحجم عن الحفظ رأسًا ، ولم يُجل فى النثر قِدْحا[1] ، وقال أُبادهك ، واقتَرح علينا أن نقول على وزن قافية أبى الطيب :

* أرق على أرق ومثلى يأرق [2] *

وابتدر أبو بكر إلى الإجازة ، ولم يزل إلى الغايات سباقًا فقال :

وإذا ابتدهتُ بديهة يا سيدى	فأراك عند بديهتى تتغلق[3]
وإذا قرضتُ الشعر فى ميدانه	لا شك أنك يا أُخىَّ تَشقَّق[4]
إنى إذا قلتُ البديهة قلتها	عَجِلاوطبعُك عندطبعى يرفُق[5]
مالى أراك ولست مثلىَ عندها	مُتموِّها بالتُّرهات تُمخْرِق[6]
إنى أُجيز على البديهة مثل ما	تريانه وإذا نطقتُ أصدق
لو كنتَ من صخر أصمَّ لهاله	منى البديهة واغتدى يتفلّق
أو كنتَ ليثا فى البديهة خادرًا	لرثيتَ يا مسكين منِّىَ تَفْرَق[7]
وبديهة قد قلتها متنفسًا	فقل الذى قد قلتَ ياذا الأخرق

ثم وقف يعتذر ، ويقول : هذا كما يجىء لا كما يجب[8] ، فقلتُ قبل الله عُذرَك فخذ الآن جزاء عن قَرْضك ، وأداء لفَرْضك . وقلتُ :

مهلا أبا بكر فزَنـدك أضيق	فاخرَس فإن أخاك حى يرزق
دعنى أعرك إذا سكت سلامة	فالقول يُنجد فى ذويك ويُعرق
ولفاتك فتكاتُ بيضٍ سيوفكم	فدع الستور وراءها لاتُخْرَق[9]

(١) القدح : السهم وأجال القدح رمى به . (٢) تمامه : * وجوى يزيد وعبرة تترقرق *

(٣) تتغلق : أى يغلق عليك باب الكلام .

(٤) تشقق : المراد به تعجز عن اللحاق بى . (٥) يرفق : يلين ويضعف .

(٦) الترهات : جمع ترهة وهى الباطل . تمخرق : تضع الكذب .

(٧) كذا فى الرسائل، وفى الأصل : لو كنت .

وخادرا : هكذا فى نسختى الرسائل ، والخادر المقيم فى أجمته مأخوذ من الخدر وفى الأصل: قادراً .

وقد روى الشطر الثانى كما أثبتناه فى نسختى الرسائل . وفى الأصل : * لرؤيت يا مسكين دونى تبرق *

(٨) كذا فى نسخة الرسائل المطبوعة . وفى الأصل وفى مخطوطة الرسائل: لا كما يحب بالحاء المهملة ولا يخفى ما فى هذه الأبيات من التكلف والحشو والزحاف والقوافى الخشنة وقد اعترف ناظمها بأن هذا النظم لا طائل تحته بقوله : إنه كما يجىء لا كما يجب .

(٩) الفاتك : الجرىء الشجاع . خرق الستور : كناية عن الافتضاح .

وانظر لأشنع ما أقول وأدعى ألـه إلى أعراضكم متسلّق
يا أحمقاً ، وكفاك ذلك خزْية جرَّبت نار معرّى هل تحرق ؟

فلما أصابه حرُّ الكلام ، ومسه لفحُ هذا النظام ، قال : يا أحمقًا لا يجوز ، فإنه لا ينصرف ، وقطع علينا ؛ فقلنا : يا هذا لا تقطع ، فإن شعرك إن لم يكن عَيبة عيب ، فليس بظَرف ظَرف[1] ،وأما أحمق فلا يزال يصفعك وتصفعه ، حتى ينصرِف وتنصرف معه . وعرفناه أن للشاعر أن يرد ما لا ينصرفُ إلى الصرف ، كما أن له رأيه فى القصر والحذف .

وقلنا : أخبرناعن بيتك الأول ، أمدحت أم قدَحت؟ وذكيت أم جرحت[2] ؟ ففيه شيئان متفاوتان ، ومعنيان متباينان ، بدأت فخاطبت بيا سيدى ، وعطفت فقلت تتغلق . وهما لا يركضان فى حلْبة ، ولا يخطان فى خِطة[3] ؛ ثم قلت له : خذ وزنًا من الشعر حتى أسكت عليك ، فتستوفى من القول حظك،واسكت علينا حتى نستوفىَ حظنا ، ثم إنى أحفظ عليك أنفاسك ، وأوافقك عليها ، واحفظ علىّ أنفاسى ووافقنى عليها ؛ فإن عجزتَ حفظتها لك . وأخذنا بيت المتنبى :

* أهلاً بدار سباك أغيدها[4] *

فقلت : يا نعمةً لا تزال تجحدها ، ومِنةً لا تزال تكنِدها فقال : ما معنى تكنِدها ؟ فقلت : كند النعمة كفرها ، فرفع رأسه وقال : معاذ الله أن يكون كند بمعنى جحد ، فتلونا : (إن الإنسان لربه لكنود) . وقلت له : أليس الشرط أملك[5] ، والعهد بينى وبينك أن تسكت ونسكت ، كى تُتم ونُتم ، فنبذ الأدب وراء ظهره ، وصار إلى السَّخفَ يكيلنا بصاعه ومُدّه[6] ، فقلت : يا هذا إن الأدب غير سوء الأدب . ولو كان فى باب الاستخفاف شىء أعظمُ من الاحتقار ،

---

(١) العيبة : وعاء من جلد . الظرف الأول : وعاء والثانى الكياسة .

(٢) ذكيت من التذكية وهى الذبح ،والغرض رميه بعدم إصابة ما أراد،وفى نسختىّ الرسائل : زكيت بالزاى من التزكية بمعنى التعديل ضد التجريح وهذا يقتضى تشديد الراء فى جرحت .

(٣) الخطة : بكسر الخاء الأرض التى يعلم عليها بالخط تتخذ للبناء ونحوه .

(٤) تمامه : «أبعد ما بان عنك خردها»

(٥) مثل يضرب فى حفظ الشرط مع الإخوان .

(٦) الصاع والمدكيلان ، والغرض أنه يسرف فى سوء المعاملة .

وإنكار أبلغ من ترك الإنكار ، لبلغته منك . فأخذ يمضي على غُلَوائه ، ويُمعن في هُرائه وهُذائه[١] وقلت : أستغفر الله من مقالتك ، وسكت حتى عرف الناس أني أملك من نفسي ما لا يملكه ، وأسلك من طريق الحلم ما لا يسلكه ، ثم عطفت عليه فقلت : يا أبا بكر إن الحاضرين قد أعجبوا[٢] من حلمي بأضعاف ما أعجبوا من علمي[٢]. وتعجبوا من عقلي أكثر مما تعجبوا من فضلي وبقى الآن أن يعلموا أن هذا السكوت ليس عن عيّ وأن تكلفي للسَّفه أشد استمراراً من طبعك[٣] ، وغَرَبِي في السخف أمتن عوداً من نَبعك[٤] ، فقال : أنا قد كسبت بهـذا العقل دِية[٥] أهل هَمَذان مع قِلته ، فما الذي أفدت أنت بعقلك مع غزارته ؟ فقلت : هذا الذي به تتمدح من أنك شحذت فأخذت ، فهذا عندنا صفة ذم ، وقد صدقت . أنت بهذه الحِلْبَة[٦] أسبق ، وفى هذه الحرْفة أعرق ، وأنا قريب العهد بهذه الصنعة ، حديث الورد لهذه الشرعة ، وما أضيع وقتاً قطعته بذكرك ، ولساناً دنَّسته باسمك ، وملت إلى القَوّال[٧] ، فقلت : أسمعنا خيراً ، فغنى أبياتاً منها :

وشَبَّهنا بَنفْسَجَ عارِضَيْه ... بقايا اللطم فى الخد الرقيقِ

فقال أبو بكر : أحسن ما فى الأمر أنى أحفظ هذه القصيدة وهو لا يعرفها . فقلت : إن أنشدتكها ساءك مسموعُها ، ولم يسرَّك مصنوعُها ، فقال : أنشد ، فقلت : روايتى تخالف هذه الرواية ، وأنشدت :

وشبهنـا بنفسـج عارضيه ... بقايا الوشْم فى الخد الصفيـق

---

(١) الهراء : الهزء والسخرية . الهذاء : التكلم بما لا يعقل لمرض ونحوه وهو الهذيان .

(٢) كذا فى الأصل . وفى نسختى الرسائل : عجبوا بدل أعجبوا .

(٣) معنى الجملة أنى أستطيع أن أزيد عليك فى السفه مع تكلفى له وانطباعك عليه .

(٤) النبع : شجر صلب العود ينبت فى قلل الجبال تتخذ منه القسى والسهام . والغرب نبت ضعيف ينبت على الأنهار قال المتنبى يدعو لسيف الدولة :

فلا تنـلك الليـالى إن أيديها ... إذا ضربن كسرن النبع بالغرب

ومعنى هذه الجملة كمعنى السابقة .

(٥) المراد بالدية جوائز أهل همذان وفيه استعارة رشح لها بلفظ العقل .

(٦) كذا فى نسخة الرسائل المطبوعة . وفى المخطوطة الحبلة وفى الأصل : الجبلة وكلاهما محرف .

(٧) القوال : المغنى .

فأتته السكتة ، وأضجرته النكتة[١] ، وانطفأت تلك الوَقْدة ، وانحلت تلك العُقدة ، ودُفع [٢] القوال فبدأ بأبيات ، ولحّن بأصوات ، وجعل النعاس يَثْنى الرءوس ، ويمنع الجلوس ، فقمنا إلى ما وُطِّئَ من مضجَع ، ومُهِّد من مَهْجع ، ولم يكن النوم ملأ العيون ، ولا شَغَلَ الجفون ، حتى أقبل وفد الصباح ، وحيعل المؤذنُ بالفلاح ، ونَدَب إلى النهوض بالمفروض ، فلما قضينا الفرض ، فارقْنا الأرض ، وظنى أن هذا الفاضل يأكل يده ندماً ، ويبكى على ما جرى دمعاً ودماً ، وأنه إذا نام هاله منا طيف ، وإذا انتبه راعه منا سيف[٣] ، وسعَوا بيننا بالصلح ، وعرفنا له فضل السنّ ، فقصدناه معتذرين إليه ، فأومأ إيماءة مَهِيضة[٤] ، واهتز اهتزازة مَغيضة[٥] ، وأشار إشارة مريضة ، بكف سحبها على الهواء سحباً ، وبسطها فى الجو بسطاً ، وعلمنا أن للمقهور أن يستخفّ ويستهين ، وللقاهر أن يحتمل ويلين ، فقلنا : إن بعد الكَدَر صفواً ، كما أن عقب المطر صحواً ، وعرض علينا الإقامة سحابة ذلك اليوم ، فاعتللنا بالصوم ، فلم يقبل العذر وألحّ ، فقلت : أنا وذاك[٦] ، فطعمنا عنده ، وخرجنا والنية على الجميل موفورة ، وبقعة الود معمورة ، وصرنا لا نتعلل إلا بمدحه ، ولا نتنقل إلا بذكره[٧] ، ولا نعتد إلا بوده ، لا . بل ملأنا البلد شكراً ، والأسماع نشراً ، وبينا نحن من الحال فى أعذبها شِرعة ، ومن المقة فى أطيبها جرعة ، ومن المودة فى أعزها بقعة ، وأوسعها رقعة ، حتى طرأ علينا رسولان محتملان مقالته ، ومؤديان رسالته ، ذاكران أن أبا بكر يقول قد تواترت الأخبار ، وتظاهرت الآثار ، فى أنك قَهرتَ ، وأنى قُهرتُ ،

---

(١) وجه النكتة : أن الخوارزمى كان موشم الوجنة . كذا فى هامش الأصل .

(٢) دفع القوال طلب منه أن يغنى .

(٣) يشير بهاتين الفقرتين إلى قول أشجع السلمى فى الرشيد :

وعلى عدوك يابن عم محمد رصدان : ضوء الصبح والإظلام

فإذا تنبه رعته وإذا غفا سلت عليه سيوفك الأحلام

(٤) مهيضه : من الهيض وهو الكسر يقال هاض العظم هيضاً وإسنادها إلى الإيماء مجاز كعيشة راضية .

(٥) مغيضة : ناقصة من غاض الماء إذا نقص أى احتفل به احتفالة ناقصة .

(٦) فى نسخى الرسائل : أنت وذاك . وهو أحسن .

(٧) نتعلل : نشرب العلل وهو الشرب الثانى ومعنى لا نتعلل إلا بذكره : أننا إن أردنا التمتع بحديث ذكرناه مرة وثانية ، ونتنقل من النقل وهو مايؤكل على الخمر من فستق ونحوه والمعنى شبيه بما سبق .

ولا شك أن ذلك التواتر عنك صَدَرت أوائله ، والخبرُ إذا تواتر به النقل ، قبله العقل ، ولا بد أن نجتمع فى مجلس بعض الرؤساء ، فتتناظر بمشهد الخاصة والعامة ، فإنك متى لم تفعل ذلك لم آمَن عليك تلامذتى ، أو تُقِرّ بعجزك وقصورك عن بلوغك أمدى . ومَنالَ يدى ، فقلت : هذا التواترُ ثمرةُ ذلك التناظر ، مع ذلك التساتر ،فإن ساءك فأحْرِ أن يسوءك عند مجتمع الناس ، ومحتفَل أولى الفضل ، ولأن تترك الأمرَ مختلَفاً فيه خيرلك من أن يُتفق عليه ، وإن أحببتَ أن تُطير هذا الواقع ، وتهيج هذا الساكن ، فرأيك موفق * .

ثم مضت على ذلك أيام ، ونحن منتظرون لفاضل يَنشَط لهذا الفصل ، وينظر بيننا بالعدل ، فاتفقت[١] الآراء على أن يُعقَد هذا المجلسُ فى دار أبى القاسم الوزير ، واستُدْعيت ، فسرَّحت الطرف من ذلك السيد فى عالَم أفرغ فى عالِم[٢] ، أو ملَك فى درع مَلِك ، ونطق فودت الأعضاء لو أنها أسماع مُصغية ، واستمع فودت الجوارح لو أنها ألسنة ناطقة ، وكنتُ أول من حضر ، وطلع الإمام أبو الطيب[٣] وهو بنفسه أمة ، ووحده عالَم . ثم حضر السيد أبو الحسين ، وهو ابن الرسالة والإمامة ، وعامر أرض الوحى ، والمُحتَبى بفناء النبوة ، وحضر بعد ذلك أبو عمر البِسْطامى ، وناهيك به من حاكم يفصل ، وناظر يعدل ، ثم حضر القاضى أبو نصر ، والأدب أدنى فضائله ، وأيسر فواضله ، وحضر الشيخ أبو سعيد محمد بن أرمك ، وهو الرجل الذى تحميه لألاؤه ، ولَوْذَعيته من أن يُذال[٤] بمن ؟ أو ممن الرجل ؟ وحضر أبو القاسم بن حبيب ، والفقيه أبو الهيثم ، ورائد الفضل يقدُمهما ، وقائد العقل يخدمهما ، وحضر الشيخ أبو نصر المرزُبان ، والفضل منه بدأ وإليه يعود ، وحضر بعده أصحاب الإمام أبى الطيب وأصحاب الأستاذ أبى الحسن الماسَرْجِسى[٥] ، وأصحاب الأستاذ أبى عمر

---

* فى نسختى الرسائل : فرأيك موفقاً . وله وجه .

(١) فى الأصل : فاتفق وهو صحيح .

(٢) ينظر فى هذا إلى قول أبى نواس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

(٣) اسمه سهل الصعلوكى ويدل سياق الحديث على أنه من أفاضل وقته .

(٤) يذال : يهان بالسؤال عنه وعن قبيلته .

(٥) نسبة إلى ماسرجس موضع ببلاد العجم كما فى تاج العروس .

البِسطامى ، وهم فى الفضل كأسنان المشط ، ومنه بأعلى مَناط العِقْد ، وحضر الشيخ أبو سعيد الهَمذانى ، وله فى الفضل قِدْحه المُعَلَّى ، وفى الأدب حظه الأعلى ، ثم حضر أصحاب الأسبلة المُسْبَلَة[١] ، والأسْوكة[٢] المُرْسلَة . رجال يلعن بعضهُم بعضًا ، فقلت : من هؤلاء ؟ فقالوا : أصحاب الخُوارَزمىّ .

فلما أخذ المجلس زخرفه ممن حضر ، وانتُظِر أبو بكر فتأخر ، اقترحوا على قوافىَ أثبتوها ، واقتراحات كانوا بيتوها . فما ظنك بالحلفاء أدنيت لها النار : من لفظ إلى المعنى نسقته ، وبيت إلى القافية سقته . على ريق لم أبلعه ، ونفَس لم أقطعه . وقال الإمام أبو الطيب لن نؤمن لك حتى نقترح القوافى ، ونُعين المعانى ، وننص على بحر ، فإن قلت على الروى الذى أسومه ، وذكرت المعنى الذى أرومه ، فأنت حىّ القلب كما عهدناك ، شجاع الطبع كما وجدناك ، فما خرجت من عُهدة هذا التكليف ، حتى ارتفعت الأصوات بالهيللة[٣] من جانب ، والحوقلة[٤] من آخر . وتعجبوا إذ أرتهم الأيام ما لم تُرهم الأحلام . وجادهم العيان بما بَخل[٥] به السماع . وانجزم الفهم ما أخلفهم الوهم ، ثم التفتُّ فوجدتُ الأعناق تلتفت وما شعرت إلا بهذا الفاضل ، وقد طلع فى شَملته[٦] ، وهبَّ بجملته ، ومشى إلى فوق أعناق الناس يريد الصدر ، فقلت : يا أبا بكر تزحزح عن الصدر ، فقال لستَ برب الدار ، فتأمرَ على الزُّوَّار[٧] ، فقلت : حضرتَ لتناظرنى ، والمناظرة اشتقت إما من النظر . وإما من النظير ، ومن حسن النظر أن يكون مقعدُنا واحداً ، حتى يتبينَ الفاضل من المفضول ، ثم يتطاولَ السابق ، ويتقاصر المسبوق ، فقضت الجماعة بما قضيتُ .

ثم قلت : فى أى علم تريد أن نتناظر ؟ فأشار إلى النحو . فقلت : إن شئت

---

(١) الأسبلة : جمع سبال والسبال جمع سبلة وهى ما على الذقن والشاربين من الشعر . المسبلة : المرسلة والمراد أصحاب اللحى والشوارب الطويلة .

(٢) الأسوكة : جمع سواك .

(٣) الهيللة : حكاية لا إله إلا الله يقال هلل وهيلل إذا حكى ذلك اللفظ الشريف .

(٤) الحوقلة : حكاية لا حول ولا قوة إلا بالله .

(٥) ساقطة من الأصل .

(٦) الشملة : كساء يشتمل به .

(٧) فتأمر على الزوار : تسيطر عليهم .

أن أناظرك فيه فسلم ما كنت تدعيه ؛ من سرعة فى البديهة ، وجودة فى الروّية ، وقدرة على الحفظ ، ونفاذ فى الترسل ، فقال : لا أسلم ذلك ، ولا أناظر فى غير هذا ، وارتفعت المضاجّة ، واستمرت الملاجّة ، حتى قال له الأستاذ أبو عمر : أنت أديب خراسان ، وبهذه الأبواب التى قد عدها هذا الشاب كنا نعتقد لك السبق ، وتثاقلك عن مجاراته فيها مما يُوهِم ، واضطره إلى منازلة أو نزول عنها . فقال : سلّمتُ الحفظ ، فقلت : خفف الله عنك كما خففتَ عنا فى الحفظ ، فلو سلمت البديهة مع الترسل ، حتى نفرغ للنحو والأمثال واللغة والعروض والأشعار فقال : ما كنت لأسلم الترسل، ولا سَلّمت الحفظ . فقلت : الراجع فى فَيئه[١] كالراجع فى قَيْئه ؛ لكنا نُقيلك عن ذلك السماح .

أنشدنا خمسين بيتًا من قبلَك مرتين ، حتى أنشدك عشرين بيتًا من قبلى عشرين مرة ، فعلِم أن من دون ذلكَ خرْط القتاد[٢] ، فسلمه ثانيًا، كما سلمه باديًا . وصرنا إلى البديهة ، فقال أحد الحاضرين هاتوا على شعر أبى الشِّيص[٣] فى قوله :

أبقى الزمانُ به نُدوب عِضاضِ ... ورمَى سوادَ قُرونه ببياض[٤]

فبدأ أبو بكر مقدّراً أنا نَغفُل عن أنفاسه ، أو نُوليه جانب وَسْواسه ، ولم يعلم أنا نحفظ عليه الكلم ، فقال :

يا قاضيـــًا ما مثلُه من قاض ... أنا بالذى تقضى علينـــا راضِ

فلقد لَبِست ضَفِيَّةً ملمومةً ... من نسج ذاك البارق الفَضْفاض

لا تغضبنّ إذا نظمتُ تنفسًا ... إن الغضى فى مثل ذاك تغاضِ

فلقـــد بُليتُ بشاعر متقادِر ... ولقـــد بليت بناب ذيب غاض

---

(١) كذا فى لأصل . وفى نسختى الرسائل : فى شيئه وهو كالمثل لكل من رجع فى شىء أعطاه .

(٢) القتاد : شجر صلب له شوكة كالإبرة . وخرطه : إمرار اليد عليه لانتزاعه وهو مثل يضرب لكل ما يكون فى إتيانه صعوبة .

(٣) هو محمد بن رزين عم دعبل الخزاعى من شعراء الدولة العباسية .

(٤) الندوب : جمع ندب وهو أثر الجرح بعد برئه . العضاض : العض والمراد به شدة العيش على المجاز .

ولقد قرضت الشعر فاسمع واستمع لنشيد شعر طائعـاً وقِراض
فلأغلبنّ بديهــةً ببديهتى ولأرمينّ سوادَه ببياض

فقلت ما معنى ضفية ملمومة ؟ وما الذى أردت بالبارق الفضفاض ؟ فأنكر أن يكون قاله قافية . فقالوا له : قد قلتَ . ثم قلتُ ما معنى قولك ذيب غاض ؟ فقال هو الذى يأكل الغضى[1] قلت: استنوق الجمل[2]، وصار الذئب جملا يأكل الغضى . فما معنى أن الغضى فى مثل ذاك تغاض ، فإن الغضى لا أعرفه بمعنى الإغضاء فقال لم أقل الغضى ، وأنكر البيت جملة فقلت : ما أغناك عن بيت تهرب منه وهو يتبعك، وتتبرأ منه وهو يلحق بك . فامعنى قراض فلم أسمعه مصدراً من قرضت الشعر . ثم دخل الرئيس أبو جعفر ، والقاضى أبو بكر ، والشيخ أبو زكريا الحيرىّ ، وطبقة من الأفاضل وأخذ الرئيس مكانه من الصدر ، وقال : قد ادعيت عليه أبياتاً أنكرها فدعونى من البديهة على النَّفس واكتبوا ما تقولون فقلت :

برز الربيعُ لنا برَوْنق مائــه فانظر لِروعة أرضه وسمائه
فالتربُ بين مُمَسَّك ومُعَنْبر من نَوْره بل مائه ورُوائــه[3]
والمـــاء بين مُصَنْدل ومُكفَّر فى حُسْن كُدرته ولون صفائه[4]
والطيرُ مثل المحُصَنات صوادحٌ مثلُ المغنى شادياً بغنائــه[5]
والوردُ ليس بمُمْسِك ريّاه بل يُهدى لنا نَفَحاته من مائه[6]
زمنَ الربيع جلَبتَ أزكى متْجرٍ وجلوت للرائين خيرَ جِلائه

---

(١) الغضى : شجر ناره قوية يقول الشاعر :

فسقّ الغضى والساكنيه وإن هم شبوه بين جــوانحى وضلوعى

(٢) مثل يضرب للرجل يكون فى حديث ثم يخلطه بغيره وينتقل إليه بلا مناسبة .

(٣) الممسك : المطيب بالمسك : المعنبر : المطيب بالعنبر . النور : الزهر . الرواء : الحسن

(٤) مصندل : مشبه بالصندل وملون بلونه وهو خشب أحمر أو أبيض لكن المراد به هنا ما كان قليل الحمرة لوصفه بالكدرة . المكفر : المشبه والملون بلون الكافور فى بياضه .

(٥) المحصنات : جمع محصنة وهى العفيفة وقد شبه الطير بالمحصنات فى الخدور ثم بالمغنى فى ترجيع الصوت يريد أنه إذا جاء الربيع كانت شوادى الأطيار تحت ورق الأشجار فيكن كأنهن المخدرات تحت الأستار . الأصل : مثل المغنى شادياً بعنائه . تحريف .

(٦) فى نسختى الرسائل : إذ . مكان بل .

فكأنه هـــذا الرئيس إذا بـــدا في خـَلـْقه وصفاته وعطائه[١]
ما البحرُ في تزخاره والغيث في إمطـــاره والجو في أنوائه[٢]
بأجلَّ منـــه رغائباً ومواهبـــاً لا زال هذا المجد حِلف قـَبائه[٣]
والسادة الباقون سادةُ عصرهم متمدَّحـــون بمدحـــه وثنائه

وقال أبو بكر تسعة أبيات رددتها عليه ، وقلت لمن حضر أرأيتم لو أن رجلاً حلف بالطلاق لا يُنشد شعراً قط وأنشد هذه الأبيات فقط ، هل تـَطلـُق امرأته ؟ فقالت الجماعة لا يقع بهذا طلاق . ثم قلت انقـُدْ عليَّ كما نقدت ، واحكم عليه[٤] كما حكمت . فانتقد ما انتقد ، وكفتني الجماعة جوابه . وقالوا : قد علمنا أيُّ الرجلين أشعر ؟ وأي الخصمين أقدر .

ثم ملنا إلى الترسل فقلت : اقترح على غاية ما في طـَوْقك ، ونهاية ما في وُسْعك ، حتى أقترح عليك أربع مئة صنف في الترسل ، فإن سرتَ فيها برجلين ، ولم أطرْ بجناحين ، فلك يدُ السبق ، ومثال ذلك أن أقول لك : اكتب كتاباً يقرأ منه جوابه هل يمكنك أن تكتب ؟ أو أقول لك اكتب كتاباً في المعنى الذى أقول ، وأنص عليه ، وأنشد من القصائد ما أريده من غير تثاقل ، ولا تغافل حتى إذا كتبت ذلك قرئ من آخره إلى أوله ، وانتظمتْ معانيه إذا قـُرِئ من أسفله ، هل كنت تـُفـَوِّق[٥] لهذا الغرض سهمًا ، أو تـُجيل قِدْحًا[٦] ، أو تصيب نُجحًا ؟ أو قلتُ لك اكتبْ كتابًا إذا قرئ من أوله إلى آخره كان كتابًا ، وإذا عكستْ سطورُه مُخالـَفة كان جوابا ، أو قلتُ لك اكتب كتابًا في المعنى الذى يُقـْتَرح لا يوجد فيه حرف منفصل . من راء تتقدم الكلمة[٧] بديهة ، هل

(١) الأصل : الربيع مكان الرئيس ولا معنى لها .

(٢) التزخار : مصدر زخر بمعنى طما وارتفع . الأنواء : النجوم . وأراد بالغيث السحاب .

(٣) القباء : الثوب . في نسختي الرسائل : فنائه .

(٤) احكم عليه : الضمير يعود إلى الشعر .

(٥) تفويق السهم : تصويبه إلى جهة الهدف .

(٦) القدح : بكسر القاف أحد سهام الميسر وإجالته خلطه في جملة السهام قبل استخراجه والمراد المشاركة .

(٧) في نسختي الرسائل : « في المعنى الذى يقترح ولا يوجد فيه حرف منفصل من راء يتقدم الكلمة أو دال ينفصل عن الكلمة » والمراد أن يكون ما يأتي به متصل الحروف لا يكون فيه راء أولى ولا دال أخيرة في الكلمة ولا نحوهما .

كنت تفعل ؟ أو قلتُ لك اكتبْ كتابًا خاليًا من الألف واللام هل كنت تقف من ذلك موقفًا محمودًا ؟ أو قلت لك اكتب كتابًا يخلو من الحروف العواطل[١]، هل كنت تَحظى منه بطائل ؟ أو تَبُلّ لَهاتَك بناطل[٢] ؟ أو قلت لك اكتب كتابًا أوائل سطوره كلها ميمٌ وآخرها جيم ، على المعنى الذى يقترح هل كنت تغلو فى قوسه غَلوة[٣] ؟ أو تخطو فى أرضه خَطوة ؟ أو قلت لك : اكتب كتابًا إذا قرئ مُعوَّجًا وسُرِد مُعوَّجا كان شعراً هل كنت تُقطِّع فى ذلك شعراً[٤] ؟ بلى والله تصيب ولكن من بدنك . وتقطع ولكن من ذَقَنِك . أو أقول لك : اكتب كتاباً إذا فُسِّرَ على وجه كان مدحاً ، وإذا فسر على وجه آخر كان قَدْحًا ، هل كنت تخرج عن هذه العُهدة[٥] ؟ أو أقول لك : اكتب كتاباً تكون حفِظته من قبل أن لحظتَه ، هل كنت تثق من نفسك به إلى ما أطاولك بعد[٦] ؟ لا . بل « استُ البائن أعلم[٧] . . »

فقال أبو بكر هذه الأبواب شَعْبذة[٨] . فقلت : وهذا القول طَرمذة[٩] . فما الذى تحسن أنت من الكتابة وفنونها حتى أباحثك على مكنونها ، وأكاثرك بمخزونها ، وأشْبُر[١٠] قلمك ، وأسْبُر[١١] فيها لسانك وفكّك ؟ فقال الكتابة

---

(١) العواطل : الحروف الخالية من النقط .

(٢) الناطل : الجرعة من الماء واللبن والنبيذ والفضلة تبقى فى المكيال . وفى هامش الرسائل المخطوطة : الناطل كوز يكال به الخمر .

(٣) الغلوة : مسافة رمى السهم . غلا الرامى بالسهم : رفع يديه لأقصى الغاية .

(٤) يريد بتقطيع الشعر نظمه وقرضه .

(٥) العهدة : ما يتعهد به إنسان ، وخروجه عنه : وفاؤه به .

(٦) فى نسختى الرسائل : إلى ما لا أطاولك بعده ،ومعنى المطاولة المد فى الأجل وإطالة الفرصة ليستطيع الإتيان بما يقترح عليه .

(٧) هذا مثل يضرب لمن كان أدرى بالشىء . البائن : الذى يحلب الناقة من جهة شمالها وهو أحد اثنين يشتركان فى حلبها . راجع جمهرة الأمثال لأبى هلال على هامش الميدانى ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٨) الشعبذة : الشعوذة وهى خفة فى اليد وعمل كالسحر يرى الشىء بغير ما هو عليه .

(٩) الطرمذة : فعل المطرمذ وهو الذى يقول ولا فعل عنده أو لا يحقق فى الأمور وطرمذ عليه فخر وتكبر .

(١٠) الشبر : قياس الشىء بالشبر .

(١١) السبر : امتحان غور الجرح وغيره .

التى يتعاطاها أهل الزمان المتعارفة بين الناس . فقلت : أليس لا تحسن من الكتابة سوى هذه الطريقة الساذَجة . وهذا النوع الواحد المتداوَل بكل قلم، المتناوَل بكل لسان وفم ، ولا تحسن هذه الشعبذة ؟ فقال : نعم . فقلت : هات الآن حتى أطاولك بهذا الحبْل . وأناضلك بهذا النَّبْل ، ثم تقاس ألفاظى بألفاظك ، ويُعارض إنشائى بإنشائك . واقْتُرِح كتاب[1] يكتب فى النقود وفسادها ، والتجارات ووقوفها ، والبضاعات وانقطاعها . والأسعار وغلائها . فكتب أبو بكر : الدرهم والدينار ثمن الدنيا والآخرة ، بهما يتوصل إلى جنات النعيم ويُخلد فى نار الجحيم ، قال الله تبارك وتعالى: (خذ من أموالهم صدقة تُطهرهم وتُزكِّيهم بها وصَل عليهم) . وقد بلغنا من فساد النقود ما أكبرناه أشدّ الإكبار . وأنكرناه أعظم الإنكار ؛ لما نراه من الصلاح للعباد وننويه من الخير للبلاد . وتَعرَّفنا فى ذلك ما يُربح للناس فى الزرع والضرع . ويعود[2] إليه أمر الضَّر والنفع . . . إلى كلمات لم تعلق بحفظنا فقلت : إن الإكبار والإنكار والعباد والبلاد وجنات النعم ونار الجحيم والزرع والضرع أسجاع قد ثبتت فى المِعَد[3] ، ولم تزل فى اليد . وقد كتبت وكتبت . ولا أطالبك بمثل ما أنشأت ،وناولته الرقعة فبقى وبقيت الجماعة ، وبُهِتَ وبُهِتت الكافّة ، وقالوا لى اقرأه فجعلت أقرؤه واسرُده معكوساً . وكان ما أنشأناه :

الله شاء إنْ المحاضِر صدور بها ، وتملأ المنابر ظهورها ، وتفرع الدفاتر وجوه بها ، وتمشق المحابر بطون لها ترشق آثاراً كانت فيه آمالنا مُقتضى على أياديه فى تأييده الله أدام الأمير جرى فإذا المسلمين ظهور عن الثقْل هذا وَيرفَع الدين أهل عن الكَل هذا يحطّ أنْ فى إليه نتضرعُ ونحن واقفة والتجارات زائفة ، والنقود صيارفة ؛ أجمعَ الناسُ صار فقدْ كريما نظراً لِينظُر شيَمِه مَصَابَ وانتجعْنا كرمِه بارقةَ وشِمْنا هِمَمِه على آمالِنا رقابَ ، وعلَّقْنا أحوالِنا وُجوهَ لَهُ ،

---

(١) كذا فى نسختى الرسائل . وفى الأصل « واقترح كتابا » ولا يدرى من المقترح .

(٢) كذا فى نسختى الرسائل . وفى الأصل : « ويقدم من » ولا معنى له .

(٣) كذا فى الأصل . وفى نسختى الرسائل : « نبتت فى المعد » والمعد جمع معدة وهى محل الطعام والشراب من الإنسان ومعنى نباتها فيها حصولها بلا عمل وهى كالطعام والشراب كل أحد ينطق بها فهى متداولة بكل لسان ، ومتناولة بكل قلم فليس لمن يأتى بها كبير فضل (عن شرح الأحدب الرسائل ص ٧٦ ، ٧٨) .

وكشفنْا آمالـِنا وفودَ إليه بعثْنا فقد نظره بجميلٍ يتداركَنا أنْ ونعماه تأييدَه وأدام بقاه الله أطالَ الجليلُ الأميرُ رأى إن[١] .

وصلى الله على محمد وآله الأخيار .

فلما فرغتُ من قراءتها انقطع ظهر أحد الخَصمين[٢] ، فملنا إلى اللغة ، فقلت : خذ غريب المصنَّف إن شئت وإصلاح المنطق إن أردت ، وألفاظ ابن السِكِّيت إن نَشِطت ، ومجملَ اللغة إن اخترت ، وأدبَ الكُتَّاب[٣] إن أردت ، واقترح عليّ أي باب شئت من هذه الكتب حتى أجعله لك نقداً[٤] ، وأسردَه سرداً ، فقال اقرأ من غريب المصنف فقرأت الباب الذى أراده ولم أتردد فيه ، وأتيت على الباب الذى يليه . ثم قلت اقترح غيره ، فقالوا كفى ذلك فقلت له اقرأ الآن باب المصادر من فصيح الكلام . فوقف حماره ، وخمدت نارُه[٥] . وقال الناس اللغة مُسَلَّمةٌ لك أيضًا ، فهاتوا غيره . فقلتُ يا أبا بكر هات العروض ؛ فهو أحد أبواب الأدب ، وسردت منه خمسة أبحر بألقابها وأبياتها وعِلَلها وزِحافها فقلت : هات الآن فاسرُدْه كما سردت . وضجِر الناس وتقوّض المجلس .

هذا ملخص ما جرى بينهما[٦] .

* * *

---

(١) هذه الرسالة تقرأ معكوسة من آخرها إلى أولها فتستقيم أما إذا قرئت من أولها وعلى صورتها هذه فإنها لا تستقيم ، وقد تقدم أن البديع كان فى مقدوره أن ينشئ الرسالة تقترح عليه على هذه الصورة .

(٢) يريد به الخوارزمى .

(٣) كذا فى الأصل . وفى نسختى الرسائل : « أدب الكاتب » وهو أشهر .

(٤) نقداً : أى أنقده لك نقداً وأعد ألفاظه بدون تردد كما تعد النقود .

(٥) وقف حماره : كناية عن دهشته وحيرته مما رآه وعدم قدرته على الجواب . خمدت ناره : انطفأت. والمراد أنه سكن ما عنده وتلاشى .

(٦) خلت نسخ الصبح المخطوطة التى بأيدينا من هذه المناظرة إلا النسخة المحفوظة بالخزانة التيمورية رقم ٢٠٤٦ ، وتاريخ كتابتها سنة ١٠٥٤ أى فى حياة المؤلف ، وهذا يدل على أن المؤلف قصد إلى وضع هذه المناظرة فى تأليفه ، ولعل خلو النسخ الأخرى منها راجع إلى أن المؤلف قد أثبتها فى مسودته ، ثم عرض له أن يحذفها عند التبييض ، وقد يكون الأمر على العكس من ذلك .

ثم إن المؤلف لم يذكر هذه المناظرة بنصها الكامل الذى ورد فى نسختى الرسائل المطبوعة والمخطوطة وإنما أعمل فيها قلمه اختصاراً وتلخيصاً ، فذهب ذلك بشىء من رونقها ، واتساق فكرتها ، على أن الاعتماد على هذه المناظرة فى الموازنة بين الكاتبين فيه إجحاف بالخوارزمى لأنها من رواية أحد الخصمين (البديع) ، =

قدوم المتنبي اللاذقية

قال أبو عبد الله مُعاذ بن إسماعيل اللاذقي[١] : قدم أبو الطيب المتنبي اللاذقية[٢] في سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وهو كما عذّر[٣] وله وَفْرة إلى شحمتَي أذنيه[٤] فأكرمتُه وعظمته لما رأيته من فصاحته وحسن سَمْتِه[٥] . فلما تمكن الأنس بيني وبينه ، وخلوت معه في المنزل اغتناماً لمشاهدته ، واقتباساً من أدبه ، قلت : والله إنك لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير .

ادعاؤه النبوة

فقال : ويحك أتدري ما تقول ؟ أنا نبي مرسل ! فظننت أنه يهزل ، ثم تذكرت أني لم أسمع منه كلمة هزل قطّ منذ عرفته ، فقلت له : ما تقول ؟ فقال : أنا نبي مرسل . فقلت له : مرسل إلى من ؟ فقال : إلى هذه الأمة الضالة المضلّة . قلت : تفعل ماذا ؟ قال : املأ الدنيا عدلا كما ملئت جوراً . قلت : بماذا ؟ قال بإدرار الأرزاق والثواب العاجل لمن أطاع وأتى ، وضربِ الرقاب لمن عصا وأبى . فقلت له : إن هذا أمر عظيم أخاف [منه عليك][٦] وعذلته على ذلك فقال بديهة :

أبا عبـد الإلهِ معاذُ إني ... خفيٌّ عنك في الهيجا مُقامي

ذكرتَ جسيمَ ما طلبي وأنّا ... نخاطـر فيه بالمُهج الجسام[٧]

أمثـلي تأخذُ النكباتُ منـه ... ويجـزع من مُلاقاة الحمام

ولو برز الزمانُ إليّ شخصاً ... لخضّب شعر مَفْرِقه حُسامي

=ولما تدل عليه هذه الرواية من ميل شهودها إلى البديع فإذا أضفنا إلى ذلك ما كان من شيخوخة الخوارزمي وشباب البديع لم يبق للتعويل على هذه المناظرة محل .

(١) لم نعثر له على ترجمة ولكنا رأينا المتنبي يقول فيه :

معـاذ مـلاذ لزواره ... ولا جـار أكرم من جاره

كأن الحطيم على بابه ... وزمزم والبيت في داره

وكم من حريق رأت داره ... فلم يعمـل الماء في ناره

ويظهر من مدح المتنبي إياه أنه أحد كرام ممدوحيه .

(٢) اللاذقية : بلد من أعمال حلب إذ ذاك .

(٣) كذا في جميع النسخ وقد محيت الكاف وبقي أثرها في (هـ) والمراد أنه ما كاد ينبت عذاره . والعذار : الشعر النابت على جانبي اللحية .

(٤) *الوفرة : ما سال من الشعر على الأذنين . شحمة الأذن : مكان تعليق القرط .*

(٥) سمته : هيئته .

(٦) كذا في جميع النسخ ما عدا (ا) وفيها : أخاف منك عليه تحريف .

(٧) جسيم ما طلبي : ما زائدة بين المضاف والمضاف إليه .

وما بلغت مَشِيتَهــا الليالى ولا سارتْ وفى يدهــا زِمامى[١]
إذا امتلأت عيونُ الخيل منى فويلٌ فى التيقظ والمنَــام

ادعاؤه المعجزة
ب

فقلت: ذكرت أنك مُرسل[٢] إلى هذه الأمة أفيُوحَى إليك ؟ قال: نعم. قلت: فاتلُ علىّ شيئًا مما أوحِى إليك، فأتانى بكلام ما مر بسمعى أحسنُ منه، فقلت: وكم أوحى إليك من هذا ؟ فقال: مئة عِبْرة وأربعَ عشْرةَ عِبرة قلتُ: وكم العِبرة ؟ فأتى بمقدار أكبر الآى من كتاب الله[٣] تعالى. قلت: فى كم مدة أوحى إليك ؟ قال: جملة واحدة. قلت أسمع فى هذه العِبرات أن لك طاعةً فى السماء، فما هى ؟ قال: أحبس المِدرارَ لقطع أرزاق العصاة والفُجار، قلت: أتحبس فى السماء مَطَرَها ؟ قال: إى والذى فَطَرَها ! أمَا هى معجزة ؟ قلت: بلى والله ! قال فإن حبستُ المطر عن مكان تنظر إليه ولا تشكّ فيه، هل تؤمن بى وتصدقنى على ما أوتيت[٤] من ربى؟ قلت: إى والله قال سأفعل، ولا تسألنى عن شىء بعدها حتى آتيك بهذه المعجزة، ولا تُظهر شيئًا من هذا الأمر حتى يظهر، وانتظرما وُعِدْتَه من غير أن تسأله. ثم قال لى بعد أيام أتحب أن تنظر المعجزة التى جرى ذكرها قلت: إى والله، فقال لى: إذا أرسلتُ إليك هذا العبد فاركب معه، ولا تتأخر، ولا تخرج معك أحداً. قلت: نعم. فلما كان بعد أيام تَغيمت السماء فى يوم من أيام الشتاء، وإذا عبدُه قد أقبل، فقال: يقول لك مولاى اركب للموعد، فبادرت إلى الركوب معه، وقلت أين ركب مولاك ؟ قال إلى الصحراء، واشتدّ وقعُ المطر. فقال: بادر بنا حتى نَستَترَ من هذا المطر مع مولاى، فإنه ينتظرنا بأعلى تلٍّ لا يصيبُه فيه المطر. قلت وكيف عمل ؟ قال أقبل إلى السماء أول ما بدا السحاب الأسود، وهو يتكلم بما لا أفهم ثم أخذ السوط، فأدار به فى موضع ستنظر إليه، وإذا هو على تلّ بعيد عن البلد نصف فرسخ. فأتيته فإذا هو على التلّ، ولم يصبه من ذلك المطر شىء، وقد

(١) هذا البيت انفرد بروايته الأصل.
(٢) كذا فى ا، ب. وفى حـ، د، هـ: نبى مرسل.
(٣) كذا فى ا، ب. وفى حـ، د، هـ: من القرآن.
(٤) كذا فى ا وفى ب، حـ، د: أتيت به (مبنياً للمعلوم) وفى هـ: أوتيت به. بالبناء للمجهول.

خضت فى الماء إلى رُكبة الفرسَ، والمطرُ فى أشد ما يكون ، ونظرتُ إلى نحو مثَى ذراع فى مثلها من ذلك التل ما فيه قطرة مطر ، فسلمت عليه ، فردّ علىّ السلام .

انظر كيف أضل الرجل

فقلت : ابسط يديك أشهد أنك رسول الله . . . فبسط يده فبايعته بيعة الإقرار بنبوته ثم قال :

أىَّ محــل أرتــقى ؟ أىّ عــظم أتــقى ؟
وكلٌّ ما قد خلــق اللـــه وما لم يخلق ...
مُحتقــرٌ فى همــتى كشعرة فى مَفْرِق ...!

* * *

كيف عمت بيعته

وأخذت بيعته لأهلى ، ثم صح بعد ذلك أن البيعة عمتْ كلَّ مدينة فى الشام ، وذلك بأصغر حيلة تعلمها من بعض العرَب وهى صَدْحةُ المطر[١] يَصْرِفه بها عن أى مكان أحبّ بعد أن يُحوِّىَ بعصاً[٢] ، وينفُث فى الصدحة التى لهم* .

قال أبو عبد الله : وقد رأيت كثيراً منهم بالسكون وحضرموت والسكاسك من اليمن يفعلون هذا ، ولا يتعاظمونه ، حتى إن أحدهم يصدح عن غنمه وإبله . وعن القرية فلا يصيبها شىء من المطر ، وهو ضرب من السحر . وسألت المتنبى بعد ذلك هل دخلت السكون ؟ قال : نعم أما سمعت قولى من قصيدتى التى أولها[٣]

مُلِثَّ القَطر أعْطِشْها رُبوعا وإلاّ فاسْقِها السمَّ النقيعــا[٤]

---

(١) كذا فى ا . وفى ب ، ح ، ه : وقد صدحه . تحريف . والصدحة : رقية تزعم العرب أنها تمنع المطر أن يصيب مكاناً وقد أصاب كل ما حوله من الأرض .

(٢) والتحوية بالعصا : إدارتها فى الهواء .

* راوى هذه القصة هو أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقى ، وفيه وفى قصته يقول العكبرى ح ٤ ص ٢٤ طبعة الحلبى : ذكر (يريد معاذاً هذا) أن أبا الطيب قدم عليه باللاذقية سنة ٣٢٦ وأنه ادعى النبوة وذكر عنه حكاية قبيحة وأنه كان يعلم طرفاً من السيمياء وما استجزت أن أذكرها » .

وكأن صاحب شرح التبيان يردد هذه الخرافة عن أبى الطيب كما ردها غيره من المحققين .

(٣) من قصيدتى التى أولها » ساقطة من ح ، د ، ه .

(٤) الملث : الدائم المقيم . النقيع : المنقوع ، والمراد به : المميت . يقول : يأيها السحاب الدائم المطر ، أعطش هذه الربوع ، وإن سقيتها فاسقها السم بدل الماء . وقد نقد بعض الشراح هذا البيت بأن العرب لم يعتادوا الدعاء على الديار ، وإنما اعتادوا الدعاء لها . ولا عيب على أبى الطيب فى هذا ، لأنه إنما يعبر عن ديار أساء إليه أهلها ، ولم تحسن إقامته بينهم ، لكن الذى يؤخذ أن يخاطب ممدوحه فى أول بيت من القصيدة بهذا المطلع . وما أشبهه فى هذا بمطلعه فى مدح كافور :

« كفى بك داء أن ترى الموت شافيا »

أمُنْسِيَّ السَّكونَ وحَضْرموتًا ووالدتى وكِنــدةَ والسَّبيعا

فقلت : من ثَمّ استفاد ما جوّزه على طَغام(١) أهل الشام(٢) .

* * *

ومن كلامه الذى كان يزعم أنه قرآن أنزل عليه :

قرآنه

« والنجم السيار ، والفَلَك الدوّار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفى أخطار امضِ على سَنَنِك ، واقْفُ أثر من كان قبلك من المرسَلين ؛ فإن الله قامعٌ بك زَيْغَ من ألحَدَ فى الدين ، وضلّ عن السبيل » .

ادعاء المتنبى أن الأرض تطوى لـه

ومما كان يُمخرق(٣) به على أهل البادية أنه كان مشاء قويًّا على السير ، يسير سيراً لا غايةَ بعده ، وكان عارفًا بالفلَوات ، ومواقع المياه ، ومحالّ العرب بها . وكان يسير من حِلّة إلى حِلة(٤) بالبادية ، وبينهما مسيرة أربعة أيام ، ، فيأتى ماء ، فيغسل وجهه ويديه ورجليه ، ثم يأتى أهل هذه الحلة فيخبرهم عما حدث فى تلك الحلة التى فارقها ويوهم أن الأرض تُطْوى له .

وسئل فى تلك الأيام عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أخبر بنبوتى حيث قال : أنا لا(٥)نبيّ بعدى وأنا اسمى فى السماء (لا) .

من قرآن أبى العلاء عن الفصول والغايات الذى يقال إن أبا العلاء عارض به القرآن

وعلى ذكر قرآن المتنبى نذكر ما قيل من أن أبا العلاء المعرىّ عارض القرآن بكتاب وعنونه « بالفصول والغايات فى مجاراة السوَر والآيات »(٦)فقيل له : ماهذا إلا جيد إلا أنه ليس عليه طلاوة القرآن . فقال : حتى تصقله الألسن فى المحاريب أربعمائة سنة . وعند ذلك انظروا كيف يكون .

---

(١) الطغام : أوغاد الناس . الواحد والجمع فيه سواء .

(٢) على أن رواية أبى معاذ هذا لا تثبت أمام النقد : إذ كيف يأخذ البيعة لنفسه ولأهله ، ثم يذكر بعد ذلك أن ما فعله المتنبى كان بأصغر حيلة تعلمها من العرب . اللهم إلا أن يكون أبو معاذ يجارى المتنبى فى سخافاته تماجناً وتظرفاً ، ويشهد لذلك قوله فى آخر الخبر : من ثم استفاد ما جوزه على طغام أهل الشام .

(٣) يمخرق : يكذب فى خداع .

(٤) الحلة : جماعة من البيوت متقاربة (شبه القرية فى مصر) .

(٥) أنا : ساقطة من ج ، د ، وعلى هذا تكون « لا » مبتدأ ونبى خبر .

(٧) عرف بهذا الكتاب الدكتور طه حسين فى كتابه : « مع أبى العلاء فى سجنه » فانظره .

قال الباخَرْزى فى الدُّمْية[1] : أبو العلاء أحمدُ بن عبد الله بن سليمان المعرى التنوخىّ ضريرٌ ماله فى أنواع الأدب ضريب ، ومكفوف فى قميص الفضل ملفوف ، ومحجوب خصمه الألدّ محجوج ، وقد طال فى ظلال الإسلام آناؤه ، لكن ربما يترشح[2] بالإلحاد إناؤه ؛ وعندنا خبر بصره ، والله أعلم ببصيرته ، والمطلع على سريرته ، وإنما تحدثت الألسن بإساءته لكتابه الذى زعموا أنه عارض به القرآن وعنونه بالفصول والغايات ، ومجاراة السور والآيات ، وأظهر من نفسه تلك الخيانة وجذّ تلك الهَوْسات كما تَجِذّ العير الصِّلِّيانة[3] حتى قال القاضى أبو جعفر[4] :

كلبٌ عوى بمعرة النعمـــان   لما خلا عن رِبْقة[5] الإيمان
أمعرةَ النعمان[6] ما أنجبتِ إذ   أخرجتِ منك مَعَرّة العُمْيان

ومما ظهر من قرآن أبى العلاء : « أقسم بخالق الخيل ، والريح الهابة بليل بين الشَّرَط[7] ومطالع سُهَيل ، إن الكافر لطويل الويل ، وإن العُمرَ لمكفوفُ الذيل ، اتق مدارج السَّيْل ، وطالع التوبةَ من قُبيل تنجُ وما إخالك بناج[8] » .

---

(١) هو أبو الحسن على بن الحسن بن على بن أبى الطيب الباخرزى الشاعر . وصفه صاحب الوفيات بالتفوق فى نثره ونظمه . وهو صاحب دمية العصر وعصرة أهل العصر ، وهو ذيل ليتيمة الدهر للثعالبى . وقد قتل بباخرز وهى من نواحى نيسابور سنة ٤٦٧ هـ .

(٢) كذا فى جميع النسخ . تحريف . والصواب رشح بمعنى : سال ماؤه . وهذا هو المعنى المناسب . أما ترشح ، فمعناها تربى وتهيأ ، وليس بمناسب فى هذا المقام . ويؤيد هذا أنها رويت (ربما رشح) فى كتابى : الوافى بالوفيات للصفدى ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى ؛ وعنهما نقل ذلك كتاب « تعريف القدماء بأبى العلاء » .

(٣) المراد أنه اقتطع تلك المعانى التى ضمنها الفصول والغايات من الديانات القديمة التى قرأها ومن كتب الفلاسفة ، كما يقتطع العير الصليانة ، وهى ضرب من الشجر ينبت صعدا وأضخمه أعجازه وأصوله . والعير إذا كدمها بفيه اجتثها من أصلها .

(٤) هو أبو جعفر محمد بن إسحاق بن على البحاثى الزوزنى ، نسبة إلى البَحّاث أحد أجداده . توفى سنة ٤٥٣ هـ .

(٥) الربقة : العروة ، من الربق ، وهو حبل فيه عدة عرا تشد به البهم . والتعبير مجاز الغرض منه الخروج عن الدين وفى الحديث : خلع ربقة الإسلام من عنقه .

(٦) معرة النعمان : مدينة قديمة فى أعالى حلب ، ولد بها أبو العلاء .

(٧) الشرط بفتحتين : واحد الشرطين ، وهما نجمان من برج الحمل .

(٨) هذا القدر من قرآن أبى العلاء الذى يزعمون أنه عارض به القرآن رأيناه فى الجزء المطبوع من=

قال ابن سِنان[١] : وهذا الكتاب إذا تأمله العاقل علم أنه بعيد عن المعارضة ، وهو بمعزل عن التشبيه بنظم القرآن العزيز والمناقضة ، وقد وضعه على حروف المعجم ، ففى كل حرف فصول وغايات ، فالغاية مثل قوله بناج ، والفصل ما يتقدم الغاية ، فيذكر فصلا يتضمن التمجيد والمواعظ ، ويختمه بالغاية على حروف المعجم مثل

=« الفصول والغايات » بصورة أطول ، وشرح لغوى مفصل ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ فمؤلف الصبح قد اختصر منه هذا القدر .

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى شاعر أديب ، ولى قلعة من قلاع حلب من قبل الملك محمود بن صالح ، لكنه شق بها عصا الطاعة ، فاحتال عليه الملك حتى سمه ، فمات سنة ٤٦٦ هـ .

ومن رأى أن كتاب الفصول والغايات معارضة للقرآن ابن الجوزى ، كبعض القدماء قال : قد رأيت للمعرى كتاباً سماه الفصول والغايات ، يعارض به السور والآيات وهو كلام فى نهاية الركة والبرودة .

ونحن نرى رأى ابن سنان ، وننقل هنا تأييداً لهذا الرأى :

أولا : ما كتبه ناشر الجزء المطبوع من هذا الكتاب ، إذ يقول : « ومن غرائب كتبه ونوادرها كتاب الفصول والغايات ، وقد كان هذا الكتاب مفقوداً حتّى إن أكثر من ترجم لأبى العلاء لم يذكره ، أما من ذكره منهم فادعى أنه عارض به القرآن الكريم ، وأحسب أن من ذكر ذلك لم ير الكتاب ، على أن بعض من نقل منه جملا نقلها مشوهة فكأنه سمعها من غيره ، ولم ينقل نصها منه .

والغرض الذى حدا بأبى العلاء إلى إملاء هذا الكتاب بثه للطلبة ما وعاه صدره من نوادر العلم وغرائبه ، وقد تخير لذلك أحسن مظهر يظهره فيه ، وهو تمجيد الله والمواعظ ، ليكون ذلك أقرب إلى النفوس ، وفيه مثوبة وقربى .

أما القول بأنه قصد مجاراة القرآن أو معارضته فذلك من قول حساده ، وكيف يريد ذلك ، وهو يمجد الله أحسن تمجيد وأروعه ، ويقر له بالعبودية والعجز ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ، على أن فى الكتاب نفسه ما يدحض هذه المفتريات كلها حيث يقول من فصل غايته باء : علم ربنا ما علم ، أنى ألفت الكلم ءآمل رضاه المسلم ، واتقى سخطه المؤلم ، فهب لى ما أبلغ به رضاك من الكلم والمعانى الغراب .

ثم يقول ناشر الكتاب : وما وصل إلينا من هذا الكتاب هو الجزء الأول يبتدىء من أثناء حرف الهمزة ، وينتهى بحرف الخاء ، وقد بحثت عن باقى الكتاب فى كل المظان ، فلم أجد له من أثر .

ثانياً : ما جاء فى أوج التحرى عن حيثية أبى العلاء المعرى للشيخ يوسف البديعى مؤلف كتاب الصبح ، إذ يقول : « ويقال إن الذين نسبوه إلى معارضة القرآن العزيز بهذا الكتاب وهو الفصول والغايات كانوا من أهل زمانه يحسدونه على فضله ومكانته ، فقصدوا لأذاه ، وتتبعوا كلامه ، فحملوه على غير المقصود الذى قصده كما هو عادة أبناء كل زمان فى افتراء الكذب ، واختلاق البهتان ، وقد ألف هو (أبو العلاء) كتاباً فى الرد على من نسبه إلى معارضة القرآن والجواب عن أبيات استخرجوها من نظمه ، ورموه بسببها بالكفر والطغيان ، وسمى الكتاب « زهر النابح » رد فيه على الطاعن فى دينه والقادح ص ٦٥ من أوج التحرى .

تاج وراج وحاج ، كالمُخمسات والمُوشحات[١] ، وهذه فصول منه ، وقد انتُقدت عليـــه .

لُبِّك نبيك الصادق ، فانظر ما يُخبرَنَّك ولا تخالفنه ، وعليك سجيةَ المؤمن ، وشاكِه فنه . ما أثق بخبر ينفيه اللبّ . غيَّر الكلمَ بغضٌ وحُبّ . اتبعْ معقولك فإنه يهديكَ ، ولا تكن شر تبيبع . كيف أسفك على الغصون الناضرة هزها نسيم لَطُف فذَبَلْن . لوصدَّقْنا الخبر لوقع الجِدّ ، ولكن بان كذبه لمن يعقل ، فما أطاق الناس الكُلَف . وبالله الواحد أتعوذ من شرّ الألسنة وما أجلْن : من زعم أنه قد هُدى فذلك هو المرء المتحير . ما لعماك لَحاهُ الله مانت الصمدْ أخبارُه : أخبرك زعيمٌ عن ربك فخُطَّت بالكذب أخبارُه ؛ من ربح من سوق الكذب فذلك المعروفُ خسارُه : قد غَبَرَ قليلَ العمر ، وذهب فى الباطل سارُه اجعل معقولَك دليلكَ . وأبْرِدْ بالنسك غليلكَ ، واحذر أن تهضم دليلك . رب حديث يُستمع والعقل يخبركَ ضده . عزّ مُصوّر الأمم لم يُثبت الفكرُ نِدَّه . العقل نبىء ، والخاطر خبىء والنظر ربِىء[٢] ، ونور الله لهذه الثلاثة مُعين . القوة بكَ إلهَ الجبارين . أخبِرَ عنك فسمعتُ الخبر ، وكيف يظهر سرُّك إلى المخلوقين ، ومنحتنى حِساً يشهد أن أخبارهم أباطيل ، فإذا صدقتها ألغَيتُ مامنحتنيه وإن كذبتها أفعاقبى أنت برد ما دفعه المعقول ؟ كيف أصدق ما نقله ابن دأب* . نستغفرك وأنت الواحد ، مالعظمتك جاحد . أخبر بعضُ الناس عنك فكذب ؛ وأنت أهل العظمة ما أوْجَهُ الكَذَبة وضاء . ما نقدر على ما يرضيك . لأنا لا نعرف غَرَضك . لكن العقل يخبر أن فعل الخير لوجهك . إن كتب كاتب علىّ فليحفظ عن لسانى وشفتىّ ، أنى أقرّ بالله فلا أجحده ، وأستغفره وأوحّده ، وأشهد على أن كان ذنبى بخطأ وتفريط لا أحسم أملى من عفو الله العظيم ، وأزدرى نفسى

---

(١) يشبه نثر الفصول والغايات بما التزم فى سجعاته من نظام خاص بالمخمسات والموشحات .

(٢) من قوله : العقل . . . إلى « ونور الله لثلاثة معين » رأيناه ضمن فصل من الجزء المطبوع من الفصول والغايات ص ٢٠٨ غايته ثاء . ومعنى : نبىء : منبىء ، خبىء : مخبوء ، ربىء : حارس مطلع .

* هو أبو الوليد عيسى بن يزيد بن دأب أحد بنى ليث بن بكر ، كان شاعراً أخبارياً ، وعلمه بالأخبار أكثر . قال الأصمعى : أقمت بالمدينة زماناً ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة ومصنوعة ، وكان بها ابن دأب يصنع الشعر ، وأحاديث السمر ، وكلاماً ينسب إلى العرب فسقط وذهب علمه ، وخفيت روايته . . . تاج العروس جـ ١ ص ٢٣٢ مادة دأب .

من دون الأنفس ، وقلّ ما أنظر إلى البشر بازدراء، ما أنطقُ وما أقول ، فى شأن الصمد ضلت العقول ، ما يئستُ من كرمك ولا أبلست، ألستُ عبدك ألسْت ؟ بلى ، ولكنى مسىء ، فلا إله إلا أنت استغنيت بمعرفتك عن كل السفراء ؛ الحمد لك إذ لم تنشر لى حديثًا فى البشر كحديث العِبْرىّ.[١] إذ فعل مع الكَنَّة فعل غير سرىّ . تلتمس. من ربك ،وليس فى الأنوار المشرقة شىء أعظم إنارة من حجاك .

خروج المتنبى والقبض عليه وسجنه

ولما اشتهر أمره[٢] وشاع ذكره ، وخرج بأرض سَلَمْية[٣] من عمل حمص فى بنى عدىّ قبض عليه ابن علىّ الهاشمى فى قرية يقال لها كُوتَكِين ، وأمر النجارَ بأن يجعل فى رجليه[٤] وعنقه قرْمتين[٥] من خشب الصَّفصاف ، فقال المتنبى :

زعم المقيمُ بكــوتكين بأنه — من آل هاشم بن عبد مناف
فأجبتُه مذ صرتَ من أبنائهم — صارت قيودُهم من الصَّفصاف[٦]

ولما صار معتقلاً فى الحبس كتب إلى الوالى :

بيــدى أيها الأمير الأريبُ — لا لشىء إلا لأنى غــريبُ
أو لأمّ لهـــا إذا ذكرتنى — دمُ قلب بدمعِ عينٍ يــذوب[٧]
إن أكن قبل أن رأيتُك أخطأ — تُ فإنى على يديك أتوب
عائبٌ عابنى لــديك ومنــه — خُلقتْ فى ذوى العيوب العيوبُ

قيل : كان للوالى الذى حبس المتنبى ولدٌ صغير فسمع به ، فدخل لينظره ،

---

(١) العبرى : لم نعثر له على خبر .
(٢) « أمره » كذا فى : ا ، ب وفى سائر النسخ « أمر المتنبى » .
(٣) مدينة على بعد أربع ساعات من حماة لجهة الشرق كانت أيام سيف الدولة وقد جاء ذكرها فى شعر المتنبى ثم خربت .
(٤) سائر النسخ : رجله .
(٥) المراد بالقرمة القطعة الغليظة من الخشب .
(٦) كوتكين : ضيعة بأرض سلمية (عن الواحدى) .
« فأجبته مذ صرت من أبنائهم » كذا فى ا ، ب .
وفى حـ ، د ، هـ : «مذ صرت فى أبنائهم متنبئا » .
وفى الواحدى : « فأجبته من صرت من أبنائهم » والبيتان تهكم بابن على الهاشمى المقيم بكوتكين .
(٧) « دم قلب بدمع عين يذوب » كذا فى جميع النسخ . وفى الواحدى :
« دمع قلب بدمع عين سكوب » .

فرآه منزعجاً من القيود مضطرباً ، فقال له : اصبر كما صبر أولو العزم من الرسل :

ما قاله في السجن ب

وهذه موضوعة ، لأنها نقلت عن أحد أبناء الخلفاء العباسية ، وكتب إليه من السجن قصيدة يستعطفه بها[1] أولها :

أيا خدَّد الله وردَ الخدودِ ... وقدَّ قدودَ الحسانِ القُدودِ

يقول في أثنائها في استعطاف ذلك الأمير والتنصل إليه مما اتُّهم به :

لقد حال بالسيف دون الوعيدِ ... وحالت عطاياه دون الوعودِ
فأنجم أمواله في النحوسِ ... وأنجم سُؤّالـه في السعود[2]
ولو لم أخفْ غيرَ أعدائه ... عليه لَبشرتُه بالخلود[3]

قيل[4] : ولما وصل الوالي إلى هذا البيت وهو :

وبيض مسافرة لا[5] يقمـ ... ـن لا في الرّقاب ولا في الغُمودِ

قال : لقد تصبب عرقاً ، وتقلب أرقاً حتى استنبط هذا المعنى من قول أبي بكر النحوي المعروف ببُرمَة[6] وهو :

وبيض تسافر ما إن تقيم ... لا في الرقاب ولا في القُرُبْ
بطيء رضاهن لكنها ... غداة اللقاء سِراعُ الغضبْ

---

(١) جاء في بعض نسخ الديوان تقديماً لهذه القصيدة : أن هذا الوالي هو إسحق بن كيغلغ ، وكان قوم قد وشوا بالمتنبي إليه ، وقالوا له قد انقاد له خلق كثير من العرب ، وقد عزم على أخذ بلدك، حتى أوحشوه منه فاعتقله ، وضيق عليه ، فكتب إليه يستعطفه . ومعنى المطلع : أنه دعا على ورد الخدود أن يشققه الله ويزيل حسنه ، وأن يقطع القدود الحسان وهو دعاء على التعجب والاستحسان كقول جميل :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى ... وفي الغر من أنيابها بالقوادح

(٢) هذا المعنى منقول من قول الطائي :

طلعت على الأموال أنحس مطلع ... وعدت على السؤال وهي سعود

(٣) يقول : لا أخاف عليه أعداءه ؛ لأنهم لا يستطيعون أن ينالوه بشر ، وإنما أخاف عليه قضاء الله المحتوم ، ولولا ذلك لبشرته بالخلود .

(٤) ساقطة من سائر النسخ .

(٥) في هامش (هـ) عن نسخة وفي الديوان : ما يقمن .

(٦) ب ، د ، هـ : بعرمة . حـ : بعرقلة . تحريف . وأبو بكر هذا هو محمد بن جعفر صهر المبرد على ابنته .

إلى أن قال :

أمالكَ رقّى ومَنْ شأنُه هبات اللُّجَيْن وعتقُ العبيدِ
دعوتُك عند انقطاع الرجا ءِ والموت منى كحبل الوريد
دعوتك لما برانى البلى وأوهن رِجلىّ ثِقْلُ الحديد
وقد كان مشيهُما فى النعال فقد صار مشيهُما فى القيود
وكنتُ من الناس فى محْفِلٍ فها أنا فى محفل من قرود[1]
تعجل فىّ وجوبَ الحدود وحدّى قبل وجوب السجودِ

أى إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبى لم تجب علىّ الصلاة بعد ويجوز أن يكون صغر أمر نفسه عند الوالى ، لأن من كان صبيًّا لم يظنّ به اجتماعُ الناس إليه للشقاق والخلاف . ومنها :

وقيل عدوتَ على العالمِيـ ن بين ولادى وبين القُعودِ
فمالكَ تقبلُ زورَ الكلام وقدرُ الشهادة قدرُ الشهود
فلا تسمعنّ من الكاذبين ولا تعبأنّ بمحك اليهود[2]
وكن فارقًا بين دعوى أردت ودعوى « فعلت » بشأو بعيد
وفى جود كفيك ما جُدتَ لى بنفسى ولو كنتُ أشقى ثمودِ[3]

وكتبت إلى أبى دُلف سجان الوالى الممدوح بالقصيدة السابقة وقد بره [فى ما قاله فى السجن][4] :

ما قاله فى السجن
ب

أهونِ بطول الثّواء والتّلفِ والسجنِ والقيد يا أبا دلفِ
غيرَ اختيار قبلتُ برّك لى والجوعُ يُرضى الأسودَ بالجِيف

(١) أراد بالقرود هنا المحبوسين معه من اللصوص وأصحاب الجنايات .

(٢) المحك : اللجاج .

(٣) هو قدار بن سالف عاقر ناقة صالح وقد ضرب به المثل فى الشقاء .

(٤) ساقطة من الأصل ،وكان أبو دلف هذا قد أهدى إلى المتنبى هدية وهو معتقل بحمص فقبلها المتنبى على كره لما بلغه من ثلب أبى دلف له عند الوالى ويقال إنه توعده بالبقاء فى السجن والأبيات ناطقة بهذا ، وأبو دلف هذا هو سجان المتنبى حبس عنده سنتين ، وكان مع ذلك صديقه،بره وهو فى سجن الوالى الذى كتب إليه المتنبى قصيدته السابقة : « أياخدد الله ورد الخدود »

كن أيُّها السجن كيف شئتَ فقد وطنتُ للموت نفسَ مُعترَف(١)

لو كان سكناى فيكَ منقصةً لم يكن الدُّر ساكنَ الصَّدفِ(٢)

والبيت الثانى مأخوذ من قول أبى على البصير (٣) :

ولكنَّ البـلاد إذا اقشعرت وصَوَّحَ نبتُهـا رُعِيَ الهشيمُ

ومنه أخذ المهلبى (٤) قوله :

وما كنتَ إلا كلحم ميْتٍ دعـا إلى أكلـه اضطرارُ

والبيت الرابع يشابه قول أبى نصر الخبزَ أرزى (٥) :

حصلتُ منكم على ما ليس يُقنعنى وكيف يُقنعُ سوءُ الكيلِ والحشَفُ

---

(١) هامش هـ عن نسخة : أنت بدل « شئت » . المعترف : الصابر .

(٢) هو من قول أبى عفان :

تعجبت در من شيبى فقلت لها لا تعجبى فطلوع البدر فى السدف

وزادها عجبا أن رحت فى سمل وما درت در أن الدر فى الصدف

(٣) أبو على البصير : هو الفضل بن جعفر . أصله من الأنبار ، وسكن الكوفة وبغداد ، وكان ضريراً ، ولقب البصير لذكائه . وهو أحد الأدباء البلغاء الظرفاء . وقدم « سر من رأى » فى أول خلافة المعتصم ، ومدحه والخلفاء بعده ، وبها توفى سنة ٢٥١ هـ . وقبل البيت الذى ذكره المؤلف :

لعمر أبيك ما انتسب المعـلى إلى كرم وفى الدنيـا كريم

والذى فى العكبرى أن المتنبى نقل عن المهلبى ، ثم قال : ومثله لأبى على البصير .

(٤) المهلبى : المراد بالمهلبى هنا : عبد الله بن محمد بن أبى عيينة كما فى الوساطة طبعة العرفان بصيدا صفحة ١٧٠ . وكان عبد الله هذا شاعراً وأبوه أبو عيينة محمد بن أبى عيينة بن المهلب شاعراً أيضاً ، وقد ذكرهما ابن النديم فى الفهرست (طبعة القاهرة ص ٢٣٣) وذكر أن لكل منهما ديواناً فى نحو مئة ورقة . وكان بين عبد الله وابن عمه مروان بن سعيد الذى ستأتى ترجمته مهاجاة . وفى الموشح للمرزبانى (طبعة القاهرة ص ٣٧٠ — ٣٧٢) حديث عن هذه المهاجاة .

(٥) هو أبو القاسم البصرى المعروف بالخبز أرزى شاعر أمى مجيد كان خبازاً يخبز خبز الأرز بدكان له فى مربد البصرة ، فكان يخبز وهو ينشد ما يقول من الشعر ، فيجتمع الناس حوله ، ويزدحمون عليه لاستماع شعره ، ويتعجبون من إجادته فى مثل حاله وحرفته ، ومن شعره :

رأيت الهلال ووجـه الحبيب فكانا هلالين عنـد النظر

فلم أدر من حيرتى فيهمـا هلال السما من هلال البشر

ولولا التـورد فى الوجنتين وما راعنى من سـواد الشعر

لكنت أظن الهـلال الحبيب وكنت أظن الحبيب القمر

وتوفى سنة ٣٢٧ هـ .

وليس سُكناىَ نقصانًا لمنزلتى ... فيكم كما الدُّر لا يُزْرى به الصدفُ

وأحسن * ما قاله مسجون قولُ علىّ بن الجهم(١) لما حبسه المتوكل(٢) :

سجنية على بن الجهم

قالت(٣) حُبستَ فقلتُ ليس بضائرى(٤) ... حبسى وأىُّ مهنـد لا يُغمَدُ

أوما رأيتِ الليثَ يألفُ غيلَهُ ... كِبْراً وأوباشُ السباع تَرَدَّدُ(٥)

والنار فى أحجارها مخبوءةٌ ... لا تُصْطلى إن لم تُثرها الأزنُدُ

والغيث يَحْظُره الغمام فما يُرى ... إلا ورَيّقُهُ يُراحُ ويَرْعُدُ(٦)

والبدر يدركه الظلام فتنجلى ... أيامه فكأنه متجدد(٧)

والزاعِبية لا يقيم كعوبها ... إلا الثقافُ وجذوة تتوقد(٨)

---

* هذه القصيدة من حر الشعر لم يقل فى معناها مثلها . اقرأ ما كتب عنها فى ديوان ابن الجهم تحقيق خليل مردم بك وقد رجعنا إليه فى تصحيحها وهى طويلة اقتصر المؤلف هنا على رواية بعضها على أن أبياتها هنا على غير ترتيبها فى الديوان المشار إليه .

(١) هو أبو الحسن على بن الجهم القرشى أحد الشعراء المجيدين نشأ بخراسان ، وانتقل منها إلى العراق فسكن بغداد ، واتصل بالمتوكل فاختص به ، ولكنه كان نماما واشياً بالناس كثير الكذب ، فلما ظهر للمتوكل أمره ، وبلغه أنه هجاه سجنه ، وفى سجنه هذا قال قصيدته تلك ينفى فيها عار السجن ، وتعد فريدة فى بابها . ويقال إن المتوكل نفاه إلى خراسان سنة ٢٣٢ هـ ليعذب فيها على يد طاهر بن عبد الله ابن طاهر بن الحسين حتى قيل إنه صلبه يوماً كاملا وقد مات مقتولا سنة ٢٤٩ هـ فى الطريق بين العراق والشام ، وكان من أطبع الناس على الشعر الجيد وهو القائل :

عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث ندرى ولاندرى

ويقال إنه لما نزعت ثيابه بعد موته وجدت فيها رقعة قد كتب فيها :

وارحمتا للغريب بالبلد النا ... زح ماذا بنفسه صنعا

فارق أحبابه فما انتفعوا ... بالعيش من بعده وما انتفعا

(٢) المتوكل : هو الخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم العباسى بويع له بالخلافة سنة ٢٣٢ هـ بعد أخيه الواثق وقد بايع بولاية العهد لولده المستنصر ثم أراد عزله وولاية أخيه المعتز ، واتفق أن جنده من الترك قد انحرفوا عنه فاتفقوا مع ابنه على قتله ، ودخلوا عليه فى مجلس لهو ، وقتلوه فى سنة ٢٤٧ هـ .

(٣) هامش (هـ) عن نسخة : قالوا .

(٤) روى : بضائر . (٥) الغيل : الشجر الكثير الملتف والأجم وموضع الأسد .

(٦) يحظره : يمنعه . رواية الديوان : يحصره .

ريق كل شىء : أوله . يراح من راح اليوم يراح ريحا كان شديد الريح يريد بينا الغمام يمسك المطر إذ تهب عليه الريح فجأة ويحدث الرعد فى خلاله فيتبدد ماؤه ويتساقط على غير انتظار .

(٧) روى : والبدر يدركه السرار . . .

(٨) الزاعبية : رماح منسوبة إلى زاعب رجل من الخزرج كان يعمل الأسنة . وفى جميع النسخ الزاغبية بالغين المعجمة تحريف .

غِيَرُ الليالي باديات عُوَّد ... والمال عارية يفادُ فيَنفد[١]
لا يُوئِسنَّك من تفرّج كربةٍ ... خطب أتاك به الزمانُ الأنكد[٢]
فلكلّ حال مُعقِبٌ ولربما ... أجلى لك المكروهُ عما يُحمَدُ
كم من عليل قد تخطاه الردى ... فنجا ومات طبيبهُ والعُوَّد *
صبراً فإن اليوم يعقبه غدٌ ... ويدُ الخلافة لا تطاولها يدُ[٣]
والحبسُ ما لم تغشه لدنية ... شنعاءَ نعم المنزل المُتَردَّد[٤]
لو لم يكن فى الحبس إلا أنه ... لا تستذلك بالحجاب الأعبدُ
بيت يُجدّد للكريم كرامة ... وتُزار فيه ولا تزور وتُقْصد[٥]

ومنها :

أمن السَّويّة يابنَ عمّ محمدٍ ... خصمٌ تُقربُه وآخرُ تُبعدُ
إن الذين سعوا إليك بباطلٍ ... أعداء نعمتك التى لا تُجْحدُ
شهدوا وغبْنا عنهم وتحكموا ... فينا وليس كغائب مَنْ يشهدُ
لو يجمع الخُصْمان[٦] عندك مجلسٌ ... يوماً لبان لك الطريقُ الأقصدُ

---

(١) كذا فى حـ ، د والديوان وهى أجدر بهذا الموضع وفى ا ، ب : عبر .
(٢) الديوان : لا يؤيسنك ....

خطب رماك ...

* فى الموشح ص ٣٨٤ يقول تحت عنوان : محمود الوراق :
اشترك محمود وعلى بن الجهم فى معنى قول على وأحسن فيه : كم من عليل . . .
وقول محمود :

وكم من مريض نعاه الطبيب ... إلى نفسه وتولى كئيبا
فمات الطبيب وعاش المريض ... فأضحى إلى الناس ينعى الطبيبا

فأساء فيه ؛ لأنه إن كان أخذه من على وجاء به فى بيتين ومضغه وصيره قصصا بقوله : أضحى ينعاه إلى الناس ، فقد أخطأ ، وإن كان على أخذه منه فقد جاء فى بيت واحد وأحسن فصار أحق بالمعنى منه ، وأخذاه جميعاً من قول عدى بن زيد :

وصحيح أضحى يعود مريضا ... وهو أدنى للموت ممن يعود

(٣) الديوان : صبراً ، فإن الصبر يعقب راحة ....
(٤) المتردد أى المتردد عليه . الديوان : المتورد .
(٥) الديوان : ويزار فيه ولا يزور ويحفد . يحفد أى يخدم .
(٦) الخصمان : جمع خصيم وهو المخاصم . الديوان : (الخصمين مثنى خصم .

والشمس لولا أنها محجــوبةٌ عن ناظريك لما أضاء الفرقــد

قصيدة عاصم الكاتب

وقال عاصم بن محمد الكاتب * لماحبسه أحمد بن عبدالعزيز بن أبي دُلَف[١] :

قالوا حُبستَ فقلت خطب أنكدُ أنحى عليَّ به الزمانُ المُرْصِدُ[٢]
لو كنتُ حرًّا كان سربي مطلقًا ما كنتُ أحْبَس عَنوة وأقيد[٣]
لو كنتُ كالسيف المهند لم يكن وقتَ الكريهة والشدائد يُغمدُ
لو كنتُ كالليث الهصور لما رعتْ فيّ الذئابُ وجــذوتي تتــوقد
من قال إن الحبس بيت كرامة فكابرٌ في قولــه مُتجلــد
ما الحبسُ إلا بيتُ كل مهانة ومذلــة ومكــاره لا تَنفَد
إن زارني فيه العدوُّ فشامتٌ يُبدى التوجع تارة ويُفنّد[٤]
أو زارني فيه الصديق فموجَعٌ يُذرى الدموع بزفرة تَتَردّد
يكفيك أن الحبس بيتٌ لا ترى أحداً عليه من الخلائق يُحسد
تمضي الليالي لا أذوق لرقدة طَعما وكيف حياة من لا يَرْقُدُ؟
في مُطْبِق فيه النهار مُشاكِلٌ لِلّيل والظلمات فيه سَرْمَد[٥]

اعتذار المتنبي عن هذا الاسم

قال أبو عليّ[٦] : قيل للمتنبي على مَنْ تنبأت ؟ قال على الشعراء . فقيل : لكل نبيّ معجزة فما معجزتك ؟ قال : هذا البيت :

ومِن نكد الدنيا على الحرّ أن يَرى عَدُوًّا له ما من صداقته بُدُّ

---

* عاصم بن محمد الكاتب : في معجم الشعراء أنه محدث متأخر كان في ناحية ابن أبي البغل محمد ابن يحيى وزير المقتدر (وخلافة المقتدر من ٢٩٥ هـ — ٣٢٠ هـ) وذكره صاحب الفهرست ط القاهرة ص ١٣٨ في الكتاب الشعراء وأن ديوانه في ثلاثين ورقة .

(١) أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف : من أحفاد أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي أمير من بيت مجد ورياسة كان من الولاة في أيام المعتمد والمعتضد العباسيين .

(٢) في ا « الأنكد » مكان « المرصد » .

(٣) من معاني « السرب » النفس والطريق . عنوة : قهراً . (٤) يفند : يلوم .

(٥) مطبق : سجن تحت الأرض . ومن الطريف أن توازن بين ما قال هؤلاء الشعراء في السجن ، فترى بعضهم ينفي عاره ، ويذهب به الخيال مذاهب تصور السجن في صورة غير كريهة ، وأصرح هؤلاء الأخير فقد عبر أصدق تعبير عن آلام السجون .

(٦) أبو علي : استظهرنا أنه أبو علي الحسن بن أحمد بن أبان الفارسي ولد بفارس ، وانتقل إلى بغداد سنة ٣٠٧ هـ ، وكان إمام وقته في علم النحو ، ودار في البلاد ، وأقام بحلب عند سيف الدولة وكان =

وحكى أبو الفتح عثمان بن جنى[1] قال : سمعت أبا الطيب يقول : إنما لقبتُ بالمتنبي لقولي :

أنا تِربُ النَّدى وربُّ القوافي ... وسِمام[2] العِدا وغَيظُ الحسودِ
أنا في أمَّـةٍ تداركها الله ... هُ غريبٌ كصالح في ثمودِ
ما مُقامي بأرضِ نَخلَةَ إلا ... كمقـام المسيح بين اليهودِ[3]

*قال أبو العلاء المعرىّ في رسالة الغُفران : وحُدِّثتُ أن المتنبي كان إذا سئل عن حقيقة هذا اللقب ، قال : هو من النَّبْوة أى المرتفـع من الأرض، وكان قد طمع في شيء قد طمع فيه من هو دونه ؛ ثم قال : وقد دلت أشياء في ديوانه أنه كان مُتألِّهاً[4] ومثلَ غيره من الناس مُتَدَلِّهاً[5] . فمن ذلك قوله :

* ولا قابلاً إلا لخالقه حُكْما[6] *

وقــوله :

ما أقدر اللهَ أن يُخزِي بريَّته ... ولا يُصَدِّقُ قولاً في الذى زعموا[7]

= قدومه عليه في سنة ٣٤١ هـ وجرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مجالس، ثم انتقل إلى بلاد فارس، وصحب عضد الدولة ، وتقدم عنده ، وعلت منزلته ، وهو صاحب كتاب الإيضاح والتكلة وغيرهما . توفى سنة ٣٧٧ هـ .

(١) كان من أئمة النحو والعربية ولد بالموصل وتوفى ببغداد سنة ٣٩٢ هـ . ومن مؤلفاته الخصائص في اللغة ، وكان يحضر بحلب عند المتنبي كثيراً ، ويناظره في شيء من النحو وكان المتنبي يقول في أبي الفتح : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس ، ويقول : ابن جنى أعرف بشعري مني ، وتتلمذ أبو الفتح لأبي على الفارسي أربعين سنة .

(٢) سمام : جمع سم وفى سائر النسخ : سهام .

(٣) « نخلة » كذا في الواحدى وهى قرية كما يقول لبنى كلب على ثلاثة أميال من بعلبك من أرض الشام . جميع النسخ (نحلة) وفى معجم البلدان رسم نحلة بالحاء المهملة قرية بينها وبين بعلبك ثلاثة أميال إياها عنى أبو الطيب فيما أحسب بقوله : ما مقامى . . . إلخ .

* ما بين النجمين الأول من: قال أبو العلاء . . . والثانى في نهاية ص ٧ - زيادة انفردت بها «ا» .

(٤) متألهاً : متديناً .

(٥) متدلهاً : من دلهه العشق إذا ذهب بعقله يريد أنه كالمتصوف .

(٦) عجز بيت صدره : « تغرب لا مستعظما غير نفسه » وهو من قصيدة يرثى بها جدته لأمه مطلعها : « ألا لا أرى الأحداث مدحا ولا ذما »

(٧) الأصل : « بريته » بدل خليقته . « قولا » بدل « قوماً » .

ثم قال : وإذا رُجع إلى الحقائق فنطق اللسان لا يُنْبي عن اعتقاد الإنسان، لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق ، ويُحْتَمَلُ أن يظهر الرجل بالقول تدينًا ، وإنما يَجْعل ذلك تزينًا .

ثم قال : وحُدِّثت أن المتنبي كان يصلي بموضع بمعرة النعمان يقال له كنيسة الأعراب ، وأنه صلى ركعتين ، وذلك فى وقت العصر . ويجوز أنه كان على سفر ، وأن القصر له جائز .

ثم قال : وحُدِّثْت عنه حديثًا معناه أنه لما حصل فى بنى عَدِيّ ، وحاول أن يَخْرج فيهم ، قالوا له وقد تبينوا دعواه : ههنا ناقة صعبة فإن قَدَرتَ على ركوبها أقررنا أنك مرسل ، وأنه مضى إلى تلك الناقة وهى رائحة فى الإبل ، فتحيَّل حتى وثب على ظهرها ، فنفرت ساعة ، وتنكرت بُرْهة ، ثم سكن نفارها ، ومشت مشْى المُسْمِحَة وأنه ورد بها الحلة[1] ، وهو راكب عليها ، فعجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم .

وحدثت أيضًا أنه كان فى ديوان اللاَّذقية ؛ وأن بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الأقلام ، فجرحته جرحًا مُفْرِطًا ، وأن أبا الطيب تَفَل عليها من ريقه وشدها ، غير منتظر لوقته ، وقال للمجروح : لا تحلها فى يومك ، وعدّ له أيامًا وليالى ، وأن ذلك الكاتب قبل منه ، فبرئ الجُرْح فصاروا يعتقدون فى أبى الطيب أعظم اعتقاد ، ويقولون : هو كمحيي الأموات .

وحدث رجل كان أبو الطيب قد استخفى عنده فى اللاذقية أو فى غيرها من السواحل ، وأراد الانتقال من موضع إلى موضع ، فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ، ولقيهما كلب ألح فى النُّباح ثم انصرف ، فقال أبو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : إنك ستجد الكلب قد مات . فلما عاد الرجل ألفى الأمرَ على ما ذكر .

ولا يمتنع أن يكون أعدّ له شيئًا من المطاعم مسمومًا وألقاه وهو يُخفى عن صاحبه ما فعل * .

---

(١) الحلة : موضع .

* إلى هنا انتهت الزيادة التى انفردت بها النسخة (ا) .

وقال له بعض الأكابر وهو فى مدينة السلام : أخبَرَنى من أثق به أنك قلت : أنا نبى ، فقال : الذى قلته : أنا أحمدُ النبىّ[١] .

اتصاله بأبى العشائر

قال أبو عبد الله ياقوت الروى[٢] :

ولم يزل المتنبى بعد خروجه من الاعتقال فى خمول وضعف حال[٣] فى بلاد[٤] الشام ، حتّى اتصل بأبى العشائر[٥] ومدحه بعدة قصائدَ أولها[٦] :

أتُراهــا لــكثرة العُشّاقِ   تحسَبُ الدمعَ خِلْقَةً فى المآقى[٧]

كيفَ تَرْثى الّتى تَرَى كُلّ جفنٍ   راءهــا غيرَ جفْنِها غيرَ راقى[٨]

أنتِ منا فتنتِ نفسكِ لكنـَّ   كِ عُوفيتِ من ضَنّى واشتياقِ[٩]

حُلْتِ دون المزارِ فاليومَ لو زُرْ   تِ لحالَ النحولُ دونَ العِناقِ

---

(١) فى هذا الجواب تورية لا تدفع عنه تهمة .

(٢) هو شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الروى أسر صغيراً من بلاده وابتاعه رجل من تجار بغداد فعلمه وثقفه ورباه ودربه على التجارة فكان كثير الأسفار طوافاً فى الأمصار معنيا بطلب التجارة والكسب وبعد أن مات سيده استقل بالعمل وحده وأضاف إلى أعماله الاتجار بالكتب وكان كثير المطالعة مشغوفاً بها ومن أشهر مؤلفاته كتاب : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء وقد طبع أخيراً بمصر وكتاب معجم البلدان وقد طبع فى مصر ١٩٠٦ م وله غير هذين كتب كثيرة وتوفى سنة ٦٢٦ هـ .

(٣) اختلف المؤرخون فى دعوى المتنبى النبوة فمنهم من قال بذلك كصاحب هذا الكتاب ومنهم من نفى هذه الدعوى وقال إن المتنبى إنما كان يطمع فى الملك وربما سعى إلى غايته باجتذاب بعض الأعراب الجفاة بإظهار شىء من الحيل المعروفة حتّى يجتذبهم إلى نصرته من غير أن يكون هناك ادعاء للنبوة ودليلهم على ذلك أن أعداء المتنبى وقد كانوا كثيرين جداً لم يعيروه مرة واحدة بأنه ادعى النبوة مع أن ذلك لو ثبت لكان شر ما يوصف به ولاتسع به مجال الهجاء .

(٤) « فى بلاد الشام » ساقطة من سائر النسخ .

(٥) هو الحسن بن على بن الحسن بن الحسين بن حمدان بن عم سيف الدولة وأمير أنطاكية من قبله .

(٦) كذا فى ا ، ب . وفى سائر النسخ : منها قوله :

(٧) تراها : تظنها . المآقى : جمع المأق لغة فى الموق وهو طرف العين مما يلى الأنف ، والمعنى : أتراها لكثرة العشاق الذين لا تراهم إلا باكين تحسب أنهم خلقوا هكذا فلا ترحمهم ولا ترق لحالهم . وهذا ابتداء جيد .

(٨) راءها : مقلوب رآها . راقى : راقىء بمعنى منقطع الدمع .

والمعنى : كيف ترثى المعشوقة التى ترى كل جفن ما خلا جفنها سائل الدمع لهجرها وهذا بيان لما فى البيت السابق أى أنها تظن الجفون خلقت دامعة لأنها لا تراها إلا كذلك . وهذا البيت سيىء التركيب .

(٩) أنت منا أى من جملة العاشقين لنفسك ولكنك سلمت مما بنا من السقم والشوق لأنك واصلت نفسك دوننا والمتنبى لم يسعفه تعبيره عن هذا المعنى .

ومنها فى المديح[1] :

وتكاد الظُّبى لمــا عَوَّدُوهــا تَنْتَضى نفسها إلى الأعْناق
وإذا أشفق الفوارسُ من وَقْـ ـعِ القَنا أشفقوا من الإشفاقِ[2]

ومنها القصيدة التى أولها :

لا تَحْسبوا رَبْعكُمْ ولاطَلَلَه أولَ حَىٍّ فِراقُكم قَتَلَهْ
قد تَلِفَتْ قبلَهُ النفوسُ بِكُمْ وأكثرَتْ فى هواكُمُ العَذَلَهْ[3]

ومنها فى المديح :

مُسْتَحِييًا من أبى العشائر أنْ أسْحَبَ فى غيرِ أرضه حُلَلَه[4]
أسحَبُها عندَه لدى مَلِكٍ ثيابُهُ مِنْ جَلِيسه خجِلَهْ[5]

وأراد أبو العشائر سفراً فقال عند وداعه ارتجالا قصيدة أولها :

الناسُ ما لم يروكَ أشباهُ والدهرُ لفظ وأنتَ معناهُ
والجودُ عينٌ وفيك ناظرهُ والناسُ باعٌ وفيك يُمناهُ[6]

ومنهــا :

تُنْشِد أثوابنا مدائحَه بألسن ما لهن أفواه
إذا مرَرْنا على الأصمّ بها أغنته عن مسمعَيه عَيْنَاهُ

---

(١) هذه العبارة ساقطة من حـ ، د ، هـ .

(٢) القنا : الرماح . الإشفاق : الخوف أى إذا خاف غيرهم من الفوارس أن يصابوا بأذى الحرب فهؤلاء يخافون أن يلحقهم عار الهزيمة .

(٣) كذا فى : ا وفى نسخة الديوان . وفى سائر النسخ : من هواكم .

(٤) فى هذه القصيدة تعريض بقوم لحق المتنبى منهم أذى يظهر فى هذا البيت وأخص من يعرض به رجل اسمه المسعودى كان المتنبى سبباً فى اتصاله بأبى العشائر ولكنه كان يتناوله عنده ويقع فيه ومن كلامه فى هذا الرجل من هذه القصيدة :

وربما أشهد الطعام على من لا يساوى الخبز الذى أكله

(٥) الديوان : وجلة .

(٦) كذا فى جميع النسخ وفى هامش هـ عن نسخة الديوان :

والجود عين وأنت ناظرها والبأس باع وأنت يمناه

وأصل هذا المعنى لِنُصيْب(١) [حيث قال](٢) :

فَعادوا وأثْنوْا بالّذى أنت أهلُهُ   ولو سَكَتُوا أثنتْ عليكَ الحقائبُ(٣)

وتبعه مُعَوَّج الرَّقّ فى قوله(٤) :

قَـد أتتنى من أبى العبَّـ   ـاس يومَ المِهْرجانِ
خِلَعٌ تُثْنى عليهِ الدهْـ   ـرَ مِنْ غيرِ لِسانِ

وإذا تأمّل المتأمل عرَف الفرقَ بينهما وبين أبى الطيب(٥) .

[ومنها](٦) :

سُبحانَ مَنْ خارَ للكواكب بالبُعـ   ـد ولـو نُلْنَ كن جَـدْواه

(١) هو نصيب بن رباح شاعر مقدم فى النسيب والمدائح وكان عبداً أسود أعتقه عبد العزيز ابن مروان وسكن البادية وله شهرة ذائعة وأخبار مع عبد العزيز ابن مروان وسليمان بن عبدالملك والفرزدق وغيرهم توفى سنة ١٠٠ هـ .

(٢) « حيث قال » ساقطة من « ا » .

(٣) سقط بيت نصيب هذا من جميع النسخ غير « ا » .

(٤) « وتبعه معوج الرقى فى قوله » عبارة ساقطة من جميع النسخ أيضاً غير « ا » .
ومعوج الرقى شاعر كان فى بلاط سيف الدولة .

(٥) المعنى عند الشعراء الثلاثة واحد ويمتاز المتنبى بقوة المعانى وبيت نصيب من جملة أبيات يمدح بها سليمان بن عبد الملك وخلاصة الخبر : أن الفرزدق ونصيباً حضرا عند سليمان بن عبد الملك فقال سليمان للفرزدق أنشدنى مقدراً أن يمدحه فأنشد :

وركب كأن الريح تطلب عندهم   لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهى تلفهم   إلى شعب الأكوار ذات الحقائب
إذا آنسوا ناراً يقولون : ليتها   وقد خصرت أيديهم نار غالب

فأطرق سليمان عنه مغضباً فقال نصيب يا أمير المؤمنين ألا أنشدك فى رويها ما لعله لا يتضع عنها قال : هات فأنشد :

أقول لركب قافلين لقيتهم   قفا ذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبرونى عن سليمان إننى   لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله   ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فقال سليمان للفرزدق كيف تراه؟ قال : هو أشعر أهل جلدته . وكان نصيب أسود ، فقال سليمان : يا غلام اعط نصيباً خمسمائة دينار وألحق الفرزدق بنار أبيه فخرج الفرزدق وهو يقول :

وخـير الشعر أكرمه رجالا   وشر الشعر ما قال العبيـد

(٦) ساقطة من : ا ، ب .

لو كان ضوء الشموس في يده ... لصاغه جوده وأفناه[١]
يا راحلاً كل من يودعه ... مودع دينه ودنياه
إن كان فيما تراه من كرم ... فيك مزيد فزادك الله

فأكرمه أبو العشائر، وعرف منزلته، وكان أبو العشائر والى أنطاكية من قبل سيف الدولة.

اتصاله بسيف الدولة واشتراطه ألا ينشد قائماً

ولما قدم سيف الدولة إلى أنطاكية[٢] قدم المتنبي إليه، وأثنى عنده عليه، [وعرفه منزلته من الشعر والأدب][٣] واشترط المتنبي على سيف الدولة أول اتصاله به أنه إذا أنشده مديحه لا ينشده إلا وهو قاعد؛ وأنه لا يكلف تقبيل الأرض بين يديه، فنسب إلى الجنون، ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط، وتطلع إلى ما يرد منه؛ وذلك في سنة سبع وثلاثين وثلثمائة، ولما أنشده قصيدته التي أولها:

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه ... بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه[٤]
وما أنا إلا عاشق كل عاشق ... أعق خليليه الصفيين لائمه[٥]
وقد يتزيا بالهوى غير أهله ... ويستصحب الإنسان من لا يلائمه
بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها ... وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه[٦]

---

(١) ا، ب: الشمس. تحريف. وقوله « لصاغه » هـ: لصاعه أى فرقه. ويروى: أضاعه. ومعنى البيت: أنه يسبك ضوء الشمس مالا ويجود به.

(٢) أنطاكية بتخفيف الياء: قاعدة العواصم.

(٣) قوله « وعرفه ... إلخ ساقطة من ا وفى ج: وعرفه منزلته من الشعر.

(٤) هو من مطالعه القبيحة لما فيه من التعقيد وخفاء المعنى. أشجاه: اسم تفضيل من شجاه أى أحزنه. الطاسم: الدارس. تسعدا: تعينا. الساجم: الساكب. المعنى: يخاطب صاحبيه فيقول: وفاؤكما بمساعدتى كهذا الربع فإن الربع كلما درس كان أدعى إلى الحزن وكذلك وفاؤكما كلما ضعف وقلت مساعدتكما لى بالبكاء اشتد حزنى لفقدى من أتأسى به، وقوله: « والدمع أشفاه ساجمه » بيان لعذره فى البكاء. جاء فى العكبرى أنه لما أنشد أبو الطيب هذه القصيدة كان ابن خالويه حاضراً، فقال لأبى الطيب: تقول أشجاه، وهو شجاه، فقال له: اسكت ليس هذا من علمك، إنما هو اسم لأفعل التفضيل.

(٥) المعنى: ما أنا إلا عاشق شأنى شأن جميع العشاق ثم بين ذلك بقوله: إن كل عاشق يرى أن أكثر أصفيائه عقوقاً من لامه فى حبه.

(٦) قيل إن التشبيه فى هذا البيت روعة وطرافة جاءا من شدة التوافق بين من يقف بديار الأحبة والشحيح الذى فقد فى الترب خاتمه لطول وقوفهما ودقة تأملهما.

قيل : كان أبو العلاء المعرىّ إذا ذكر الشعراء يقول : قال أبو نواس(١) كذا ، قال البحترىّ كذا ، قال أبو تمام كذا ، فإذا أراد المتنبي قال : قال الشاعر كذا، تعظيما له . فقيل له يومًا : لقد أسرفت فى وصفك المتنبىّ ، قال : أليس هو القائل :

بكَيت بِلَى الأطلال إنْ لم أقفْ بها ... وقُوفَ شحيح ضَاع فى التُرْبِ خاتمُه

وقوف الشحيح

[فقيل له] (٢) : كم قدر ما يقف الشحيح على الخاتم؟ قال : أربعين يومًا فقيل [له](٣): ومِنْ أين علمت ذلك ؟ قال : سليمان بن داود عليهما السلام وقف على طلب الخاتم أربعين يومًا . فقيل له : ومن أين علمت أنه بخيل ؟ قال : من قوله تعالى : « وَهَبْ لى مُلْكًا لا ينبغى لأحد من بعدى » وما كان عليه أن يهبَ الله لعباده أضعاف مُلْكه !

[ومنها](٤) :

كئيبًا تَوَقَّانى العواذلُ فى الهَوَى ... كما يتَوَقَّى رَيِّضَ الخيل حازِمُهْ(٥)

قفِى تَغْرَمِ الأولَى من اللَّحظ مُهجتى ... بثانية والمتلفُ الشىء غارمُهْ(٦)

وهذا من قول الخبزأرزىّ :

إلى كم أذِلّ وأستعطفُ ... وأنت تجورُ ولا تُنْصِفُ

أبا يوسفَ الحسنِ صِلْ مُدْنفًا ... مدامعُهُ لم تزَلْ تَذْرِفُ

آعيذكَ مِنْ ظالم غاشم ... سِوَى الخلفِ فى الوعدِ لايعرفُ(٧)

---

(١) هو أبو على الحسن بن هانئ الشاعر المشهور كان من أجود الناس بديهة وأرقهم حاشية قال فيه الجاحظ : لا أعرف بعد بشار مولداً أشعر من أبى نواس ولد سنة ١٤١ وتوفى سنة ١٩٥ هـ.

(٢) ما بين المعقوفين عن حـ وهامش هـ .

(٣) (له) : ساقطة من ا .

(٤) ساقطة من : ا ، ب .

(٥) ريض الخيل : الصعب الذى لم يركب . حازمه : من يشد حزامه .

(٦) غرم ما أتلفه : لزمه أداؤه . والمعنى : أنه نظر إليها نظرة أتلفت مهجته فيقول لها : قفى لأنظرك نظرة أخرى ترد مهجتى وتحييها فإن فعلت كانت النظرة الثانية غرماً لما أتلفته النظرة الأولى .

(٧) حـ ، د ، هـ : لا تعرف .

ولى مهجةٌ أنت أتلفتَهـَا عليكَ غرامةُ ما تُتْلِفُ

وبيت المتنبى فيه زيادة أكسبته[1] حسنًا .

[ومنها][2] :

سقَـَاكِ وحيَّانا بِكِ اللهُ إنما على العيسِ نَـوْرٌ والخدُورُ كمائمُـه[3]
وما حاجةُ الأظعانِ حولكِ فى الدُّجَى إلى قَـمَـرٍ ما واجدٌ لكِ عادمُه[4]

وقال البُحتُرِىّ فى هذا المعنى :

أضرّتْ بضوءِ البدرِ والبدرُ طالـعٌ وقامتْ مقامَ البدرِ لما تَغيَّبا

وقال الخبزَأرْزِىّ فى هذا المعنى[5] :

وما حاجة الرَّكْب السُّرَاة إذا بَدَا لهم وجهُهُ ليلا إلى طَلْعة البدر

إنشاد المعتمد ابن عباد بيت المتنبى وما قاله ابن وهبون

وأنشِـدَ فى مجلس المعتمِـد بنِ عبَّاد اللَّخْمِىِّ[6] صاحب إشبيلية (أعادها الله كما كانت)[7] قولُه منها :

إذا ظفرتْ منكِ العيونُ بنظرة أثابَ بها مُعْيِى المَطِىِّ ورَازِمُه[8]

فجعل المعتمِـد يردده استحسانًا له ، وكان فى مجلسه[9] أبو محمد عبد الجليل

---

(١) فى سائر النسخ : ألبسته . والزيادة التى أشار إليها فى بيت المتنبى هى طلبه الوقوف .

(٢) « ومنها » ساقطة من ا ، ب .

(٣) كذا فى : ا وفى : ب : سقاك وحياك الله . تحريف . وفى حـ ، د ، هـ : سقاك وحياك الإله وإنما . العيس : الإبل . النور : الزهر الأبيض . الكائم : أغلفة النور . الخدور : جمع خدر الستر الذى يشبه الهودج .

(٤) الأظعان : النساء فى الهوادج . « ما واجد لك عادمه » استئناف معناه أنه من وجدك لم يعدم القمر لأنك قدر مثله ومثله قول الآخر :

إن بيتاً أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج

(٥) سائر النسخ : « وتبعه الخبزأرزى فى قوله » وفى نسخة ا تقديم قول الخبزأرزى على قول البحترى والترتيب الزمنى يقتضى تقديم قول البحترى :

(٦) المعتمد بن عباد اللخمى : صاحب إشبيلية وقرطبة وأشهر ملوك الطوائف توفى سنة ٤٨٨ هـ .

(٧) « أعادها الله كما كانت » ساقطة من ا .

(٨) أثاب : رجع إليه نشاطه . المعيى : الكليل . الرازم : الساقط إعياء .

(٩) « وكان فى مجلسه » كذا فى ا . وكلمة : « مجلسه » سقطت من ب . حـ ، د ، هـ : وكان فى المجلس .

ابن وهبون(١) الأندلسى فأنشد ارتجالاً :

لئن حاد شعر ابن الحسين فإنما	تجيد العطايا واللُّهَا تفتح اللَّها
تنبأ عُجباً بالقريض ولو درَى	بأنك تَرْوِى شعرَه لتألَّها(٢)

ومنها فى المديح :

ادعاء أن الطير من جملة الجيش

له عسكرا خيل وطير إذا رَمى	بها عسكراً لم تَبق إلا جمَاجِمُه(٣)
أجِلّتَها من كل طاغ ثيابُه	ومَوْطِئُها من كل باغ ملاغِمُه(٤)
فقد ملّ ضوءُ الصبح مما تُغيرُه	وملّ سوادُ الليل مما تزاحمُه(٥)
[وملّ القنا مما تَدقّ صدورَهُ	وملّ حديدُ الهند مما تلاطمُه](٦)
سَحابٌ مِنَ العِقْبان يزحف تحتها	سحابٌ إذا استسقت سقتها صوارمُه(٧)

واعترَض على هذا البيت أبو سعيد العميدى(٨) ، حيث قال : « لم يسمع

(١) « ا » أبو محمد بن عبد الجليل . سائر النسخ : محمد بن عبد الجليل وكلاهما محرف والصواب ما أثبتنا .

(٢) « تجيد العطايا » كذا فى ابن خلكان ترجمة المتنبى .

« ا » تجر . ب : تخبر تحريف . سائر النسخ : لأجل . . .

(٣) ا : به عسكرا . والمعنى : أن لسيف الدولة عسكرين : أحدهما خيله والآخر الطير التى تصحبه فى الحرب لتقع على القتلى فإذا رمى بهما عسكر العدو لم يبق إلا عظام الجماجم لأن عسكر الخيل يقتلهم وعسكر الطير يأكل لحومهم .

(٤) الأجلة : جمع جلال وهو ما يجعل على ظهر الدابة . الملاغم : ما حول الفم أى أنه يسلب ثياب كل طاغ من ملوك الروم فيتخذ منها أجلة لخيله و يوطىء حوافرها وجه كل باغ منهم .

(٥) المعنى: أن الصبح مل من كثرة إغارتك فيه مباغتة العدو ، ومل سواد الليل من كثرة مزاحمتك له لأنه لا يكفك عن القتال فكأنك تزاحمه .

(٦) القنا : الرماح . تدق : تكسر . صدور الرماح : أعاليها .

والمعنى : أن الرماح ملت من طول مقاتلتك بها وتكسيرك صدورها فى أضلاع الفرسان وملت السيوف من كثرة ما تلاطمها بالرءوس والبيت ساقط من ا .

(٧) العقبان : بكسر العين جمع عقاب بضمها وهو طائر فى حجم النسر . جعل العقبان الطائرة فوق جيشه سحاباً وجعل جيشه تحتها سحاباً آخر فإذا استسقت سحاب العقبان سقاها سحاب جيشه الدماء التى تريقها سيوفه .

(٨) أبو سعيد العميدى شاعر ذكره الثعالبى فى تتمة اليتيمة ج ٢ ص ٥٨ ، ٥٩ فى جملة شعراء خراسان وهو صاحب الإبانة عن سرقات المتنبى وقد عاش فى مصر وتولى ديوان الإنشاء بها واعتراض العميدى على أبى الطيب غير وجيه بل إننا نرى فى كلام أبى الطيب تجديداً تظهر فيه عبقرية الشاعر فقد ألف الناس =

بأن السحابة تسق ما فوقها ، وجوابه ظاهر (١) . وهذا معنى حوى طرفى الإعجاب والإغراب وقد تجاذبته أفكار الشعراء ، فمما جاء منه (٢)قول النابغة :

إذا ما غزَا بالجيش حلّق فوقهم عصائبُ طير تهتدى بعصائبِ
جوانحَ قد أيقنّ أنّ قبيلَهُ إذا ما التقى الجمعان أولُ غالبِ(٣)

وقال أبو نواس :

يتوخى الطير غدْوَتَه ثقة باللحْمِ من جزَرِهْ(٤)

وقال مسلم بن الوليد(٥) :

قد عوَّد الطيرَ عادات وثقْن به(٦) فهنّ يَتْبَعْنَهُ فى كل مُرْتَحل

= أن السحاب يسقّ ما تحته ولكن الشاعر هنا ينبئنا بأن الجيش بضخامته وكثرة رجاله وعدده سحاب من نوع جديد إذا سقّ سحاب السماء ما تحته سقّ هو ما فوقه وهذا شبيه بقول أبى تمام فى وصف المنجنيق حين يقول :

* أرض على سمائها درور *

مع أن المألوف أن السماء هى التى تدر على الأرض وتسقط عليها أمطارها ، وأما اعتراض بعضهم بأن الطير لا تستسقى ولكنها تستطعم فمردود بأن ذلك جار على عادة العرب فى استعارة هذه اللفظة فى كل طلب تعظيما لقدر الماء قال علقمة :

وفى كل حى قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب

فإن ملك الشام كان قد أسر « شاساً » أخا الشاعر فبعث إليه علقمة بأبيات منها هذا البيت يطلب فيه من الملك أن يفك أسر أخيه (والذنوب : الدلو العظيمة فيها ماء) .

وقال رؤبة : يأيها المائح دلوى دونكا إنى رأيت الناس يحمدونكا

وهما لم يستسقيا ماء وإنما طلب الأول فك الأسر وطلب الثانى مالا وقد سمى المجتدى والسائل مستميحين وإنما الميح جمع المائح الماء فى الدلو والمائح الرجل الذى ينزل فى البئر يملأ الدلو .

(١) تكفل المؤلف ببيان وجه الإغراب والإعجاب فيما يأتى وسنورد كلاما لصاحب الوساطة فى هذا المعنى .

(٢) ب ، د ، هـ : به ، حـ : فيه .

(٣) هذان البيتان من قصيدة للنابغة فى مدح الحارث الغسانى مطلعها :

كلينى لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطىء الكواكب

(٤) روى البيت بروايات مختلفة وكلها لا تخرج عن المعنى المقصود ولهذا لم نر داعياً للإشارة إليها .

(٥) شاعر مبدع من شعراء الدولة العباسية يلقب بصريع الغوانى لقوله :

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا صريع محيا الكأس والأعين النجل

توفى سنة ٢٠٨ هـ .

(٦) فى حـ ، د ، هـ : بها .

وقد كرّره[١] أبو تمام فى شعره ؛ فمما جاء له منه :

وقد ظُلِّلَتْ عِقْبانُ أعلامِهِ ضُحًى بعقبان طير فى الدماء نواهلِ
أقامتْ مع الرَّاياتِ حتى كأنها من الجيشِ إلا أنها لم تقاتلِ

وقال[٢] :

إذا ذمت الأعداءُ سوءَ صباحِها فليس يؤدّى شكرَها الذئب والنسر

وقد ذَكَرَ هذا المعنى قديمًا وحديثًا وأورده[٣] بضروب من العبارات غيرُ هؤلاء إلاَّ أنهم جاءوا بشىء واحد لا تفاضل بينهم فيه إلا من جهة حسن السَّبك أو من[٤] جهة الإيجاز فى اللفظ ، ولم أر أحداً أغرب فى هذا الطريق مع اختلاف مقصده إليها إلا مسلم بن الوليد ، فقال[٥] :

أشْرَبْتَ أرواحَ العِدَا وقلوبَها خوفًا فأنفُسُها إليكَ تطيرُ
لو حاكمتْكَ فطالبتكَ بذحْلها شهِدَت عليك ثعالبٌ ونُسُورُ

وكذلك فعل أبو الطَّيب ، فإنه لما انتهى الأمر إليه سلك هذه الطريقة التى سلكها من تَقَدَّمَه ، إلا أنه خرج فيها إلى غير المقصد الذى قصدوه ، فأغرب وأبدع ، وحاز الإحسان بجملته ، فصار كأنه المبتدع لهذا المعنى دون غيره . فمما قال فيه :

يفَدِّى أتمُّ الطير عمراً سلاحَهُ نسورُ الملا أحداثُها والقشاعِمُ[٦]
وما ضرَّها خَلْقٌ بغير مَخالب وقَدْ خُلِقَتْ أسيافهُ والقوائمُ

---

(١) كذا فى ا وفى سائر النسخ : وقال أبو تمام :

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من سائر النسخ . والضمير فى صباحها يعود على الخيل المغيرة وقد تقدم ذكرها فى أبيات سابقة لهذا .

(٣) كذا فى ا ، ب ، وفى سائر النسخ : أوردوه على التنازع وإعمال الأول. وأول من طرق هذا المعنى الأفوه الأودى حيث قال :

وترى الطير على آثارنا رأى عين ثقة أن ستمار

(٤) كذا فى ا ، ب ، وفى سائر النسخ : ومن . . .

(٥) فى حـ ، د ، هـ : حيث قال :

(٦) القشاعم : المسنة من النسور .

وقال فى موضع آخر :

وذى لَجَب لا ذو الجناحِ أمامه　　بناجٍ ولا الوحشُ المثارُ بسالمِ (١)
تمر عليه الشمسُ وهى ضعيفة　　تطالعُهُ من بين ريش القشاعمِ
إذا ضوْءها لاقى منَ الطير فُرْجةً　　تَدَوَّر فوق البَيْض مثلَ الدراهمِ

وهذه من أعاجيب أبى الطيِّب المشهودة ، ولو لم يكن له من الإحسان فى شعره غيرها لاستحقَّ بها فَضيلَةَ التَّقديم (٢) .

وقد(٣) تصرف فى هذا المعنى أبو عامر بن أبى مَروان بن شُهَيد الأندلسى * ، فقال :

وتدرِى سِباعُ الطَّير ان كُماتَهُ　　إذا لَقِيتْ صيدَ الكماةِ سباعُ
تَطيرُ جِياعاً فوقه وتَرُدُّها　　ظُبَاه إلى الأوكار وهْى شِبَاعُ

وكذلك أخذه أبو بكر العطَّار ** فغرّبه بعد الابتذال ، فقال :

تظل سباعُ الطير عاكفة بهمْ　　على جُثَث قد سَلَّ أنفسها الذُّعْرُ
وقدعَوَّضتهم مِنْ قبور حواصِلاً　　فيا من رأى ميتا يطير به قَبْرُ(٣)

---

(١) اللجب : اختلاط الأصوات والمراد : وجيش ذى لجب .

(٢) قد وازن صاحب الوساطة بين هؤلاء فقال : وزعم كثير من نقاد الشعر أن أبا تمام زاد عليهم بقوله : « إلا أنها لم تقاتل » فهو المتقدم وأحسن من هذه الزيادة قوله : « فى الدماء نواهل » وإقامتها مقام الرايات و بذلك يتم حسن قوله : « إلا أنها لم تقاتل » على أن الأفوه الأودى قد فضل الجماعة بأمور : منها السبق وهى الفضيلة العظمى والآخر قوله : « رأى عين » فخبر عن قربها لأنها إذا بعدت تخيلت و لم تر وإنما يكون قربها متوقعاً الفريسة .

وهذا يؤيد المعنى ثم قال : « ثقة أن ستمار » ولم يجمع هذه الأوصاف غيره .

فأما أبو نواس فإنه نقل اللفظ و لم يزد فيفضل وقال أبو الطيب :

سحاب من العقبان . . . فزاد إذ جعلها سحابتين وجعل السحابة السفلى تسق ما فوقها وهذا غريب .

* ابن شهيد : من أنبغ كتاب الأندلس وشعرائها ، وكان بارعاً فى أسلوب الرسائل القصصية النادرة المثال فى الكتابة العربية وهو صاحب رسالة التوابع والزوابع توفى سنة ٤٢٦ هـ .

** هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم ، أبو بكر العطاء المقرئ (٢٦٥ – ٣٥٤ هـ) كان ثقة من أعرف الناس بالقراءات ، وأحفظهم لنحو الكوفيين ، ترجم له معجم الأدباء جـ ١٨ ص ١٥٠ وبغية الوعاة ص ٣٦

(٣ – ٣) ساقط من سائر النسخ .

وآخرُ القصيدة :

تُحاربُه الأعداءُ وهي عباده (١) وتُدَّخر الأموالُ وهْي غنائمه
ويستكبرون الدهرَ والدهرُ دونهُ ويستعظِمون الموتَ والموت خادمه
[وإن الذى سمَّى عليًا لمنصفٌ وإن الذى سَمَّاه سيفًا لظالمه
وما كُلّ سيف يقطع الهام حدُّه وتقطع لَزْبات الزّمان مكارمُه (٢)]

حسن(٣) موقعه عنده وقرّبه وأجازه الجوائزَ السنيّة ، ومالت نفسه إليه ، وأحبه ، فسلّمه إلى الرُّوَّاض ، فعلّموه الفروسيّة والطراد ، والمثاقفة(٤).

وصحب(٥) سيف الدولة فى عدّة غزوات إلى بلاد الرّوم ، ومنها غزوة الفنا (٦) التى لم ينج منها إلا سيف الدولة بنفسه ، وستة أنفار أحدهم المتنبى ، وأخذت (٧) الطرق عليهم الروم ، فجرد سيف الدولة سيفه ، وحمل على العسكر ، وخرّق(٨) الصفوف ، وبدّد الألوف . وحكى الرّقّى (٩) عن سيف الدولة قال : كان المتنبى يسوق فرسه ، فاعتلقت (١٠) بعمامته . طاقة من الشجر المعروف بأم غَيلان(١١) فكان كلّما جرى الفرس انتشرت العمامة ، وتخيل المتنبى أن الروم قد ظفرت به ، فكان يصيح الأمان ياعِلج (١٢) قال(١٣) سيف الدولة : فهتفتُ به وقلت : أيما عِلج ؟

غزوة الفنا

توهم المتنبى الشجرة رجلا

(١) فى هامش « هـ » عن نسخة « عبيد » .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من « ا » . والهام : الرءوس واحده هامة . اللزبات : الشدائد ، وفى هذا البيت تعليل الشطر الثانى من البيت السابق .

(٣) حسن موقعه : جواب « لما » فى كلام سابق : ولما أنشده قصيدته التى أولها وفاؤكما . . . ص ٧١ .

(٤) المثاقفة : المغالبة ، ثاقفه فثقفه « كنصر » : غالبه فغلبه .

(٥) ب : وحكى سيف الدولة تحريف . سائر النسخ : وحكى أنه صحب . . .

(٦) حـ ، د ، هـ : الفتا تحريف . الفنا : مقصور الفناء لأن الغزوة فنى فيها الجيش إلا سبعة نفر منهم سيف الدولة .

(٧) هـ : وأخذ .

(٨) هـ : وفرق .

(٩) لعله أبو الحصين الرقى قاضى حلب ، ومن شعراء سيف الدولة .

(١٠) حـ ، د ، هـ : فاعتقلت . تحريف .

(١١) أم غيلان : شجر السمر .

(١٢) العلج : اسم يطلق على غير المسلم من العجم .

(١٣) ب : فقال .

هذه شجرة علقت بعمامتك فود أنّ الأرض غيبته . فقال له ابن خالويه[١] : أيها الأمير أليس أن[٢] ثبت معك حتى بقيت فى ستة أنفار تكفيه هذه الفضيلة ؟

وحُكى أن السَّرى الرَّفاء[٣] حين قصد سيف الدولة أنشده بديهاً :

إنى رأيتُكَ جالساً فى مجلس   قعد الملوكُ به لديْك وقامُوا
فكأنَّك الدهرُ المحيطُ عليهمُ[٤]   وكأنهم من حولك الأيــامُ

ثم أنشده بعد ذلك ما كان قاله فيه من الشعر ، وبعد ثلاثة أيام أنشده المتنبى قصيدة قافية ، فأمر له بفرس وجارية ، وأوّلُ القصيدة :

أيدرِى الربعُ أىَّ دم أراقَا   وأىَّ قلوب هذا الركبِ شاقَا [٥]
لنــا ولأهْله أبــدًا قلوبٌ   تَلاقَى فى جسوم ما تَلاَقَى [٦]
وما عفَتِ الرياحُ لــه محلاً   عفاهُ مَنْ حدا بهمُ وسَاقَا [٧]
فليتَ هوى الأحبة كان عَدْلا   فحمَّل كلَّ قلب ما أطاقَا

---

(١) ابن خالويه هو أبو عبد الله الحسين بن خالويه النحوى اللغوى أصله من همذان ودخل بغداد فأدرك أفاضل العلماء بها وانتقل إلى الشام واستوطن حلب وصار بها أحد أفراد الدهر فى فنون الأدب وكانت إليه الرحلة من الآفاق وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه وتوفى بحلب سنة ٣٧٠ هـ .

(٢) الأصل : أنه .

(٣) هو أبو الحسن بن أحمد الموصلى الشاعر المشهور كان فى صباه يرفو ويطرز فى دكان بالموصل وهو مع ذلك يتولع بالأدب وينظم الشعر ، قصد سيف الدولة بحلب وأقام عنده مدة ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد ومدح الوزير المهلبى ونفق شعره وراج وكان شاعراً مطبوعاً عذب الألفاظ مليح المأخذ كثير الافتنان فى التشبيهات والأوصاف ومن شعره يذكر صناعته :

وكانت الإبرة فيما مضى   صائنــة وجهى وأشعارى
فأصبح الرزق بها ضيقاً   كأنه من ثقبهــا جارى

وتوفى بعيد سنة ٣٦٠ هـ .

(٤) حـ ، د ، هـ : لديهم .

(٥) الاستفهام للاستعظام يقول : أيدرى هذا الربع بما فعل من إراقة دمى وما هاج فى قلبى من الشوق بذكر الأحبة ؟

(٦) تلاقى : تتلاقى . وما تلاقى : ما نافية يقول : لنا ولأهله الراحلين قلوب يتلاقى بعضها ببعض وهى متباعدة الجسوم .

(٧) عفت الرياح الأثر : درسته ومحته يقول : إن الريح لم تمح هذا الربع ولكن الذى محاه من ساق الإبل بأهله حتى فارقوه .

نظرتُ إليهمُ والعينُ شكْرَى ... فصارت كلها للدمع ماقــا (١)
وقد أخذ التمامَ البدْرُ فيهــمْ ... وأعطانِي من السَّقَمِ المحاقا (٢)
وبين الفَرْعِ والقدمين نُورٌ ... يقود بــلا أزِمَّتها النِّيَاقَا (٣)
وطَرْفٌ إنْ سَقَى العُشَّاق كأساً ... بها نَقْصٌ سَقَانِيها دِهاقَا (٤)

قال(٥) : فلما قال :

وخَصْرٌ تثبتُ الأبصارُ فيــه ... كأنَّ عليه منْ حَدَقٍ نِطَاقا

« فقال السَّرِيّ هذا والله معنًى ما قَدَرَ عليه المتقدمون. وما(٦) يقال من أنه حُمَّ في الحال حسداً ، وتحامَلَ إلى منزله ، ومات بعد ثلاثة أيام ، فلا صحة له ، لأن السَّرِيّ مات بعد المتنبي وسيف الدولة . على أن السريّ قد استعمل هذا المعنى بقوله(٧) :

أحاطتْ عيُون العاشقين بخَصْرِه ... فهنَّ له دون النطاقِ نِطَاقُ

وحكى صاحب المفاوضة(٨) قال : كان سيف الدولة يميل إلى أبي العبَّاس النامِي(٩) الشاعر ميلا شديداً إلى أنْ جاءه المتنبي ، فمال عنه إليه ، فغاظ ذلك

(١) شكرى : ملأى بالدمع . د : سكرى . تحريف . الماق : طرف العين مما يلي الأنف .
(٢) المحاق : مثلثة الميم آخر الشهر أو ثلاث ليال من آخره .
(٣) الفرع : الشعر . والمراد بالنور وجه الحبيبة .
(٤) دهاقاً : ممتلئة . وأراد أن طرفه يبعث على سكر الهوى فشبهه بالخمر واستعار له كأساً والمعنى أنه أعشق العشاق .
(٥) « قال » عن حـ ، د ، هـ . لا يستقيم الأسلوب مع الفاء .
(٦) « وما يقال من أنه حم فى الحال » كذا فى الأصل وصوابه: وما يقال . . . وفى سائر النسخ ثم إنه حم فى الحال . . .
(٧) حـ : على أن السرى قد استعمله .
سائر النسخ : على أن السرى قد استعمله بقوله .
(٨) صاحب المفاوضة : أبو الحسن محمد بن على بن نصر المالكى عاش فى نهاية القرن الرابع وأول الخامس الهجرى وصنف كتاب المفاوضة للملك العزيز جلال الدولة كما فى كشف الظنون ص ١٧٥٨ حـ ٢ .
(٩) هو أبو العباس أحمد بن محمد الدارى المعروف بالنامى كان من الشعراء البارزين فى عصره ، ومن خواص مداح سيف الدولة ، وكان يلى أبا الطيب فى المنزلة والرتبة وله معه وقائع ومفاوضات . توفى سنة ٣٧٠ هـ على المشهور .

أبا العباس ، فلما كان ذات يوم خلا به وعاتبه وقال : أيها الأمير ، لِم تفضل[1] عليّ ابن عيدان السقا ؟ فأمسك سيف الدولة عن جوابه ، فلجّ وألحّ ، وطالبه بالجواب فقال : لأنك لا تحسن أن تقولَ كقوله :

يعودُ من كل فتــح غيرَ مفتخرٍ   وقد أغذّ إليه غيرَ محتفلِ [2]

فنهض من بين يديه مُغْضَبًا ، واعتقد[3] ألاّ يمدحه أبداً . وأبو العباس هذا هو القائل :

حسد الناس المتنبى

كان قد بقى فى الشعر زاوية دخلها المتنبى ، وكنت أشتهى أن أكون سبقته إلى معنيين قالهما ما سُبق إليهما . أما أحدهما فقوله :

رَمَانى الدّهرُ بالأرزاءِ حتّى   فُــؤادى فى غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتنى سهام   تكسرتِ النصالُ على النّصالِ [4]

والآخر قوله :

فى جحفل [5]ستَر العيون غُبارُه   فكأنما يُبْصــرنَ بالآذانِ

واستَنْشَدَ سيف الدولةِ أبا الطّيب يوما قصيدته الّتى مدحه بها ، وقد سار لبناء الحدَث [6]، وذكر إيقاعه بالدُّمُستق عليها[7] وكشفه له ، وقتله

---

(١) كذا فى الأصل وفى سائر النسخ : الأمير لم يفضل غير ب فإنها : تفضل .

(٢) كذا فى الديوان وقد حرف البيت فى جميع النسخ .

(٣) اعتقد ألا يمدحه : عاهد نفسه .

(٤) كذا فى الأصل والديوان وروى فى سائر النسخ بروايات مختلفة وهو وما قبله من قصيدة يرثى بها والدة سيف الدولة مطلعها :

نعــد المشرفيــة والعــوالى   وتقتلنــا المنون بلا قتال

(٥) كذا فى ا والديوان وهامش ه عن نسخة . وفى سائر النسخ « محفل » .

والبيت فى وصف الخيل يقول : إن الغبار الذى أثارته الخيل بحوافرها قد منع أبصارها أن تبصر فهى تسمع الأصوات بآذانها وتفعل ما يقتضيه الصوت فكأنها تبصر بآذانها .

(٦) الحدث : بلد بالروم كان أهلها قد سلموها لأمير الروم (الدمستق) وقائد جيوشها بالأمان فسار إليها سيف الدولة ليستردها ويبنى قلعتها فنزلها يوم الأربعاء ثامن عشر من جمادى الآخرة سنة ٣٤٤ ﻫ وبدأ من يومه فوضع الأساس وحفر أوله بيده فلما كان يوم الجمعة نازله الدمستق فحمل عليه سيف الدولة فى خمسة آلاف من جنده فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر خلقاً كثيراً وأقام حتى بنى الحدث وفرغ من ذلك يوم الثلاثاء تاسع رجب سنة ٣٤٣ ﻫ فقال المتنبى هذه القصيدة يمدحه بها .

(٧) « عليها » ساقطة من سائر النسخ ولعله يريد الوالى عليها .

خلقاً من أصحابه وأَسْرَه صِهْرَه وابنَ بنته ، وإقامته على الحَدَث إلى أن بناها ، وذلك فى يوم الثلاثاء لتسع خلون من رجب سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، وأولها :

على قدر أهل العزم تأتى العـزائمُ ... وتأتى على قدر الكـرامِ المكارمُ

وتعظُمُ فى عينِ الصغير صِغارُها ... وتصغر فى عـينِ العظيم العظائمُ

ومنهـا (١) :

هل الحَدَث الحمراء تعرفُ لونَهـا ... وتعـلمُ أىُّ الساقِيَيْن الغمائمُ(٢)

سقَتْهـا الغَمامُ الغُرُّ قبل نزولهِ ... فلما دَنَا منهـا سقتها الجماجمُ

بناها فأعْلى(٣) والقنا يقرعُ القَنَا ... ومـوجُ المنـايا حولها متلاطمُ

وكان بها مثلُ الجنون فأصبحتْ ... ومن جُثَث القتلى عليهـا تمائمُ(٤)

طَرِيـدةُ دهـرٍ ساقها فرَددْتها ... على الدين بالخَطِّىِّ والدهر راغمُ

تُفيتُ اللَّيالى كلَّ شىء أخذْتَه ... وهن لمـا يأخذنَ منك غوارم(٥)

إذا كان ما تنويه فعـلا مضارعًا ... مضى قبل أن تُلْقَى عليه الجوازم(٦)

وكيف ترجِّى الرومُ والروسُ هدمَها ... وذا الطعنُ آساسٌ لها ودعائمُ

وقد حاكمـوهـا والمنـايا حواكمٌ ... فما مات مظلومٌ ولا عاش ظالمُ

أتَوْك يَجرُّون الحـديدَ كأنما ... سرَوْا بجيـاد ما لهن قوائمُ

---

(١) كذا فى : ا وهى ساقطة من سائر النسخ ووجودها أفضل لأن الأبيات غير متتابعة .

(٢) فى قوله : « أى الساقيين الغمائم » ما يسمى بالاكتفاء أراد أى الساقيين الغمائم أم الجماجم فحذف الأخير اكتفاء بالأول ومعنى البيت : هل تعرف هذه القلعة لونها الأول قبل أن لونت بالدم وهل تعلم أى الساقيين لها أجماجم الروم التى سقتها بالدم أم السحائب التى سقتها قبل ذلك بالمطر يعنى أن الجماجم أجرت عليها من الدماء مثل ما أجرت عليها السحائب من الماء .

(٣) الديوان وهامش هـ عن نسخة : فأعلى وجميع النسخ : علىّ

(٤) قال أبو الطيب : ما رد على أحد شيئاً فقبلته إلا سيف الدولة فإنى أنشدته :

ومن جيف القتلى . فقال : مَهْ قل : ومن جثث القتلى ...

(٥) المعنى : إذا سلبت الليالى شيئاً أكرهتها على تركه لضعفها عن استرداده منك وهى إذا أخذت منك شيئاً غرمته لأنك ترغمها على رده .

(٦) المعنى : إذا نويت فعلا فى المستقبل تحقق حتى كأنه ماض من غير أن يضم إليه شىء يحوله إلى الماضى فلو أنك نويت فعلا مضارعاً خالصاً للاستقبال لتحول زمنه إلى المضى من غير أن تسبقه علامة جزم تحوله إلى المضى كحرف لم والمتنبى هنا يتخذ من النحو وسيلة إلى تصوير بعض معانيه ، وهو مذهب جرى عليه المحدثون ، ولا بأس بالقليل منه لطرافته .

إذا بَرَقوا لم تُعْرَفِ البيضُ منهمُ ... ثيابُهُمُ من مثلها والعمائمُ
خَميسٌ بِشرق الأرض والغرب زحفُه ... وفى أذُن الجوزاءِ منه زَمازمُ
تجمَّع فيه كلُّ لِسْن وأمَّة ... فما يُفْهِمُ الحُدَّاثَ إلاّ التَّراجِمُ
فلله وقتٌ ذَوَّبَ الغشَّ نارُهُ ... فلم يَبْقَ إلا صَارمٌ أو ضُبَارمُ
تقطع ما لا يَقْطَعُ الدرْعَ والقنا ... وفرَّ من الفُرْسان من لا يُصادمِ

* وهذه الأبيات الأخيرة من أحسنِ ما قيل فى الجيوش الكثيرة، وكذلك ورد قول أبى تمام من قصيدة يمدح بها المأمون :

فنهضتَ تسحبُ ذيلَ جيش ساقَهُ ... حُسنُ اليقين وقادهُ الإقدامُ
مُثعنْجرٌ لَجِبٌ ترى سُلاَّفَهُ ... ولهم بمُنْخَرَق الفضاءِ زِحامُ
ملأ المَلاَ عُصَبًا فكاد بأن يُرَى ... لا خَلْفَ فيه ولا لَهُ قُدَّامُ

يقال : اثعنجرتِ العين دمعًا ، واثعنجر دَمْعُها ، وهو انصباب الدمع وتتابعه ، ولَجِب كثير الأصوات . والسلاَّف : المتقدمونَ ، والملا مقصوراً : ما اتسع من الأرض .

وقال النَّابغة(١) فى عظم الجَيش :

بَحْرٍ يظل له الفضاء مُعَضَّلا ... يَدَرِ الإكَامَ كأنهنَّ صحارِى

ومُعضَّل : من قولهم عَضَّلَتِ المرأة عند الولادة : إذا عَسُر خروج الولد .

وقال مالك المازنى(٢) :

بجيش لُهَام يشغلُ الأرضَ جمعُهُ ... على الطَّير حتى ما يَجِدن منازلاَ(٣)

---

* ابتداء من هذا النجم زيادة من الأصل .

(١) يريد به النابغة الذبيانى من كبار الشعراء فى الجاهلية ، والبيت من قصيدة يهجو بها زُرعة بن عمرو لما بلغه أن زرعة يتوعده ، وفى بعض نسخ الديوان : جمعا بدل بحر .

(٢) مالك المازنى هو مالك بن الريب من مازن تميم كان ظريفاً أديباً فاتكاً واتصل بسعيد بن مروان وغزا معه فى خراسان وبها مات ، وهو القائل فى رثاء نفسه قبل أن يموت بسنة قصيدته المشهورة التى أولها :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بجنب الغضا أزجى القلاص النواجيا

وهى من أروع مراثى العرب .

(٣) جيش لهام : كثير يلتهم كل شىء .

وقال البحترى :

بجمع تَرَى فيه النهارَ قَبيلةً إذا سار فيه والظلامَ قبائلا[١]

وقال سَلْم الخاسر[٢] :

وكتائب تغشى العيون إذا جرَى مَاءُ الحديدُ عليهمُ الرَّجْرَاجُ
وتفرقت زُرْقُ الأسنة فيهمُ تسقِي الحنايا ما لهنَّ مِزَاجُ
نزلتْ نجومُ الليل فوق رءوسهم ولكل رأس كوكبٌ وَهَّاجُ

وقال مُسلم :

فى عسكر تشرَق الأرضُ الفضاءُ به كالليل أنجمُهُ القُضْبان والأسَلُ *

انتقاد سيف الدولة على المتنبي

ولما بلغ المتنبي إلى قوله[٣] :

وقفتَ وما فى الموت شكٌ لواقف كأنك فى جَفْنِ الرَّدى وهْوَ نائمُ
تمرّ بكَ الأبطال كَلمَى هَزيمةً ووجهُك وضَّاحٌ وثغرُكَ باسِمُ[٤]

قال سيف الدولة : قد انتقدتُهما عليك كما انتُقد على امْرِئ القيس قوله :

كأنىَ لم أركبْ جَوادًا لِلذَّة ولم أتبطَّنْ كاعبًا ذات خَلْخال[٥]
ولم أسْبأ الزِّقَّ الرَّوِى ولم أقُلْ لخيلى كُرِى كَرَّةً بعد إجفالِ[٦]

فبَيْتاك لم يلتئمْ شطراهما ، كما لم يلتئمْ شطرا بيتَى امرئ القيس ، وكان

---

(١) من معانى القبيلة : جزء الشىء الذى قد ينفصل عنه . يقول : إن النهار مع عظمه جزء من هذا الجيش وإن الظلام أجزاء منه .

(٢) سلم الخاسر هو سلم بن عمرو الحميرى قدم بغداد ومدح المهدى والهادى والبرامكة ولقب بالخاسر لأنه كما يقال باع مصحفاً واشترى به ديوان شعر ، وكان جيد الشعر رقيقه .

* ما بين النجمين فى هذه الصفحة وسابقتها ساقط من سائر النسخ .

(٣) فى سائر النسخ : « فلما بلغ إلى قوله »

(٤) كلمى : مكلومة أى جريحة جمع كليم والبيت من قول مسلم :

يفترّ عند اقتراب الحرب مبتسما إذا تغير وجه الفارس البطل

(٥) أتبطن : أحتضن .

(٦) سبأ الخمر : اشتراها . الزق : وعاء الخمر . الروى : الذى يروى ويشبع . الإجفال : النفور .

ينبغي له أن يقول :

كأنىَ لم أركَبْ جواداً ولم أقُلْ ... لخيلىَ كُرِّى كَرَّةً بعد إجفَالِ
ولَمْ أسْبأ الزِقَّ الرَّوِىَّ للذَّةٍ ... ولم أتَبَطَّنْ كاعِبًا ذَاتَ خَلْخَال

وكذلك كان ينبغي أن تقول :

وقفتَ وما فى الموت شَكٌّ لواقف ... ووجهُك وضَّاحٌ وثَغْرُك باسمُ
تمر بك الأبطالُ كَلْمَى هزيمةً ... كأنَّك فى جَفْنِ الرَّدى وهْوَ نائمُ

فقال المتنبي : إن صحَّ أن الذى استَدْرَكَ على امرئ القيس هذا هو[١] أعلم بالشعر منه[١] فقد أخطأ امرؤ القيسِ وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم أن الثوب[٢] لا يَعْلَمُه البزَّاز كما يَعْلَمه الحائك لأن البزاز يعلم جملته ، والحائكُ يعلم تفاصيله ، وإنما قَرَن امرُؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، والشجاعة فى منازلة الأعداء بالسماحة فى شراء الخمر للأضياف للتضايف بين كل من الفريقين[٢] ، وكذلك لما ذكرت الموت فى صدر البيت الأول أتبعته بذكر الردى فى آخرِهِ ليكونَ أحسن تلاؤمًا[٣] ، ولما كان وجه الجريح المنهزم عبوسًا ، وعينه باكية قلت : (ووجهك وضاح وثغرك باسم) ، لأجمع بين الأضداد فى المعنى . فأعجبَ سيفَ الدولة كلامُه[٤] .

قال ابنُ جِنِىّ : حدثنى أبو على الحسينُ بن أحمد الفَسَوِىُّ قال : خرجتُ بِحَلَبَ أريد دارَ سيفِ الدَّولة ، فلما برزتُ من السور إذًا أنا بفارس متلثم قد أهوى نحوى برمح طويل ، وسدَّده إلى صَدْرى ، فكدْتُ أطْرح نفسى عن الدابَّة ، فحَسَرَ لِثامه ، فإذا المتنبي ، وأنشد :

(١ — ١) حـ ، د : « وهو أعلم بالشعر منى » .

(٢ — ٢) كذا وردت العبارة فى جميع النسخ غير حـ ففيها اضطراب وتحريف وقد أوردها العكبرى كذلك .

(٣) سائر النسخ : تلازما .

(٤) زاد بعض النسخ المطبوعة بعد قوله : « فأعجب سيف الدولة كلامه » هذه العبارة : ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار .

نثرتُ رءُوسًا بالأحَيْدب منهمُ   كما نُثرتْ فوق العَروس الدراهمُ[١]

ثم قال : كيف هذا القول ؟ أحَسَنٌ هو ؟

فقلت : ويْحكَ : قد قتلْتنى يا رجل . قال ابن جِنّى : فحكيتُ هذه الحكايةَ لأبى الطيب بمدينة السلام ، فعرفها ، وضحك منها] *

ما جرى بين المتنبى وبين ابن خالويه

قال[٢] ابن بَابَك[٣] : حضر المتنبى مجلس أبى أحمد بن نصر البازيار[٤] ، وزير سيف الدولة ، وهناك أبو عبد الله بن خالويه[٥] النحوىّ ، فتماريا فى أشْجعَ السلمِىّ[٦] وأبى نواس البصرىّ ؛ فقال ابن خالويه : أشْجَع أشعر ، إذا قال فى هارون الرشيد[٧] :

وعلى عدُوِّك يابْنَ عمِّ محمد   رَصَدان : ضَوْءُ الصبح والإظلامُ

فإذا تنَبّه رُعْتَهُ وإذا غفا   سَلَّتْ عليه سُيُوفَكَ الأحلامُ

فقال المتنبى : لأبى نواس ما هو أحسن فى بنى برْمَكَ[٨] :

لم يَظْلِمِ الدهرُ إذ توالتْ   فيهمْ مُصيباتُهُ دِرَاكَا

كانوا يُجيرونَ مَنْ يُعادِى   منهُ فعاداهمْ لِذَاكَا

---

(١) هذا البيت من الميمية السابقة : على قدر أهل العزم . . . والمخاطب به سيف الدولة ونصه كما فى الديوان :

نثرتهم فوق الأحيدب كله   كما نثرت فوق العروس الدراهم

والضمير فى : نثرتهم يعود على جيش الروم والأحيدب : جبل . وكأن المتنبى قد أجرى البيت على لسانه مدحاً لنفسه .

* ما بين المعقوفين فى هذه الصفحة وسابقتها ساقط من سائر النسخ .

(٢) سائر النسخ : وقال . بزيادة واو .

(٣) هو أبو القاسم عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك أحد الشعراء المجيدين المكثرين توفى ببغداد سنة ٤١٠ هـ وقد لقى المتنبى فى حلب حينما كان المتنبى مختصاً بسيف الدولة .

(٤) كان وزير سيف الدولة ونديمه وأصله من خراسان مات بحلب فى حياة سيف الدولة سنة ٣٥٢هـ.

(٥) تقدمت ترجمته فى ص ٧٩ .

(٦) شاعر عباسى نشأ بالبصرة معدود من الفحول وقد انقطع إلى البرامكة ومدحهم وبهم اتصل بالرشيد وله فيه المدائح السنية .

(٧) هو أحد الخلفاء العباسيين المشهورين بالفضل والفصاحة والكرم كان يحب الشعراء ويميل إلى أهل الأدب والفقه بويع بالخلافة سنة ١٧٠ هـ وتوفى بطوس سنة ١٩٣ هـ .

(٨) هم من أهل فارس عميدهم خالد بن برمك وابنه يحيى وولده الفضل وجعفر اللذان وزرا للرشيد وقد ذاع صيت البرامكة فى الكرم والفصاحة والفضل حتى خيف على الدولة من نفوذهم فقتلهم الرشيد .

الأسباب التى أوجبت مفارقته سيف الدولة

قال عبدُ المحسن علىّ ابن كوجَك[١] : إن أباه حدثه قال : كنتُ بحضرة سيف الدولة وأبو الطيب اللغوى[٢]، وأبو الطيب المتنبى ، وأبو عبد الله بن خالويه النحوىّ ، وقد جرَتْ مسألة فى اللغة تكلم فيها ابنُ خالويه مع أبى الطيب اللغوىّ، والمتنبى ساكت ، فقال له سيف الدولة : ألا تتكلم يا أبا الطيب ، فتكلم فيها بما قوَّى حجة أبى الطيب اللغوىّ ، وضعَّف قول ابن خالويه .

فأخرجَ من كُمه مِفتاحاً حديداً ليلكُمَ به المتنبى ، فقال له المتنبى : اسكت ويْحَك ، فإنك أعجمىّ ، وأصلُك خُوزىّ[٣] ، فما لك وللعربية ؟ فضرب وجه المتنبى بذلك المِفتاح فأسال دمه على وجهه وثيابه ، فغضب المتنبى من ذلك ، إذ لم ينتصر له سيْف الدولة لا قولا ولا فعلا ، فكان ذلك أحدَ أسباب فِراقِه سيفَ الدولة .

قال ابن الدَّهان[٤] فى المآخذ الكِنْدِيَّة من المعانى الطائية : إنه قال أبو فراس[٥] لسيف الدولة : إن هذا المتمشدق[٦] كثير الإدلال عليك ، وأنتَ تعطيه كل

---

(١) حـ ، د ، هـ : كيوجك ، ب : عبد المحسن بن على بن كوجك . مات سنة ٤١٦ هـ ، وقد روى معلومات عن أبيه الذى مات سنة ٣٥٩ هـ والذى عرف المتنبى شخصياً فى حلب .

(٢) أبو الطيب اللغوى : عبد الواحد بن على الحلبى صاحب التصانيف الجليلة أصله من عسكر مكرم قدم حلب وأقام بها إلى أن قتل فى دخول الدمستق سنة ٣٥١ هـ .

(٣) الخوز : أهل خوزستان ونواحى الأهواز بين فارس والبصرة وواسط ، ويقال إن معنى الخوز الفعلة ، ويقال إنهم ألأم الناس وأسقطهم نفساً . روى أن كسرى كتب إلى بعض عماله : ابعث إلى بشر طعام على شر الدواب مع شر الناس فبعث إليه برأس سمكة مالحة على حمار مع خوزى . وروى عن على أنه قال ليس فى ولد آدم شر من الخوز . ولم يكن منهم نجيب . ياقوت .

(٤) ابن الدهان هو أبو محمد سعيد بن المبارك البغدادى كان عالماً فاضلا نبيها نبيلا ، له معرفة كاملة بالنحو ، وباع مبسوطة فى الشعر (٤٩٤ — ٥٦٩) هـ وتوفى بالموصل وله كتاب اسمه الرسالة السعيدية فى المآخذ الكندية من المعانى الطائية ، ويريد بالمآخذ الكندية ما سرقه أبو الطيب المتنبى وسماها الكندية لأن المتنبى كندى ويريد بالمعانى الطائية معانى أبى تمام لأنه طائى . وهذه الرسالة مفقودة كبقية كتبه .

(٥) أبو فراس من أسرة بنى حمدان وابن عم سيف الدولة وكان فريد عصره فى الأدب والكرم والشجاعة ، وله شعر جيد سهل . وقال الصاحب بن عباد : بدئ الشعر بملك وختم بملك يعنى بالأول امرأ القيس وبالثانى أبا فراس ، وكان المتنبى يشهد له ويخشاه ، مات قتيلا سنة ٣٥٧ هـ .

(٦) حرفت فى سائر النسخ .

سنة ثلاثة آلاف دينار ، عن[١] ثلاث قصائد ، ويمكن أن تفرّق مائتى دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره ، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام ، وعمل فيه ، وكان المتنبي غائباً ، وبلغته القصة فدخل على سيف الدولة ، وأنشد :

آلا ما لسيفِ الدولةِ اليومَ عاتبا   فَداه الورى أمضَى السيوفِ مَضاربَا
ومالى إذا ما اشتقتُ أبصرتُ دونَه   تنائفَ لا أشتاقُها وسباسِبا[٢]
وقد كان يُدْنى مَجْلسِى من سمائه   أحادِثُ فيها بدرَها والكواكبا
حنانَيْك مسئولا ولبّيك داعِياً   وحسبِىَ موهوباً وحسبُكَ واهبَا[٣]
أهذا جزاءُ الصدقِ إن كنتُ صادقًا   أهذا جزاء الكذْب إنْ كنتُ كاذبا
وإن كان ذنبي كلَّ ذنب فإنه   محا الذّنبَ كُلَّ المحومن جاء تائبَا[٤]

فأطرقَ سيفُ الدولة ولم ينظر إليه كعادته ، فخرج المتنبى من عنده متغيرًا ، وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا فى الوقيعة فى حق المتنبى ، وانقطع يعمل القصيدة التى أولها :

واحر قلباهُ ممّن قلبه شَبِمُ   ومَنْ بجسمى وحالِى عنده سَقَمُ[٥]

---

(١) ا ، ب : عن . حـ ، د ، هـ : على .

(٢) التنائف جمع تنوفة وهى المفازة الواسعة . السباسب : الفلوات .

(٣) حنانيك : كلمة استعطاف أى حناناً بعد حنان .

(٤) جاء فى ديوان المتنبى طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر فى سبب إنشاد هذه القصيدة كلام طويل نجمله فيما يأتى : كان سيف الدولة يغضب إذا تأخر عنه مدح المتنبى ؛ فكان يغرى من يتعرض له بما لا يحب ، وكان المتنبى يقابل هذا بالإعراض والمبالغة فى التمنع فيزيد ذلك من غيظ سيف الدولة ، ولما زاد الأمر وتكرر هذا الفعل إضطر المتنبى أن ينشد سيف الدولة فى محفل من العرب والعجم قصيدته التى مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبه شبم   ومن بجسمى وحالى عنده سقم

(وستأتى بعد) وفيها من الإدلال ، والفخر بنفسه ، والتعريض بشانئيه ما زاد حفيظتهم عليه حتى قال أحدهم لسيف الدولة : اتركنى أسعى فى دمه ، ثم أرصدوا له رجلا ليغتالوه ، ولكنه نجا منهم بشجاعته ، فاستعانوا بأبى العشائر فأرسل عشرة من غلمانه وقفوا بباب سيف الدولة ، وأرسلوا إلى أبى الطيب على لسان سيف الدولة ليحضر لعلهم يظفرون به ، ولكنه نجا أيضاً ، واتصل فى اليوم الثانى بسيف الدولة الذى أظهر أنه لم يكن على علم بكل ما دبر للمتنبى وأنشده هذه القصيدة : « ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا »

(٥) شبم : بارد . ومعنى البيت : أنه يندب حظه مع من لا يأبه له مع شغفه به ويقول : إنه عليل الجسم لفرط ما يعانى سقيم الحال عنده لفساد اعتقاده فيه

وجاء وأنشدها ، وجعل يتظلم فيها من التقصير فى حقه كقوله :

مالى أكتمُ حُبًّا قدْ برى جَسَدى * وتدَّعى حبَّ سيف الدَّولة الأممُ
إن كان يجمعنا حُبٌّ[1] لغُرَّته فليت أنَّا بقدر الحبّ نَقتسمُ
قد زرتُهُ وسيوفُ الهند مُغْمَدَةٌ وقد نظرتُ إليه والسيوفُ دَمُ

فهم جماعة بقتله فى حضرة سيف الدولة ؛ لشدة إدلاله وإعراض سيف الدولة عنه ، فلما وصل فى إنشاده إلى قوله :

يا أعدلَ الناسِ إلاّ فى معاملتى فيكَ الخِصامُ وأنتَ الخَصْمُ والحَكَمُ

ما جرى بين المتنبي وأبى فراس

فقال أبو فراس : مسختَ قول دِعبل[2] وادّعيته وهو :

ولستُ أرجو انتصافاً منك ما ذَرَفَتْ عينى دموعاً وأنتَ الخصمُ والحكَمُ

فقال المتنبي :

أعيذُها نظراتٍ منكَ صادقةً أن تحسَبَ الشحمَ فيمنْ شحمُه وَرَمُ

فعلم أبو فراس أنه يَعنيه ؛ فقال : ومن أنت يا دَعيَّ كِنْدة حتى تأخذ أعراض أهل الأمير فى مجلسه ؟ فاستمر المتنبي فى إنشاده ولم يردّ إلى أن قال :

سيعلمُ الجمعُ ممن ضمَّ مجلسُنا بأننى خيرُ من تسعى به قَدَمُ
أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعتْ كلماتى مَن به صممُ [3]

فزاد ذلك غيظاً فى أبى فراس ، وقال : سرقتَ هذا من عمرو بن عُروة بنِ العبد[4] فى قوله :

أوضحتُ من طُرُق الآداب ما اشتكلتْ دهرًا وأظهرتُ إغرابا وإبداعا

---

(١) ا ، ب ، حـ : إن كان يجمعنا حبا . . .

(٢) كان شاعراً جيد الشعر مولعاً بالهجاء ، ولد بالكوفة وأقام ببغداد وتوفى سنة ٢٦٤ هـ .

(٣) كان المعرى إذا أنشد هذا البيت قال : أنا الأعمى . . .

(٤) عمرو بن عروة بن العبد الكلبى : ذكره العميدى فى الإبانة ص ٥ ، ولم نعثر على هذا الاسم بنصه وإنما رأينا فى معجم الشعراء ص ٢٣٨ من اسمه : عمرو بن عروة بن الفداء الكلبى الإجدارى ، ولا ندرى أهو المقصود أم غيره ؟

حتى فتحتُ بإعجاز خُصِصْتُ به ... للعُمْىِ والصُّمِّ أبْصاراً وأسْماعَا

ولما وصل إلى قوله :

والخيلُ والليلُ والبيْداء تعرفنى ... والحرب والضرب والقرطاسُ والقلمُ [١]

قال أبو فراس : وما أبقيتَ للأمير ، إذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة ، والرياسة والسماحة ، تمدح نفسك بما سرقته من كلام غيرك وتأخذ جوائز الأمير ؟ أما سرقت هذا من [قول][٢] الهيثم بنِ الأسود النَّخَعِىِّ الكُوفىِّ المعروف بابن العريان العثمانى[٣] ، وهو :

أعاذلتى كم مَهمه قد قطعتُهُ ... أليفَ وُحوش ساكناً غيرَ هائبِ
أنا ابنُ الفَلا والطعنِ والضربِ والسُّرَى ... وجُرْدِ[٤] المَذاكِى والقَنا والقواضبِ
حليمٌ وَقورٌ فى البوادى[٥] وهيبتى ... لها فى قلوب الناس بطشُ الكتائبِ

فقال المتنبى :

وما انتفاعُ أخِى الدُّنيا بناظره ... إذا استوتْ عندَه الأنوارُ والظُّلَمُ

قال أبو فراس : وسرقت هذا من مَعْقِلِ العِجْلىِّ [٦] ، وهو :

إذا لم أُميِّز بين نورٍ وظُلْمة ... بعينىَّ فالعَينان زُورٌ وباطِلُ

ولمحمد[٧] بن أحمد بن أبى مرة المكى مثله ، وهو :

إذا المرءُ لم يدركْ بعينيه ما يُرَى ... فما الفرق بين العُمْىِ والبُصَراء

---

(١) الديوان : والسيف والرمح والقرطاس والقلم . وقد سبقه أبو عبادة إلى هذا المعنى فقال :

اطلبـا ثالثـاً سواى فإنى ... رابع العيس والدجى والبيـد

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) كان إلى شاعريته من رواة الحديث (ذكره الخزرجى فى الخلاصة) .

(٤) سائر النسخ : جود المذاكى . تحريف .

(٥) حـ ، د ، هـ : البلاد .

(٦) معقل العجلى : هو معقل بن عيسى أخو أبى دلف العجلى قال عنه ابن النديم : شاعر مقل (الفهرست ٢٣٤ طبعة مصر) وانظره فى الإبانة للعميدى ١٨ ، ٣٣ .

(٧) هـ : ومحمد بإسقاط اللام قبله وهو شاعر متوكلى يلقب بشمروخ وأكثر شعره فى الغزل . انظر معجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٣٨ .

وغضبَ(١) سيفُ الدولة من كثْرة مناقشته فى هذه القصيدة ، وكثْرةِ دعاويه فيها ، وضربه بالدواة التى بين يديه ، فقال المتنبى فى الحال :

إن كان سَرَّكُمُ ما قال حاسدُنا فما لجرْحٍ إذا أرضاكُمُ ألَمُ

فقال أبو فراس : أخذتَ هذا من قول بشار(٢) :

إذا رضيتُمْ بأن نُجفَى وسَرَّكُمُ قولُ الوُشاةِ فلا شكْوَى ولاضَجَر

ومثله لابن الرومى(٣) وهو :

إذا ما الفجائعُ أكسبننى رضاك فما الدهرُ بالفاجع

فلم يلتفت سيف الدولة إلى ما قاله أبو فراس ، وأعجبه بيت المتنبى ، ورضى عنه فى الحال ، وأدناه إليه ، وقبَّل رأسه ، وأجازه بألف دينار ، ثم أردفهُ بألف أخرى ، فقال المتنبى :

جاءتْ دنانيرُك مختومةً عاجلةً ألفًا على ألْفِ
أشْبَهها فعلُكَ فى فيْلَق قلبتَهُ صفًّا على صَفٍّ *

وفى آخر هذه(٤) القصيدة يقول :

شر البلادِ مكانٌ لا صديق بهِ وشرُّ ما يكسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ
وشَرُّ ما قنصتْهُ راحتى قَنَصٌ شُهْبُ البُزَاةِ سواءٌ فيه والرَّخَمُ

البيت[الثانى(٥)]مأخوذ من أبيات لصاحب العَلَوىّ الداعى بطبرَسْتان :

أنا من جناب سواك فى مرْعًى نَدٍ وأقيمُ عندكَ فى جنابٍ مُجْدِبِ
إن كنتَ ذا بصر فيِّزْ فضلَ ما بين الفَراء وبين صيدِ الأرنبِ

---

(١) ح ، ه : فغضب .

(٢) شاعر مشهور أجمعت الرواة على تقدمه طبقات المحدثين الجيدين من الشعراء وهو من شعراء الدولتين الأموية والعباسية توفى سنة ١٦٧ ه .

(٣) هو الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب كان إذا أتى بمعنى لا يتركه حتى يستوفيه توفى سنة ٢٨٣ ه .

* أغلب ظننا أن فى هذه القصة مبالغة مصنوعة .

(٤) « هذه » ساقطة من : ح ، د ، ه .

(٥ ، ٥) جميع النسخ الأول فى مكان الثانى والثانى فى مكان الأول ولكن الشاهدين المذكورين فى =

فجعل موضع الفَـرَاء البازَ الأشهب ، وموضع الأرنب الرخم ، [الأول] [٥] من قول محمد بن عيَيْنة المهلبيّ من قصيدة أولها :

* دُمْيةٌ قَفْرةٌ وربعٌ جديبُ *

لا تثق بالكذوب واعلمْ يقينا   أن شر الرجال عندى الكذوبُ
لى وفاء مَحْضٌ وكف جواد   وجلالٌ بادٍ ورأىٌ صَليبُ
أخبثُ الأرض ما خلتْ من صديق   وأضرُّ الأفعال فعلٌ مَعيبُ

تعاظم المتنبى مع دناءة نفسه

وحكى أبو الفرج الببغاء [١] قال : كان أبو الطيب يأنس بى ، ويشكو من سيف الدولة ، ويأمنى على غِيبته له ، وكانت الحال [٢] بينى وبينه عامرةٌ دون باقى الشعراء ، وكان سيف الدولة يغتاظ من تعاظمه ، ويجفو عليه إذا كلمه ، والمتنبى يجيبه فى أكثر الأوقات ، ويتغاضَى فى بعضها . قال أبو الفرج الببغاء : وأذكر ليلة وقد استدعى سيف الدولة ببَدْرة [٣] فشقها بسكين الدواة ، فمد أبوعبدالله ابن خالويه طيْلَسانَهُ فحثا [٤] فيه سيف الدولة صالحاً [٥] ، ومددتُ ذيل دُرَّاعتى [٦] فحثا لى جانبًا ، والمتنبى حاضر ، وسيف الدولة ينتظر منه أن يفعل مثل فعلنا ، فما فعل ، فغاظه ذلك ، فنثرها كلها على الغِلمان ، فلما رأى المتنبى أنها قد فاتته زَاحَم الغِلمان يلتقط معهم ، فغَمزَهم عليه سيف الدولة ، فداسوه وركبوه ، وصارت عمامته فى رقبته ، فاسْتحَى ومضت به ليلة عظيمة ، وانصرف فخاطب أبو عبد الله بن خالويه سيف الدولة فى ذلك ، فقال : يتعاظم تلك العظمة ، وينزل إلى مثل هذه المنزلة لولا حماقتُهُ .

= المثالين يدلان على العكس . والفراء بفتح الفاء حمار الوحش .

(١) أبو الفرج الببغاء : هو عبد الواحد بن نصر المخزومى الشاعر المشهور والكاتب المجيد – كان من كتاب سيف الدولة وشعرائه وهو ممن يجيد وصف المعارك الحربية مات سنة ٣٩٨ هـ . وكان صديقاً للشاعر .

(٢) « الحال » ساقطة من بقية النسخ .

(٣) البدرة : عشرة آلاف درهم .

(٤) حثا : من باب عدا ورى يقصد أنه حفن له .

(٥) صالحاً : أى قدراً صالحاً .

(٦) الدراعة : ثوب من صوف .

وحكى أن أبا الطيب المتنبيّ دخل مجلس ابن العميد [1] ، وكان يستعرض سيوفاً ، فلما نظر أبا الطيب نهض من مجلسه ، وأجلسه فى دَسته ، ثم قال له : اختر سيفاً من هذه السيوف ، فاختار منها واحداً ثقيلَ الحلَى ، واختار ابن العميد غيره . فقال كل واحد منهما : سيفى الذى اخترته أجود ، ثم اصطلحا[2] على تجربتهما . فقال ابن العميد : فبماذا نجربهما ؟ قال أبو الطيبَ فى الدنانير يؤتى بها ، فيُنْضد بعضها على بعض ، ثم يضرب به ، فإن قدَّها فهو قاطع ؛ فاستدعى ابنُ العميد عشرين ديناراً فنُضِّدت ، ثم ضربها أبو الطيب فقدّها ، وتفرقت فى المجلس ، فقام من مجلسه المفخم يلتقط الدنانير المتبددة فقال ابن العميد : ليلزم الشيخ مجلسه ، فإن أحد الخُدَّام يلتقطها ويأتى بها إليك. فقال : بل صاحب الحاجةِ أولى . وحكى أبو بكر الخُوَارَزْمِيّ أن المتنبى كان قاعداً تحت قول الشاعر :

وإن أحقّ الناس باللّوم شاعرٌ ... يلومُ على البخل الرجالَ ويبخلُ

وإنما أعرب عن طريقته وعادته بقوله :

بليتُ بِلَى الأطلال إنْ لم أقفْ بهـا ... وقوفَ شحيح ضاع فى التُّرب خاتَمُه

قال : وحضرتُ عنده يوماً وقد أحضِرَ مالٌ[3] بين يديه من صِلات سيف الدولة على حَصير قد فرشه ، فوُزِنَ وأعيد إلى الكيس ، وتخلَّلت قطعة كأصغر ما يكون خِلال[4] الحصير ، فأكبَّ عليها بمجامعه يعالج[5] ليستنقذها منه ، واشتغل عن جلسائه حتى توصل إلى إظهارها ، وأنشد قول قيس بن الخطيم[6] :

---

(١) ابن العميد هو الوزير أبو الفضل محمد بن العميد نبغ فى الأدب وعلوم الفلسفة والنجوم ، وقد برز فى الكتابة حتى صار صاحب مدرسة فى الإنشاء وحتى قيل : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد توفى سنة ٣٦٠ هـ .

(٢) حـ : ثم اصطلحوا . هـ : واصطلحوا .

(٣) سائر النسخ : أحضر مالا .

(٤) حـ ، د ، هـ : بين خلال .

(٥) ساقطة من : حـ ، د ، هـ .

(٦) قيس بن الخطيم شاعر جاهلى كان يعاصر حسان بن ثابت ، وكان حسان شاعر الخزرج ، وقيس شاعر الأوس ، وكان جيد الشعر شهد له شعراء عصره بالإجادة والتقدم ، أدرك الإسلام ولم يسلم ومات قبل الهجرة .

تبدَّتْ لنا كالشمس تحت غمامةٍ بَدَا حاجبٌ منهـا وضَنَّتْ بحاجِبِ

ثم استخرجها ، فقال له بعض جلسائه : أما يكفيك ما فى هذه الأكياس حتى أدميتَ إصبعك لأجل هذه القطعة ؟ فقال : إنها تُحْضر المائدة .

وحكى علىّ بن حمزة(١) البصرىّ قال : بلَوْتُ من أبى الطيب ثلاث(٢) خِلال محمودة ؛ وتلك أنه ما كذب ، ولا زنى ، ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث(٢) خِلال ذميمة ؛ وتلك (٣) أنه ما صام ، ولا صلى ، ولا قرأ القرآن ، وقال ابن فُورَّجَة(٤) فى كتاب : التجنى على(٥) أبى العلاء المعرىّ ، عن رجل من أهل الشام ، كان يتوكل لأبى الطيب فى داره يُعْرَف بأبى سعيد * قال : دعانى أبو الطيب يوماً ونحن بحلَب ، ولم أكن أعرف منه الميل إلى اللهو مع النساء ولا الغِلمان فقال لى : أرأيتَ الغلام ذا الأصداغ الجالسَ إلى حانوتِ كذا من السوق ؟ وكان غلاماً وسيماً فحَّاشا(٦) ، فيما هو سبيلُه ، فقلت : نعم أعرفه . قال : فامض وأتنى به ، واتخذ دعوة وأنفقْ وأكثر ، وكنتُ أستطلعُ رَأيه فى جميع ما أنفق ، فمضيت واتخذت له ثلاثة ألوان من الأطعمة ، وعِدَّةَ صَفَحات

---

(١) على بن حمزة أحد الأعلام الأئمة فى الأدب روى عنه أبو الفتح بن جنى شيئاً من أخبار المتنبى لأن المتنبى لما ورد بغداد نزل عليه ضيفاً إلى أن رحل عنه . معجم الأدباء لياقوت ١٣ : ٢١٠ توفى سنة ٣٧٥ هـ .

(٢، ٢) كذا فى هـ . وفى ا ، ب و حـ ، د : ثلاثة تحريف .

(٣) حـ ، د ، هـ : ذلك .

(٤) فى فوات الوفيات جـ ٢ ص ١٩٨ ما نصه : محمد بن حمد بن فورجة بالفاء المضمومة وبعد الواو والزاى جيم مشددة البروجردى : وفى بغية الوعاة ص ٣٩ أنه محمد بن حمد بن محمد بن محمود بن فورجة بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المهملة وفتح الجيم ، وفى معجم الأدباء جـ ١٨ ص ١٨٨ ضبطه كما فى بغية الوعاة ، وعليه هامش يشير فيه إلى ضبط فوات الوفيات ثم يقول : فليتأمل هذان الضبطان . واقرأ إنباه الرواة جـ ١ ص ٣٣٤ لترى رأياً جديداً فى اسمه . وابن فورجة أديب فاضل مصنف من كتبه الفتح على أبى الفتح والتجنى على ابن جنى يرد فيهما على ابن جنى فى شرح شعر المتنبى ، وسيأتى ذكرهما فى شروح الديوان ، مولده فى ذى الحجة ٣٣٠ هـ .

(٥) سائر النسخ : عن والمعروف أن كتابه التجنى على ابن جنى لا على أبى العلاء المعرى .

* سيأتى ذكره بعد قليل بأنه الحسن بن سعيد راوية المتنبى بحلب كما فى ذكرى المتنبى لعزام ص ١٩ والمفهوم هنا أنه كبير خدم المتنبى .

(٦) سائر النسخ : فحالتنا وهو تحريف .

من الحلوى ، واستدعَيْتُ الغلام ، فأجاب ، وأنا مُتَعجب من جميع ما أسمع منه ، إذ لم تَجْرِ له عادة فى مثله ، فعاد أبو الطيب من دار سيف الدولة آخر النهار وقد حضر الغلام ، وفُرغ من اتخاذ الطعام ، فأكلا وأنا ثالثهما ، ثم جَنّ الليل ، فقدمت شمعة ، ومرفع(١) دفاتره ، وكانت تلك عادته كلّ ليلة ، فقال : أحضرْ لضيفك شرابًا ، واقعد إلى جانبه ونادمه ، ففعلت ما أمرنى به . كلُّ ذلك وعينه إلى الدفتر ، يدرُسُ ولا يلتفت إلينا إلا فى حين بعد حين ، فما شربنا إلا قليلا حتى قال : افرش لضيفك ، وافرش لنفسك ،وبتْ ثالثنا ، ولم أكن قبل ذلك أبايتُهُ فى بيته ؛ ففعلت وهو يدرس ، حتى مضى من الليل أكثره ، ثم أوى إلى فراشه ونام . فلما أصبحنا قلت له : ما يصنع ؟ فقال احبُهُ واصرفهُ فقلت له : وكم أعطيه ؟ فأطرق ساعة ؛ ثم قال : أعطه(٢) ثلثمائة درهم . فتعجَّبْتُ من ذلك ، ثم جسرت نفسى ، فدنوت منه ، وقلت له : إنه ممن يجيب بالشىء اليسير ، وأنت لم تنل منه حظًّا . فغضب ثم قال : أتظننى من أولئك الفسَقة ؟ أعطه ثلثمائة درهم ، ولينصرف راشدًا . ففعلت ما أمرنى به ، وصرفته .

قال ابن فُورَّجَة : كان المتنبى داهية مُرَّ النفس(٣) شجاعًا حافظًا للأدب ، عارفًا بأخلاق الملوك ، ولم يكن فيه ما يَشينه ويسقطه(٤) إلا بخله وشرهه على المال .

وقال أبو البركات بن أبى الفرج المعروف بابن زيد(٥) التِكريتى الشاعر ، قال : بلغنى أنه قيل للمتنبى قد شاع عنك من البخل فى الآفاق ما قد صار سمرًا بين الرفاق ، وأنت تمدح فى شعرك الكرم وأهله ، وتذم البخل وأهله ، ألست أنت القائل :

ومن يُنْفِقِ الساعات فى جمعِ مالِهِ ... مخافةَ فقْرٍ فالذى فعلَ الفقرُ

ومعلوم أنّ البخل قبيح ، ومنك أقبح ؛ لأنك تتعاطى كِبْر النفس ، وعلوّ الهِمة ، وطلَب المُلْك ، والبخل ينافى سائر ذلك . فقال : إن لبخلى سببًا ،

---

(١) ج ، د ، هـ : وأمر برفع دفاتره .

(٢) ب ، أنطه بمعنى أعطه فى لغة اليمن .

(٣) ب ، د ، هـ : اللسان بدل النفس .

(٤) ساقطة من هـ .

(٥) هو أبو البركات محمد بن أحمد بن زيد التكريتى المعروف بالمؤيد ، ذكره أبو شامة فى وفيات سنة ٥٩٩ هـ وقال : كان أديبًا فاضلا شاعرًا ، انظر جـ ٣ من إنباه الرواة ص ٢٥٥ وهامشها .

وذلك أنى أذكر وقد وردتُ فى صِباىَ من الكوفة إلى بغداد ، فأخذت خمسة دراهم فى جانب منديلى ، وخرجت أمشى فى أسواق بغداد ، فررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة ، فرأيت عنده خمسة[1] من البِطّيخ باكورة ، فاستحسنتها ونويت أشتريها بالدراهم التى معى ، فتقدمت إليه وقلت : بكم تبيع هذه الخمسة بطاطيخ ، فقال : بغير اكتراث : اذهبْ ، فليس هذا من أكلك ، فتماسكت معه وقلت : أيها الرجل دع ما يغيظ واقصد الثمن ، فقال : ثمنها عشرة دراهم . فلشدة ما جبهنى به ما استطعت أن أخاطبه فى المساومة ، فوقفت حائراً ؛ ودفعت له خمسة دراهم ، فلم يقبل ، وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان ، ذاهباً إلى داره ، فوثب إليه صاحب البطيخ من دكانه ، ودعا له ، وقال له[2] : يا مولاى ، هذا[3] بطيخ باكور ، بأجارتك أحملُه إلى منزلك . فقال الشيخ : ويحك بكم هذا ؟ قال : بخمسة دراهم . فقال : بل بدرهمين . فباعه الخمسة بدرهمين ، وحملها إلى داره ، ودعا له ، وعاد إلى دكانه مسروراً بما فعل ، فقلت له : يا هذا ، ما رأيت أعجبَ من جهلكَ ، استمتَ[4] علىّ فى هذا البطيخ ، وفعلتَ فَعلتك التى فعلت ، وكنتُ قد أعطيتُكَ فى ثمنه خمسة دراهم ، فبعتَهُ بدرهمين محمولا . فقال : اسكت هذا يملك مئة ألف دينار . فعلمت أن الناس لا يكرمون أحداً إكرامهم مَنْ يعتقدون أنه يملك مئة ألف دينار ، وأنا لا أزال على ما تراه حتى أسمع الناس يقولون : إن أبا الطيب قد ملك مئة ألف دينار .

قلت وقع فى شعر أبى الطيب الوصيةُ بالحزم ، وضبط الأموال ، كقوله فى قصيدته التى أولها :

أودُّ مِنَ الأيام ما لا تَوَدُّهُ ... وأشكو إليها بيننا[5] وَهْىَ جُنْدُهُ
يُباعِدْنَ حِبًّا يجتمعن ووصلُهُ ... فكيف بحِب يجتمعن وَصَدُّهُ[6]

(١) كذا فى جميع النسخ والصواب إسقاط التاء .
(٢) له سقطت من سائر النسخ .
(٣) سائر النسخ : هابطيخ .
(٤) استمت : غاليت .
(٥) الديوان بيننا بمعنى فراقنا .
(٦) الحب : المحبوب والمعنى أن الأيام تباعد عنى حبيباً ووصله موجود فكيف أطمع فى حبيب صده موجود ؟

أبى خُلُقُ الدنيا حبيبًا تُديمُهُ ... فما طلبى منها حبيباً تردّهُ

إلى أن قال :

وأتعبُ خلقِ الله من زاد همُّهُ ... وقصَّرعما تشتهى النفس جُهْدُهُ(١)

فلا ينحللْ فى المجد مالُكَ كلُّه ... فينحلَّ مجد كان بالمال عَقْدُه

ودبِّرهْ تدبيرَ الذى المجدُ كفُّه ... إذا حارب الأعداء والمالُ زَنْدُهُ(٢)

فلا مجدَ فى الدنيا لمنْ قلَّ مالُهُ ... ولا مالَ فى الدنيا لمن قلَّ مَجْدُهُ

فأمر (٣) كافوراً بالبخل، حيثُ حرمه، وسلك فى ذلك مسلك كُثَيِّر عَزَّة (٤) فإنه دخل على هشام (٥) بن عبد الملك ، وكان بخيلا ، فمدحه ، فلم يُثِبْه ، فقال كُثَيِّر يخاطبه بقوله :

إذا المال لم يوجب عليك عطاءَهُ ... صنيعةُ تَقْوَى أوخليل(٦) توافقُه(٧)

(٨منعتَ وبعضُ المنع٨) حَزْمٌ وقوة ... ولم يفتلذك المال(٩) إلا حقائقُه(١٠)

---

(١) الديوان : وجده وهى أشهر . هـ : جده .

(٢) يقول : دبر مالك تدبير من إذا قاتل أعداءه جعل المجد بمنزلة كف له يضربهم بها ، والمال بمنزلة الساعد الذى تعتمد عليه الكف فى الضرب يريد أنه بمجده وسيادته يقود الجيوش ، و بماله يجهزها ، وينفق عليها ، فالمجد والمال قرينان متلازمان لا يستقل أحدهما بدون الآخر كما بين ذلك فى البيت التالى :

« فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله . . . »

(٣) حـ ، د ، هـ : يصف بدل « فأمر » .

(٤) كثير عزة من شعراء الغزل فى العصر الأموى توفى بالمدينة سنة ١٠٥ هـ .

(٥) هشام بن عبد الملك أحد خلفاء بنى أمية توفى سنة ١٢٥ هـ .

(٦) حـ : صديقا

(٧) كذا فى « ا » وديوان كثير المطبوع بالجزائر سنة ١٩٣٠ . وفى سائر الأصول : توامقه . وفى الشعر والشعراء لابن قتيبة طبعة ليدن ١٩٠٤ : تخالقه . ومعنى توامقه : توده ويودك

(٨ — ٨) كذا فى الأصول والشعر والشعراء والديوان، ونبه ناشراها على أن هناك رواية أخرى هى:

« بخلت وبعض البخل . . . »

(٩) كذا فى الشعر والشعراء ، وديوان كثير ، ولسان العرب (فلذ) ومعنى يفتلذك يأخذ من مالك فلذة أى قطعة . وفى جميع أصول الصبح : يقتلدك . تحريف وفى العقد : « ولم يستلبك » . ومعنى البيتين : إذا كان العطاء لا يوجب عليك حقاً لله أو حقاً لصديق منعت ، وكان ذلك المنع حزماً وقوة و بنا المجد، ولا يهمك من بناء المجد إلا أن تحصل على حقيقته .

(١٠) و بعد هذين البيتين فى الشعر والشعراء والديوان بيت ثالث هو :

فبورك ما أعطى ابن ليلى بنية ... وصامت ما أعطى ابن ليلى وناطقه =

فقيل لكثير : ما حملك على أن تُعلم أميرَ المؤمنين البخل ، فقال : إنه منعني من رِفْده ، وآملني بردّه ، فأردت أن أحبّبَ إليه المال ، فيمنعَ غيرى كما منعني ، فيتفقَ الناس على ذمه .

وأحسن قصائد أبي الطيب في سيف الدولة ، وتراجعَ شعرُه بعد مفارقته ، وسُئل عن سبب ذلك فقال : قد تجوَّزتُ في قولي، وأعفيتُ طبعي، واغتنمتُ الراحة[1] منذ فارقت آل حمدان وفيهم من يقول :

تُسائلني من أنْت وهْيَ عليمة ... وهل بفتًى[2] مثلي على حاله نُكْرُ
فقلتُ كما شاءتْ وشاء لها الهوَى ... قتيلُكِ قالَتْ أيهم فهمُ كُثْرُ
فقلتُ لها لو شئْتِ لم تتَعنَّتي ... ولم تسألي عني وعندَكِ بي خُبْرُ
فقالتْ لقد أزْرى بكَ الدّهر بَعْدَنا ... فقلتُ معاذَ الله بل أنْتِ والدهرُ[3]
وما كان للأحزان لولاكِ مسلكٌ ... إلى القلبِ لكنَّ الهوى للبلى جسْرُ
وتَهلِكُ بين الهزل والجد[4] مهجةٌ ... إذا ما عداها البينُ عذّبها الهجرُ
فأيقنْتُ أن لا عِزَّ بعدي[5] لعاشق ... وأنَّ يدى مما علِقْتُ به صِفْرُ
وإني لنزالٌ بكل مخوفَة ... كثيرٌ إلى نُزَّالها النظر الشزرُ
وإني لجرَّارٌ لكل كتيبة ... معودة ألاَّ يُخِلَّ بها النصرُ
وأظمأ حتى ترتوِى البيضُ والقنا ... وأسغبُ حتى يشبعَ الذئبُ والنسرُ

= وقال ابن قتيبة قبلها : ولعبد العزيز يقول كثير ، وروى الكامل البيتين دون أن ينسبهما إلى قائلهما ، واستدرك الأخفش عليه أنهما لنصيب أو كثير ثم قال والأول أثبت .

(١) هذا ما ذكره الصبح المنبي وقد وقفنا في شرح العكبرى لهذه القصيدة على علل أخرى ربما كانت أوضح تلك هي ما قاله العكبرى : سألت شيخي أبا الحرم مكي بن ريان الماكسي عند قراءتي عليه الديوان سنة ٥٩٩ هـ ما بال شعر المتنبي في كافور أجود من شعره في عضد الدولة وأبي الفضل ابن العميد فقال : كان المتنبي يعمل الشعر للناس لا للممدوح وكان أبو الفضل بن العميد وعضد الدولة في بلاد خالية من الفضلاء وكان بمصر جماعة من الفضلاء والشعراء فكان يعمل الشعر لأجلهم وكذلك كان عند سيف الدولة بن حمدان جماعة من الفضلاء والأدباء فكان يعمل الشعر لأجلهم ولا يبالي بالممدوح .

(٢) في حـ ، د ، هـ : نعت . تحريف . ب : بفتًى

(٣) كذا في « ا » وفي سائر النسخ والديوان طبعة المعهد الفرنسي بدمشق : لا الدهر .

(٤) كذا في ا ، ب ، حـ . وفي د ، هـ : بين الجد والهزل .

(٥) هـ : بعد بدون ياء المتكلم .

[و][1] يقول :

صبورٌ ولو لم تبق منى بقيـــة قؤولٌ ولو أن السيوفَ جوابُ
وقور وأحداثُ الزمان تنوشنى وللموت حولى جيئة وذهابُ
ستذكر أيامى نُميرُ بن عامر وكعب على عِلاتها وكلابُ
أنا الجار لا زادى بطىءٌ عليهمُ ولا دونَ بابى فى الحوادث باب

يعنى أبا فراس . وفيهم من يقول :

وقد علمت بما لاقتْه منّا قبائلُ يعرب وبنى نِزارِ[2]
لقيناهُمْ بأرماحٍ طوال تبشرهم بأعمار قصارِ

يعنى أبا زهير بن مهلهل بن نصر بن حمدان . وفيهم من يقول :

أ أخا الفوارس لو رأيتَ مواقفى والخيلُ من تحت الفوارس تَنحِطُ[3]
لقرأتَ منها ما تخطّ يدُ الوغى والبيضُ تَشْكلُ والأسنةُ تنقط

يعنى أبا العشائر . قال أبو الفتح بن جنى : كنت قرأت ديوان المتنبى عليه ، فلما وصلت إلى قوله :

أغالبُ فيكَ الشَّوقَ والشَّوقُ أغْلَبُ وأعْجَبُ مِنْ ذا الهجرِ والوصْلُ أعجبُ[4]

فلما انتهيت إلى قوله :

لَحَا الله ذى الدنيا مُناخًا لراكب فكُلُّ بعيدِ الهمِّ فيها معذَّبُ
ألا ليتَ شعْرى هل أقول قصيدةً ولا [5] أشتكى فيها ولا أتعتَّبُ
وبى ما يذودُ الشعرَ عنى أقلُّهُ ولكنَّ قلبى يا ابنة القوم قُلَّبُ[6]

---

(١) الواو ساقطة من « ا » وهى فى سائر النسخ .
(٢) ب ، د ، هـ : فزار . تحريف .
(٣) تنحط : من باب ضرب ومعناه تصوت من الثقل والإعياء .
(٤) يروى فى سبب إنشاد هذه القصيدة أن كافوراً تقدم إلى البوابين وأصحاب الأخبار فكانوا كل يوم يرجفون بأنه قد ولاه موضعاً من الصعيد وغيره وينفذ إليه قوماً يعرفونه ذلك فلما كثر هذا وعلم أن أبا الطيب لا يثق بكلام يسمعه حمل إليه ستمائة دينار ذهباً فقال يمدحه بها .
(٥) الديوان : فلا . (٦) قلب : جيد الحيلة متصرف .

وأخلاقُ كافور إذا شِئتُ مدحَهُ وإن لم أشأ تُملى علىّ وأكتب[١]
إذا ترك الإنسانُ أهلاً وراءه ويمّم كافورًا فما يتغرب

فقلت[٢] له : يَعزُّ علىّ أن يكون هذا الشعر فى ممدوح[٣] غيرِ سَيفِ الدّولة ، فقال: حذّرناه وأنذرناه، فما نفع فيه الحذر ألستُ القائلَ فيه :

أخا[٤] الجودِ أعطِ الناس ما أنتَ مالِكُهْ ولا تُعطِينَّ الناس ما أنا قائِلُ

فهو الذى أعطانى لكافور بسوء تدبيره ، وقِلّة تمييزه[٥] ، وهذا البيتُ من قصيدة له يمدحُ سيفَ الدولة بها ويصِفُ دخولَ رسولِ مَلكِ الرُّوم إليه[٦] ، ولو لم يكن للمتنبى سوى هذه القصيدة لاستحقّ بها فضيلةَ التقدم على كل من تقدمه وهى :

دروعٌ لِمَلْكِ الروم هذى الرسائلُ يردُّ بها عن نفسه ويُشاغِلُ

هذا[٧] أحسن من قول أبى تمام :

غدَا خائفاً يستنجد الكُتْبَ مُذْعِناً إليكَ فلا رُسْلٌ ثنَتكَ[٨] ولا كُتْبُ[٩]

• • •

(١) أخذ هذا المعنى الصاحب بن عباد فقال :

وما هـذه إلا وليـدة ليلة يفـور لها شعر الوليد وينضب
على أنها إملاء مجدك ليس لى سوى أنه يملى على وأكتب

(٢) كذا فى جميع النسخ والصواب حذف الفاء على أنه يمكن تقدير جواب محذوف و : فقلت له . . . معطوف عليه .

(٣) ب ، حـ : ويمدح غير سيف الدولة . د ، هـ : ويمدح به غير سيف الدولة .

(٤) الديوان : أذا الجود . سائر النسخ : أبا الجود .

(٥) يقال إن السبب الذى حمل المتنبى على مفارقة سيف الدولة وخروجه إلى مصر ومدحه كافوراً الأسود : أن سيف الدولة كان يتلون له ، ولا يثبت على حال واحدة ، ويصغى إلى قوم كانوا يغرونه به ، ويقعو فيه دناءة منهم وحسداً له ، فكثر الأذى عليه من جهته فأجمع رأيه على الرحيل من حلب . وفيما سبق من مواقف أبى فراس وابن خالويه وغيرهما من المتنبى وسكوت سيف الدولة عن ذلك دلائل على هذا ، وسيأتى بيان واف عن رحلة المتنبى من حلب إلى مصر ، واتصاله بكافور .

(٦) كان ذلك فى شهر ربيع الأول سنة ٣٤٣ هـ .

(٧) مطبوعة دمشق وهامش التبيان : « وهذا » بزيادة الواو .

(٨) مطبوعة دمشق : تفيد .

(٩) وعندنا أن قول أبى تمام أجود ؛ فقد صرح بالخوف والإذعان ، وأن ما يتوصل به لا يفيد .

هى الزَّرَدُ الضَّافى عليه ولفظُها عليكَ ثناء سابغ وفضائلُ
وأنَّ اهتدَى هذا الرسولُ بأرضه وماسكنتْ مُذْ سِرْتَ فيها القساطل (١)
ومن أىَّ ماء كان يَسْقى جيادَه ولم تَصْفُ من مَزْجِ الدماء المناهلُ

هذا (٢) أيضا أحسن من قول البحترى :

يُغالبُ طعمَ الماء فى ملتقاهمُ حساً (٣) الدمِ حتى يلفظ الماءَ شاربُه

* * *

أتاكَ يكاد الرأسُ يجحدُ عُنْقَهُ وتنقدُّ تحت الذُّعْر (٤) منه المفاصلُ
يُقوِّم تقويمَ السماطين مشْيَهُ إليك إذا ما عوَّجَتْه الأفاكل (٥)
فقاسَمكَ العينين منه ولحظَهُ سَمِيُّكَ والخِلُّ الذى لايُزايِلُ

بنصب العينين ، واللحظ ، والسمىّ ، والخِلّ (٦)

وأبصر منه (٧) الرزقَ والرِّزْقُ مُطمِعٌ وأبصر منه الموتَ والموتُ هائلُ
وقبَّل كُمًّا قبَّل التُّربَ قبله وكلُّ كَمِىٍّ واقف متضائل
وأسعدُ مشتاقٍ وأظفَرُ طالبٍ همامٌ إلى تقبيل كمِّكَ واصِل
مكان تمناه الشفاهُ ودونه صدورُ المذاكى (٨) والرماحُ الذوابلُ (٩)

---

(١) القساطل : جمع قسطل وهو غبار الحرب .

(٢) مطبوعة دمشق وهامش التبيان : « وهذا » بزيادة الواو .

(٣) سائر النسخ : من ملتقاهم . حسا الدم : ما يحتسى منه ، وحسا بالقصر ويمد .

(٤) الديوان ومطبوعة دمشق : الدرع .

(٥) السماطين : مثنى سماط وهو الصف من الناس . الأفاكل جمع أفكل وهو الرعدة من خوف أو برد . وروى تقويم بالنصب على المفعولية المطلقة ومشيه مفعول به وفاعل يقوم ضمير الرسول وروى بالرفع على أنه فاعل يقوم أى إذا تعوج الرسول فى مشيه عدلته صفوف جنتك لضيق ما بينها وكان قدومه وسيف الدولة بين صفين من جنده .

(٦) أجمع شراح الديوان على رفع « سميك » لأنها فاعل قاسم والخل معطوف عليه . أما ما انفرد به المؤلف فيمكن توجيهه على أن فاعل قاسم ضمير يعود على الرسول ، والعينين مفعول به له ، ولحظه معطوف على العينين ، وسمى مفعول الحظ على أنه مصدر لحظ ، والخل معطوف على سمى ، والمعنى على هذا واضح أيضاً

(٧) سائر النسخ والديوان « منك » وهو الصواب .

(٨) المذاكى من الخيل ما اكتملت قوتها .

(٩) الذوابل : جمع ذابل الرماح اليابسة .

فما بلغتْه ما أراد كرامةٌ عليك ولكن لم يَخبْ لك سائل
وأكبرَ منه همة بعثتْ به إليك العِدا واستنصرتْه الجحافل(١)
فأقبل من أصحابه وهو مرسَلٌ وعاد إلى أصحابه وهو عاذل(٢)

هذا(٣) يشابه قول البحترىّ :

لحظوك أولَ لحظة فاستصغروا مَن كان يُعْظَمُ عندهم ويُبَجَّل
قد نافس الغَيَبُ الحضورَ على الذى شهِدوا وقد حسد الرسولَ المرسِلُ(٤)

* * *

تحيَّر فى سيفِ ربيعةُ أصلهُ وطابِعُه الرحمنُ والمجدُ صاقلُ
وما لونُه مما تحصّل مقلةٌ ولا حدُّه مما تُحِسُّ الأناملُ
إذا عاينتك الرسْلُ هانتْ نفوسُها عليها وما جاءتْ به والمراسِلُ
رَجا الرومُ من تُرجَى النوافلُ كلُّها لديه ولا تُرْجَى لديه الطوائلُ(٥)
فإن كان خوف الأسر والقتل ساقهم فقد فَعلوا ما الأسر والقتل فاعل
فخافوك حتى ما لقتل زِيادةٌ وجاءوك حتى ما تُرادُ السلاسلُ
أرى كلَّ ذى مُلْك إليك مصيرُهُ كأنكَ بحر والملوكُ جداول

---

(١) روى « وأكبر » بالرفع على أنه مبتدأ ، وبالجر بالفتحة على أنه واقع بعد رب ، وبالنصب بفعل مضمر تفسيره ما بعده ، وقد يكون « أكبر » فعلا ماضياً والمعنى أن الروم استعظموا همة الرسول التى حملته إليك مع ما يعترضه من المهابة .

(٢) المعنى أنه أقبل من عندهم وهو رسول لهم مبلغ كلامهم ، فلما عاد إليهم صار لائما لهم يعنفهم على محاربتك حين رأى جندك وكثرة عددك .

(٣) مطبوعة دمشق : « وهذا » بزيادة الواو .

(٤) هذان البيتان (وهما غير متتابعين) من قصيدة البحترى يمدح بها المتوكل ويذكر وفد الروم ، وقد روى البيت الثانى منهما محرفا فى شطره الأول تحريفا مفسدا لم نشأ أن نذكره . والغيب بفتحتين جمع غائب ، والحضور : الحاضرون ، وفى بيتى البحترى عذوبة واستيفاء للمعنى ؛ فقد دل على أن لا عظمة لملوك الروم بجانب عظمة المتوكل ، وأفاد شيئاً آخر هو منافسة الغائبين من حضروا على ما شهدوا ، وحسد المرسل رسوله .

(٥) النوافل : العطايا جمع نافلة . الطوائل : الأحقاد مفردها طائلة يقال بينهم طائلة أى عداوة وترة .

أخذه من(١) ابن المعتز :

« مَلِكٌ تواضعت الملوكُ لعزِّه قسراً وفاض على الجداول بحرُهُ »

***

إذا مطرتْ منهم ومنكَ سحائبٌ فوابِلُهُم طَلٌّ وطَلُّك وابلُ

هذا أيضًا كقول البحترى :

« أنذرتكم عارضًا تبدو مخايلُه فالقطرة الفذّ منه وابل هَطِلُ(٢)

***

كريمٌ متى استُوهِبتَ ما أنت راكب وقد لقِحَتْ حربٌ فإنك نازلُ(٣)

هذا(٤) المعنى مأخوذ من خبر رُوِى عن حاتم الطائى [قيل](٥) إنه بارز عامرَ بنَ الطفيْل وفُقد رمحُ عامر ، فخافه عامر فقال : ياحاتم لأُبخِّلَنَّكَ(٦) قال : بماذا ؟ قال : ادفعْ إلىَّ رمحَك أقاتلْك به فرمى إليه برمحه ، ورجع مُوَليًا . وقال بشّار ما(٧) ينظُر إلى هذا المعنى :

لو كان لى سيفٌ غداةَ الوغى طِبْتُ به نَفسًا لِأعدائى

وأحسن ما قيل فى هذا المعنى قولُ البحترى :

---

(١) حـ ، د ، هـ : من قول .

(٢) هذا البيت من قصيدة فى مدح أبى سعيد الثغرى مطلعها :

لا دمنة بلوى خبت ولا طلل يرد قولا على ذى لوعة يسل

والعارض : السحاب المعترض فى الأفق .

(٣) لقحت الحرب : اشتدت . يريد أنه كريم لو سئل فرسه وقد ثارت الحرب لنزل عنها ، و لم يبخل بها على سائله . نازل : رواية الأصول ، وفى الديوان : باذل . وهى أجود .

(٤) مطبوعة دمشق « : « وهذا المعنى » بزيادة الواو .

(٥) (قيل) زيادة من حـ ، د ، هـ .

(٦) لأبخلنك كما فى ب : أى لأنسبنك إلى البخل وقد حرفت فى غيرها ، وقد تقرأ « لأنجلنك » من : نجله بالرمح أى طعنه وأوسع شقه .

(٧) ما : أى شعرا ينظر ، وهى ساقطة من جـ .

ماضٍ على عزمِه فى الجود لو وَهَبَ الشَّـــباب يومَ لقاء البيضِ ما نَدِما[1]

قال ابن أحمر[2] :

إنى أقيد بالمأثور راحلتى ولا أبالى وإن كنا على سَفَرِ

وما زال المتنبى بعد مفارقة سيف الدولة يعرض بمدحه تارة ، ويصرح أخرى ؛ فمن ذلك قوله فى أول قصيدته التى مدح بها كافورا :

فِراقٌ ومَنْ فارقتُ غيرُ مُذَمَّمِ[3]

ومن ذلك أيضا قوله فى قصيدة كافورية :

عشية أحفى الناسِ بى من جفَوْته وأهدَى طريقَيَّ[4] الذى أتجَنَّبُ

ما وجد من شعره فى غير ديوانه

ورأيت له قصيدتين فى هجاء كافور ، ومدح سيف الدولة ، ونقلتهما من خط أبى منصور [عبد الملك بن[5]] محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورىّ . قال : إنهما وُجدتا فى رحله لمّا قُتِل ، وعملهما بواسط[6] إحداهما قوله :

أفيقا خُمارُ الهمّ نَغَّصَنى[7] الخمرا وسُكْرِىَ من الأيام جنَّبنى السُّكْرا

---

(١) من قصيدة فى ديوانه يمدح بها رافع بن هرثمة ومطلعها :

بالله آلى يمينا برة قسما ما كان ما زعم الواشى كما زعما

ونحن نوافق على أن البحترى أجود لأن الشباب أغلى ما يحرص عليه الإنسان فهو الحياة .

(٢) فى الأصول : ابن الأحمر والصواب ما أثبتنا . وابن أحمر ، هو عمرو بن أحمر الباهلى شاعر مخضرم (انظر ترجمته فى معجم الشعراء للمرزبانى ص ٢١٤) ونسب البيت صاحب اللسان فى (أثر) إلى ابن مقبل وهو شاعر مخضرم أيضاً .

والمأثور : السيف فى متنه أثر ، أو القديم المتوارث . وتقييد الراحلة نحرها به للأضياف .

(٣) تمام البيت : « وأم ومن يممت خير ميمم » .

(٤) الديوان : الطريقين . وهذا البيت من قصيدته التى مطلعها :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وقد تقدم ذكرها .

(٥) زيادة من وفيات الأعيان واليتيمة لتصحيح الاسم وأبو منصور هو صاحب يتيمة الدهر وفقه اللغة وغيرهما من النفائس الأدبية .

(٦) واسط : بلد بالعراق فى وسط الطريق بين البصرة والكوفة بناه الحجاج بن يوسف .

(٧) كذا فى ا ، د . ب ، حـ ، هـ : محرفة لا توجيه لها . الديوان ومطبوعة دمشق : بغضنى أى بغض إلى .

تَسُرُّ خليليّ المدامةُ والذى بقلبيَ يأبى أن أُسرّ كما سرّا
لبستُ صروفَ الدهر أخشنَ ملبَس فعرّقنى نابًا ومزّقنى ظُفُرا(١)
وفى كل لحظٍ لى ومَسْمَعِ نَغْمة يُلاحظنى شَزْرًا ويُسمعنى هُجْرا
سَدكتُ بصرف الدهر طفلا ويافعًا فأفنيتُه عزما ولم يُفْننى صبرا(٢)
أريدُ من الأيام مالا يريدُه سواى ولا يجرى بخاطره فكرا
وأسأله ما أستحق قضاءه وما أنا ممن رام حاجته بَسْرا(٣)
ولى همةٌ من رأْىِ همتها النوى فتُركِبُنى من عزمها المركب الوعْرا(٤)
تروق بنى الدنيا عجائبُها ولى فؤادٌ ببيض الهند لا بيضها مُغْرَى
أخو هممٍ رحّالة لا تزال بى نوًى تقطعُ البيداء أو أقطعَ العمْرا
ومن كان عزمى بين جنبيه حثه وصير(٥) طولَ الأرض فى عينه شبْرا
صحبت ملوكَ الأرض مغتبطًا بهم وفارقتهم مَلآنَ من حنَقٍ صَدرا
ولما رأيت العبد للحرّ مالكا أبيتُ إباء الحر مسترزقاً حرا
ومصرٌ لَعمْرى أهلُ كلّ عجيبة ولا مثلَ ذا المخصىّ أعجوبةً نكرا(٦)
يُعَدّ إذا عُدّ العجائبُ أوّلا كما يُبتدا فى العدّ بالإصبع الصغرى
فيا هَرَم الدنيا ويا عِبرة الورى ويأيها المخصىّ مَن أمك البَظْرا(٧)
لُوَيْبيَّةٌ لم تَدْرِ أن بُنَيَّها الـ... لُوَيْبِىّ دون الله يَعبدُ فى مصرا(٨)

---

(١) عرق العظم : أكل ما عليه من اللحم ، والتشديد للمبالغة ، ونابا وظفرا منصوبان على نزع الخافض أى بناب وظفر .

(٢) سدك به : لزمه .

(٣) بسرا : أى قبل أن يحين أوانها . الديوان : قسرا .

(٤) أراد بالهمة الأولى القدرة على الوصول إلى عظائم الأمور ، وبالثانية العزيمة

(٥) الديوان : خيل .

(٦) نكرا مقصور نكراء وهى المنكرة . الديوان : بكرا وهى رواية جيدة .

(٧) البظراء : ذات البظر أى التى لم تخفض ، والخفض للجارية كالختان للغلام .

(٨) لويبية : مصغر لوبية واللوبية المنسوبة إلى اللوبة وهى النوبة واسمان للحرة أى الأرض البركانية السوداء ، وقيل اللوبية المنسوبة إلى اللوب وهى لغة فى النوب الذى هو جبل من السودان . « تاج العروس » الديوان : نويبية . النوبى .

ويستخدم البيض الكواعب كالدمى ورومَ العِبِدّى والغطارفة الغُرّا(١)

قضاءٌ من الله العليّ أراده ألا ربما كانت إرادته شرّا(٢)

ولله آياتٌ وليس كهذه أظنك يا كافورُ آيتَه الكبرى

لَعمرُكَ ما دهرٌ به أنت طيّبٌ أيحسبُنى ذا الدهرُ أحسبه دهرا ؟

وأكفرُ يا كافورُ حين تلوح لى ففارقتُ مذ فارقتك الشِّركَ والكفرا

عثرتُ بسيرى نحوَ مصر فلا لَعًا بها ولَعًا بالسَّير عنها ولا عثْرا (٣)

وفارقتُ خيرَ الناس قاصدَ شرّهم وأكرمَهم طُرًّا لألأمهم طُرّا(٤)

فعاقبنى المخصىُّ بالغدر جازيا لأن رحيلى كان عن حلب غدرا

وما كنتُ إلا فائلَ الرأى لم أُعن بحزم ولا استصحبتُ فى وجهتى حجرا(٥)

وقد أرى(٦) الخنزيرُ أنى مدحته ولو علموا قد كان يهجى بما يُطْرى

جسَرْتُ على دهياء مصرَ فنَفُتّها ولم يكن الدهياءُ إلا مَن استجْرا (٧)

سأجلبُها أشباهَ ما حملتْه من أسنتها خزْرا(٨) مُقَسطلةً غُبرا

---

(١) العبدى : جمع عبد . الغطارفة جمع غطريف وهو السيد . الغر : جمع أغر وهو أبيض الوجه.

(٢) كذا فى ا والديوان . وفى سائر النسخ « سرا » وهى تنظر إلى قوله :

وقد سر فى عـلاك وإنمـا كلام العدا ضرب من الهذيان

(٣) لعا : كلمة تقال للعاثر : أى أنعشك الله . يقال : لعاًلك ، ولا لعاً لفلان يقول : عثرت بسيرى إلى مصر لحبوط آمالى ، وإمساكى على الخسف فلا نعشت من عثرتى هذه لأنى أتيتها بسوء رأيى ثم فارقتها فلا عثرت بالسير عنها لأنى أهيىء لنفسى بخروجى منها رشدا .

(٤) يريد بخير الناس وأكرمهم سيف الدولة ، وبشر الناس وألأمهم كافورا ، وبهذه المناسبة ذكر المؤلف هذه القصيدة فى هذا الموضع ليبين أن المتنبى كان بعد مفارقة سيف الدولة لا يزال يذكره تصريحا أو تلميحا .

(٥) فائل الرأى : ضعيفه . الحجر بكسر أوله : العقل .

(٦) « وقدر بى » جميع النسخ . « وقد أرى » ببناء الفعل للمجهول عن الديوان وهو الصواب .

(٧) يقال : داهية دهياء أى شديدة وهو مبالغة كما يقال ليلة ليلاء فحذف الداهية ونزل الدهياء منزلتها . استجرا : مخفف استجرأ أى تجرأ . والمعنى : جسرت على اقتحام الداهية بمصر يريد ما حاق به من خطر التهلكة ثم نجوت منها فكنت أنا الداهية لا هى .

(٨) هكذا فى جميع النسخ ومعناها ضيقة العيون . أو كأنها تنظر فى أحد الشقين غضبا . وفى العرف : جردا . والمعنى : سأجلب الخيل على مصر كأنها أسنة الرماح التى عليها فى الحدة ومضاء العزم يعلوها الغبار حتى يكسوها لونه ، وهذا من هذر المتنبى ودعاويه العريضة .

وأُطلعُ بِيضًا كالشموس مُطلّةً ... إذا طلعتْ بيضًا وإن غَرَبَتْ حُمرا

فإن بلغَتْ نفسى المنى فَبِعزْمها ... وإلاّ فقد أبلغتُ فى حرصها عُذْرا(١)

والأخرى قوله :

قطعتُ بِسيرى كلَّ يَهْماء مَفْزَعٍ ... وجُبْتُ بخيلى كلَّ صَرْماء بَلْقَعِ(٢)

وثلّمتُ سيفى فى رءوس وأذرعٍ(٣) ... وحطمتُ رمحى فى نحُور وأضلُعِ

وصيّرتُ رأيى بعد عزمِيَ رائدى ... وخالفتُ آراءً توالتْ بمِسمَعى

ولم أترُكْ أمرًا أخافُ اغتياله ... ولاطمَحتْ نفسى إلى غير مَطمَعِ(٤)

وفارقتُ مصرًا والأسيْودُ عينُه ... حِذارَ مسيرى تَستهلُّ بأدمُعِ

ألم يَفهم الخنْثى مقالى وأننى ... أُفارق من أقْلِى بقلب مُشَيِّعِ(٥)

ولا أرعوى إلاّ إلى من يَوَدُّنى ... ولا يَطَّبِينى منزلٌ غيرُ مُمْرِعِ(٦)

أبا النَّتْن كم قيدتَنى بمواعدٍ ... مَخافةَ نظم للفؤاد مُرَوِّعِ(٧)

وقدّرتَ من فرط الجهالة أننى ... أُقيم على كِذْبٍ رصيف مُصَنَّعِ(٨)

أقيم على عبد خَصِيّ منافق ... لئيم ردىءِ الفعل للجودِ مُدَّعى

وأتركُ سيف الدولة المَلِكَ الرضا ... كريمَ المُحيا أروعا وابن أروع

فتًى بحره عذبٌ ومَقْصِدُه غِنًى ... ومَرْتعُ مرعى جوده خيرُ مرتع(٩)

تَظَلّ إذا ما جئتَه الدهرَ آمنا ... بخير مكان بل بأشرف موضع

---

(١) معنى البيت : إن نلت ما أتمنى من أخذ مصر وقتل كافور فقد بلغت ذلك بعزم نفسى لا اتفاقا وإن لم أبلغه فقد حرصت على أسباب الفوز به ومن حرم بعد الحرص فهو معذور .

(٢) اليهماء : المفازة لا يهتدى فيها . مفزع أى مخيفة وأراد مفزعة فحذف الهاء كما يقال : لحية ناصل. الصرماء : المفازة لا ماء بها . جميع النسخ : بهماء بالباء الموحدة تحريف . حـ : جئت بدل جبت .

(٣) جميع النسخ : أدرع .

(٤) البيت محرف فى جميع النسخ والتصحيح من الديوان .

(٥) كذا فى ا، ب، والديوان . سائر النسخ : الخصى . هامش التبيان : ولم يفهم. المشيع : الجرىء .

(٦) البيت ساقط من حـ ، د ، هـ . يطبينى : يستهوينى .

(٧) الديوان : قد بدل كم . هـ : أيدتنى بدل قيدتنى .

(٨) ا ، ب : لفظ الجهالة . حـ ، د، هـ : لفظ الجهالة تحريف. سائر النسخ : وصيف بدل رصيف.

(٩) مقصده : قصده .

كانسيف الدولة يكاتب المتنبى

قال ابن سعيد[١] : إن سيف الدولة كان يكاتب المتنبى ، ويُهاديه ، فقال يمدحه ، وأنفذها إليه من الكوفة ، وكان سيف الدولة قد كاتبه إليها[٢] بأجمل مكاتبة ، وأنفذها[٣] إليه كُسوةً وبِرًّا ، وعرّض له بالعود

ما لنا كلُّنا جَوٍ يا رسولُ　　أنا أهوى وقلبُكَ المتبولُ[٤]

إلى أن قال :

نحن أدرى وقد سألنا بِنَجد　　أقصيرٌ طريقُنا أم طويلُ[٥]
وكثيرٌ من السؤال اشتياقٌ　　وكثيرٌ من رَدِّه تعليل
لا أقمنا على مكان وإن طا　　ب ولا يمكن المكانَ الرحيلُ[٦]
كلما رحّبتْ بنا الروض قلنا　　حَلَبٌ قصدُنا وأنتِ السبيل[٧]
فيك مرعى جِيادنا والمطايا　　وإليها وَجيفُنا والذميل[٨]
والمسَمَّوْنَ بالأمير كثيرٌ　　والأميرُ الذى بها المأمول

(١) سائر النسخ : ابن سعد . وفى ذكرى المتنبى لعزام ص١٩ : أنه الحسن بن سعيد راوية المتنبى بحلب .

(٢) « إليها » كذا فى جميع النسخ ما عدا هـ فإنها ساقطة منها ولعله يريد « فيها » .

(٣) كذا فى الأصل وفى سائر النسخ : وأنفذ .

(٤) سائر النسخ : كلنا جوى الجوى الذى أصابه الجوى وهو حرقة فى القلب من حزن أو عشق . المتبول : الذى أسقمه الحب وأفسده . وللعكبرى مناقشة لطيفة فى إعراب البيت وتوجيهه

(٥) الديوان : أطويل طريقنا أم يطول ؟ أظهر تجاهلا وهو عارف ، وهذه طريقة الشعراء ، والإنسان إذا اشتاق إلى الشىء سأل عنه ، وإذا أحب شيئاً أكثر من ذكره ، وأكثر السؤال عنه وإن كان يعرفه كقول بشر بن أبى خازم :

أسائل صاحبى ولقد أرانى　　بصيراً بالظعائن حيث ساروا

وكقول الآخر :

وخبرنى عن مجلس كنت زينه　　بحضرة قوم والملاء شهود
فقلت له كر الحديث الذى مضى　　وذكرك من كثر الحديث أريد
أناشده إلا أعاد حديثه　　كأنى بطىء الفهم حين يعيد

(٦) « ا » لأقمنا تحريف . ومعنى البيت : لم نقم بمكان وإن كان طيباً لئلا يؤخرنا عن المسير ولا يمكن المكان أن يرحل معنا لنتمتع بطيبه أى لم نبال براحة ولم نقصد إلى لذة حتّى نصل إلى المكان الذى نريده وفى البيت بعده بيانه .

(٧) أنت السبيل : خطاب الروض .

(٨) فيك : أى فى الروض . الوجيف : العدو . الذميل : ضرب من سير الإبل .

الذى زُلتُ عنه شرقاً وغرباً ونَداه مُقابلى ما يزول[١]
ومعى حيثما سلكتُ كأنى كلُّ وجه له بوجهى كفيل[٢]
فإذا العذلُ فى الندى زار سمعا فَفِداه العذولُ والمعذولُ[٣]
ومَوالٍ تُحييهمُ من يديه نِعَمٌ غيرُهم بها مقتول[٤]
فرس سابقٌ ورمحٌ طويل ودِلاص زَغْفٌ وسيفٌ صقيل[٥]

وأرسل إليه من بغدادَ قصيدةً جوابَ كتاب ورد منه فى سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة[٦] وهى :

فهمتُ الكتابَ أبرَّ الكُتُب فسمعاً[٧] لأمرِ أميرِ العربْ

إلى أن قال :

وما لا قنى بلدٌ بعدكم ولا[٨] اعتضتُ من ربِّ نعماىَ ربْ
ومن ركب الثورَ بعد الجوا دِ أنكر أظلافَه والغَبَبْ[٩]
وما قِستُ كلَّ مُلوك البلاد فدع ذكر بعضٍ بمن فى حلب[١٠]
ولو كنتُ سمّيتُهم باسمه لكان الحديدَ وكانوا الخشب
أفى الرأى يُشْبَه أم فى السخا ءِ أم فى الشجاعة أم فى الأدب ؟

---

(١) وهذا مثل قوله :

ومن فر من إحسانه حسداً له تلقاه منه حيثما سار نائل

(٢) الوجه : الجهة . له : الضمير فيه للندى . بوجهى : باتجاهى .

(٣) العذل : الملام . والمعنى : إذا عذل جواد على جوده ففداؤه العاذل والمعذول لأنه المنفرد بإسداء العوارف والنعم .

(٤) موال : أنصار وموالون يريد أنه ينعم عليهم بنعم يحييهم بها ويقتل غيرهم بها لأن هذه النعم قد تكون من أدوات القتال كالسيوف والرماح فهو ينعم بها على مواليه ويقتل بها غيرهم .

(٥) الدلاص : الدروع البراقة الملساء . الزغف : المحكمة النسج . حـ ، د ، هـ : رعف . ب : زعف تحريف

(٦) حـ ، د ، هـ : ثلاث وأربعين وثلثمائة وهو خطأ تاريخى .

(٧) ب ، د ، هـ : فسيا . تحريف .

(٨) هكذا فى « ا » والديوان . سائر النسخ « وما » . لاقنى : أمسكنى وحبسنى .

(٩) الغبب : اللحم المتدلى تحت حنك البقرة والبيت مثل لمن يترك عظيما إلى من هو أقل منه . والتعبير بالركوب فيه جفاء ولا تخاطب الملوك بمثل هذا .

(١٠) المعنى : ما قستهم كلهم به فضلا عن أن أقيس به بعضاً منهم .

ذهابه من حلب

ولما عزم أبو الطيب على الرحيل من حلب ، وذلك فى سنة ست وأربعين وثلثمائة لم يجد بلدا أقرب إليه من دمشقَ ؛ لأن حمص كانت من بلاد سيف الدولة ، فسار إلى الشام ، وألقى بها عصا تسياره ، وكان بدمشق يهوديّ من أهل تَدْمُر[١] يعرف بابن مَلَك من قِبَل كافور ملكِ مصرَ ، فالتمس من المتنبى أن يمدحه ، فثقل عليه ، فغضب ابنُ ملك ، وجعل كافورٌ الإخشيدى يكتب فى طلب المتنبى من ابن ملك ، فكتب إليه ابن ملك : إن أبا الطيب قال : لم أقصد العبد وإن دخلتُ مصر فما قصدى إلا ابن سيده[٢] ، ونَبَتْ دمشق بأبى الطيب[٣] ، فسار إلى الرملة[٤] ، فحمل إليه أميرُها الحسينُ بن طُغْج هدايا نفيسة ، وخلع عليه ، وحمله على فرس بمركب[٥] ثقيل ، وقلده سيفًا مُحلى ، وكان كافورٌ الإخشيدى يقول لأصحابه : أترونه يبلغ الرملة ولا يأتينا ؟ وأخبر المتنبى أنه واجدٌ عليه ثم كتب كافورٌ يطلبه من أمير الرملة. فسار إليه .

طلب اليهودى المدح من المتنبى

أصل كافور

وكافورٌ هذا عبدٌ أسودُ خَصِيّ مثقوب الشفةِ السفلى بطينٌ قبيحُ القدمين ثقيلُ البدنِ لا فرقَ بينه وبين الأمة . وقد سُئل عنه بعضُ بنى هلال فقال رأيت أمة[٦] سوداء تأمر وتنهى ، وكان هذا الأسودُ لقوم من أهل مصر يُعرفون ببنى عياش يستخدمونه فى مصالح السوق ، وكان ابنُ عياش يربط فى رأسه حبلا إذا أراد النوم فإذا أراد منه حاجة جذبه بالحبل لأنه لم يكن ينتبهُ بالصياح ، وكان غلمانُ ابنِ طُغْج يصفعونه فى الأسواق كلما رأوْه فيضحكُ فقالوا هذا الأسودُ خفيفُ الروح ، وكلموا صاحبَه فى بيعِه فوهبه لهم ، فأقاموه على وظيفة الخدمة ، ومات سيدُه

---

(١) ح ، د ، هـ : مصر (خطأ) . تدمر : مدينة قديمة مشهورة فى برية الشام بينها و بين حلب خمسة أيام .

(٢) يظهر أن هذه الرواية غير صحيحة لانه لا يعقل أن يسب المتنبى كافورا وهو عازم على دخول مصر ولأنه لا يعقل أن يجبه ابن ملك كافورا بهذه العبارة ولو صدرت من المتنبى .

(٣) ح ، د ، هـ : بالمتنبى .

(٤) الرملة : بلد بفلسطين .

(٥) هـ : بموكب .

(٦) أمة : ساقطة من هـ .

أبو بكر بنُ طغج وولدهُ صغيرٌ، وتقيد الأسودُ بخدمته[١]وأُخذت البيعة لولد سيده ، وتفرّد الأسوَد بخدمته[١] وخدمةِ والدته ، فقرّب من شاء [٢]وبعّد من شاء[٢]فنظر الناسُ إليه من صِغَرِ همِمِهم ، وخسةِ أنفسهم ، فسابقوا إلى التقرب إليه ،وسعى بعضهُم ببعض حتى صار الرجلُ لا يأمن أهلَ داره على أسراره ، وصار كلّ عبد بمصر يرى أنه خيرٌ من سيده ، ثم ملكَ الأمرَ على ابنِ سيده وأمر ألاّ يكلمَه أحدٌ من مماليك أبيه ، ومن كلمه أُتلفه ، فلما كَبِر ابنُ سيده وتبين ما هو فيه جعل يبُوح بما هو فى نفسِه فى بعض الأوقاتِ على الشرابِ فَفَزع الأسودُ منه ، وسقاه سمًّا فقتله ، وخلتْ مصرُ له .

قدوم المتنبى على كافور

ولما قدِم أبو الطيبِ عليه أمر له بمنزل ، ووكّل به جماعةً وأظهر التهمَة له ، وطالبه بمدحه فلم يمدحْه فخلع عليه ، فقال أبو الطيب فى سنة ست وأربعين وثلثمائة بمصر يمدحه بقصيدته التى أولها :

كفى بك داءً أن ترى الموتَ شافيًا　　　وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا[٣]

إلى آخرها، وكان وعده أن يبلّغه ما فى نفسه فأنشده قصيدته التى أولها :

مَنِ الجآذرُ فى زىّ الأعاريبِ　　　حمرَ الحِلَى والمطايا والجلابيب [٤]

(١ — ١) العبارة ساقطة من سائر النسخ .

(٢ — ٢) « وبعد من شاء » ساقطة من سائر النسخ . حـ ، د ، هـ : « فتقرب » بدل « فنظر » .

(٣) ليس من شك فى أن هذا مطلع فيه سوء مواجهة ولا يشفع للمتنبى إلا أنه كان يقصد ذلك لاحتقاره كافورا ومعنى البيت : يخاطب نفسه فيقول إذا كنت فى حال ترى شفاءك منها الموت فتلك الحال هى أشد الأدواء عليك وإن كنت بريئاً من الداء .

وفى سائر النسخ البيت التالى للمطلع هو :

تمنيتَها لما تمنيت أن ترى　　　صديقاً فأعيا أو عدوا مداجيا

والضمير فى تمنيتَها للمنايا والمداجاة : مساترة العداوة . اقرأ ص ١١٣

(٤) من : استفهام . الجآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية تشبه بها النساء لحسن عيونها . الأعاريب : جمع أعراب وهم سكان البادية . الجلابيب : جمع جلباب وهو الملحفة تلبسها المرأة فوق ثيابها يقول : من هؤلاء النساء الشبيهات بالجآذر وهن فى زى الأعراب، وحمرة الحلى كناية عن كونها ذهبا والنياق الحمر أكرم النياق عند العرب والحمرة لون ملابس الأشراف عندهم ، والقصيدة طويلة تبلغ ستة وأربعين بيتا .

وقوفه بين يدى كافور

وكان يقفُ بين يدىْ كافور وفى رجليه خُفان وفى وسطه سيفٌ ومِنطقةٌ ويركبُ بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ، وكان لا يجلس فى مجلس كافور ، فأرسل إليه مَنْ قال له قد طال قيامُك يا أبا الطيب فى مجلسه ؛ يريد أن يعلمَ ما فى نفسه .

فقال ارتجالا :

يقلّ له القيامُ على الرءوس ... وبذلُ المُكرَماتِ من النفوس
إذا خانتْه فى يوم ضَحوكٍ ... فكيف تكون فى يوم عَبوس[١]

قلتُ : ينبغى التعجبُ ! لا يرضى أبو الطيب أن يُنشد قائمًا عند سيفِ الدولة وهو على ما كان عليه*، وبُعْدِ اشتهار[٢] فى أقطار الأرض، ومعرفة ملوكها بفضله . فعلٌ ما سمعته . ورأيت[٣] له قصيدة ليست فى ديوانه يرثى بها أبا بكرِ ابن طُغْج الإخشيد[٤] أولها :

هو الزمان مُشِتٌّ بالذى جمعا ... فى كلّ يومٍ ترى من صَرْفه بِدَعا
إنشئتَ مُتْ أسفًا أو فابْقَ مضطربًا ... قد حلّ ما كنتَ تخشاه وقد وقعا
لو كان ممتنعٌ تُغْنيه مَنْعته ... لم يصنع الدهرُ بالإخشيد ما صنعا[٥]

وهى طويلة لم يحضرنى منها إلا هذه الأبيات

سؤاله كافوراً أن يوليه صيدا

وسأل أبو الطيب كافورًا أن يُوليه صَيْداء من بلادِ الشام أو غيرها من بلاد الصعيد ، فقال له كافور : أنتَ فى حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين سمتْ نفسُك إلى النبوة فإن أصبتَ ولايةً وصار لك أتباعٌ ،فمن يُطيقُك ؟

---

(١) المكرمات : النفوس الكريمة ، والضمير فى (خانته) يعود على النفوس ، والمعنى : إذا لم تحفظ النفوسحقه و لم تقم بخدمته فى السلم فكيف تخدمه فى الحرب ؟

* كذا فى الأصول ، وفى العبارة نقص يفهم من السياق

(٢) سائر النسخ : اشتهاره .

(٣) (رأيت) ساقطة من سائر النسخ .

(٤) هو سيد كافور وقد تقدم أنه اشتراه من قوم من أهل مصر يعرفون ببنى عياش ، والإخشيد لقب أبى بكر محمد بن طغج لقبه به الخليفة الراضى قال ابن خلكان : وإنما لقبه به لأنه لقب ملوك فرغانة وهو من أولادهم ، وتفسيره بالعربى: ملك الملوك .

(٥) روى الشطر الأول من هذا البيت محرفا فى ح ، د ه .

وقوع الوحشة بينهما

ثم وقعت الوحشةُ بينهما ، ووَضَع عليه العيون والأرصاد خوفًا من أن يهرُبَ وأحسَّ المتنبي[١] بالشر . قال الوحيد[٢] كنت بمصرَ وبها أبو الطيب ، ووقفت من أمره على شَفَا الهلاك* ودعتْني نفسي لِحبِّ أهل الأدب إلى أن أحُثَّه على الخروج من مصرَ فخشيتُ على نفسي أن يشيعَ ذلك عني ، وكان هو مستعدًّا للهرب ، وإنما فات أظافير الموت ، ومخالب المنية من قُرْب ، وهو جنى ذلك على نفسه ، لأنه ترك مدح ابن حنزابةَ[٣] وهو وزيرُ كافور ، والمقرَّبُ منه ، وهو مع ذلك من بيت شريف أهلِ وزارة ورياسة ومن العلم والأدب بموضع جليل ، وهو بابُ الملك ، فأتى من غير الباب ، وأنشد القصيدة اليائية ، وأولها « ما »[٤] يُتَطَيَّر منه ، كيف لا وبرَاعتها[٥] :

كفَى بك داءً أن ترى الموتَ شافيا وحسْبُ المنايا أن يكُنَّ أمانيَا
تمنيتَها لما تمنيت أن تَرى صديقا فأعيا أو عدوًّا مُداجِيا

قف

قلت : تذكرتُ بهذا البيتِ حكاية وهي[٦] ما حدث محمد بن الحسن الخوارزمي قال : مررت بمحمد بن موسى الملقب بسيبويه المُوَسْوَس* وهو يقول مدح الناس المتنبي على[٧] قوله :

---

(١) هذه الرواية غير معقولة ؛ لأن دهاء كافور يأبى عليه أن يواجه المتنبي بهذه الصراحة ، فقد كان يميل إلى إغرائه بالوعود ، واستبقائه في ملكه ، ولعل أحد حساد المتنبي أوحى إلى كافور بمثل هذا ، أو أن كافورا أسر به لبعض حاشيته .

(٢) في الأصول (الوحيدي) والصواب (الوحيد) وهو سعد بن محمد بن علي بن الحسن الأزدي أبو طالب المعروف بالوحيد أحد شراح ديوان المتنبي ، مات سنة ٣٨٥ هـ (بغية الوعاة) .

* يقول إنه أوشك أن يصيبه الضرر والهلاك بسبب أمر المتنبي لأنه كان من المناصرين له المطلعين على خبيئة أمره .

(٣) ابن حنزابة هو الوزير جعفر بن الفرات أصله من العراق من بيت شرف ورياسة .

(٤) حـ ، د ، هـ : مما

(٥) يريد ومطلعها .

(٦) سائر النسخ : وهو .

* هو من البصرة وقد عاش بمصر أيام كافور ولقي بها المتنبي وناقشه فيما ذكره المؤلف وكان يشبه في حضور جوابه وبيان خطابه وحسن عبارته وكثرة دراسته بأبي العيناء وكان قد تناول البلاذر فعرضت له منه لوثة ، له ترجمة في اليتيمة حـ ١ ص ٤٣٣ ، ٣٤ مكتبة الحسين التجارية وله ترجمة وأخبار كثيرة في زهر الآداب حـ ٢ ص ٧٩٠ – ٩٢ طبعة عيسى الحلبي .

(٧) ب ، حـ ، د : عن . هـ : عنه ، وكلاهما تحريف .

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى عــدوًّا له ما مِنْ صداقته بُدُّ

ولو قال ما من مداراته أو من مداجاته بُدّ لكان أحسن وأجود قال : واجتاز المتنبي به فوقف عليه وقال أيها الشيخ أحبّ أن أراك ، فقال له رعاك الله ، وحياك ، فقال له بلغني أنك أنكرتَ عليَّ قولي : عدوًّا له ما مِنْ صداقته بُدُّ فما كان الصواب عندك ؟ فقال له إنّ الصداقة مُشتقة من الصدق فى المودة ، ولا يسمى الصديق صديقا وهو كاذب فى مودته ، فالصداقة إذن ضد العداوة ، ولا موقعَ لها فى هذا الموضع ، ولو قلت ما من مداراته أو مداجاته لأصبْت . هذا رجل منا : يريد نفسه قال :

أتانى فى قميص اللاذ[١] يسعى عــدوٌّ لى يُلقب بالحبيبِ

فقال المتنبي : أمع هذا غيره ؟ قال نعم :

وقد عَبِثَ الشرابُ بوجنتــيه فصير خدَّه كَسَنَا اللهيب
فقلتُ له متى استعملتَ هــذا لقد أقبلتَ فى زىّ عجيب
فقال الشمس أهدتْ لى قميصا مليحَ اللونِ من نسج المغيب
فثوبى والمدامُ ولونُ خــدّى قريبٌ من قريب من قريب

فتبسم المتنبي وانصرف وسيبويه يصيح عليه : أُبْكم الرجل وحلال الله[٢] وكأن[٣] المتنبي يذكر قول سيبويه فى هذا البيت . قال الوحيد[٤] وهذا الابتداء مما تمجه الأسماع فقبح ابن حِنزابةَ أثره ، ثم لم يزل يذكر سواد كافور . ووراءه

---

(١) اللاذ : ثياب من حرير تنسج بالصين تسميها العرب والعجم : اللاذ . (المخصص ح ٤ ص ٦٨) .

(٢) و «جلال الله» كررت مرتين فى ح ، د ، ه . ويدافع أبو الفتح عن أبى الطيب نقلا عن العكبرى بقوله : لو قال ما من مداجاته لكان أشبه والذى قاله أحسن فى اللفظ وأقوى فى المعنى وحسنه أنه ذكر العدو وضده ، وفى قوة المعنى أن المداجى المساتر للعداوة ، وقد يساتر العداوة من لا يظهر الصداقة ، فإذا أظهر الصداقة لم يكن له من إظهارها بد ، فهو يعانى من ذلك أمراً عظيما ، ونكدا فى الحياة ، فهو أسوأ حالا من المداجى .

(٣) سائر النسخ : «وكان» ولكل وجه .

(٤) صحح وترجم له فى الصفحة السابقة هامش رقم (٢) .

من ينبه على عيوبه كقوله فى قصيدته التى أولها :

ذكره سواد كافور

إنما التهنئاتُ للأكفاءِ ... ولمن يدَّنِى من البُعداء[١]

إلى أن قال :

إنما يفخر الكريمُ أبو المسـ ... ـك بما يَبتنى من العلياءِ

وبأيامه التى انسلختْ عنـ ... ـه وما دارُه سوى الهيجاء

وبما أثّرت صوارمُه البيـ ... ـضُ له فى جماجم الأعداء

وبمسك يُكْنَى بـه ليس بالمسـ ... ـك ولكنه أريجُ الثناء

ومنها[٢] :

نزلتْ إذ نزلْتهَا الدارُ فى أحـ ... ـسنَ منها من السنا والسناء

حل َّ فى مَنْبت الرياحين منها[٣] ... منبتُ المكرمات والآلاء

تفضحُ الشمسَ كلما ذَرَّتِ الشمـ ... ـس بشمسٍ منيرة سوداءِ

إن فى ثوبك الذى المجدُ فيه ... لَضياءً يُزرى بكل ضياء[٤]

إنما الجلدُ مَلْبَسٌ وابيضاضُ النـ ... ـفسِ خيرٌ من ابيضاضِ القَباء

كرمٌ فى شجاعة وذكاءٌ ... فى بهاء وقدرةٌ فى وفاء

مَنْ لبيضِ الملوكِ أن تُبْدلَ اللوْ ... نَ بلون الأستاذ والسَّحناء[٥]

يا رجاءَ العيون فى كل أرض ... لم يكن غيرَ أن أراك رجائى

فكان يقول ابن حِنْزَابَة إنه هزئ[٦] بكافور فى هذه الأبيات ، ويسهل على الناس أمر لونه ، ويحسنه له . قال الوحيد : كان المتنبى يعلم أن ذكر السواد

---

(١) يقال إن الأسود بنى داراً بإزاء الجامع الأعلى فى القطائع على بركة الفيل بالقرب من حى طولون ، وتحول إليها ، وهنأه الناس بها وطالب أبا الطيب بأن يقول فى ذلك ، فقال : إنما التهنئات . . .

(٢) ساقطة من حـ ، د ، هـ وهى لازمة لأن هذه الأبيات ليست متتابعة كما يعلم من الديوان .

(٣) كذا فى الديوان . وفى جميع النسخ : منه .

(٤) ذرت الشمس : بدت أول ما تطلع ، وأراد بالإنارة الشهرة لأن المشهور منير أو النقاء من العيوب ، ويدل على هذا المعنى الذى يليه .

(٥) السحناء : الهيئة .

(٦) حـ ، د ، هـ : هذى .

على مسامع كافور أمرٌ من الموت فاذا ذَكَرَ لونَه بعد ذلك فقد أساء إلى نفسه وعرّضها للقتل والحرمان ، وكان من إحسانِ الصنعة ، وإجمالِ الطلب ألاّ يذكر لونَه ، وله عنه[1] مندوحةٌ ، ولكن[2] الرجل كان سيئ الرأى ، وسوءُ رأيه أخرجه من حضرة سيف الدولة ، وشدةُ[3] تعرضه لعداوة الناس ، وقد ذكر سوادَ كافور فى عدة مواضع ، وكان اللائق ألاّ يذكره إلا كقوله :

فجاءتْ بنا إنسانَ عينِ زمانــه — وخلّتْ بياضًا خلفها ومآقيا[4]

وهذا فى أعلى طبقات الإحسان[5] لكونه كنى عن سواده بانسان عين الزمان .
ومن هذه القصيدة :

فتًى ما سرينا فى ظُهور جدودنا — إلى عصره إلاّ نُرَجّى التلاقيا

ومنهـــا :

أبا المسكِ ذا الوجهُ الذى كنتُ تائقا — إليه وذا الوقتُ الذى كنتُ راجيا[6]
أبا كلّ طيب لا أبا المسكِ وحدَه — وكلّ سحاب لا أخصُّ الغواديا

---

(١) د ، هـ : عنده ، تحريف .
(٢) حـ ، د ، هـ : وكان ، تحريف .
(٣) وشدة : بالرفع عطف على : وسوء رأيه .
(٤) كذا فى الديوان ، حـ ، د ، هـ . وفى ا ، ب : وجازت وهى ضعيفة . والضمير فى : « فجاءت » يعود إلى الجرد فى البيت : وجردا مددنا بين آذانها القنا . والمآق فى جمع مأق وهو طرف العين مما يلى الأنف . ومعنى البيت أن كافورا بمنزلة السواد من العين ، وغيره بمنزلة البياض الذى لا ينتفع به فى النظر ، وهذا البيت فى معنى قول ابن الرومى فى سوداء :

أكسبها الحب أنهـا صبغت — صبغة حب القلوب فى الحدق

إلا أن المتنبى فضل السود على البيض ، وقال بعض النقاد ما مدح أسود بأحسن من هذا ، وفى تفضيل السواد على البياض جاء قول الشريف الرضى يصف سوداء :

أحبـــك يا لون الشباب لأننى — رأيتكما فى العين والقلب توءما
سكنت سواد القلب إذ كنت شبهه — فلم أدر من عز من القلب منكما

(٥) حـ ، د ، هـ : طبقات البلاغة والإحسان .
(٦) الديوان : « وذا اليوم » بدل : « وذا الوقت » . وأبو المسك كنية كافور لسواده ، والبيت يحتمل الهجاء أيضاً .

يُدِلُ بمعنى واحدٍ كلُّ فاخرٍ　　وقد جمع الرحمن فيك المعانيا[١]
ومن قول سامٍ لو رآك لنسله　　فِدًى ابن أخي نسلي ونفسي وماليا[٢]

قال أبو الفتح بن جنى لما قرأتُ قولَه فى كافور على أبى الطيِّب :

وما طربى لما رأيتُك بِدعةً　　لقد كنتُ أرجو أن أراك فأطربُ[٣]

فقلت له لم تزد[٤] على أن جعلته أبازَنّة[٥] ، فضحك أبو الطيب ، فإنه بالذمّ أشبهُ منه بالمدح. وبعد هذا البيت :

وتَعْذُلُنى فيك القوافى وهمَّتى　　كأنِّى بمدحٍ قبل مدحِكَ مذنبُ[٦]

ومن هذه القصيدة :

وأخلاقُ كافور إذا شئتُ مدحَه　　وإن لم أشأ[٧] تُملى علىَّ وأكتبُ
إذا ترك الإنسانُ أهلا وراءه　　ويمَّمَ كافوراً فما يتغربُ[٨]

---

(١) هو من قول الحكمى : كأنما أنت شىء　　حوى جميع المعانى .
ويقول ابن جنى : لما وصلت إلى هذا البيت ضحكت ، وضحك ، وعرف غرضى وهو أنه قصد به الهجاء .

(٢) حـ ، د ، هـ : ومن قول سام لا أراك . . . تحريف ، وسام هو ابن نوح ينسب إليه البيض ، وحام أخوه ، وينسب إليه السودان ، والمعنى : لو رآك سام بن نوح لكان من قوله لنسله هذه العبارة : فدى ابن أخى نسلى ونفسى ومالى .

(٣) كذا فى الديوان . جميع النسخ : وما طربى أنى . . . ما عدا (ب) ففيها « أن » تحريف .

(٤) « لم » ساقطة من ب ، د ، هـ .

(٥) أبازنة : كنية القرد .

(٦) الشطر الأول هجاء صريح لولا الشطر الثانى وهو من قول أبى تمام :

وهل كنت إلا مذنبا يوم أنتحى　　سواك بآمالى فجئتك تائبا

(٧) كذا فى « ا » والديوان . وفى سائر النسخ « تشأ » ولا تتفق مع السياق .

(٨) هذا من قول الطائى :

هم رهط من أمسى بعيدا رهطه　　وبنو أبى رجل بغير بنى أب

وهذا من قول الآخر :

نزلت على آل المهلب شاتيا　　غريبا عن الأوطان فى زمن المحل
فما زال بى إكرامهم وافتقادهم　　وبرهم حتى حسبتهم أهلى

وواضح جداً تفوق المتنبى على هذين .

ومنها[١] :

إذا ضربتْ فى الحرب بالسيفِ كفُّه	تبيّنتَ أن السيفَ بالكفّ يضربُ[٢]
تزيدُ عطاياه على اللّبثِ كثرةً	وتلبثُ أمواهُ السحابِ فتَنضُبُ
أبا المسكِ هل فى الكأس فضلٌ أنا له	فإنى أُغنى منذ حين وتشرب[٣]
وهبتَ على مقدار كفّىْ زماننا	ونفسى على مقدار كفّيْكَ تطلب
إذا لم تَنُطْ بى ضَيْعةً أو ولايةً	فجودُك يكسونى وشغلُك يسلب[٤]
يضاحكُ فى ذا العيدِ كلٌّ حبيبَه	حذائى وأبكى مَنْ أُحبُّ وأندب[٥]
أحِنُّ إلى أهلى وأهوى لقاءهمْ	وأين من المشتاق عنْقاء مُغرِبُ[٦]
فإن لم يكن إلاّ أبو المِسك أوْهُمُ	فإنك أحلى فى فؤادى وأعذبُ

إلى أن قال فى أثنائها :

وأظلمُ أهلِ الظلمِ من باتَ حاسداً	لمن بات فى نعمائه يتقلبُ[٧]

وهذا البيت يستخرج منه[٨] معنيان ضدان أحدهما أن المنعم يَحْسُدُ المنعمَ عليه[٩] ، وكذلك[١٠] ورد قوله فى كافور :

فإن نلتُ ما أملتُ منك فربما	شربت بماءٍ يُعجز الطيرَ وِردُه

---

(١) ساقطة من سائر النسخ والأبيات غير متتابعة كما فى الديوان .

(٢) ومثله للبحترى :

فلا تغلين بالسيف كل غلائه ليمضى فإن الكف لا السيف يقطع

(٣) يتدنى فى الطلب أبو الطيب فى هذا البيت .

(٤) شغلك يسلب أى أن انصرافك عنى يسلبنى ما كسوتنى من جود ونعمة .

(٥) فى هذا إيقاظ لكافور واستنهاض له .

(٦) عنقاء مغرب على الوصف والإضافة من قولهم : أغرب فى البلاد وغرب إذا أبعد وذهب وهو مثل قيل كانت طائرا عظيما اختطفت صبيا وجارية وطارت بهما فدعا عليها حنظلة بن صفوان وكان نبى ذلك الزمان فغابت إلى اليوم فقيل لكل من فقد طارت به عنقاء مغرب . والعنقاء اسم للذكر والأنثى وهذا من خرافات العرب ومزاعمهم .

(٧) كذا فى ا ، ب ، الديوان . حـ ، د ، هـ : لمن كان . . .

(٨) حـ ، د ، هـ : له .

(٩) وثانيهما على العكس من الأول . ويحتمل معنى ثالثاً هو أن أظلم الظالمين من بات يحسد رب كل نعمة كائناً من كان .

(١٠) سائر النسخ : ولذلك .

فإنه إذا أخذ بمفرده من غير نظر إلى ما قبله فإنه بالذم أولى منه بالمدح ؛ لأنه يتضمنُ وصفَ نواله بالبعد ، وصدر البيت مفتتح بإن الشرطية ، وقد أجيبت بلفظ رب التى معناها التقليل[١] أى لست من نوالك على يقين ، فإن نلته فقد وصلت إلى مورد لا يصل إليه الطير لبعده .

المدح الموجه

وكثيراً ما يقصد المتنبى هذا القسم[٢] فى كافورياته كقوله :

عدوُّك مذمومٌ بكلِّ لسانِ ولو كان من أعدائك القمران

ولله سرٌّ فى علاك وإنما كلامُ العدا ضربٌ من الهذيان[٣]

إلى أن قال فى أواخرها[٤] :

قضى الله ياكافورُ أنكَ أولٌ وليس بقاضٍ أن يُرى لك ثانِ

فما لكَ تختار القسِيَّ وإنما عن السعد يرمى دونك الثقلان

وما لك تُعنى بالأسنة والقنا وجدُّك طعَّان بغير[٥] سنان

ولِمْ تحملُ السيفَ الطويلَ نجادُه وأنت غنيٌّ عنه بالحدَثان[٦]

---

(١) ا : التعليل . تحريف .

(٢) يظهر لنا أن هذا الكلام منقول من كتاب المثل السائر : الفصل الثالث فى الحكم على المعانى ففيه ذكر الفرق بين التفسير والتأويل وأن التأويل على أقسام ثلاثة : منها أن يدل الكلام على المعنى وضده وهو قليل الوقوع فى الكلام ، ويدل على براعة الشاعر وحسن تأتيه وقد ذكر أمثلة لذلك منها بيت المتنبى : وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا. . . ومنها : فإن نلت ما أملت منك . . . ثم قال : وكثيراً ما يقصد المتنبى هذا القسم فى شعره فهذا القسم أى من أقسام التأويل التى ذكرها صاحب المثل السائر .

(٣) هذا البيت إلى الهجاء أقرب لأنه نسب علوه إلى قدر جرى به من غير استحقاق ، والقدر قد يوافق بعض الناس فيعلو وإن كان ساقطاً باتفاق من القضاء .

(٤) ف ، ح ، د ، ه : آخرها .

(٥) كذا فى الديوان : وجميع النسخ : بكل . ورواية الديوان أجود فى المدح .

(٦) يشير فى هذا البيت والبيتين قبله إلى مصرع شبيب الذى لم يقتل بشىء من السلاح ، وشبيب هذا هو شبيب بن جرير العقيلى كان والياً بعمان والبلقاء وما بينهما وقد عظم أمره حتى اجتمعت إليه العرب وكثرت حوله وطمع فى الأسود وسولت له نفسه أخذ دمشق والعصيان بها وبعد أن كاد يفتح دمشق سقط عن جواده ميتا وهزم أصحابه ، وأخذ رأسه إلى مصر ، فطالب الأسود أبا الطيب بذكره فأنشد هذه القصيدة ومنها :

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان

كأن رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسى وأنت يمان

وبعد ذلك تستطيع أن تفهم أن كافوراً ينتصر بالحظ لا بالشجاعة ولذلك من الممكن أن نفهم أن هذه الأبيات هجاء أيضاً .

وهذا مما[1] يدل على براعة البليغ وقدرته على المعانى ، ومثله ورد فى الحديث النبوى من كلام النبوة الأولى (إذا لم تستحىِ [2]فاصنع ما شئت) فهذا الحديث على معنيين ضدين [3] ومثله قول الفرزدق[4] :

إذا جعفر مرتْ على هضْبــة الحمى   فقد أخزَتِ الأحياءَ منها قبورُها[5]

فإنه يدل [أيضًا][6] على معنيين : أحدهما ذم الأموات ، والآخر مدح الأموات[7] . وقوله أيضًا فى كافور :

فِدًى لأبى المسك الكــرامُ فإنها   سوابقُ خيــل يهتدين بأدهم[8]

أغــرَّ بمجدٍ قد شخصن وراءه   إلى خُلُقٍ رَحْب ، وخَلْقٍ مُطهَّم[9]

ومن رام معرفةَ مُرادِ أبى الطيب فى هذين البيتين فعليه بقول ابن الرومى وهو[10] :

هم الغرةُ البيضاءُ من آل مُصْعَبٍ   وهُمْ بقعةُ التحجيل والناسُ أدْهم

مدحه ورثاؤه لفاتك

وكان أبو الطيب يأنس بمصر بفاتك الإخشيدىّ المعروف بالمجنون ، ومدحه بالقصيدة التى أولها :

---

(١) هـ : ما .

(٢) سائر النسخ : إذا لم تستح وهى رواية .

(٣) أحدهما إذا لم تفعل فعلا تستحى منه فافعل ما شئت ، والآخر إذا لم يكن عندك حياء يزعك عن فعل ما يستحى منه فافعل ما شئت والأول مدح والثانى ذم .

(٤) الفرزدق : هو أبو فراس همام بن غالب أحد فحول الشعراء الأمويين وله مع جرير نقائض تعد وثيقة تاريخية لعصرهما . و يمتاز شعره بفخامة الألفاظ وخشونة المعانى والميل إلى الفخر مات سنة ١١٤هـ.

(٥) جعفر بن كلاب أبو قبيلة .

(٦) ساقطة من ا ، ب .

(٧) أما ذم الأموات فهو أن لهم مخازى يستحيى منها أبناؤهم إذا مروا بقبورهم . وأما مدحهم فهو أنهم ثبتوا فى المعركة وفر عنهم الأحياء .

(٨) الضمير فى « فإنها » عائد على الكرام والذى حمله على أن يقول « فإنها » أنه شبههم بالسوابق ولو قال : فإنهم سوابق لكان جيدا .

(٩) أغر : ذو غرة وهو صفة لأدهم فى البيت قبله . شخصن : رفعن أنظارهن . مطهم : حسن أوتام الخلقة .

(١٠) وهو : ساقطة من سائر النسخ .

لا خيلَ عندكَ تُهديها ولا مالُ   فليُسعِدِ النطقُ إن لم تُسعدِ الحالُ (١)
واجْزِ الأميرَ الذى نعماه فاجئةٌ   بغير قول ونُعمى الناس أقوال (٢)

فتوفى فاتك (٣) ورثاه المتنبى وهجا كافورا بقصيدة أولها :

الحزنُ يُقلق والتجملُ يَرْدع   والدمعُ بينهما عصىٌّ طيِّعُ

ومنهـا :

تصفو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ   عما مضى فيها وما يُتوقع

ومنهـا :

كنـا نظنُّ ديـارَه مملوءةً   ذهبًا فمات وكل دار بلقعُ
المجد أخسرُ والمكارمُ صفقةً   من أن يعيش لها الكريم الأروع (٤)

ومنها :

يا من يُبـدِّل كـلَّ يوم حُلَّةً   أنّى (٥) رضيتَ بحُلّةٍ لا تُنزع (٦)
لا (٧) زلتَ تخلعها على من شاءها   حتى لبستَ اليومَ مالا يُخلع

ومنها :

مَنْ للمحافل والجحـافل والسُّرى   فقَدَتْ بفقـدكَ نيِّراً لا يَطلُع
ومن اتخذت على الصفوف (٨) خليفةً   ضاعـوا ومثلُك لا يكاد يُضيِّع

---

(١) يخاطب الشاعر نفسه وهذا من قول يزيد بن المهلب :

إن يعجز الدهر كفى عن جزائكم   فإننى بالثنا والشكر مجتهـد

(٢) ا ، ب والديوان : فاجئة . سائر النسخ : واجبة . وفى هذا تعريض بكافور وقد صرح بهذا المعنى فى كافور إذ يقول :

جود الرجال من الأيدى وجودهم   من اللسان فلا كانوا ولا الجود

(٣) قال ابن جنى : كان المتنبى يترحم على فاتك ولم أره أشكر لأحد من فاتك .

(٤) الأروع : الذكى الفؤاد . والمعنى : شقيت المكارم والمجد بموت من كان يعززها . الديوان : الهمام .

(٥) أنى : كيف .

(٦) حـ ، د ، هـ : لا تنفع .

(٧) الديوان وسائر النسخ : ما زلت . وفى حـ ، د ، هـ : شافها فى موضع شاءها . تحريف .

(٨) الديوان وسائر النسخ : الضيوف .

قبحًا لوجهك يا زمانُ فإنه وجهٌ له من كل لؤم[١] بُرقُع[٢]
أيموتُ مثلُ أبي شجاع فاتك ويعيشُ حاسدُه الخصيُّ الأوكعُ[٣]

وله فيه أيضًا من قصيدة * قالها بعد رحيله من مصر وهي[٤] :

من لا تشابهُه الأحياءُ في شِيَمٍ أمسى[٥] تُشابهُه الأمواتُ في الرِّمَمِ
عَدِمْتُه وكأني سِرتُ أطلبه فما تزيدنيَ الدنيا على العَدَمِ
ما زلتُ أُضحِكُ إبْلي كلما نظرتْ إلى مَن اختضبتْ أخفافُها بدَمِ[٦]
أُسيِّرها بين أصنامٍ أشاهدها ولا أشاهدُ فيها عِفَّةَ الصنمِ[٧]
حتى رجعتُ وأقلامي قوائلُ لي المجدُ للسيف ليس المجدُ للقلمِ[٨]
اكتبْ بنا أبداً بعد الكتابِ به فإنما نحن للأسياف كالخدمِ[٩]
أسمعتِني[١٠] ودوائي ما أشرتِ به فإن غفلتُ فدائي قلةُ الفَهَمِ
من اقتضى بسوى الهندي حاجته أجاب كلَّ سؤال عن هلٍ بلَمِ[١١]

---

(١) الديوان : قبح .

(٢) ح ، د ، هـ : موقع مكان برقع .

(٣) كذا في ا ، والديوان . سائر النسخ : الأكتع . والأوكع وصف من الوكع وهو عيب في اليد والرجل ويكون في العبد ، والأوكع : الأحمق أيضاً . والأكتع : من الكتع وهو تشنج في اليد .

* مطلعها :

حتام نحن نساري النجم في الظُّلَم وما سراه على خف ولا قدم

(٤) وهي : ساقطة من سائر النسخ .

(٥) كذا في الديوان . وفي سائر النسخ : أمست .

(٦) يقول : ما زلت أسافر عليها إلى ما لا يستحق القصد إليه فلو كانت الإبل ممن يضحك لضحكت استخفافاً إذا نظرت إلى من كلفتها مشقة السفر وقطع الفلوات إليه حتى اختضبت أخفافها بالدم .

(٧) يذم بعض من يقصدهم بأنهم كالأصنام بل الأصنام أفضل منهم لأنهم لا يعفون عن منكر ولا قبيح .

(٨) في هذا البيت نظر إلى قول أبي تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

(٩) الكتاب : الكتابة . جعل الضرب بالسيف كتابة والبيت من قول البحتري :

تعنو له وزراء الملك خاضعة وعادة السيف أن يستخدم القلما

(١٠) الخطاب للأقلام وقد أكده بالبيت بعده .

(١١) يقول : من طلب حاجته بغير السيف أجاب سائله عن قوله : هل أدركت حاجتك؟ بقوله لم أدرك . *والمتنبي شاعر يدين بالقوة ويراها الوسيلة العملية لدرك المطالب وهو الذي يقول :*

من أطاق التماس شيء غلابا واغتصابا لم يلتمسه سؤالا

وآخر ما مدح به كافورًا قصيدته التى أولها :

مُنًى كُنَّ لى أن البياضَ خِضابُ ... فَيَخْفَى بتبييض القرونِ شبابُ[١]

ليالىَ عند البيض فَوْداى فتنةٌ ... وفخرٌ وذاك الفخرُ عندىَ عابُ[٢]

فكيف أذمّ اليوم ما كنتُ أشتهى ... وأدعو بما أشكوه حين أجاب[٣]

جلا اللونُ عن لونٍ هدَى كلَّ مسلكٍ ... كما انجاب عن ضوءِ النهار ضباب[٤]

وفى الجسم نفسٌ لا تشيبُ بشيبه ... ولو أن ما فى الوجه منه حِراب[٥]

لها ظُفُرٌ إنْ كلَّ ظُفْرٌ أُعِدُّه ... ونابٌ إذا لم يبقَ فى الفم ناب[٦]

يُغيّر منى الدهرُ ما شاء غيرَها ... وأبلغ أقصى العُمْرِ وهْىَ كَعَاب[٧]

وإنى لنجمٌ تهتدى صُحبتى به ... إذا حال من دون النجوم سَحاب

غنىٌّ عن الأوطانِ لا يستفزنى ... إلى بلدٍ سافرتُ عنه إياب

ومنهـا :

وهل نافعى أن تُرفعَ الحُجْبُ بيننا ... ودونَ الذى أمّلتُ منكَ حجابُ[٨]

---

(١) القرون : الذوائب أى ضفائر الشعر . يقول : إنه لرغبته فى شرف المشيب لأنه أوقر وأجل فى العين كان يتمنى فى شبابه أن يكون بياض الشيب خضابا يستر به سواد الشعر كما يستر الشيوخ بياضه بالسواد .

(٢) الفودان : جانبا الرأس . كان يتمنى المشيب فى الليالى التى كان رأسه فيها فتنة عند النساء لحسن شعره وسواده . وكن يفتخرن بوصله ، إلا أن ذلك الفخر عيب عنده لأنه مباين للعفة والكمال .

(٣) المعنى : فكيف أشكو الشيب اليوم وقد كنت أتمناه وأنا شاب . وقد احتذى فى هذا ابن الرومى حيث يقول :

هى الأعين النجل التى كنت تشتكى ... مواقعها فى القلب والرأس أسود

فما لك تأسى الآن لما رأيتهـا ... وقد جعلت ترمى سواك وتعمـد

فنقل نظر الأعين إلى ذكر المشيب والشباب .

(٤) جلا : كشف . وأراد باللون الأول السواد وبالثانى البياض والمعنى : كأن بياض الشيب كان مستورا تحت السواد فلما زال السواد عنه انكشف فاهتدى صاحبه فى كل مسلك من الرشد كالنهار إذا انكشف عنه الضباب فاهتدى السالك فى ضوئه .

(٥) سائر النسخ : لا تشيب بشيبة . ، جراب مكان حراب وهذه تحريف ويريد بالبيت أن همته قوية .

(٦) لها : أى للنفس والبيت حرف فى سائر النسخ .

(٧) الكعاب : الفتاة تكعب ثديها وبرز .

(٨) فى هذا تصريح بأنه لم ينل ما كان يأمل فى كافور وأوضح منه ما مر من قوله :

أبا المسك هل فى الكأس فضل أناله ... فإنى أغنى منذ حين وتشرب

أقلُّ سلامى حُبَّ ما خفَّ عنكمُ وأسكتُ كيما لا يكونَ جوابُ[١]
وفى النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ سكوتى بيانٌ عندها وخِطابُ[٢]

وانقطع أبو الطيب بعد إنشاد هذه القصيدة لا يلقى الأسودَ إلاَّ أن يركبَ فيسيرَ معه فى الطريق ، وعمِل[٣] على الرحيل ، وقد أعدَّ كلَّ ما يحتاج إليه على ممر الأيام بلطف ورفق ، ولا يعلم به أحد من غلمانه ، وهو يظهر الرغبة فى المُقام ، وطال عليه التحفظ ، فخرج ودفن الرماح فى الرمال ، وحمل الماء على الإبل لعشرِ ليال ، وتزود لعشرين ، وقال فى يوم عرفة من سنة خمسين[٤] وثلاثمائة قبل سيره من مصر بيوم :

عيدٌ بأيّة حالٍ عُدْتَ ياعيدُ بما[٥] مضى أم لِأمرٍ فيك تجديدُ

ومنها :

إنى نزلتُ بكذابين ضيفُهمُ عن القِرى وعن التَّرحال محدودُ
جودُ الرجالِ من الأيدى وجودُهُمُ من اللسانِ فلا كانوا ولا الجودُ

ومنها :

أكلما اغتال عبدُ السوءِ سيدَه أو خانه فله فى مصرَ تمهيدُ
صار الخَصىُّ إمامَ الآبقين بها فالحرُّ مستعبَدٌ والعبدُ معبود

وآخرها :

أولى اللئامِ كُوَيفيرٌ بمعذِرة فى كل لؤم وبعضُ العذرِ تَفْنيدُ[٦]

---

(١) يقول : إنى أقلل من زياراتى وسلامى رغبة فى ألا أثقل عليكم .

(٢) يشير بهذا أيضاً إلى ما فى نفسه من الحصول على ولاية من كافور .

(٣) حـ ، د ، هـ : عجل . تحريف .

(٤) هـ : سنة ٣٥٣ . تحريف .

(٥) حـ ، د ، هـ : مما .

(٦) الأصل : بمعتذر مصدر ميمى بمعنى الاعتذار . الديوان وسائر النسخ : بمعذرة وهذا أشهر . التفنيد : اللوم وتضعيف الرأى . ومعنى البيت أن أولى من عذر فى لؤمه كافور لخسة أصله وضعة قدره . وبعض العذر لوم وهجاء . يريد : أن عذرى فى لؤمه لوم .

وذاك أنّ الفحولَ البيضَ عاجــزةٌ عن الجميل فكيف الخصيةُ السود(١)

وفى يوم العيد سار من مصر هاربًا ، وأخفى طريقه ، فلم يؤخذ(٢) له أثَر ، حتّى قال بعض أهل البادية : هبه سار فهل محا أثره ؟ وقال بعض المصريين إنما عمل طريقًا تحت الأرض ، وتبعته البادية والحاضرة من سائر(٣) الجوانب ، وبذَل كافورٌ فى طلبه ذخائر الرغائب ، وكتب إلى عماله(٣) فى سائر أعماله(٤) ، ودخل أبوالطيب إلى موضع يُعرف بنَخْل بعد أيام ،وسار حتى قَرُبَ من النقاب(٥) فرأى رائدين لبنى سُليم(٦) على قَلوصين(٧) ، فركب الخيل ، وطَرَدهما ، حتى أخذهما ، فذكرا له أن أهلهما أرسلوهما رائدين ، فاستبقاهما وردّ عليهما القَلُوصَين وسلاحَهما ، وسارا معه(٨) حتى توسط بيوتَ بنى سُلَيم آخر الليل ، فضرب له

هربه من مصر

(١) الرأى فى مدح المتنبى كافورا وهجائه إياه أن المتنبى كان متردداً فى قصده غاية التردد لأن أحوالا قاسية هى التى أرغمته على مفارقة سيف الدولة الأمير العربى الأريحى وقد كان يرجو عنده كل أمانيه فاضطرته هذه الأحوال إلى أن يقصد كافورا وغيره من الذين لا يرى استحقاقهم ما نعموا به من ملك وسطوة وبخاصة أنه عربى يمقت الموالى وتكاد نفسه تتفطر مما أصاب دولة العرب وتوزعها بينهم وفى ذلك يقول :

وإنمـا النــاس بالملوك وما تفلـح عرب مـلوكها عجم
فى كل أرض وطئتهـا أمم ترعى بعبـد كأنهـا غنم

وكان فى الوقت نفسه يرى حاجته إلى المال ويتطلع إلى أن ينال عند كافور ما لم ينل عند سيف الدولة فيمدحه ثم تعاوده خواطره فيتردد حتى يأتى الشعر ظاهره مدح وباطنه هجاء لاذع ثم يهجوه صريحاً بعد أن ييأس منه ويفارقه فدحه كافورا لهذا لم يكن صادراً عن عاطفة صادقة ولهذا لا نجده فى جودة مدحه سيف الدولة ولكن هجاءه كان موجعاً حقاً .

(٢) سائر النسخ : يوجد .

(٣ - ٣) ما بين الرقمين ساقط من ح .

(٤) أعماله : ولاياته ..

(٥) النقاب : موضع قرب المدينة المنورة ينشعب منه طريقان إلى وادى القرى ووادى المياه ذكره أبو الطيب فقال :

وأمست تخـيرنا بالنقـا ب وادى المياه ووادى القرى

ونخل : موضع غربى مسجد الأحزاب وقيل هو على ثلاثة أميال من المدينة وقيل منهل دون المدينة .

(٦) بنو سليم : من العرب الضاربين قرب المدينة .

(٧) القلوص : الفتى من الإبل الذكر والأنثى .

(٨) ب ، ح ، د ، ه : وسار معهما .

مُلاعِبٌ(١) خيمة بيضاءَ ، وذبح له ، وسار إلى النقيع (٢) ، فنزل ببادية مَعْن ، فذُبح له ، وسار إلى أن دخل حِسْمَى(٣) ، وهى أرضٌ كثيرةُ النخل ، وطابت له حِسْمى ، فأقام بها شهراً ، وكان نازلا بها عند وَردانَ بنِ ربيعةَ الطائىّ ، فاستغوى عبيدَه ، وأجلسهم مع امرأته ، فكانوا يسرِقون له الشىء بعد الشىء من رحله . وكاتب الأسودُ سائرَ قبائلِ العرب فى طلبه ، وظهر لأبى الطيب فسادُ عبيدِه ، وكان وردانُ الطائىُّ يرى عند أبى الطيب سيفاً مستوراً ، فسأله أن يَنظرَه ، فأبى ، لأنه كان على قائمته مِئةُ مثقال من الذهب ، وكان السيف ثميناً (٤) ، فجعل الطائىّ يحتال على العبيد بامرأته ، طمعًا فى السيف ، لأن بعضهم أعطاه خبره ، فلما أنكر أبو الطيب أمر العبيد ، ووقف على مكاتبة الأسودِ ، ترك عبيدَه نيامًا ، وتقدم إلى الجِمال فشدّ عليها أسبابَه ، وسار والقوم لا يعلمون برحيله ، وطرح عبيده على الإبل وهم لا يعلمون(٥) ، وأخذ فى المسير ، وأخذ بعض العبيد السيف فى الليل ، فدفعه إلى عبدٍ آخر مع فرسه ، وجاء ليأخذ فرس أبى الطيب ، فتنبه له ، فقال الغلام : أخذ العبدُ الفرسَ يُغالطه ، وعدا نحو الفرس ليقعد فى ظهره فالتقى هو وأبو الطيب عند الحصان ، وسلّ العبدُ السيفَ فضرب رسنه ، وضرب أبو الطيب وجه العبد ، وأمر الغلمانَ بقتله ، وكان هذا العبد أشدَّ من معه وأفرس ، فقال أبو الطيب القطعة التى أولها :

أعددت للغادرين أسيافَا أجدعُ منهم بهن آنافا

---

(١) رجل من بنى سليم .

(٢) ا ، ب : اليفع . حـ ، د ، هـ : البقيع والصواب فى كل هذا النقيع بالنون وهو النقيع المحمى الذى حماه رسول الله صلى الله عليه وسلم لخيل الجهاد وزاد فيه سيدنا عمر ثم سيدنا عثمان من بعده وهناك نقيع آخر وهو نقيع الخضمات. وأما البقيع فهو مقبرةأهل المدينة فى داخلها. انظر معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى فى النقيع المحمى .

(٣) حسمى : أرض ببادية الشام بينها وبين وادى القرى ليلتان وأهل تبوك يرون جبل حسمى فى غربيهم وحسمى مسكن جذام من العرب وقد أشار ياقوت إلى أن المتنبى قد مر بحسمى ووصفها بأنها أرض طيبة .

(٤) كذا فى ا وفى ب : يمينا ولعلها يمنيا . حـ ، د ، هـ : يمانيا وهذا هو الأقرب .

(٥) هذا كلام أشبه بالخرافة .

وقال أيضًا يهجو وردان :

إن تك طَيّئٌ كانت لئاما ... فألأمها ربيعةُ أو بنوهُ [١]

وإن تك طيئٌ كانت كراما ... فَوَرْدانٌ لغيرهمُ أبوهُ [٢]

مرَرْنا منه فى حِسْمَى بعبدٍ ... يَمُجُّ اللؤمَ مَنْخِرُه وفُوهُ

أشذّ بِعِرسه عنّى عبيدى ... فأتلفهم ومالِىَ أتلفوهُ

فإن شَقِيتْ بأيديهم جِيادى ... لقد شقيتْ بِمُنصُلِىَ الوجوهُ

ثم لما توسط بُسَيطة[٣] وهى أرضٌ تقربُ من الكوفة ، رأى بعضُ عبيده ثورًا[٤] يلوح * فقال هذه منارة الجامع ، ونظر آخر إلى نعامة فقال هذه نخلة ، فضحك أبو الطيب وضحكت البادية[٥] التى كانت معه وقال :

بُسيطةُ مهلاً سُقيتِ القِطارا ... تَرَكْتِ عيونَ عبيدى حَيارَى

فظنوا النعامَ عليكِ النخيلَ ... وظنوا الصُّوارَ[٦] عليكِ المنارَا

وأمسك صحبى بأكوارهم ... وقد قَصَد النومُ فيهم وحارَا [٧]

ذكر دخوله الكوفة

وسار أبو الطيب حتى دخل الكوفةَ فى شهر ربيع[٨] الآخر سنة إحدى وخمسين وثلثماية ، ونظم المقصورة التى أولها :

ألا كلّ ماشيةِ الخيْزلَى ... فِدَى كلّ ماشيةِ الهَيذبَى[٩]

---

(١) حـ ، د ، هـ : إذا كانت بنو طى لئاما . الديوان : لئن تك طيئٌ كانت لئاما .

(٢) حـ ، د ، هـ : وإن كانت بنى طى كراما . الديوان : وإن تك طيئٌ كانت كراما .

(٣) بسيطة : بلفظ التصغير أرض فى البادية بين الشام والعراق ، وهى أرض مستوية وليس بها ماء ولا مرعى ، سلكها أبو الطيب المتنبى لما هرب من مصر إلى العراق . ياقوت .

(٤) كذا فى ا ، ب . وفى معجم ياقوت : ثورا وحشيا . وفى حـ ، د ، هـ : نورا (بالنون) .

* زيادة من ب .

(٥) البادية : من معه من البدو .

(٦) القطيع من البقر الوحشى .

(٧) الديوان : فأمسك ، الضحك بدل النوم وسياق الكلام يرجح الضحك . هـ : بأنوارهم مكان بأكوارهم تحريف .

(٨) حـ : جمادى فقط . ب ، د ، هـ : جماد الآخر . الديوان شرح الواحدى : ربيع الأول .

(٩) سائر النسخ والديوان : الهيدبى وهى بمعنى الهيذبى فى إحدى روايات الديوان .

الخيزلى : مشية للنساء فيها تثاقل وتفكك . الهيذبى : ضرب من مشى الخيل فيه جد . يقول كل امرأة حسنة المشية فدى كل فرس سريعة الخطو يعنى أنه من أهل السيف تعجبه الخيل القوية على السير وليس ممن يعشقون النساء ويتغزلون بمحاسن مشيهن والقصيدة طويلة .

وصف فيها مسيره عن مصر ، وذكر المنازلَ التى قطعها ، وهجا كافورا ، وعرض بجعفر بن الفرات ، ثم توجه إلى مدينة السلام[١] .

[أبوالطيب فى مدينه السلام] *

ما جرى له مع الحاتمى

قال أبو على الحاتمىّ[٢] : كان أبو الطيب عند وروده مدينةَ السلامِ ، قد التحفَ برداءِ الكِبْرِ والعظمة ، يُخَيِّلُ له أن العلمَ مقصورٌ عليه ، وأن الشعرَ لا يَغترف عذبَه غيرُه ، ولا يَقطف نُوّارَه سواه ، ولا يرى أحداً إلاّ ويرى لنفسه مزيةً عليه ؛ حتى إذا تخيّل أنه نسيجُ وحدِه ، وأنه مالكُ رِقّ العلمِ دون غيره ، وثَقُلَتَ وطأتُه على أهلِ الأدبِ بمدينة السلامِ ، وطأطأ كثيرٌ منهم رأسَه ، وخَفَضَ جناحَه ، واطمأن على التسليم جأشُه ، وتخيل أبو محمد المهلّبى أنه لا يتمكن أحد من مساجلته ومقارعته ، ولا يقوم لمجادلته ، والتعلق بشىء من مطاعنه ، وساء مُعِزَّ الدولة[٣] أن يَرِدَ على حضرتِه رجلٌ صدرَ عن حضرة عدوّه[٤] ، ولم يكن بمملكته أحدٌ يُماثلُه فيما هو فيه ، ولا يساويه فى منزلته يبدى لهم عَوارَه ويكفى آثارَه ، ويهتك أستاره ويمزق جلابيب مساويه ، فتوخيت أن يجمعنا

(١) المتنبى فى فراره من مصر لم يقصد إلى الكوفة مباشرة بل عرج على الحجاز وسار فيه إلى أن قارب مدينة الرسول ولكنه لم يدخلها وما زال يتنقل فى مضارب الأعراب مدة لا تقل عن أربعة أشهر حتى إذا أحس أن عيون كافور وأرصاده قد انصرفت عن تتبعه خرج إلى الشام ثم إلى الكوفة وقد تتبع ياقوت فى معجم البلدان هذه الرحلة تتبعاً دقيقاً فكلما ذكر بلداً أو ماء مر به المتنبى ذكر فيه شيئاً من أخباره وربما استشهد بشىء من شعره .

* هذا العنوان من وضعنا

(٢) أبو على الحاتمى : هو محمد بن الحسن بن المظفر (كما فى معجم الأدباء ١٨ : ١٥٤) ، كان من المولعين بدرس الشعر ونقده وله فى ذلك عدة مؤلفات وقد خدم سيف الدولة مدة كان فيها مع أبى على الفارسى وابن خالويه وأبى الطيب اللغوى وأمثال هؤلاء ممن كانوا فى بساط سيف الدولة ، وكان معاصراً المتنبى وذا صلة بالوزير المهلبى ، وكلاهما يضمر للمتنبى أشد العداوة فتربص الحاتمى منتظراً قدوم المتنبى بغداد ليناظره ، ويؤلب عليه العامة ، ويزهدهم فى شعره ، وقد تم له ما أراد ، توفى سنة ٣٨٨ هـ . وما قصه المؤلف من مناظرة الحاتمى للمتنبى مختصر لم يلتزم فيه نص ما قال الحاتمى ، والرسالة منشورة بنصها بكتاب الإبانة طبع دار المعارف .

(٣) معز الدولة : يريد معز الدولة بن بويه . (٤) يريد سيف الدولة .

مجلس أجرى أنا وإياه فى مضماره ليُعرف السابقُ من المسبوق فلما لم يتفق ذلك قصدتُ مجلسَه فوافق مصيرى إليه حضورَ جماعة يقرءون عليه شيئًا من شعره فحين استؤذِنَ لى نهض من مجلسه ودخل بيتًا إلى جانبه ، ونزلت عن بغلتى وهو يرانى ، ودخلت إلى مكانه ، فلما خرج إلىّ نهضتُ إليه فوفيتُه حقّ السلامِ غيرَ مشاحٍّ له فى ذلك ، وكان سبب قيامه من مجلسه لئلا يقومَ لى عند الدخولِ إليه ولبس [١] سبعة أقبية ملونة وكان الوقت أحرَّ ما يكون من الصيف وأحقّ بتخفيف اللبس فجلس وأعرض عنى ساعة لا يُعيرنى طَرْفًا ، ولا يكلمنى حرفًا ، فكدتُ أتميز غيظًا ، وأقبلت أستخف رأيى فى قصده ، وأعاتب نفسى فى التوجه إلى مثله ، وهو مقبل على تكبره ملتفتٌ إلى الجماعة الذين بين يديه وكلٌّ واحد منهم يومئ إليه ، ويُوحى بطَرْفه ، ويُشيرُ إلى مكانى ، ويُوقِظُه من سِنة جهله ويأبى [٢] إلاّ ازْوِرَاراً ونفاراً جريًا على شاكلة خُلُقه ، ثم توجه إلىّ فوالله ما زادنى على قوله : أىّ شيء خبرك؟ فقلت ما جنيته [٣] علىَ نفسى من قصدك وكلَّفْتُ قدمى [٤] من السعى إلى مثلك ، ثم انحدرت عليه انحدار السيل وقلت أبِنْ لى عافاك الله ما الذى يُوجبُ ما أنتَ عليه [٥] من العظمة والكبرياء؟ هل هنانسب يُورثُك الفخرَ ، أو شرفٌ تُوِّجْتَ [٦] به دون أبناء الدهر ، أو علم ، أصبتَ فيه علمًا يقع الأيماءُ إليه ، أو مَوْرِدٌ تقفُ الهممْ عليه ؟ وهل أنت إلاّ وَتِدٌ بِقاعٍ فى أشر البقاع ؟ وإنى لأسمع جَعْجَعةً ولا طحن [٧] فامتُقِع لونُه ، وجعل يعتذرُ عن جِنايته ، وأقول له يا هذا إذا أتاك شريفٌ فى نسبه تجاهلتَ عليه ، أو عَظيمٌ فى أدبه صغَّرتَ قدرَه ، أو مُقدَّمٌ عند سلطانه لم تعرفْ موضعَه ، هل العز [٨]

---

(١) جميع النسخ : سبع .

(٢) ساقطة من ب . حـ ، د ، هـ : فا يزداد . . .

(٣) حـ ، د ، هـ : ما اجتنيته .

(٤) حـ ، د ، هـ : نفسى .

(٥) ساقطة من ب . حـ ، د ، هـ : فيه .

(٦) جميع النسخ : توجب مكان توجت . تحريف .

(٧) أصله المثل : أسمع جعجعة ولا أرى طحنا .

(٨) هل العز تراث . . . وردت هذه العبارة محرفة فى جميع النسخ .

تراث لك دون غيرك ؟ كلا والله ، ولكنكَ مددتَ الكبْر سترا ، وضربتهُ رواقا دون جهلك ، فعاد إلى الاعتذار وأخذت الجماعةُ فى تَلْيين جانبى ، والرغبةِ فى قبول عذره وإعمال مُياسرته ومساحته ، ويحلف بالله أنه لم يعرفنى فأقول : يا هذا ألم يُستأذن عليك باسمى ونسبى ؟ أما كان فى هؤلاء الجماعة من يُعرّفكَ بى إن كنت جَهِلْتَنى ؟ وهبْ كان ذلك ألم تَرَ تحتى بغلةً رائعةً[1] يعلوها مركبٌ ثقيل ، وبين يدى عِدّةُ غِلمان ؟ أما شاهدتَ لِباسى أما شممتَ نَشْرى أما راعك شىء من أمرى أتميز به عن غيرى ؟ وهو خافض جَناح الذل ، وقد زال عنه ما كان فيه وأقبل علىّ ، وأقبلت عليه .

ما انتقده الحاتمى على المتنبى

ثم قلتُ له يا هذا يختلج فى نفسى أشياءُ من شعرك أريدُ أن أسألَك عنها ، وأراجعَك فيها . قال وما هى ؟ قلت أخبرنى عن قولك :

إذا كان بعضُ الناس سيفًا لدولةٍ فى الناس بُوقاتٌ لها وطُبول[2]

أهكذا تُمدحُ المُلوكُ ؟ وعن قولك :

خف الله واستر ذا الجمالَ ببرقع فإن لُحتَ حاضتْ فى الخدور العواتقُ[3]

أهكذا يتشبب بالمحبوب ؟ وعن قولك :

---

(١) ح ، د ، هـ : رائقة .

(٢) موضع النقد فى تعبيره عن سيف الدولة « ببعض الناس » فمقام الملوك أرفع من هذا . وأما ما يقال من أن المتنبى أخطأ فى جمع بوق على بوقات فليس بوجيه إذ له نظائر مثل حمام وحمامات وسرادق وسرادقات على أن الكلمة أعجمية والعرب تجرى ما تعربه على أصل الجمع وهو التأنيث على أنه كان لأبى الطيب فى الصحيح مندوحة وفى الجمع عليه متسع (اقرأ الوساطة ص ٤٥٦ — ٤٥٩ طبعة عيسى الحلبى) والبيت من قصيدة فى مدح سيف الدولة مطلعها :

ليالى بعد الظاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل

(٣) البيت ساقط من ح . ب ، د ، هـ : المبرقع . هـ : خاضت . تحريف . الديوان : (ذابت) مكان حاضت . العواتق : جمع عاتق وهى الجارية المقاربة للاحتلام ووجه النقد أن مثل هذا الوصف لا يليق إلا بمحبوبة والتصريح « ببرقع » زاد الكلام قبحا . وقالوا لما أنكر عليه استعمال الكلمة : حاضت ، غيرها فجعل مكانها : ذابت . والبيت من قصيدة يمدح بها الحسين بن إسحق التنوخى أولها :

« هو البين حتى ما تأنى الحزائق »

ولا مَن فى جنَازتها تِجارٌ　　　　يكون وداعُها نفضَ النّعالِ [١]

أهكذا رثاء أخت [٢] الملك؟ والله لو قلت هذا فى أدنى عبيدِها لكان قبيحًا ، وعن قولك :

سلام [٣] الله خالقِنا حَنوطا [٤]　　　　على الوجه المكفن [٥] بالجمال

أما استحييْتَ من سيف الدولة ؟

وعن قولك فى هجاء ابن كَيَغْلَغ [٦] :

وإذا أشار مُحدِّثًا فكأنه　　　　قردٌ يُقهقهُ أو عجوزٌ تلطِمُ [٧]

أما كان فى أفانين الهجاء التى تصرفتْ فيها الشعراءُ مندوحةٌ عن هذا الكلام الذى تنفر عنه الأسماع ، ويمجه كل طبع . وأخبرنى أيضًا عن قولك فى صفة الكلب :

---

(١) المعنى أن هذه المرأة ليست من السوقة ، يشيع جنازتها باعة وتجار ينفضون نعالهم إذا رجعوا ، وإنما كانت ملكة جليلة القدر ، والعيب فى هذا النفى ، والبيت من قصيدة يرثى بها والدة سيف الدولة ومطلعها :

نعــد المشرفيــة والعــوالى　　　　وتقتلنــا المنون بلا قتالِ

(٢) القصيدة فى رثاء والدة سيف الدولة كما فى الديوان وقد تقدم مطلعها .

(٣) الديوان : صلاة .

(٤) جميع النسخ : حنوطا . الديوان : حنوط .

(٥) ب : الملفق . تحريف . حـ ، د ، هـ : المبرقع . الحنوط : طيب يستعمل فى غسل الميت . الصلاة : الترحم والدعاء . والعيب فى وصفه أم الملك بالوجه الجميل .

(٦) ابن كيغلغ : هو أبو إسحق الأعور إبراهيم بن كيغلغ والى أطرابلس أو طرابلس (بلد بالشام) وكان جاهلا ، فأغراه ثلاثة من جلسائه بأبى الطيب ، وكان بينهم وبين أبى الطيب عداوة ، فقالوا ما نحب أن يتجاوزك ولم يمتدحك ، وإنما يترك مدحك استصغاراً لك ، فسأل الوالى أبا الطيب أن يمدحه واحتج الشاعر بيمين عليه ألا يمدح أحداً إلى مدة ، فعاقه الوالى عن طريقه وكان يريد أنطاكية ينتظر انقضاء تلك المدة ، وأخذ عليه الطرق ، ومات الثلاثة الذين كانوا يغرونه بأبى الطيب فى مدة ٤٠ يوماً فقال أبو الطيب يهجوه وهو بأطرابلس — قال ولو فارقته قبل قولها لم أقلها أنفة من اللفظ بما فيها — وأملاها على من يثق به وخرج إلى دمشق ولم يدركه رجال ابن كيغلغ ومطلع القصيدة :

لهوى النفوس سريرة لا تعـلم　　　　عرضا نظرت وخلت أنى أسلم

وفيها فحش يستحيى منه المتنبى .

(٧) قالوا لا معنى لتشبيه الحديث باللطم وكان حقه أن يضع فى موضع : يلطم تولول أو تبكى والاحتجاج للمتنبى سهل لأن اللطم لا بد أن يصحبه صوت .

فصار(١) ما فى جلده فى المرجل ولم يَضِرْنا(٢) معه فقدُ الأجدل (٣)

أىُّ شىء أعجبك من هذا الوصف ؟ أعذوبةُ عبارته أم لطفُ معناه ؟ أما قرأتَ رَجَزَ الحسنِ بن هانئ(٤) وطَرْدية(٥) ابن المعتز(٦) أما كان فى المعانى التى ابتدعها هذان الشاعران ما تتشاغلُ به عن بُنيات فكرك من اللفظ اللئيم ؟ وعن قولك :

أرقٌ على أرقٍ ومثلىَ يأرق وجوًى يزيدُ وعبرةٌ تترقرقُ (٧)

أهكذا تكون الافتتاحات ؟

وعن قولك :

أحبُّك أو يقولوا جرّ نملٌ ثَبيرًا وابن إبراهيمَ رِيعا (٨)

أهكذا تكون المخالص ؟

---

(١) الديوان : وصار . (٢) د ، ه : يصرنا . تحريف .

(٣) البيت فى وصف الظبى الذى صاده الكلب لا فى وصف الكلب كما يقول الحاتمى . الضمير من : جلده للظبى و « ما فى المرجل » كناية عن لحمه . الضمير فى : معه يعود على الكلب . الأجدل : الصقر ومعنى الشطر الثانى أن الكلب أغنانا عن الصقر فلم يضرنا فقده ولعله أراد البيت السابق لهذا وهو قوله :

كأنه من علمه بالمقتل علم بقراط فصاد الأكحل

فهذا فى وصف الكلب حقاً وبقراط : حكيم قديم يضرب به المثل فى الطب والحكمة . والأكحل : عرق فى الذراع من عروق الفصاد . والنقد الموجه إليه أن الأكحل ليس بمقتل لأنه من عروق الفصد وهو يصف الكلب بالعلم بالمقتل وهذا خطأ ظاهر ورد بأن المتنبى لم يخطىء لأن فصد الأكحل من أسهل أنواع الفصد فإذا احتاج بقراط إلى تعلم فصد الأكحل من الكلب فهو إلى تعلم غيره أحوج .

(٤) الحسن بن هانئ هو أبو نواس .

(٥) الطرد : بفتحتين مزاولة الصيد وهو باب من أبواب الأدب أكثر القول فيه كثير من الشعراء كأبى نواس وابن الرومى وابن المعتز .

(٦) هو عبد الله بن المعتز أحد خلفاء العباسيين ، منزلته فى الشعر والنثر رفيعة ويشتهر بتشبيهاته الرائعة وهو أول من كتب فى البديع توفى سنة ٢٩٦ ه .

(٧) مطلع قصيدة فى مدح أبى منتصر شجاع بن محمد بن أوس بن معن الأزدى . والنقد أن المطلع يشعر بالهم ويدعو إلى الكآبة . فذكر الأرق والجوى والعبرة جعلت المطلع — والقصيدة فى المدح — غير مستساغ .

(٨) د ، ه : ريعا بفتح الراء وسكون الياء خطأ والصواب ريع مجهول راعه أى خوفه . ثبير : اسم جبل . ابن إبراهيم : الممدوح وفى العرف رواية أخرى : ثبير أو ابن ابراهيم . . . وهو من قصيدة يمدح بها على بن إبراهيم التنوخى أولها :

ملث القطر أعطشها ربوعا وإلا فاسقها السم النقيعا

وقد تقدم الكلام على هذا المطلع . ومعنى البيت : لا أزال أحبك إلى أن يقال : إن النمل جر هذا الجبل ، أو إن بعض الناس أخاف هذا الممدوح . يريد أن ذلك لا يكون فحبته لا تزول .

وعن قولك :

فقلقلْتُ بالهمِّ الذى قلقل الحشا قلاقلَ عيسٍ كلهن قلاقلُ (١)

قال أبو على الحاتمى فأقبل علىَّ وقال أين أنت من قولى ؟

كأن الهام فى الهيجا عيونٌ وقد طُبعتْ سيوفُك من رُقاد

وقد صُغتَ الأسنةَ من هُموم فما يَخْطُرْنَ إلاَّ فى فؤاد (٢)

وأين أنت من قولى فى وصف جيش :

فى فيلق من حديد لو قذفتَ به صَرْفَ الزمان لما دارتْ دوائرُهُ (٣)

وأين أنت من قولى ؟ :

لو تَعقِل الشجرُ الَّتى قابلتَها مدَّتْ مُحَيِّيَةً إليكَ الأغْصُنا (٤)

ومن (٥) قولى أيضًا :

أينفع فى الخيمة العُذَّلُ وتشملُ مَنْ دهرَه يَشملُ (٦)

وما اعتمدَ اللهُ تَقْويضَها ولكن أشارَ بما تَفْعَلُ (٧)

وقولى فيها أيضًا :

وملمومةٌ زَرَدٌ ثوبُها ولكنه بالقنا مُخْمَلُ (٨)

---

(١) هذا البيت من قصيدة قالها فى صباه أولها :

قفا تريا ودقى فهاتا المخايل ولا تخشيا خُلفاً لما أنا قائل

قلقل : حرك . العيس : الإبل . قلاقلها : خفافها ، وقلاقل الثانية إما بمعنى الأولى ، أى إبلا خفافا كلهن خفاف ، أو جمع قلقلة وهى الحركة ، والمعنى : حركت بسبب الهم الذى حرك نفسي إبلا خفافا فسافرت. غير معرج بالمقام الذى يلحقنى فيه الضيم . وعيب البيت ظاهر للتنافر الواضح من كثرة القافات واللامات فيه

(٢) البيتان من قصيدة يمدح بها الحسين بن الحسن التنوخى . والحسن جاء من ناحية اختياره أليق مشبه به لمشبه ، وسيأتى حديث عنهما .

(٣) من قصيدة يمدح بها جعفر بن كيغلغ من أمراء حمص .

(٤) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار . (٥) جميع النسخ «عن» مكان «من» تحريف .

(٦) الديوان: يقدح . . . وتشمل من دهرها . (٧) هذا البيت ساقط من : حـ .

(٨) الأصل: تحمل مكان مخمل . تحريف . وكان سيف الدولة قد ضرب خيمة بميافا رقين وأشاع الناس أن مقامه يتصل بها فهبت ريح شديدة فوقعت الخيمة وتكلم الناس فى ذلك فقال أبو الطيب قصيدة منها هذه الأبيات ومعنى البيتين الأولين : لا ينفع فى هذه الخيمة أن تعذل على سقوطها فعذرها واضح ، وكيف لها أن تشمل من يشمل الدهر بسلطانه ؟ ومن كان بهذا المحل لا يعلوه شىء ، ولم يرد الله حطها ، وإنما كان سقوطها تنبيهاً منه جل شأنه لك على ما تفعله من الرحلة والتوجه للغزو ، وليس الأمر على ما يقول الناس . ومعنى البيت الثالث : أن جيشك يمنعك من وصول أعدائك إلى ما يشتهون منك. والملمومة : الكتيبة . والزرد : حلق الدروع . وخمل الثوب معروف .

وأين أنتَ من قولى ؟

النَّاسُ ما لم يَرَوْكَ أشباهُ ... والدهرُ لفظٌ وأنت معناه

وأين أنت من قولى ؟

وما شرِقَ بالماء إلاّ تذكراً ... لماء به أهلُ الحبيب نزولُ

يُحرّمه لمعُ الأسنةِ فوقه ... فليس لظمآن إليه سبيلُ

أما يكفيك إحسانى فى هذه وتغفرَ[١] إساءتى فى تلك ؟ قلت : ما أعرفُ لك إحساناً فى جميع ما ذكرت ، وإنما أنتَ سارقٌ متّبع ، وآخذٌ مُقصِّر . وفيما تقدم عن هذه المعانى مندوحة عن التشاغل بها .

فأما قولك :

كأن الهام فى الهيجا عيونٌ ... وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صُغتَ الأسنة من هموم ... فما يخطرن إلا فى فؤاد

فمنقول من منصور النمرى[٢] :

فكأنما وَقْعُ الُحسامِ بهامه ... خَدَرُ[٣] الأسنة أو نُعاسُ الهاجع[٤]

وأما قولك :

فى فيلق من حديد لو قذفت به ... صرفَ الزمان لما دارت دوائره

فإنما نقلته نقلاً لم تحسن فيه ، وهو قول الناجم[٥] :

---

(١) سائر النسخ : تغفر عن .

(٢) سائر النسخ : من قول النميرى منصور بزيادة « قول » وتقديم النميرى على منصور ، والنميرى خطأ صوابه النمرى — كما أثبتنا — نسبة إلى النمر بن قاسط قبيلة الشاعر وهو منصور بن سلمة بن الزبرقان من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة اتصل بالفضل بن يحيى الذى وصله بالرشيد .

(٣) فى جميع النسخ : حذر . تحريف . ح : بهامة موضع بهامه . تحريف .

(٤) روى البيت فى التبيان :

وكأن موقعه بجمجمة الفتى ... سكر المدامة أو نعاس الهاجع

وهو يؤيد أن الكلمة خدر لا حذر .

وفى أخبار أبى الطيب لتوفيق البكرى .

وكأنما وقع الحسام بهامهم ... خدر المنية أو نعاس الهاجع

وإن وقع تحريف فى : خدر .

(٥) الناجم : هو محمد بن سعيد المصرى قال المرزبانى فى معجم الشعراء : كان فى ناحية وهب ابن إسماعيل ابن عياش الكاتب ، وأكثر مدحه فيه وفى أهله .

ولى فى أحمد أملٌ بعيدٌ ومدحٌ قد مدحتُ به طريفُ
مديحٌ لو مدحْتُ به الليالى لما دارتْ علىّ لها صروفُ

والناجم نقله من قول أرسطو وهو: قد تكلّمت بكلام لو مدحت به الدهر لمادارت علىّ صروفه[١].

وأما قولك :

لو تعقِل الشجر التى قابلتها مدّتْ مُحَيِّيَةً إليكَ الأغصنا

فهذا معنى مبذول قد تجاذبتْه الشعراء ، وأولُ من نطق به الفرزدقُ بقوله :

يكاد يُمسكه عِرفانَ راحته ركنُ الحطيم إذا ما جاءَ يَستلمُ [٢]

ثم تكرر على ألسنة الشعراء ، إلى أن قال أبو تمام :

لو سعتْ بقعةٌ لإعظامِ أخرى لَسَعَى نحوَها المكانُ الجديبُ [٣]

وأخذَ هذا المعنى البحترىّ ، فقال :

ولَوَ ان مشتاقًا تكلف فوق ما فى وُسْعه لَسَعى إليك المِنبرُ[٤]

وأما قولك :

وما اعتمد الله تقويضها ولكن أشار بما تفعل .

فهذا مأخوذ من قول رجل مدح بعض أمراء الموصل ، وقد عزم على المسير ، فاندقّ لواؤه فقال :

ما كان مُندقٌّ اللواءِ لريبة تُخشى ولا أمر يكون مرتلا
إلاّ لأن العودَ صغّر متنَه صِغَرُ الولاية فاستقل الموصلا

وأما قولك :

الناس ما لم يَرَوْكَ أشباه والدهر لفظُ وأنت معناه .

فنقول من قول منصور بن بسام[٥].

---

(١) جاء هذا المعنى منظوماً فى هامش التبيان هكذا :

كلم إذا ما كنت ممتدحاً بهــا ذا الدهر ما دارت على صروفه

وواضح أن النظم ليس لأرسطو .

(٢) من قصيدة للفرزدق فى زين العابدين على بن الحسين مطلعها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

(٣) فى وصف سحابة .

(٤) من قصيدة يهنئ بها المتوكل بعيد الفطر وخروجه للصلاة .

(٥) منصور بن بسام : لعل فيه تحريفاً والمراد به أبو الحسن على بن محمد بن نصر بن منصور ابن بسام الشاعر الكاتب ، والبيتان اللذان نسبهما له المؤلف وردا فى العكبرى طبعة الحلبى (٢ : ١٢٩) منسوبين لعبد الله بن المعتز ونسبهما ياقوت فى معجم الأدباء (١٨ : ١٦٦) لابن بسام فى عبيد الله ابن سليمان يرثيه ، وقوله الآتى : (استوى الناس) أخذه منه المتنبى فى قوله : (الناس ما لم يروك أشباه) .

قد استوى الناسُ وماتَ الكمالْ وصاحَ صرفُ الدهرِ أينَ الرجالْ
هــذا أبو العباسِ فى نَعْشِهِ قوموا انظروا كيف تسير الجبالْ

وأما قولك :

وملمومة زردٌ ثوبُها ولكنه بالقنا مُخمَلُ .

فنقول من قول أبى نواس :

أمامَ خَمِيس أُرجُوان كأنهُ قميصٌ مَحوكٌ من قَنًا وجياد [١]

وقال بعض الحاضرين ما أحسن قوله : قوموا انظروا كيف تسير الجبال !
فقال أبو الطيب اسكتْ ما فيه من حُسْن ، إنما سرقه من قول النابغة [٢] وهو :

يقولون حِصنٌ ثم تأبى نفوسُهم وكيف بحصن والجبال جُنوح

قال الحاتمى وأما قولك : (والدهر لفظٌ وأنتَ معناه)
فمنقولٌ من الأخطل [٣] وهو :

وإن أمير المؤمنين وفعله لكالدهر لا عارٌ بما فعل الدهرُ

ثم قلتُ له : أتراه أخذه من أحد ؟ فأطرق هنية ثم قال : ما تصنع بهذا ؟ قلت ليستدل به على موضعك وموضع أمثالك من سَرِقةِ الشعر . فقال الله أكبر [٤] ؛ سأفهمك ، ثم قال : ألا قلت بل أخذه من قول النابغة الذبيانى : وهو أول من ابتكره ، فقال :

وعيرتْنى بنو ذُبيــانَ خشيتَه وهل علىَّ بأنْ أخشاه منْ عارِ [٥]

---

(١) البيت فى مدح الفضل بن يحيى البرمكى . الأرجوان : الثوب الأحمر .

(٢) النابغة : أحد شعراء الجاهلية . ومن أشراف ذبيان إحدى قبائل مضر وممن تكسب بالشعر فى الجاهلية وقد اشتهر بالمدح والاعتذار توفى قبل الإسلام .

(٣) الأخطل : هو أبو مالك غياث التغلبى شاعر بنى أمية كان يجيد مدح الملوك وصف الخمر توفى سنة ٩٥ هـ .

(٤) سائر النسخ : الأكبر . والصواب ما أثبتنا كما فى أخبار أبى الطيب للبكرى .

(٥) جميع النسخ : وعيرتنى بنى ذبيان . . . خطأ . والبيت من قصيدة مطلعها :

لقد نهيت بنى ذبيان عن أقر وعن تربعهم فى كل أصفار

يعاتب قومه على أنهم قد استباحوا « ذا أقر » وكان قد حماه النعمان بن الحارث الأكبر أبى شمْر الغسانى فلما مات النعمان وجه أخوه عمرو إلى بنى ذبيان خيلا فأصابوهم فقال النابغة هذه القصيدة . والأصفار : جمع صفر وهو الشهر المعلوم ، والتربع : الإقامة بالمكان وقت الربيع .

آخذه أبو تمام فقال وأجاد :

خشَعوا لصولتك التى هى فيهمُ كالموت يأتى ليس فيه عارُ

وأما قولك :

وما شَرَقى بالماء إلا تذكرا لماء به أهل الحبيب نزول
يحرمه لمع الأسنة فوقه فليس لظمآن إليه وصولُ

فهو من قول عبد الله بن دارة [1] .

ألم تعلمى يا أحسنَ الناس أننَّى وإن طال هجرى فى لقائك جاهدُ
فلا تعذُلينا فى التنائى فإننــا وإياكِ كالظمآن والمــاءُ بارد
يراه قريبــًا دانيــا غير أنه تحول المنايا دونَه والمرَاصِدُ [2]

فقال أبو الطيب : ألستُ القائل :

ذى المعالى فليعلونْ من تعالى هكــذا هكــذا وإلاّ فلا لا
شرفٌ ينطح النجومَ بِروَقيْـه [3] وعــز يُقلْقــل الأجبالا

قلت بل أخذت البيت الأول من [4] بكر بن النطاح * :

يتلــقّى النــدى بوجه حَيِىٍّ وصدورَ القنــا بوجه وَقاحِ
هــكذا هكذا تكون المعــالى طُرُقُ الجِدّ غيرُ طُرْقِ المُزاحِ

وأخذت الثانى من بيت أبى تمام وأفسدته

همةٌ تنطَحُ النجــومَ وحَظٌّ آلِفٌ للحضيض فهو حَضيضُ

---

(١) المكنى بابن دارة أخوان هما سالم وعبد الرحمن ابنا مسافع بن يربوع من بنى عبد الله بن غطفان ، ودارة أمهما وهى امرأة من بنى أسد وهو وأخوه شاعران محسنان وسيأتى فى صفحة ٢٥٨ شعر منسوب إلى عبد الرحمن بن دارة . ولعله المذكور فى الأصل باسم عبد الله . (انظر معجم الشعراء للمرزبانى) .

(٢) موضع السرقة البيت الأخير من أبيات ابن دارة ولا يزال بيته أقوى فإن حيلولة المنايا أشد من وقع الأسنة .

(٣) حـ ، د ، هـ : بقرنيه . الروق : القرن . والبيت السابق مطلع قصيدة قالها يمدح سيف الدولة ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدث لما بلغه أن الروم أحاطت به وذلك فى جمادى سنة ٣٤٤ هـ وقد تقدم كلام عن ثغر الحدث فى قصيدته التى مطلعها : على قدر أهل العزم . . .

(٤) حـ ، د ، هـ : من قول بكر . بزيادة : قول .

* بكر بن النطاح : شاعر عباسى ذكره المرزبانى فى الموشح فى الشعراء المحدثين ص ٢٩٨ وفى الأعلام للزركلى أنه شاعر من بنى حنيفة اتصل بأبى دلف فجعل له رزقا سلطانيا عاش به إلى أن توفى أبو دلف ، فانتقل إلى مالك بن على الخزاعى فجعله فى جنده وزاد له فى المرتب فدحه بقصائد كثيرة وله ترجمة فى فوات الوفيات . جـ ١ ص ٩٩ .

قال : فأى شىء أفسدتُه ؟ قلتُ : جعلتَ لِشَرَفِ الرَّجُل قَرْنا . قال هى استعارة . قلت : استعارة خبيثة . قال : أقسمت بالله إنى لم أقرأ شعراً قطُّ لأبى تمامكم . فقلت : هذه سَوْءة لو سترتَها كان أولى . قال : السَّوءة قراءة شعر مثله ، أليس هو القائل ؟ :

كيف وضع من أبى تمام

خَشُنْتِ عليه أختَ بنى الخُشينِ[1] وأنجحَ فيكِ قــولُ العاذِلَيْنِ

وهو الذى يقول :

تسعون ألفاً كآساد الشَّرَى نَضِجَتْ جُلُودها قبل نُضجِ التين والعنب[2]

وهو الذى يقول :

أقول لقُرحانٍ من البَيْنِ لم يُصِبْ رَسيسَ الهوى بين الحشَا والترائب[3]

ما قُرحان البين ؟ أخرس الله لسانه ! فقلت له : يا هذا ، قد كَذَبتَ نفسك ، هذا من أدلّ الدليل على أنك قد قرأتَ شِعْرَ الرجل ، بتتبعك مساويه ، ثم[4] قُلت : يتسم أبو تمام بميسم[4] النقيصة وهو الذى يقول :

نوالُك ردّ حُسادى فُلولا وأصلح بين حُسادى وبينى

هلا اعتبرت البيت[5] بهذا البيت الذى لا يستطيع أحد أن يأتىَ بمثله ؟

وأما قولُه تسعون ألفا .. البيت ، فله خبرٌ لو عرَفْتَه وتقصَّيْتَه ، لمَا قُلتَ

---

(١) سائر النسخ والديوان : خشين . أنجح : نجح ، والبيت مطلع قصيدة يمدح بها إسحق بن إبراهيم المصعبى ، وقد أرسله المعتصم لإخضاع المحمرة وقد كانوا من أصحاب بابك الخرمى .

(٢) الديوان : أعمارهم بدل جلودها . يشير أبو تمام فى هذا البيت إلى من كان بعمورية من الرجال وما كان من قولهم : إن مدينتهم لاتفتح قبل نضج التين والعنب ، وعاب بعضهم عليه ذكر التين والعنب فى الشعر ، وقالوا ليس هذا من ألفاظ الشعر ، ورد عليهم بأنه لم يعرفوا أن هذا هو ما وقع وليس خيالا من خيالات أبى تمام حتى يلام عليه .

(٣) سيأتى لهذا البيت تفسير . رسيس الهوى : ابتداء الحب . الترائب : عظام الصدر . الديوان : لم يضف ، وروى لم يصف .

(٤-٤) هكذا فى ا و ب . جـ : يتسم أبو تمام بميسم النقيض . على تقدير همزة الاستفهام د ، هـ : تسم أبو تمام . تحريف .

(٥) يريد البيت الأول ، وهو قوله :

خشنت عليه . . . . . إلخ ، واعتبرت ، : أى وازنت بين البيتين ، وغفرت ما فى الأول من عيب بما فى الثانى من إحسان . وفى سائر النسخ : هلا اعتبرت الأول فهذا البيت الذى لا يستطيع أحد أن يأتى بمثله . تحريف . وفى الإبانة ط دار المعارف ص ٢٦٥ : فهل اغتفرت الأول لهذا البيت ...

ما قلت[١] ، ثم قصصتُ عليه سببَ إيرادِه . ثم قلت له وفى هذه القصيدة[٢] ما لا يستطيع أحد من مُتقدِّمِي الشعراء ، وأمراءِ الكلام وأربابِ الصناعة أن يأتى بمثله . قال وما هو ؟ قلت لو قال قائل لم يبدأ أحد بأوجَهَ ولا أحسنَ ولا أخصرَ من قوله :

السيف أصدقُ أنباءً من الكُتُبِ ... فى حَدِّهِ الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ

لما عُنِّف فى ذلك ، وفيها يقول :

رمى بك الله بُرجَيْهــا فهدَّمها ... ولو رمى بك غيرُ الله لم يُصبِ[٣]

وفيهـــا :

لما رأى الحربَ رأىَ العينِ تَوْفَلِسٌ ... والحربُ مشتقةُ المعنى من الحَرَبِ[٤]

ومنهـــا :

فتــح تَفَتَّحُ أبـــوابُ السماء له ... وتبرزُ الأرض فى أثوابها القُشُبِ

غادرتَ فيهم بَهِيمَ الليلِ وهْوضُحى ... يَشُلُّه وسْطَها صبحٌ من اللهَبِ[٥]

حتى كأن جلابيب الدجى رغبتْ ... عن لونها وكأن الشمس لم تَغِبِ

أجبتَهُ معلنـــا بالسيفِ منصلتا ... ولو أجبتَ بغير السيف لم تُجبِ

وأما قوله . أقول لقرحان من البين ... البيت فإنه يريد رجلا لم يقطعه أحبابه

---

(١) فى شرح التبريزى لأبى تمام (طبعة دار المعارف الجزء الأول ص ٧٥) تعليق مجمله . أن الناس تكلموا فى هذا البيت ، ورد الصولى على من طعن فيه فقال : إن كان هذا لأن التين والعنب ليسا مما يذكر فى الشعر . فقد ذكرهما عبد الله بن قيس الرقيات فى شعره . وقد عابه من لم يدر قصده ، ويقال : إن بعض من كان بعمورية من الرهبان قال : إنا نجد فى كتبنا أنه لا يفتح هذه البلدة إلا ملك يغرس فى ظاهرها شجر التين والكرم ويقيم حتى يثمرا . فأمر المعتصم بأن يغترس التين والكرم ، فكان الفتح قبل ذلك فاستعار النضج للأعمار لما قابله بنضج التين والعنب .

(٢) يشير إلى القصيدة التى قالها فى فتح عمورية وأولها : السيف أصدق . . . ومنها البيت السابق : تسعون ألفا . . . إلخ

(٣) سائر النسخ : تصب .

(٤) توفلس : ملك الروم ، واسمه توفيل . الحرب محركا : سلب الأموال .

(٥) يشله : يطرده . وفى الديوان : يفله مكان يشله . غادرت فيها مكان فيهم .

(٦) سائر النسخ : معلما . والضمير فى أجبته يعود على صوت المرأة المسلمة التى استغاثت بالمعتصم قائلة . وامعتصماه . والأبيات ليست متتالية فى القصيدة .

ولم ينأوْا عنه[١] وفى هذه القصيدة[٢] من المعانى الرائعة ، والتشبيهات العجيبة ، والاستعارات البارعة ، ما يغتفر معه هذا البيت وأمثاله ، فمن ذلك قوله[٣] :

إذا العيسُ لاقتْ بى أبا دُلَف فقد ... تقطّعَ ما بينى وبين النوائب

يرى أقبحَ الأشياءِ أوْبةَ آمل ... كستْه يدُ المأمولِ حلةَ خائب

وأحسنُ من نَوْر تُفتحه الصَّبا ... بياضُ العطايا فى سواد المَطالب[٤]

وقد علم الأفشينُ[٥] وهْو الذى به ... يُصانُ رداءُ الملكِ من كل جاذبِ

بأرشق[٦] إذ سالتْ عليهم غمامةٌ ... جرتْ بالعوالى والعتاق الشوازبِ

بأنك لما استحنَّك[٧] الأمرُ واكتسى ... أهابىَّ تَسْفِى فى وجوه التجاربِ

وفيها يقول :

ولو كان يَفْنى الشعرُ أفناه ما قَرَتْ ... حياضُك منه فى العصور الذواهب[٨]

---

(١) أصل معنى القرحان : الخالى من الداء أونحوه . يقال : جمل قرحان : أى لم يجرب ، وصبى قرحان لم يجدر — الواحد والاثنان والجميع والمذكر والمؤنث سواء — ينون ولا ينون . وقد استعاره أبو تمام هنا لمن لم يذق ألم الفراق .

(٢) يريد القصيدة التى منها هذا البيت : أقول لقرحان . . . ومطلعها :

على مثلها من أربع وملاعب ... أذيلت مصونات الدموع السواكب

(٣) ساقطة من سائر النسخ .

(٤) حـ ، د ، هـ : الندى مكان الصبا . ومن طريف ما يروى أن أبا تمام لما قال صدر هذا البيت لم تسعفه قريحته بعجز يلائم هذا الصدر حتى سمع سائلا يقول : من بياض عطاياكم فى سواد مطالبنا فصاغه عجزا .

(٥) الأفشين : قائد تركى من بلاد ما وراء النهر اسمه حيدر كان فى حاشية المعتصم أيام المأمون وأصله من أبناء ملوك هذه الناحية والأفشين لقب الملك منهم كما يلقب ملك الفرس بكسرى . وقد تولى للمعتصم مصر والشام حين كانا له أيام ولاية العهد ، فلما ولى الخلافة ندبه لحرب بابك الخرمى وعلى يد الأفشين كان قتل بابك ، وأبو دلف كان قائداً تحت إمرة الأفشين فى هذه الحرب .

(٦) أرشق : جبل بنواحى موقان (وموقان تقدم الكلام عنها فى رقم ١٠ من هوامش ص ٢٧) كانت بها موقعة مشهورة بين الأفشين ومن معه وبين بابك وفيها هزم بابك ولم يفلت من رجاله أحد وأفلت هو فى نفر يسير من خياله إلى موقان . العتاق : الخيل الكريمة ، الشوازب : الضوامر . وهى فى حـ ، د ، هـ بالذال . خطأ .

(٧) استحنك الأمر : اشتد . وفى ب ، د ، هـ : استحنك وهما بمعنى . وفى الديوان : لما استخذل النصر . الأهابى : جمع إهباء وهو الغبار . تسفى : تذرى . والقصيدة فى مدح القاسم بن عيسى الملقب بأبى دلف ، وكان ذا رأى فى الحروب حتى جعل الأفشين يرى عاقبة الأمر واضحة جلية بما كشف له منها وموضع هذا البيت قبل سابقه كما فى الديوان .

(٨) قري الحوض الماء : جمعه . ومعنى البيت أن الشعر لو كان ينفد لأتي عليه ما قيل فيك وفى آبائك الأجواد . فقد قيل فيهم كثير من الشعر ولكنه متجدد دائماً لأنه فيض العقول إلى آخر ما جاء فى البيت التالى .

ولكنه فيضُ العقول إذا انجلتْ   سحائب منه أعْقِبَتْ بسحائب

فبهره ما أوردتُه عليه ، وأمسك عِنانَ عبارته ، وحبَس بُنَيَّاتِ[١] صدره ، وعُقِل[٢] عن الإجابة لسانُه ، وكادَ أن يشغبَ[٣] ، لولا ما خاف من عاقبة شغْبه ومعرفته بمكانى فى تلك الأيام ، وأن ذلك لايتم له ، فما زاد على أن قال : أكثرت من أبى تمام فلا قدّس الله رُوحَ أبى تمام ! فقلت : لاقدس الله روحَ السارقِ منه ، الواقعِ فيه ! ثم قلت : ما الفرق فى لغة العرب بين التقديس والقَدّاس والقادس[٤] ؟ قال : وأىّ[٤] شىء غرضك فى هذه المذاكرة ؟ بل المهاترة[٥] ؟ ثم قال : التقديس : التطهير ، ولذلك سُمىّ القَدَس[٦] قَدَسا ،[٧] لأنه يشتمل[٨] على الذى يكون به الطهور . وكلٌ هذه الأحرفِ تئول إليه ، فقلت له : ما أحسبُك أمعنتَ النظرَ فى كتبِ اللغة ، وعلوم العربِ ، ولو تقدَّم منكَ مطالعة لها ، ما جمعْتَ بين معانى هذه الكلماتِ ، مع تباينُها ؛ لأن القَدَّاس (بتشديد الدال) : حجر يلقى فى البئر لِيعلمِ[٩] غزارةِ ما فيه من قلته . حكى ذلك ابن الأعرابى . والقُدَاس يشبه الجُمان يعمل من الفضة حكى ذلك الخليل، واستشهد بقوله (كنظم قداس سلكه متقطع[١٠]) .

والقادس : السفينة . فلما علوته بالكلام قال : يا هذا، اللغة مسلمة لك ، فقلت : كيف تُسلِّمُها وأنتَ أبوعُذرتها[١١] وأولى الناسِ بها ، وأعرَفُهم باشتقاقاتها[١٢]

---

(١) حـ ، د ، هـ : بنيان . تحريف .

(٢) حـ ، هـ : غفل . تحريف .

(٣) جميع النسخ يسغب . . . سغبه . تحريف ، والصواب ما أثبتناه .

(٤ – ٤) هكذا فى ا ، ب . حـ : أى شىء . د ، هـ : قال أى شىء .

(٥) المهاترة : التساب بالباطل . سائر النسخ : المهامرة .

(٦) ساقطة من ا ، ب .

(٧) القدس : بالتحريك السطل لأنه يتطهر بما فيه من ماء طهور .

(٨) كذا فى ا ، ب . وفى سائر النسخ : لاشتماله .

(٩) سائر النسخ : ليعلم وهى فى الأسلوب أوجه .

(١٠) صدر البيت كما جاء فى اللسان * تحدر دمع العين منها فخلته * شبه تحدر دمعه بنظم القداس إذا انقطع سلكه . والجمان اللؤلؤ والذى فى هامش اللسان (قدس) أن القداس بمعنى الحجر أو ما يعمل من الفضة .

(١١) أنت أبو عذرتها : العذرة البكارة ، والعبارة مثل يقال لمن لم يسبق إلى الشى .

(١٢) حـ ، د ، هـ : باشتقاقها .

والكلام على أفانينها ، وما أحَدٌ أولى بأن يُسأل عن غريبها منك ، وشرع الجماعةُ يسألونني العفوَ عنه ، وقبولَ عذرِه ، وكنتُ بلغت شيئًا كان في صدري ، وعلمت أن الزيادة على الحدّ الذي انتهيتُ إليه ضربٌ من الأشَرِ والبغي ، ولا أراه في مذهبي ، ورأيت له حقّ التقدم في صناعته[١] فطأطأت له كَنَفي ، واستأنفتُ جميلا[٢] من وصفه[٣] ، ونهضتُ ، فنهض لي مُشيعا إلى باب الدار ، حتى ركبتُ وأقسمت عليه أن يعود إلى مكانه ، وتشاغلتُ بقيةَ يومي بشغل عنّ لي عن حضرة الوزير المهلبي * ، وانتهى إليه الخبر .

وأتت[٤] رسُلُه ليلا ، فسرتُ إليه ، وقصصتُ عليه القصةَ بتمامِها ، فحصل له من السرورِ والابتهاج بما جرى ما بعثه على مُباكرةِ مُعزّ الدولة * * ، وإخباره[٥] بكل ما أخبرته . وأخبرني الرئيس أبو القاسم محمد بن العباس أنه بمجرد دخوله على مُعزّ الدولةِ قال : أعلمت ما كان من أبي على الحاتميّ والمتنبي ؟ فإنه شَفَى منه صدرًا . قال أبو على الحاتمي : وشاهدت من فضيلته[٦] ، وصفاء ذهنه ، وجودة حِذقِه ، ما حَدَاني على عمل[٧] الحاتمية ، وتأكدتْ بيني وبينَه الصحبةُ ، وصِرتُ أتردد إليه أحيانًا .

قال الخالديان[٨] : كان أبو الطيب المتنبي كثيرَ الروايةِ جيدَ النقدِ .ولقد حكى

---

(١) حـ ، د ، هـ : صنعته . (٢) جميلا : ساقطة من سائر النسخ .

(٣) هكذا في ب . سائر النسخ : وضعه تحريف .

* تقدمت ترجمته .

(٤) هكذا في ا ، ب . وفي سائر النسخ : فأتتني .

** تقدمت ترجمته .

(٥) حـ ، د ، هـ : وأخبره .

(٦) الضمير في « فضيلته وما بعدها يعود على المتنبي .

(٧) ب ، هـ : حمل مكان عمل تحريف . والحاتمية التي يشير إليها هنا هي الرسالة التي كتبها أبو على الحاتمي وضمنها حكم أرسطاليس التي صاغها المتنبي شعراً . انظر هامش (١) ص ٢٥٣ وهامش رقم (١) ص ٢٧٠ من كتاب الإبانة ط . دار المعارف .

(٨) الخالديان : هما أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان أديبا البصرة وشاعراها في عصرهما قد اتصلا بسيف الدولة ومدحاه ، وكان بينهما و بين السرى الرفاء ما يكون بين المتعاصرين من التغاير والتضاغن ؛ فكان يدعى عليهما سرقة شعره ، وكان أبو عثمان أصغر الأخوين نادرة الدنيا في الحفظ توفى سنة ٣٧١ هـ وتوفى أبو بكر سنة ٣٨١ هـ . والخالديان نسبة إلى خالدة (قرية من أعمال الموصل) .

بعضُ من كان يَحسُده أنه كان يضعُ من الشعراء المحدثين، ويغُض من [١] البلغاء المُفلقين، وربما قال أنشدونى لأبى تمام شيئاً حتى أعرف منزلته من الشعر، فتذاكرنا ليلةً فى مجلس سيفِ الدولة بميَّا فارِقين [٢] وهو معنا، فأنشد أحدُنا لمولانا أيده الله شعرًا له قد ألم فيه بمعنى لأبى تمام استحسنه [٣] مولانا أدام الله تأييدَه فاستجادَه واستعاده .

إقراره بفضل أبى تمام

فقال أبو الطيب هذا يشبه قول ابى تمام ، وأتى بالبيت المأخوذ منه المعنى ، فقلنا قد سُررْنا لأبى تمام إذ عرفتَ شعره ، فقال : أو يجوز للأديب ألاّ يعرف شعر أبى تمام ، وهو استاذ كلّ من قال الشعر بعده فقلنا قد قيل إنك تقول كيت وكيت، فأنكر ذلك ، وما زال بعد ذلك إذا التقينا يُنشدنا بدائعَ أبى تمام ، وكان يروى جميعَ شعره .

اطلاعه على اللغة

وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها ، ولا يُسأل عن شىء إلا استشهد بكلام العرب من النظم والنثر ، حتى قيل إن الشيخ أبا على الفارسىّ قال له يومًا :كم لنا من الجموع علىّ وزن فِعْلَى ؟ فقال له فى الحال حِجْلَى وظِرْبى [٤] .

قال الشيخ أبو على الفارسى : فطالعت كتبَ اللغة ثلاثَ ليال على أن أجدَ لها ثالثًا فلم أجدْ . وحسبُك من يقول مثلُ أبى علىّ فى حقه ذلك . ولما استقرّ بدارِ السلامِ ، وترفع [٥] عن مدح الوزير المهلبى ذاهبًا بنفسه عن مدحِ غيرِ الملوك شقّ ذلك على المهلبى، فأغرى به شعراء العراق ، حتى نالوا [٦] من عِرْضِه، وتباروْا فى هجائه ، فلم يُجبهم ، ولم يُفكرْ فيهم ، فقيل له فى ذلك فقال : إنى فرغتَ من إجابتهم بقولى لمن هو أرفع طبقة فى الشعر منهم :

ترفع المتنبى عن مدح المهلبى ببغداد

---

(١) ح ، ه : « بعض » مكان « يغض » .

(٢) من أشهر بلاد الموصل .

(٣) جميع النسخ فاستحسنه بالفاء .

(٤) حجلى جمع حجلة بالتحريك وهى طائر يسمى القبجة، وظربى جمع ظربان كقطران وهى دويبة منتنة الرائحة .

(٥) ح تفرع ، تحريف . (٦) ا : قالوا مكان نالوا . تحريف .

أرى المتشاعرين غَرُوا بذمى ... ومَنْ ذا يحمَدُ الداء العُضالا [١]

ومن يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ ... يجدْ مُرًّا به الماءَ الزُّلالا

وقوله :

أفى كلِّ يومٍ تحت ضِبنى [٢] شُوَيعرٌ ... ضعيفٌ يقاوينى قصيرٌ يُطاولُ

لسانى بنطقى [٣] صامتٌ عنه عادلٌ ... وقلبى بصمتى ضاحكٌ منه هازل

وأتعب من ناداك من لا تُجيبه ... وأغيظُ من عاداك من لا تُشاكل [٤]

وما التيهُ طبعى [٥] فيهمُ غيرَ أننى ... بغيضٌ إلىَّ الجاهلُ المتغافل [٦]

وقوله :

وإذا أتتك مَذمّتى من ناقصٍ ... فهى الشهادةُ لى بأنى فاضل [٧]

من هجا المتنبى من الشعراء

ولما بلغ الحسنَ بن [٨] لَنْكَكٍ بالبصرة ما جرى على المتنبى من وقيعة شعراء العراق فيه [٩] واستخفافهم به كقولهم فيه :

---

(١) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار مطلعها : بقائى شاء ليس هم ارتحالا
وغروا من غرى بالشىء أولع .

(٢) ا ، ب : ظبنى تحريف . الضبن : ما تحت الإبط إلى الخاصرة وهو الحضن .

(٣) الديوان وسائر النسخ : بنطقى .

(٤) ب : ألا تجيبه . . . ألا تشاكل . تحريف .

(٥) حـ ، د ، هـ : طبى . الطب : بشد الطاء وكسرها العادة والشأن .

(٦) الديوان : المتعاقل . هذا البيت والأبيات الثلاثة قبله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة أولها :
دروع لملك الروم هذى الرسائل، والبيت الأخير من قول الطرماح :

لقد زادنى حبا لنفسى أننى ... بغيض إلى كل امرئ غير طائل

إذا ما رآنى قطع الطرف بينه ... وبينى فعل العارف المتجاهل

(٧) الديوان، حـ ، د، هـ كامل. والبيت من قصيدة يمدح بها القاضى أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكى ومطلعها : لك يا منازل فى القلوب منازل .

وأصل هذا المعنى من قول الطرماح السابق وأخذه مروان بن أبى حفصة فقال :

ماضرنى حسد اللئام ولم يزل ... ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

وأخذه أبو تمام فقال :

لقد آسف الأعداء فضل ابن يوسف ... وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع

وأخذه ابن المعتز فقال :

مـا عابنى إلا الحسو ... د وتلك من إحدى المناقب

فأتى أبو الطيب فى المعنى بلفظ مخالف للفظ مروان وأتى أبو تمام بالمعنى فى جزء من لفظ مروان وتممه بلفظ من عنده وأتى ابن المعتز بالمعنى فى لفظ سوى لفظيهما .

(٨) هو أبو الحسن المعروف بابن لنكك البصرى الشاعر الأديب كان فرد البصرة وصدر أدبائها فى زمانه ولكن المتنبى أخمل ذكره، لذلك كثر شعره فى هجائه وفى شكوى الزمان .

(٩) ساقطة من : حـ ، د ، هـ .

أىُّ فضل لشاعر يطلبُ الفضـ ... لَ من الناس بُكرةً وعَشيّا
عاش حيناً يبيع بالكوفة الما ... ءَ وحيناً يبيع ماء المحيّا

وكان ابن لنكك حاسداً له ، طاعناً عليه ، هاجياً إياه ، زاعماً أن أباه كان يسقى الماء بالكوفة ، فشمِت به ، وقال :

قولا لأهل زمان لا خَلاقَ لهم ... ضلوا عن الرشدِ من جهل بهم وعَمُوا
أعطيتمو المتنبى فوق مُنْيته ... فزوّجوه برغمٍ أمهاتِكُمُ
لكن بغدادَ جاد الغيثُ ساكنَها ... نِعالُهم فى قَفا السقاءِ تزدحمُ (١)

ومن قوله فيه :

متنبيكُمُ ابنُ سقاءَ كوفا ... نِيٌّ ويُوحىَ من الكنيف إليه (٢)
كان مِنْ فيه يَسلحُ الشعرَ حتى ... سلحتْ فقحة (٣) الزمان عليه

ومن قوله فيه :

ما أوقحَ المتنبى ... فيما حكى (٤) وادعاهُ
أبيح مالاً عظيماً ... لما أباح قفاه (٥)
يا سائلى عن غِناه ... من ذاك كان عَناه (٦)
إنْ كان ذاك نبيا ... فالجاثَليقُ (٧) إلهُ

استدعاء الصاحب المتنبي

ثم إن أبا الطيب اتخذ الليل جملا ، وفارق بغدادَ مُتوجِّهاً إلى حضرة أبى الفضل ابن العميد (٨) . قيل إن الصاحب بن عباد (٩) طمع فى زيارة المتنبى إياه بأصفهان (١٠)

---

(١) استعمال الخلاق بمعنى الأخلاق : فى البيت الأول خطأ لغوى فإن معناه النصيب الوافر من الخير .

(٢) حرف الشطر الأول فى هـ تحريفاً لم نر إثباته .

(٣) الفقحة : حلقة الدبر .

(٤) ا ، ب : حكاه والوزن لا يستقيم معها .

(٥) سائر النسخ : أتيح . . . أتاح .

(٦) سائر النسخ : غناه . والصواب عناه بالعين المهملة .

(٧) الجاثليق : رئيس الأساقفة يكون تحت يد بطريق أنطاكية .

(٨) هو الأستاذ الرئيس كاتب المشرق ووزير عضد الدولة البويهى وصاحب طريقة الشعر المنثور توفى سنة ٣٦٠ هـ .

(٩) هو الصاحب إسماعيل بن عباد كاتب المشرق ووزير آل بويه توفى سنة ٣٨٥ هـ .

(١٠) من أشهر مدن فارس ومنها أبو الفرج صاحب الأغانى .

وإجرائه مجرى مقصوديه [١] من رؤساء الزمان، وهو إذ ذاك شاب ، والحال حُويلة ، والبحر دُجيلة [٢] ، ولم يكن استُوزر بعد ، فكتب يُلاطفُه في استدعائه ، ويضمنُ له مشاطرتَه جميعَ ماله ، فلم يُقِمْ له المتنبي وزنًا ، ولم يُجبه عن كتابه ، وقيل إن المتنبي قال لأصحابه : إن غُلَيِّمًا معطاء بالرَّيِّ يريد أن أزوره وأمدحَه ، ولا سبيل إلى ذلك. فصيّره الصاحب غرضاً يرشُقه بسهام الوقيعة ، يتتبّع عليه [٣] سقطاته في شعره وهفواته ، وينعَى عليه [٤] سيئاته ، وهو أعرف الناس بحسناته وأحفظهُم وأكثرُهم استعمالا لها ، وتمثلا بها في محاضراته ومكاتباته ، وكان أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد يسمع بأخبار أبي الطيب ، وكيف اشتهاره في الأقطار ، وترفعُه عن مدح الوزراء .

حسد ابن العميد لأبي الطيب

وسمع أنه خرج من مدينة السلام متوجهًا إلى بلاد فارس وكان يخاف ألاّ يمدحَه ، ويعاملَه معاملة المهلبي ، فيتكرّهُ من ذكره ، ويُعرض عن سماع شعره. قال الربَعيّ [٥] : قال لي بعض أصحاب ابن العميد : قال دخلت عليه يومًا قبل دخول المتنبي فوجدته واجماً [٦] ، وكانت قد ماتتْ أختُه عن قريب ، فظننتُه واجداً [٧] لأجلِها ، فقلت لا يَحزُن اللهُ الوزير . فما الخبر ؟ قال : إنه ليَغيظُني أمرُ هذا المتنبي ، واجتهادي في أن أُخْمِدَ ذكرَه ، وقد ورد عليّ نيف وستون [٨] كتابًا في التعزية ما منها [٩] إلاّ وقد صُدِّر بقوله :

---

(١) حـ ، د ، هـ : مقصوده .

(٢) معنى هذه الجملة والتي قبلها أن الأمور سهلة .

(٣) ساقطة من حـ ، د ، هـ .

(٤) سائر النسخ : إليه . تحريف والصواب نعى عليه ذنوبه أي أظهرها وشهرها .

(٥) هو أبو الحسن علي بن عيسى الربعي النحوي البغدادي المنزل الشيرازي الأصل كان عالما في النحو متقنا له قرأ على أبي علي الفارسي عشرين سنة وفيه يقول أبو علي :قولوا لعلي البغدادي لو سرت من الشرق إلى الغرب لم تجد أنحى منك . توفّي ببغداد سنة ٤٢٠ هـ . وقد درس الأدب على أبي سعيد السيرافي ، وكان من المعجبين بالمتنبي أيام إقامته بفارس .

(٦) الواجم : الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام .

(٧) الواجد : الحزين .

(٨) ا ، ب : وستين . تحريف .

(٩) جميع النسخ : منهم . تحريف .

طوى الجزيرةَ حتى جاءنى خبرٌ   فزعتُ فيه بآمالى إلى الكذبِ
حتى إذا لم يدعْ لى صدقُه أملاً   شرِقتُ بالدمع حتى كادَ يشرَقُ بى[١]

فكيف السبيلُ إلى إخمادِ ذكره ؟ فقلت : القدَرُ لا يُغالَب ، والرجلُ ذو حظ من إشاعةِ الذكر ، واشتهارِ الاسم ، فالأولى ألاّ تشغلَ فكرَك بهذا الأمر . وهذان البيتان من قصيدة لأبى الطيب يرثى بها أختَ سيفِ الدولة ، وأنفذها إليه من بغداد سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة ، وأول القصيدة :

يا أختَ خيرِ أخ يا بنتَ خيرِ أب   كنايةً بهما عن أشرف النسبِ[٢]

وفى الشطر الثانى من هذا البيت نقد للمتأمل[٣] .

ورودده على ابن العميد

وفى صفر سنةَ أربع وخمسين ورد على أبى الفضلِ بن العميدِ وهو بأرَّجانَ[٤] فحسُنَ موقعُه منه ، وأنشده :

بادٍ هواكَ صبرتَ أو[٥] لم تصبرَا   وبُكاكَ إن لم يجر دمعُك أو جرى

قيل[٦] : سُئل أبو الطيب عن نصب تصبرا[٧] ، فقال : سلوا الشارح ، يعنى ابن جنى

كم غرّ صبرُك وابتسامُك صاحبا   لما رآه وفى الحشا ما لا يُرى

قال أبو عبد الله : كان ابن العميد كثيرَ الانتقاد على أبى الطيب ، فإنه لما أنشده هذا البيت قال : يا أبا الطيب ، تقول بادٍ هواك ثم تقول بعده كَمْ غرّ صبرك ؟

---

(١) شرق به : غص .

(٢) د ، هـ : الحسب . والنسب : آباء الإنسان . والحسب : ما يعده من مفاخرهم .

(٣) النقد فى ذكر الشطر الثانى إذ جعل يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية عن أشرف النسب والكناية لا تكون إلا لعلل تتسع فيها التهم لأنها للستر والتعمية فكيف ورى عن شرف النسب تورية المعايب وكنى عنه والتصريح به من المفاخر والمناقب ولو فطن لقال :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب   غنى بهذا وذا عن أشرف النسب

(٤) بلدة بفارس كثيرة الأشجار حسنة المكان .

(٥) حـ ، هـ والديوان : أم .

(٦) ساقطة من سائر النسخ .

(٧) أراد تصبرن بنون التوكيد الخفيفة فأبدلها ألفا ونظائر هذا كثير .

ما أسرع ما نقضتَ ما ابتدأتَ به ! فقال تلك حال وهذه حال[١] :

أمرَ الفؤادُ لسانَه وجفونَه ... فكتمْنَه[٢] وكفَى بجسمك مُخبرا

تَعِس المهارِى غيرَ مَهْرِيٍّ غدَا ... بمصوَّر لَبِس الحريرَ مُصوَّرا[٣]

نافستُ فيه صورةً في خِدره ... لو كنتُها لخفيتُ حتى يَظهرا[٤]

لا تَتْرَبِ الأيدى المقيمةُ فوقه ... كِسرى مُقامَ الحاجبَيْن وقيصرا[٥]

يقَيِان[٦] فى أحدِ الهوادِج مقلةً ... رَحلَتْ[٧] وكان لها فؤادى مَحْجِرا[٨]

وقد استعمل أبو الطيب هذه الطريقة[٩] حيث قال فى وصف الخيمة وهو :[١٠]

---

(١) جواب أبي الطيب موجز لم يوضح مراده ، ومراده أن الحال التى يذكرها فى البيت الثانى سابقة على الحال المذكورة فى البيت الأول لأنه يريد أن صبره كان يغر الناظر إليه قبل أن أسقمه العشق وغير منظره ، ولكنه لما هزل جسمه بعد ذلك استدل الناظر بنحوله على عشقه ، فبدا هواه ، ولم يعد صبره ولا ابتسامه يغنيان عنه شيئاً فى إخفاء هواه ، وقد زاد هذا المعنى بياناً فى البيت الذى يليه .

(٢) كذا فى الديوان ، ا . سائر النسخ : فكتمته بالتاء وهى مضمومة فى ب .

(٣) حـ ، د ، هـ : لبس الحديد. المهارى مخفف مهارى جمع مهرى وهو البعير المنسوب إلى مهرة ابن حيدان أبى قبيلة من العرب مشهورة بحسن القيام على الإبل . غدا : ذهب غدوة ، والمعنى يدعو بالعثار على الإبل التى رحلت بأحبته مع استثناء ركوبة الحبيب وجعله مصورا لكمال حسنه ، والحرير المصور المنقوش .

(٤) الديوان : ستره . المعنى : فاخرت الصورة التى على ستر هودجه لأنه أجمل منها ولو كنت أنا تلك الصورة لخفيت حتى يظهر هو والمراد بخفاء الصورة زوال الستر الذى هى عليه ومتى زال ظهر الحبيب المحتجب وراءه .

(٥) جميع النسخ : لا تثرب بالثاء تحريف . والتصويب عن الديوان .

(٦) يقيان : محرفة فى سائر النسخ .

(٧) ب ، د ، هـ : وحلت جـ : وجلت. تحريف .

(٨) الهودج : مركب النساء على الإبل . المحجر : ما حول العين . يقول : هذان الحاجبان يصونان من الغبار وحر الشمس مقلة فى أحد الهوادج يعنى هودج الحبيب وكنى عنه بالمقلة وجعل فؤاده محجرا لتلك المقلة ويقال إن هذه القصيدة من قصائده المختارة وأنه لما قصد مصر ومدح كافورا مدح وزيره أبا الفضل جعفر بن الفرات بها وجعلها موسومة باسمه فكانت إحدى قوافيها « جعفرا » وكان قد قال فيها :

صغت السوار لأى كف بشرت ... بابن الفرات وأى عبد كبرا

فلما لم يرضه صرفها عنه ولم ينشده إياها ، ولما توجه إلى عضد الدولة قصد أرجان وبها أبو الفضل بن العميد فحول القصيدة إليه وجعل ابن العميد مكان ابن الفرات .

(٩) يريد بالطريقة أن أبا الطيب استعمل فى وصف الخيمة صوراً ورسوماً كما استعمل ذلك فى وصفه السابق للهوادج .

(١٠) ساقطة من سائر النسخ .

وأحسنُ من ماءِ الشبيبة كله حيّا بارق في فازة أنا شائمه[١]
عليها رياضٌ لم تَحُكْها سَحابةٌ وأغصانُ دَوْحٍ لم تُغَنِّ حمائمهُ[٢]
وفوق حواشي كلِّ ثوب مُوَجّه من الدّرِ سِمْطٌ لم يُثقبه ناظمُه[٣]
ترى حيوانَ البرِّ مصطلحا بها يحارب ضدٌّ ضدَّه ويسالمُه[٤]
إذا ضربتْه الريحُ ماجَ كأنه تجول مذاكيه وتَدْأى ضراغمه[٥]
وفي صورة الروميّ ذي التاج ذلةٌ لأبلجَ[٦] لا تيجانَ إلاّ عمائمه[٧]

وكذلك أوردها أبو عبادة البحتري في قصيدته التي أولها :

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن ندى كل جبس[٨]

إلى أن قال في وصف إيوان[٩] كسرى :

---

(١) الحيا : المطر . البارق : السحاب ذو البرق . الفازة : المظلة بعمودين (وكان ملوك هذه الأيام إذا ركبوا في يوم زينة ركب حول الملك جنديان يحملان هذه الفازة) والشائم : الناظر إلى البرق يرجو المطر . أراد بماء الشبيبة حسنها ونضارتها أخذا من ماء السيف ونحوه . وعنى بالبارق الممدوح وهو سيف الدولة ، و بمطره جوده يقول : أحسن من ماء الشبيبة الذى فقدته ما أنا راجيه من الممدوح وكرمه .

(٢) عليها : أى على الفازة و يريد بالرياض والشجر صوراً منقوشة عليها . يقول إن تلك الرياض ليست مما أنبته السحاب وحاكته ، وأغصان تلك الأشجار لا تتغنى حمائمها لأنها صور غير ذات روح .

(٣) الموجه : ذو الوجهين . السمط : خيط النظم و يطلق على القلادة وأراد بالدر نقوشاً بيضاء في حواشي الثياب التي اتخذت منها الفازة غير أن الذى نظمه لم يثقبه لأنه ليس بدر حقيقي .

(٤) يريد صور حيوانات عليها مما لا يسالم بعضه بعضاً وقد صورت متحاربة وهي في الحقيقة مسالمة لأنها جماد لا تقاتل .

(٥) المذاكي : الخيل المسنة . دأى الصيد : ختله . يقول إذا ضربت الريح تلك الثياب ماجت وتحركت صورها فكأن الخيل تجول والأسود تختل الظباء لتصيدها .

(٦) حـ ، د ، هـ : بأبلج أى بسببه .

(٧) الأبلج : المشرق والنقى ما بين الحاجبين . كان قد صور في هذه الفازة ملك الروم ساجداً لسيف الدولة وهو ما أراده بالذلة ووصف سيف الدولة بأنه لا تاج له لأنه عربي وتيجان العرب عمائمها .

(٨) حـ ، د ، هـ : جنس . تقدمت ترجمة البحتري ، وهذا مطلع سينيته في وصف إيوان كسري وعظمة فارس وهي التي قال فيها ابن المعتز : لو لم يكن للبحتري إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كسري فليس للعرب سينية مثلها . . . لكان أشعر الناس . وهي التي قال فيها صاحب الفتح القسي في الفتح القدسي من كلام طويل : فانظروا إلي إيوان كسري وسينية البحتري في وصفه تجدوا الإيوان قدخرت شعفاته وعفرت شرفاته وتجدوا سينية البحتري قد بقي بها كسرى في ديوانه أضعاف ما بقي شخصه في إيوانه » وهذه السينية تذكرنا بسينية شوقي التي عارض بها البحتري وأشاد فيها بمجد العرب وأتى بما لا يقل روعة عما أتى به البحتري .

(٩) الإيوان : بيت كبير مستطيل ، بأوله عقد ذو باب واسع ، وكان طول إيوان كسرى ١٠٠ ذراع ، وعرضه ٥٠ ذراعاً وارتفاعه ٨٠ ذراعاً ، يحيط به أروقة كبيرة تزيده حسناً وبهاء ، وتخلع عليه عظمة وجلالا ، وكان معداً لجلوس الملك مع أرباب مملكته .

وهو[١] يُنبيكَ عن عجائب قوم ... لا يُشاب البيانُ فيهم بلَبْس
فإذا ما رأيتَ صورةَ أنطا ... كية ارتعتَ بين روم وفُرس
والمنايا مواثلٌ وأنو شِرْ ... وان يُزجي الصفوفَ تحتَ الدِّرَفس
فى اخضرار من اللباسِ على ... أصفرَ يختالُ فى صَبيغة وَرْس
وعِراكُ الرجال بين يديه ... فى خُفوتٍ منهم وإغماض جَرْس
من مُشيح يَهوى بعاملِ رمح ... ومُليح مِنَ السنان بتُرْس
تصفُ العينُ أنهم جِدُّ أحيا ... ءٍ لهم بينهم إشارةُ خُرْس
يغتَلى فيهمُ ارتيابَى حتى ... تتقراهمُ يداىَ بِلَمْس

والسابق إليها[٢] أبو نواس فى قوله :

قرارتُها كسرى وفى جَنَباتِها ... مَهًا تدّريها بالقِسِىِّ الفوارسُ

ومن قصيدة المتنبى :

أرجَانَ أيتها الجيادُ فإنه ... عزمى الذى يَذَر الوشيجَ مُكسرا[٣]
لو كنتُ أفعل ما اشتهيتِ فَعالَه ... ما شق كوكبَكِ العجاجَ الأكدرا[٤]

---

(١) وهو : الضمير يعود على الجرماز فى بيت سابق، والجرماز هو الإيوان. أنطاكية بلد بالشام حيث وقعت معركة بين الفرس والروم وقد صورت فى الإيوان . مواثل: قائمات تنتظر العمل وقت الحرب . الدرفس: العلم الكبير . على أصفر : أى على حصان أصفر . ورس : نبات ذو صبغ أحمر . المشيح : الحذر . عامل الرمح : صدره . المليح : الخائف الحذر . تصف العين : يخيل إليها . يغتلى فيهم ارتيابى : يزيد شكى فى حياتهم . تتقراهم يداى بلمس: تتتبعهم حتى ألمسهم فى الصورة بيدى لأتبين أهم أحياء حقاً كما يخيل إلى، والأبيات فى جملتها تصف الموقعة المصورة على جدار الإيوان وكان البحترى مبدعاً فى وصف تلك الصورة إبداع مصورها ووجه الإبداع يرجع إلى دقة التصوير الشعرى حتى إن القارئ يكاد ينتقل بقراءتها من عالم الحقيقة إلى عالم الخيال الذى يرجع بالذاكرة إلى ما كان فيتمثل المعركة بين الروم والفرس دائرة الرحى وكسرى على جواده يسوق الرجال والعلم الكبير يخفق فوق رأسه والمنايا مواثل متحفزة وقد حمى وطيسها فسكنت الأنفاس وصمتت الألسنة فلا ترى إلا مشيحاً برمح أو مليحاً بترس وقد بلغ البحترى غاية الإبداع فى التصوير حين قال يغتلى فيهم ارتيابى حتى أتتبع تلك الصورة بيدى ألمسها لأتبين أهؤلاء أحياء حقاً كما يخيل إلى أم أن ذلك إبداع المصور .

وفى هذه القطعة يظهر ولع البحترى بالفن الفارسى وإشادته بذلك الفن .

ويظهر أن هذه النزعة كانت جديدة فى هذا العهد ولهذا استوجبت الإعجاب .

(٢) والسابق إليها : أى إلى هذه الطريقة التى عرفناها آنفاً وهى وصف الصور والتماثيل والنقوش على الكئوس والجدران والطنافس . وقبل هذا البيت :

تدار علينا الراح فى عسجدية ... حبتها بأنواع التصاوير فارس

وبعده : فللراح ما زرت عليه جيوبهم ... وللماء ما دارت عليه القلانس

(٣) أرجان : بتشديد الراء ولكنها خففت بحذف التشديد لضرورة الشعر ونصبت بفعل محذوف أى اقصدى أيتها الجياد أرجان . الوشيج : شجر تعمل منه الرماح

(٤) ما اشتهيت : خطاب للخيل . الكوكب : هنا المجتمع من الخيل . العجاج : الغبار .

أمِّي أبا الفضل المبرَّ أليَّتي ... لأيمنَ أجلَّ بحر جوهرا[١]

أفتى برؤيته الأنامُ وحاشَ لي ... من أن أكون مُقصِّراً أو مُقْصِرَا[٢]

صغتُ السِّوار لأي كف بشرتْ ... با بنِ العميد وأيَّ عبد كبَّرَا

ومنها :

يتكسَّبُ القصبُ الضعيفُ بخطه[٣] ... شرفًا على صُمِّ الرماح ومَفخَرَا

وَيبينُ فيما مسَّ منه بنانُه ... تيهُ المُدلِّ فلو مشَى لَتبختَرَا

يا مَنْ إذا وردَ البلاد كتابُه ... قبلَ الجيوش ثنى الجيوشَ تحيُّرا

أنتَ الوحيدُ إذا ركبت طريقةً ... ومَن الرَّديفُ وقد ركبتَ غضنفرا[٤]

قَطَفَ الرجالُ القولَ قبْلَ[٥] نباتِه ... وقَطَفْتَ أنتَ القولَ لما نَوَّرا

فهُوَ المُتبَّع[٦] بالمسامع إن مَضَى ... وهُوَ المضاعَفُ حُسْنُهُ إنْ كُرِّرَا

وإذا سكَتَّ فان أبلغَ خاطب ... قَلَمٌ لكَ اتَّخذَ الأناملَ منبرَا

ورسائلٌ قطع العُداةُ سحاءَها ... فرَأوْا قنًا وأسنَّةً وسَنوَّرَا[٧]

فدعاكَ حُسَّدُكَ الرئيسَ وأمسكوا ... ودعاكَ خالقُكَ الرئيسَ الأكبَرا

خلَفَتْ صفاتُكَ في العيون كلامَهُ ... كالخطِّ يملأُ مسْمَعَيْ مَنْ أبصرَا[٨]

أرَأيتَ همةَ ناقتي في ناقةٍ ... نقَلَتْ يداً سُرُحًا وخُفًّا مُجْمِرَا[٩]

(١) أمى : أمر من أم بمعنى قصد . الألية : اليمين ، وبر فى يمينه : صدق . وقد أبر يمينه .

(٢) مقصر : بتشديد الصاد من قصر عن الأمر تركه عجزا ، ومقصر بضم أوله وكسر ثالثه من أقصر عنه تركه اختيارا .

(٣) الديوان : بكفه .

(٤) الرديف : الراكب خلف راكب آخر . الديوان : إذا ارتكبت . يقول أنت متفرد فى كل طريقة تأتيها لا يقدر أحد أن يقتدى بك فى طريقتك لصعوبتها كراكب الأسد لا يمكن أحداً أن يكون رديفاً له .

(٥) الديوان : وقت .   (٦) الديوان و ب : المشيع .

(٧) رسائل : عطف على قلم . السحاء : ما تشد به الرسائل من أدم . السنور : الدروع ، والمعنى : إذا بلغت رسائلك الأعداء فقطعوا سحاءها قتلتهم خوفاً فكأنما رأوا فيها الرماح والدروع .

(٨) يفسر كيف دعاه الله الرئيس الأكبر يقول : إن ما يراه الناس فيك من الصفات الشريفة التى خصك الله بها يؤذن بأنه قد فضلك على سائر الرؤساء وجعلك الأكبر بينهم وإن لم ينطق بذلك لفظا فهذه الصفات كالخلف لكلامه ومثلها بالخط فإن معناه إنما يتناول بالبصر فيستفيد منه القلب ما يستفيده بسماع الآذان .

(٩) سرحا : سهلة السير . مجمرا ، بكسر الميم الثانية : خفيفاً سريعا . ومجمل المعنى أنه يشير إلى صبره وعلو همته فى الأسفار حتى حمل ناقته فى السير ما لا يطيق أمثالها .

تَرَكَتْ دُخانَ الرِّمْثِ فى أوطانه[١] طلبا لقوم يُوقِدُون العَنْبرا
وتَكَرَّمَتْ رُكَبَاتُها عن مَبْرَكٍ تَقَعان فيه وليس مِسْكا أذْفَرَا[٢]

لا يخفَى ما فى هذا البيت .

ومنهـــا :

مَنْ مُبلغُ الأعرابِ أنِّىَ بَعْدَهَا جالَسْتُ رَسْطَاليس وَالإسْكَنْدَرا
ومَلِلْتُ نَحْرَ عِشارِها فأضافَنى مَنْ يَنحَرُ البِدَرَ النضارَ لِمَنْ قَرَى
وسَمِعْتُ بَطليموسَ دارِسَ كُتْبِه مُتَمَلِّكًا مُتَبَدِّيًا مُتَحَضِّرا
ولَقِيتُ كلَّ الفاضِلِينَ كأنَّما رَدَّ الإلهُ نُفُوسَهُمْ والأعْصُرَا
نُسِقوا لنا نَسَقَ الحِسَابِ مُقَدَّمًا وأَتَى « فذلكَ » إذْ أتيْتَ مُؤخَّرَا[٣]

ورأيت فى نسخة قديمة « وَأَتتْ فَذَلِكَ » .

ومن تأملَ هذه الأبياتَ علم أن أبَا الطَّيِّب قد مَلَكَ رِقابَ الكلام ، واستعبد كرائمها ، واستولد عقائمها . وفى ذلك فلْيَتَنَافَسْ ، وعن مَقامِه فلْيَتَقَاعَسْ .

ومنهـــا :

---

(١) الرمث : نبت يوقد به ، والمعنى أن الناقة تركت الأعراب وأتت قوماً وقودهم من العنبر وهم قوم الممدوح والبيت من قول البحترى :

نزلوا بأرض الزعفران وجانبوا أرضا ترب الشيح والقيصوما

(٢) ركبات : جمع ركبة وقصد بها الاثنتين . المسك الأذفر : الشديد الرائحة وهو كقوله تعالى : «فقد صغت قلوبكما» وذلك أن أقل الجمع اثنان فجاز أن يعبر عنهما بالجمع ودل على أنه أراد التثنية أنه أخبر عنهما بها فقال : تقعان ويجوز أن يكون أراد الجمع فسمى كل جزء منهما ركبة كقوله :

شابت مفارقه وهو مفرق واحد، وإنما أراد كل جزء من المفرق، ثم رجع إلى الحقيقة فقال تقعان فقول المؤلف : لا يخفى ما فى هذا البيت يفسره ما قلنا .

(٣) بطليموس : فلكى مشهور صاحب كتاب المجسطى . نسقوا : سردوا . « فذلك » : فاعل أتى وهى حكاية قول الحاسب إذا جمع حسابه فذلك كذا وكذا . وهذه الأبيات الأربعة فى مدح ابن العميد يقول : إنه بعد ما فارق الأعراب لقى رسطاليس الفيلسوف المشهور ، والإسكندر الذى ملك الشرق والغرب ، وأنه نزل ضيفاً على من يكرم ضيوفه ببدر الذهب وأنه رأى عالماً حكيما جمع بين جلالة الملك وفصاحة البدو وظرف الحضر ، وقد لقى بلقائه كل فاضل من الأولين فكأن الله أحياهم ورد عصورهم ، ثم يصفه أخيراً بأنه أتى وقد جمع مزايا السابقين فكأنه حاصل جمع لأعداد سبق تفصيلها .

يَاليتَ باكيـــةً شجانى دَمْعُها نظرتْ إليكَ كما نظرتُ فتَعْذرَا [١]
فتَرى الفَضيلَةَ لا تردُّ فَضيلةً الشَّمس تَشْرُقُ والسَّحاب كَنَهْوَرا [٢]

وتنازعَ نُدَماءُ [٣] ابنِ العميد فى البيت الأخيرِ ، فقال : أثبتوه حتى أتأمله ، فأثْبِتَ البيتُ ، وَوُضع بين يديه ، فأطرق مليًّا يفكر فيه ، ثم قال هذا يُعطلنا عن المهمِّ ، وما كان الرجل يدرى ما يقول [٤] .

وقد أشار المتنبى إلى أن ابن العميد ينتقد شعره بقوله :

هـــل لعُذْرِى إلى الهُمام أبى الفضـ ـل قَبولٌ سَوادُ عينى مِدادُهْ [٥]
أنا من شِدةِ الحيـــاء عليـــلٌ مَكـــرماتُ المُعِلِّهِ عُوَّادُهْ [٦]

---

(١) فتعذرا : منصوب بعد فاء السببية . يقول : ليت التى حزنت لفراق إياها فبكت رأت ما رأيت فكانت تعذرنى فى فراقها والرحيل إليك .

(٢) روى : « وترى » وقد فصل فى هذا البيت ما كان يتمنى أن تراه تلك الباكية عند لقاء ابن العميد فإنها ترى الفضيلة لا تتعارض مع فضيلة أخرى كما لا يتعارض إشراق الشمس وتراكم السحاب وكذلك ابن العميد يتهلل وجهه بالبشر ويتدفق كرم يديه بالعطاء وفى معنى بيت المتنبى قول محمد بن على بن بسام :

الشمس غرته والغيث راحتــه فهل سمعتم بغيث جاء من شمس

وأوضحه ابن الرومى فقال :

تلقى مغيثا مشمسا فى حـــالة هطل الغمامة نير الإشماس

وقال أيضاً :

لكل جليس فى يديه ووجهه مدى الدهر يوم قاتم الجو شماس

وتبعه البحترى فقال :

وأبيض وضاح إذا ما تغيمت يداه تجلى وجهه فتقشعا

(٣) حـ : ندمانى . تحريف .

(٤) ابن العميد يقول حقاً فقد اختلف شراح الديوان فقرأ ابن جنى « لا ترد » بالبناء للمجهول وأخذ يتمحل الوجوه لتفسير البيت وقرأه غيره بالبناء للمعلوم وعلى كل وجه نرى فى البيت خفاء لا يظهر إلا بعد التعمل وكد الذهن وما هكذا الشعر .

(٥) فى الديوان : هل لعذرى عند الهمام . . . وهو يشير فى هذا البيت إلى نقد ابن العميد لقصيدته الرائية السابقة . وقوله : « سواد عينى مداده » من باب الدعاء أى جعل الله سواد عينى مداداً له يشير بذلك إلى أن ابن العميد من أهل الأدب المشتغلين بالكتابة والتصنيف وتنبيهاً على الانتقال من مخاطبته بالرياسة إلى مخاطبته بالعلم وهذا البيت والأبيات التى بعده من قصيدته التى أولها :

جاء نيروزنا وأنت مراده . يمدح بها ابن العميد ويهنئه بالنيروز ويصف سيفا قلده إياه وفرسا حمله عليه وجائزة وصله بها وكان قد عاب عليه القصيدة الرائية وكأن المتنبى لم ينكر نقد ابن العميد فهو يعتذر عما فرط منه فيها ويسلم به كما يرى القارئ فى أبياته الآتية .

(٦) يقول أنا لشدة حيائى من انتقاده شعرى كالعليل وهدايا الذى أعلى تأتينى كل يوم كأنها تعودنى من ذلك الإعلال .

ما كفانى تقصيرُ ما قلتُ فيه ... عن علاه حتى ثناه انتقادُه (١)
إننى أصيدُ البزاة ولكنْ ... نَ أجلَّ النجوم لا أصطادُه (٢)
رُبَّ مالا يُعبّر اللفظُ عنهُ ... والذى يُضمر الفؤادُ اعتقادُه (٣)
ما تعوّدتُ أن أرَى كأبى الفض ... ل وهذا الذى أتاهُ اعتيادُه (٤)
إنّ فى الموج للغريق لَعُذْرًا ... واضحًا أن يفوتَهُ تَعدادُه

وهذه الأبيات من قصيدته التى يمدح بها ابن العميد ، ويهنئه بالنوروز وأولها :

جاء نيروزُنا وأنتَ مرادُه ... وَوَرَتْ بالذى أراد زنادُه (٥)
هذه النظرةُ التى نالها منـ ... ـكَ إلى مثلها من الحول زادُه
ينثنى عنك آخرَ اليوم منه ... ناظرٌ أنتَ طرْفُه ورُقادُه (٦)
نحن فى أرض فارس فى سرور ... ذا الصباحُ الذى نرى ميلادُه
عظّمته ممالكُ الفرس حتى ... كلُّ أيامِ عامِه حُسّادُه
ما لَبِسنا فيه الأكاليلَ حتى ... لَبِسَتْها تلاعُه ووهادُه (٧)

---

(١) ثناه : صار ثانيه ، والضمير للتقصير .

(٢) أصيد : أفعل تفضيل من الصيد ويريد بأصيد البزاة أنه أشعر الشعراء وأقدرهم على شوارد المعانى ويريد بأجل النجوم زحلا والمقصود به الممدوح والمعنى أنه مع حذقه فى الشعر لا يبلغ كلامه أن يصف ابن العميد .

(٣) الضمير فى «اعتقاده» يعود إلى «ما» فى الشطر الأول وما نكرة موصوفة بمعنى شىء أى رب شىء يعتقده الفؤاد ولكن اللسان يعجز عن أن يعبر عنه باللفظ لدقته أو لبلوغه مبلغاً لا يحيط به الوصف وهو اعتذار عن قصوره فى مدحه .

(٤) يقول : ما تعودت أن أمدح مثله فإن قصّرت كنت معذورا ، والذى مدحته به من كلامى شىء معتاد عنده لأنه لا يزال يمدح فهو أعلم الناس بالشعر . وهذا يدل على تحرز أبى الطيب منه وتواضعه له ولم يتواضع لأحد فى شعره تواضعه لابن العميد .

(٥) النوروز : من أعياد الفرس عربته العرب نيروزا ليكون على مثال قيصوم وديجور ونحوهما وهو أول يوم من أيام السنة عند حلول الشمس فى أول الحمل . الزناد : جمع زند وهو الحجر يقتدح به . يقال ورى زندى كناية عن الظفر بالشىء .

(٦) الناظر : العين . الطرف : البصر . يقول : عند انسلاخ هذا اليوم ينثنى عنك ناظره الذى أنت ضياؤه وطيبه فيفارقك على حزن وأسف .

(٧) التلاع : جمع تلعة وهى ما ارتفع من الأرض . الوهاد : جمع وهدة وهى ما انخفض من الأرض وكان من عادة الفرس إذا جلسوا فى مجلس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أكاليل من النبات والزهر فيضعوها على رءوسهم .

وكان من عادةِ الفرسِ في ذلك اليومِ حملُ الهدايا إلى ملوكِهم ، فقال في آخرها :

كثُر الفكرُ كيف نُهدى كما أهـ ـدت إلى ربّها الرئيسِ عبادُه
والذى عندنا من المال والخيـ ـل فمنه هباتُه وقيادُه[١]
فبعثنا بأربعين مِهارٍ[٢] كلُّ مُهرٍ ميدانُه إنشادُه
عددٌ عِشتَه يَرى الجسمُ فيه أرَبًا لا يَراه فيما يُزادُه[٣]
فارتبطْها فإن قلبًا نماها مربطٌ تسبِقُ الجيادَ جيادُه[٤]

وهذا من إحسان[٥] أبي الطيب . واحتج عن تخصيص أبياته بالأربعين دون غيرها من العدد بحجة غريبة ، وهي أنه جعلها كعدد السنينَ التي يرى الإنسان فيها من القوة والشباب وقضاء الأوطار ما لا يراه في الزيادة عليها ، فاعتذر بألطف اعتذار في أنه لم يزد القصيدة على[٦] هذه العِدة ، ونُسخت القصيدتان ، وأنفِذَتا من أرّجان إلى أبي الفتح بن أبي الفضل بن العميد بالرّيّ ، فعاد الجوابُ يذكر شوقَه إلى أبي الطيب ، وسرورَه به ، وأنفذ أبياتًا نظمها طَعن فيها على المتعرضين لقول الشعر ، فقال أبو الطيب والكتاب بيده ارتجالا :

بكُتْبِ الأنام كتابٌ ورد فدتْ يدَ كاتبه كلُّ يدْ
يُعبرَ عمّا لنا عنده[٧] ويذكر من شوقه ما نجد

---

(١) والذى إلى آخر البيت حال . قياده : مصدر أى كثر افتكارنا كيف نهدى إليه شيئاً كما تهدى العبيد إلى أربابها وكل ما عندنا من المال والخيل هو من عنده قد وهبه لنا وقاده إلينا .

(٢) الديوان : مهارا على الحال . وجره كما فى جميع النسخ على البدل أو البيان . وكنى بالمهار عن أبيات القصيدة لأنها أربعون بيتاً وجعل ميدانها الإنشاد لأنها تعرف به كما يعرف المهر فى الميدان ، وفى العكبرى كلام فى إعرابه .

(٣) عدد : خبر عن محذوف ضمير الأربعين . وعشته : جملة دعائية . الأرب : الحاجة فى النفس . أى أنه عدد الأربعين يرى فيه الإنسان من أرب العيش ما لا يراه فى السنين التى زادها بعد ذلك يدعو له أن يعيش هذا العدد فوق ما عاشه وكان ابن العميد فى هذا الوقت قد جاوز السبعين وناهز الثمانين .

(٤) لما سمى الأبيات مهارا فيما سبق قال هنا : احتفظ بها فإن القلب الذى نشأت فيه تسبق جياده جياد غيره أى ينظم من الشعر ما يفضل شعر سواه .

(٥) إن كان فى هذا إحسان فهو فى تلك المعانى الجيدة أما الشعر فلا يفهمه إلا خاصة الأدباء .

(٦) حـ : عن والمشهور أن زاد تتعدى بعلى لا بعن .

(٧) العرف : عما له عندنا . وفى العكبرى : « يخبر عن حاله عندنا » .

فأخــرقَ رائيَــه ما رأى   وأبرق ناقدَه ما انتقــد[١]
إذا سمع النــاس ألفاظَــه   خلقنَ له فى القلــوب الحسد
فقلت وقد فَرَس الناطقــين   كذا يفعل الأسد ابنُ الأسد[٢]

ما صدر بين ابن نباتة السعدى وبين ابن العميد

وأبو الفضل بن العميد هذا هو الذى ورد عليه أبو نصر[٣] عبد العزيز بنُ نُباتة السعدى وامتدحه بالقصيدة التى أولها :

بَرْحُ اشتيــاقٍ وادّكارى   ولهيبُ أنفــاس حِرارِ[٤]
ومــدامــعٌ عــبراتُهــا   ترفضّ عن نوم مُطار[٥]
لله قــلبى ما يُجِــنُّـ   ـنُ من الهموم وما يُوارى
لقد انقضى سكرُ الشبــا   ب وما انقضى وصبُ الخُمارِ[٦]
وكَبِرتُ عن وصــل الصِّغا   رومــا سلوت عن الكِبار
سَقيــاً لتغليــسى إلى   باب الرُّصافة وابتكارى[٧]
أيامَ أخــطِرُ فى الصِّبــا   نشــوانَ مسحوب الإزار[٨]

---

(١) أخرق : أدهش . أبرق : حير ، والمعنى أن الذى رأى الكتاب أدهشه ما رأى من حسن خطه والذى انتقد لفظه حيره ما انتقد من فصاحته .

(٢) لم يوفق المتنبى فى وصف كتاب أبى الفتح بن أبى الفضل بن العميد إذ استعمل أخرق ، وأبرق ، وفرس وهى كلمات لا تناسب وصف الألفاظ والمعانى ، ألا قال كما قال البحترى يصف بلاغة محمد بن عبد الملك الزيات :

لتفننت فى الكتابة حتى   عطل الناس فن عبد الحميد
وبديع كأنه الزهر الضا   حك فى رونق الربيع الجديد
مشرق فى جوانب السمع ما يخـ   ـلقه عوده على المستعيد
ومعان لو فصلتها القوافى   هجنت شعر جرول ولبيــد
حزن مستعمل الكلام اختيارا   وتجنبن ظلمة التعقيــد
وركبن اللفظ القريب فأدركـ   ـن به غاية المراد البعيد

(٣) كان شاعراً مجيداً جمع بين حسن السبك وجودة المعنى ومعظم شعره جيد وله ديوان كبير توفى سنة ٤٠٥ هـ .

(٤) برح اشتياق : ألمه ووجعه .

(٥) ترفض : تنتثر وتتفرق .

(٦) الخمار : بقية السكر فى الإنسان .

(٧) التغليس : السير فى ظلمة آخر الليل (الغلس) . الرصافة . محلة ببغداد .

(٨) خطر الرجل فى مشيته : تبختر (من باب ضرب) وخطر الشىء بالبال من باب دخل، وسحب الإزار : كناية عن الكبر والخيلاء .

حجّى إلى حَجَــر الصّرا ة وفى حَدائقها اعمارى[١]
ومواطـــنُ اللـــذاتِ أو طانى ودارُ اللهـــو دارِ ى
لم يبــق لى عيشٌ يلــذّ م ســوى مُعــاقرةِ العُقار
حَـثّى بألحــان تــرا ءتْ بــين ألحان القَمارِى[٢]
وإذا استهــل ابن العـمـ ـد تضاحكتْ ديمُ القِطار[٣]
خــرْقٌ صفــت أخــلاقه صفو السّبيكِ من النُّضار[٤]
فكأنمــا رُدِفتْ مــوا هبــه بأمــواج البِحــار
وكــأنّ نشــر حــديثــه نشرُ الخُزامَى والعَرار[٥]
وكأننــا ممــا تُفــرّ م قُ راحتــاه فى نِثــار
كلفٌ بحفــظ الســر يُحْ سَبُ صدرُه ليل السرار[٦]

* * *

إن الكبــار من الأمــو رِ تُنــال بالهمم الكبــار
وإلى أبى الفضـــل انبعثْ ن هواجسُ الشعر السّوارى[٧]

فتأخرت صلته عنه ، فشفع هذه القصيدة بأخرى ، وأتبعها برقعة ، فلم يزِدْه ابن العميد على[٨] الإهمال ، مع رقة حاله التى ورد عليها إلى بابه ، فتوسل إلى أن دخل عليه يوم[٩] المجلس ، وهو حافل بأعيان الدولة ، ومقدمى أرباب[١٠]

---

(١) الصراة : نهر بالعراق يمر ببغداد . وأغلب الظن أن البقعة التى كان يمر بها هذا النهر كانت ذات منازه وملاه . حـ : الصرات : تحريف .

(٢) القمارى : جمع قمرى أو قمرية بضم القاف ضرب من الحمام حسن الصوت .

(٣) استهل : أى ظهر أو أعطى . ديم : جمع ديمة مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق . القطار : جمع قطر والقطر المطر واحده قطرة .

سائر النسخ : تطاولت أى تكلفت الطول لتنظر إليه فهو منافس القطر .

(٤) سائر النسخ : مولى . بدل « خرق » الخرق : السخى .

(٥) الخزامى والعرار بفتح العين : نباتان طيبا الرائحة .

(٦) سائر النسخ : تحسب بتاء فى أوله .

(٧) ساقط من حـ . وقد جاء البيت على لغة بنى الحارث بن كعب التى يلحقون فيها الفعل علامة تثنية أو جمع إذا كان الفاعل مثنى أو جمعا .

(٨) حـ ، د ، هـ : إلا . (٩) ساقطة من سائر النسخ .

(١٠) سائر النسخ : أصحاب .

الديوان ، فوقف بين يديه ، وأشار بيده إليه ، وقال : أيها الرئيس إنى قد لزمتك لزوم الظلّ ، وذلَلْتُ لك ذلّ النعل ، وأكلت النَّوى المُحرّق ، انتظاراً لصلتك فوالله ما بى شيء[١] من الحِرْمان إلاّ شماتةَ قوم نصحونى فأغششتهم ، وصدقونى فاتهمتهم ، فبأى وجه ألقاهم ؟ وبأى حجة أقاومهم ؟ ولم أحصل من مديح بعد مديح ، ومن نثر بعد نظم إلاّ على ندم مؤلم ويأس مسقم ، فإن كان للنجح علامة فأين هى ؟ وما هى ؟ إنّ الذين تحسُدهم على ما مُدِحوا به كانوا من طينتك ، وإن الذين هُجوا كانوا مثلك فزاحم بمنكبك أعظمهَم سناماً ، وأنورهم شعاعاً ، وأشرفَهم يَفاعاً ، فحار ابنُ العميد ، ولم يدرِ ما يقول ، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال : هذا وقتٌ يضيقُ عن الإطالةِ منك فى الاستزادة ، وعن الإطالة منى فى المعذرة ، وإذا تواهبنا ما دُفْعنا[٢] إليه استأنفنا ما نتحامد عليه . فقال[٣] ابن نباتة : أيها الرئيس هذه نفثةُ صدر قد دوِى[٤] منذ زمان ، وفضلة لسان قد خرِس منذ دهر ، والغنىّ إذا مَطَل يُستلأم ، فاستشاط ابن العميد وقال : قد[٥] والله ما استوجبت هذا العتب من أحد من خلق الله ، ولقد نافرت العميد من دون هذا حتى دفعنا إلى شَغْب[٦] عاتم ، ولَجاج قاتم ، ولست ولىّ نعمتى فأحتملَك ، ولا صنيعتى فأغضى عنك ، وإن بعض ما أوقرتَه فى مسامعى ، ينقضُ[٧] مِرَّة الحلم ، ويبدد شمل الصبر ، هذا[٨] ، ولا استقدمتُك بكتاب ، ولا استدعيتُك

---

(١) كذا فى حـ ، د ، هـ . وفى ا : فوالله ما بى من الحرمان إلا . . . وفى ب : فوالله ما بى الحرمان ولكن شماتة . . .

(٢) حـ ، د ، هـ : ما دفعناه إليه . تحريف ، ومعنى إذا تواهبنا ما دفعنا إليه أن ابن العميد إذا تنازل عن موقفه من ابن نباتة وحرمانه . وتنازل ابن نباتة عن إلحاحه فى الطلب استأنف كل منهما ما يجعل الموقف محموداً بينهما فيعطى ابن العميد ويرضى ابن نباتة .

(٣) سائر النسخ : قال .

(٤) جميع النسخ : ذوى . دوى : أصابه الداء .

(٥) ساقطة من حـ ، د ، هـ .

(٦) فى جميع النسخ : قرى ، ولا معنى لها إلا أن تكون استعارة تهكية وما أثبتناه هو المناسب لكلمة « لجاج » بعده وهو من نسخة الصبح (هامش التبيان) طبعة الشرفية .

(٧) سائر النسخ : ينقض .

(٨) ساقطة من سائر النسخ .

برسول ولا سألتك مديحى ، ولا كلفتك تقريضى[١] ، فقال ابن نباتة : صدقت أيها الرئيس ما استقدمتنى بكتاب ، ولا استدعيتنى برسول ولا سألتنى مدحك ، ولا كلفتنى تقريضك ، ولكنك جلست فى صدر إيوانك بأبهتك ، وقلت لا يخاطبنى أحد إلا بالرياسة ، ولا ينازعنى خلق فى أحكام السياسة ، فأنى وزير ركن الدولة ، وزعيم أولياء الحضرة ، والقيم[٢] بمصالح المملكة ، فكأنك دعوتنى بلسان الحال ، وإن لم تدعنى بلسان المقال ، فثار ابن العميد مغضباً ، وأسرع فى صحن داره إلى أن دخل حجرته ، وتقوض المجلس ، وماج الناس ، وسمع ابن نباته وهو مار فى صحن الدار يقول : والله إن سف التراب ، والمشى على الجمر ، أهون لنا من هذا ، فلعن الله الأدب إذا كان بائعه مهيناً له ، ومشتريه مماكساً فيه . فلما سكن غيظ ابن العميد ، وثاب إليه حلمه ، التمسه من الغد ليعتذر إليه ، ويزيل أثر ما كان منه ، فكأنما غاض[٣] فى سمع الأرض وبصرها ، فكانت حسرة فى قلب ابن العميد [إلى أن مات][٤] .

قدومه على عضد الدولة

وسار أبو الطيب من بعد ما ودع ابن العميد ومدحه بالقصيدة التى أولها :

نسيتُ وما أنسى[٥] عتابا على الصدّ   ولا خفَرًا زادتْ به حمرةُ الخدِّ

---

(١) تقريضى : تقريظى ومدحى . سائر النسخ : قريضى .

(٢) سائر النسخ : المقيم . تحريف .

(٣) حـ ، د ، هـ وابن خلكان : غاص .

(٤) ساقطة من ا . وهذا الذى كان من ابن العميد على جلالة قدره وسخائه وحرصه على أن يمدحه الشعراء عجيب وطلبه ابن نباتة فى الغد للاعتذار إليه دليل على شعوره بخطئه ، وانظر هذا الخبر فى ترجمة ابن العميد من وفيات الأعيان لابن خلكان .

(٥) كذا فى ا ، ب والديوان . حـ ، د ، هـ : ولم أنس . يقول : نسيت كل شىء ولا أنسى ما جرى بينى و بين الحبيب من العتاب على الصدود وما غشيه عند ذلك من الحياء الذى زادت به حمرة وجهه . العرب تذكر ما جرى بينها و بين الحبيب عند الوداع كقول الآخر :

ولست بناس قولها يوم ودعت   وقد رحلت أجمالنا وهى وقف
ألست على العهد الذى كان بيننا   فلسنا وحق الله عن ذاك نصرف
فقلت لها حفظى لعهدك متلفى   ولولا حفاظ العهد ما كنت أتلف

وكقول الآخر :

ولم أنس توديعى لهم وحداتهم   ترحلهم فوق المطى المخزم
وقوفى وراء الحى سرا وبيننا   حديث كنشر المسك حين يجمجم
ترشفت من فيها رضاباً كأنه   سلافة خمر من إناء مفدم
مبرقعة كالشمس تحت سحابة   أو البدر فى جنح من الليل مظلم

قاصدا أبا شجاع عضد الدولة (١) وهو بشيراز (٢) ، وأنشده القصيدة التي أولها :

أَوهِ بديلٌ من قَوْلتي واهَا لمن نأتْ والبديلُ ذكراها (٣)
وقد رأيتُ الملوكَ قاطبةً وسرتُ حتى رأيتُ مولاها

قيل لما سمع سيفُ الدولة هذا البيت قال أتراه أدخلنا في هذه الجملة ؟

ومنها (٤) :

ومَن مناياهم براحته يأمرها فيهم وينهاها
أبا شجاع بفارس عضد الدَّ ولة فنَّا خُسرُو شهَنْشاها (٥)
أساميًا لم تزده معرفةً وإنما لذةً ذكرناها

تذكرتُ بهذا البيت ما نقله بعض أئمةِ الأدب : أن رجلاً من مدينةِ السلام كان يكرهُ أبا الطيب المتنبي ، فآلى على نفسه ألاّ يسكن مدينةً يُذكر بها أبو الطيب ، ويُنشَدُ كلامُه ، فهاجر من مدينة السلام ، وكان كلما وصل بلداً يسمعُ بها ذكره يرحلُ عنها ، حتى وصل إلى أقصى بلادِ الترك ، فسأل أهلَها عن أبي الطيب فلم يعرفوه ، فتوطنها ، فلما كان يومُ الجمعة ذهب إلى صلاتها بالجامع ، فسمع الخطيب يُنشدُ بعد ما ذكر أسماء الله الحسنى

أساميًا لم تَزده معرفةً وإنما لذةً ذكرناها

---

(١) عضد الدولة هو أبو شجاع فنّا خسرو بن ركن الدولة أبي على الحسن بن أبي شجاع بويه الديلمي من أعقاب سابور ذي الأكتاف ونسبهم معروف في ملوك بني ساسان . وأول من تملك من آل بويه عماد الدولة عم عضد الدولة وهو أحد ثلاثة إخوة ملكوا كلهم وكان أبوهم صياداً ليست له معيشة إلا من صيد السمك .

قال ابن خلكان في ترجمة عضد الدولة لما مرض عمه عماد الدولة بفارس أتاه أخوه ركن الدولة واتفقا على تسليم فارس إلى أبي شجاع فناخسرو بن ركن الدولة فتسلمها بعد عمه سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة وتلقب بعضد الدولة وهو أول من خوطب بالملك في الإسلام وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة وكان أديباً شاعراً محباً للفضلاء مشاركاً في عدة فنون ، وقصده فحول الشعراء في عصره ومدحوه بأحسن المدائح .

(٢) شيراز : عاصمة بلاد فارس إذ ذاك .

(٣) أوه : كلمة توجع . واها : كلمة تعجب واستطابة ، والبيت الذي بعد هذا ليس تالياً له في القصيدة .

(٤) ساقطة من سائر النسخ .

(٥) شهنشاها : ملك الملوك ، وهو لقب بني بويه .

فعاد إلى دار السلام . ومن القصيدة :

لو فطنتْ خيلــهُ لنائله　　　لم يُرضِها أن تراه يرضاها

هذا البيتُ له معنيان : أحدُهما أن خيله لو علمت مقدار عطاياه لما رضيت له أن تكون من جملتها لأنها أنفسُ منها ، والثانى لم ترض لأنه إذا ملكها وهبها.

ومنهـــا[١] :

تُشرقُ تيجانـــهُ بغرّتِـه　　　إشراق ألفاظِـه بمعناها

دان له شرقُها ومغربُها　　　ونفسُه تستقل دُنياها

تجمعتْ فى فؤاده هممٌ　　　مِلءُ فؤاد الزمان إحداها

وحكى عبد العزيز بن يوسف الجرجانى وكان كاتب الإنشاء عند عضد الدولة عظيم المنزلةِ منه قال : لما دخل أبو الطيب المتنبى مجلس عضدِ الدولة ، وانصرف عنه ، أتبعَه بعضَ جلسائِه، وقال له : سله كيف شاهد مجلسَنا ؟ وأين الأمراءُ الذين لقيهم منا ؟ قال : فامتثلت أمره ، وجاريتُ المتنبى فى هذا الميدان ، وأطلتُ معه عِنان القول ، فكان جوابُه عن جميع ما سمعه منى أن قال : ماخدمتْ عيناى قلبى كاليوم ، ولقد اختصر اللفظ وأطال المعنى وأجاد فيه ، وكان ذلك منه أوكد الأسباب التى حظِى بها عند عضد الدولة . وكان أبو على الفارسى إذ ذاك بشيراز وكان يمرُّ المتنبى إلى دار عضدِ الدولةِ على دار أبى على الفارسى ، وكان إذا مرّ به أبو الطيب يستثقله على قبح زِيّه ، وما يأخذ به نفسَه من الكبرياء ، وكان لابن جنى هوى فى أبى الطيب ، كثير الإعجاب بشعره ، لا يبالى بأحد يذمّه أو يحط منه ، وكان يسوءُه إطنابُ أبى على فى ذمه ، واتفق أن قال أبو على يوماً اذكروا لنا بيتاً من الشعر نبحث فيه ، فبدأ ابن جنى وأنشد :

ما صدر بينه وبين أبى على الفارسى

حُلْتِ دون المزار فاليوم لوزر　　　تِ لحال النحولُ دون العِناق[٢]

فاستحسنه أبو على ، واستعاده ، وقال لمن هذا البيت ؟ فإنه غريب المعنى ، فقال ابن جنى : للذى يقول :

---

(١) ساقطة من ا ، ب .

(٢) هذا البيت من قصيدة مطلعها : أتراها لكثرة العشاق . . . يمدح بها أبا العشائر وقد سبق الكلام عنها .

أزورهم وسوادُ الليل يشفعُ لى وأنثنى وبياضُ الصبح يُغرى بى[١]

فقال والله هذا حسن[٢] بديع جدًّا ، فلمن هما ؟ قال للذى يقول :

أمضى إرادتَه فسوف له قدٌ واستقرب الأقصى فثَم له[٣] هُنا

فكثُر إعجابُ أبى على ، واستغرب معناه ، وقال لمن هذا ؟ فقال ابن جنى : للذى يقول :

ووضعُ الندى فى موضع السيف بالعلا مضرٌ كوضع السيف فى موضع الندى

فقال وهذا حسن[٤] والله ، وقد[٥] أطلت يا أبا الفتح ، فأخبرنا من القائل ؟ قال هو الذى لا يزال الشيخُ يستثقله ، ويستقبحُ زِيّه وفعلَه ، وما علينا من القشورِ إذا استقام اللبُّ ؟ قال أبو على : أظنك تعنى المتنبى ؟ قلت نعم .

قال والله لقد حببْتَه إلىّ ، ونهض ، ودخل على عضد الدولة ، فأطال فى الثناء على أبى الطيب ، ولما اجتاز به استنزله ، واستنشده ، وكتب عنه أبياتًا من الشعر .

قال الرَّبعى : كنتُ يومًا عند المتنبى بشيراز ، فقيل له أبو على الفارسى بالباب ، وكانت تأكدتْ بينهما المودة ، فقال[٦] بادروا إليه فأنْزِلوه ، فدخل أبو على وأنا جالس عنده ، فقال يا أبا الحسن خذ هذا الجزء ، وأعطانى جزءاً من

---

(١) من قصيدة يمدح بها كافورا مطلعها :

* من الجآذر فى زى الأعاريب *

قال صاحب اليتيمة : هذا البيت أمير شعره ، وفيه تطبيق بديع ولفظ حسن ومعنى بديع جيد ، وهذا البيت قد جمع بين الزيارة والانثناء والانصراف ، وبين السواد والبياض ، والليل والصبح ، والشفاعة والإغراء ، وبين لى وبى ، ومعنى المطابقة أن تجمع ضدين كهذا ، وقد أجمع الحذاق بمعرفة الشعر والنقاد أن لأبى الطيب نوادر لم تأت فى شعر غيره منها هذا البيت ومنها :

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا (الآتى)

ومنها :

واحتمال الأذى ورؤيــة جانيه * غذاء تضوى به الأجسام

وغير ذلك كثير . والدكتور طه حسين رأى فى البيت السابق سيرد عليك .

(٢) كذا فى ا ، د . وفى ب ، حـ ، هـ : أحسن .

(٣) حـ ، د ، هـ : إلى . تحريف ، والبيت من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار مطلعها :

* الحب ما منع الكلام الألسنا *

(٤) سائر النسخ : أحسن .

(٥) كذا فى ا ، ب . سائر النسخ : لقد .

(٦) كذا فى ا ، ب . سائر النسخ : قال .

كتاب التذكرة ، وقال : اكتب عن الشيخ البيتين اللذين[١] ذكرتك بهما وهما :

سأطلبُ حقّى بالقنا ومشايخ كأنهمُ من طُول ما التثموا مُردُ

ثقالٍ إذا لاقوا خفافٍ إذا دُعوا كثيرٍ إذا شَدّوا قليلٍ إذا عُدّوا[٢]

ومن مدائح أبى الطيب فى عضد الدولة القصيدةُ التى يذكر فيها شِعب بَوّان[٣] وأولها :

مغانى الشّعبِ طِيبًا فى المغانى بمنزلة الربيع من الزمانِ

ولكنّ الفتى العربىّ فيها غريبُ الوجه واليدِ واللسانِ

ملاعبُ جِنّةٍ لو سار فيها سليمانٌ لسار بتَرْجُمانِ

فلما وصل إلى قوله :

فسرتُ وقد حجبن الشمس عنى وجئن من الضياء بما كفانى

وألقى الشرقُ منها فى ثيابى دنانيرًا تفرُّ من البنانِ

فقال[٤] عضدُ الدولة واللهِ لأُقرّنّها[٥] وفعل :

لها ثمرٌ تشيرُ إليك منه بأشربةٍ وقفن بلا أوانِ

وأمواهٌ يَصِلُّ[٦] بها حصاها صليلَ الحَلْىِ فى أيدى الغوانى

ومنها[٧] :

تَحِلُّ به على قلبٍ شجاعٍ وترحلُ منه عن قلبٍ جبانِ[٨]

---

(١) ا : الذى . خطأ . ب : اللذين . خطأ

(٢) البيتان من قصيدة للمتنبى يمدح بها محمد بن سيار بن مكرم التميمى أولها :

أقل فعالى بله أكثره مجد وذا الجد فيه نلت أو لم أنل جد

(٣) شعب بوان : أحد نزه الدنيا الأربع وجناتها وهى : غوطة دمشق ونهر الأبلة وصغد سمرقند وكان المتقدمون يضربون بكل منها المثل فى الحسن والطيب وجمال المنظر . وشعب بوان يقع بالقرب من مدينة شيراز فى بقعة خضرة الجنان ملتفة الأغصان لا تكاد الشمس تقع على كثير من أرضها ولا تبصر العين فيها إلا ماء وخضرة و بهاء ونضرة وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة و به لهج الشعراء فأكثروا فيه القول .

(٤) فقال : جواب لما ، ولا معنى لزيادة الفاء .

(٥) أى فى يدك .

(٦) الديوان : تصل .

(٧) ساقطة من حـ ، د ، هـ .

(٨) الضمير فى : به ومنه يعود على الممدوح (عضد الدولة) ومعنى البيت أنك إذا حللت بهذا الممدوح حللت بشجاع جرىء على القرى و إذا فارقته فارقت إنسانا يحزن لفراقك و يخافه .

ومَنْ بالشِّعب أحوجُ من حَمامٍ   إذا غنى وناح إلى البيان
وقد يتقاربُ الوصفان جِداًّ   وموصوفاهما متباعدان
يقولُ بشعبِ بوان حصانى   أعن هذا يُسار إلى الطِّعان؟
أبوكمْ آدمٌ سنَّ المعاصى   وعلّمكم مُفارقة الجِنان

[إلى أن قال](١) :

فلو طُرحتْ قلوبُ العشقِ فيها   لما خافتْ من الحدقِ الحسانِ (٢)
ولم أر قبله شِبلى(٣) هِزبْرٍ   كشبليه ولا مُهرىْ رِهان
أشدَّ تنازعًا لكريم أصلٍ   وأشبه منظراً بأبٍ هِجانِ (٤)
وأكثر فى مجالسه استماعًا   فلانٌ دقَّ رُمحًا فى فلان
وأول رَأيةٍ رأيا(٥) المعالى   فقد علقا بها قبل الأوان
وأول لفظةٍ فَهِما وقالا   إغاثةُ صارخٍ أو فكٌّ عانى
وكنتَ الشمس تبهر كلَّ عين   فكيف وقد بدتْ معها اثنتان
فعاشا عيشة القمرين يُحيا   بضوئهما ولا يتحاسدان
ولا مَلَكَا سوى مُلك الأعادى   ولا ورِثا سوى مَن يقتلان
وكان ابنا عدو كاثراه   له ياءى حروفِ أنيسيان(٦)

---

(١) زيادة ليست فى جميع النسخ زدناها لأن الأبيات غير متتالية .

(٢) يشير فى هذا البيت إلى درجة استتباب الأمن فى بلاد عضد الدولة فيقول : إن قلوب العشاق لو طرحت فيها لأمنت على نفسها من العيون الحسان وهذا معنى جميل وتصوير حسن .

(٣) حـ : سيل . د ، هـ : شبل ، وكلاهما تحريف .

(٤) هجان : خالص كريم .

(٥) سائر النسخ : رأى . تحريف . رأية : اسم مرة من رأى ومعنى البيت أن أول شىء رأياه هو المعالى فقد عشقاها قبل أن يبلغا أوان العشق .

(٦) والأبيات من قوله : ولم أر قبله . . . إلى هذا البيت فى مدح ولدى عضد الدولة : أبى الفوارس وأبى دلف . قال ابن جنى : حدثنى على بن حمزة البصرى قال : كنت حاضرا بشيراز وقت عرضه لهذه القصيدة وقد سئل عن معنى هذا البيت : وكان ابنا عدو كاثراه . . . قال فالتفت إلى وقال لو كان صديقنا أبو فلان حاضراً لفسره يعنينى بهذه الكنية. قال ابن جنى وقال لى يوماً أتظن أن عنايتى بهذا الشعر مصروفة إلى من أمدحه به؟ ليس الأمر كذلك لو كان لهم لكفاهم منه البيت ،قلت فلمن هى ؟ قال هى لك ولأشباهك .

أى زيادةُ أولادعدوك كزيادة التصغير ، فإنهزيادة نقص ، وقد ابتدع هذاالمعنى

دعـــاءٌ كالثنـــاء بلا رِياء[١]   يؤديــه الجَنــان إلى الجَنان

ومن قصائده فى عضد الدولة القصيدة التى أولها :

اثلث فإنـــا أيهـــا الطللُ   نَبكى وتُرزِم تحتنا الإبلُ[٢]

ومنهـــا[٣] :

قالت ألا[٤] تصحو فقلتُ لهـــا   أعْلَمْتِنى أن الهـــوى ثمِل

ومنهـــا[٥] :

قد رُوا عَفَوْا وعدوا وفَوْاسُئلوا   أغنوا علَوْا أعلَوْا ولُوا عدلوا

فوق السماك[٦] وفوق ما طلبـــوا   فإذا[٧] أرادوا غايـــة نزلوا

أخذه من قوله ابن الرومى وهو قوله :

نزلتم على هام المعالى إذا ارتــقى   إليهـــا أناسٌ غيرُكم بالسلالم

وذاك[٨] بعض المعنى الذى تضمنه قول ابن الرومى ، لأنه قال : إنكم نزلتم على هام المعالى ، وأن غيركم يرقى إليها رُقيًّا ، وأما المتنبى فإنه قال إنكم إذا أردتم

---

(١) فى الديوان : رثاء .

(٢) اثلث : كن ثالثنا ، تقول : ثلثت الرجلين أى صرت ثالثهما .

ترزم : من الإرزام وهو الحنين . يخاطب طلل الأحبة ، فيقول : نحن نبكى عندك ، والإبل تحن كأنها تبكى أيضاً ، فكن أنت أيها الطلل ثالثنا ، وفيه نظر إلى قول البحترى :

اطلبـــا ثالثا ســـواى فإنى   رابع العيس والدجى والبيـــد

وأخذ التهامى معنى أبى الطيب فقال :

بكيت فحنت ناقتى فأجـــابها   صهيل جيادى حين لاحت ديارها

وهذا المطلع من مطالع المتنبى المستكرهة .

(٣) ساقطة من حـ ، د ، هـ .

(٤) حـ ، د ، هـ : أما .

(٥) ساقطة من حـ ، د ، هـ .

(٦) كذا فى حـ ، د ، هـ . ويؤيده ما يقوله المؤلف بعد فى الموازنة بين قول ابن الرومى والمتنبى . ا ، ب والديوان : السماء .

(٧) كذا فى الديوان . سائر النسخ : فإن .

(٨) هـ : وذلك .

غايةً نزلتم ، وأما قوله فوق السماك فإنه يغنى عنه قول ابن الرومى نزلتم على هام المعالى إذ المعالى فوق كل شيء لأنها[١] مختصة بالعلو مطلقًا . وقال يعزى عضد الدولة بعمته ، وقد توفيتْ ببغداد ، وورد عليه الكتابُ بشيراز بالقصيدة التى أولها :

آخرُ ما المَلْكُ مُعزًّى به ... هذا الذى أثـر فى قلبهِ

لا جزَعـا بل أنفًا شابَهُ ... أن يقْدر الدهرُ على غَصْبهِ

لو درت الدنيـا بما عنده ... لاستحيتِ الأيامُ من عَتْبهِ

لعلهـا تحسب أن الذى ... ليس لديه ليس من حزبهِ

نحن بنو الموتى فما بالنـا ... نعافُ ما لا بُدَّ من شربهِ

لو فكّر العاشقُ فى منتهى ... حُسن الذى يسبيه لم يَسْبهِ[٢]

يموت راعى الضأنِ فى جهله ... موتـة جالينوس فى طِبهِ[٣]

استغفر الله لشخص مضى ... كان نـداه منتهى ذنبه

بحسبـه دافنهُ وحـده ... ويجدهُ فى القبر من صحبهِ

ما كان عندى أنّ بدر الدجى ... يُوحشُه المفقودُ من شُهبهِ

وقال يودعه وهى آخر شعره ، وفى أثنائها كلام جرى على لسانه كأنه ينعى فيه نفسه وهى من محاسن ما يؤتى به فى معنى الوداع وأولها :

فِدًى لك مَنْ يُقصّرِ عن مداكا ... فلا مَلِكٌ إذنْ إلاَّ فَداكـا

إلى أن قال :

أروحُ وقد ختمتَ على فـؤادى ... بحبّك أن يحُلَّ به سواكا

وقد حمّلْتنى شـكراً طويلا ... ثقيلا لا أطيق به حَراكا[٤]

أحاذر أن يَشُقَّ على المطايا ... فلا تمشى بنا إلا سِواكا[٥]

---

(١) ا ، ب : لأنه . تحريف .

(٢) هذا البيت من أحسن الكلام الذى يعجز عن مثله المجيدون وهو من قول الحكيم : النظر فى عواقب الأشياء يزيد فى حقائقها ، والعشق عمى الحس عن درك رؤية المعشوق .

(٣) كنى براعى الضأن عن الجاهل ، وبجالينوس الطبيب عن اللبيب الحاذق .

(٤) مثله لأبى نواس :

قد قلت للعباس معتـذراً ... من ضعف شكر به ومعترفا

لا تـدين إلى عـارفـة ... حتى أقـوم بشكر ما سلفا

(٥) السواك : مشى ضعيف من مشى الإبل المهازيل الضعاف .

لعـــل الله يجعـــله رحيلا يُعينُ على الإقامة فى ذَراكا(١)

لما أنجحت سفرتُه ، وربحت تجارته بحضرة عضد الدولة ، ووصل(٢) إليه من صلاته أكثرُ من مائتى ألف درهم استأذنه فى المسير عنها ، ليقضى حوائج فى نفسه ، ثم يعود إليها ، فأذن له ، وأمر بأن يُخلع عليه الخِلَعُ الخاصة ، وتعادَ صلتهُ بالمالِ الكثير ، فامتُثِل ذلك ، وأنشده(٣) هذه القصيدة ، وفى أثنائها كلام يَنعَى فيه نفسَه وإن لم يقصِدْه كما قدمنا ، فمنه(٤) قوله :

فلو أنى استطعت خفضتُ طَرْفى فلم أبصر بـــه حتى أراكا

وهذه لفظة(٥) يتطير منها :

أرى أسَفِى وما سِرْنا شـــديداً فكيف إذا غدا السيرُ ابتراكا(٦)

وهذا الشوقُ قَبل البين سيفٌ وهأنا ما ضُربتُ وقد أحاكا(٧)

---

(١) الذرا : الكنف والناحية وهو من قول الطائى :

أآلفة النحيب كم افتراق أظل فكان داعية اجتماع

وليست فرحة الأوبات إلا لموقوف على ترح الوداع

ولعروة بن الزبير : تقول سليمى لو أقمت بأرضنا ولم تدر أنى للمقام أطوف .

(٢) زدنا الواو قبل الفعل : « وصل » ليستقيم الأسلوب .

(٣) حـ : وأنشد .

(٤) ب : فمن قوله . حـ ، د ، هـ : كقوله

(٥) يقصد : « فلم أبصر به » وقد نقله من قول أبى النجم :

لـــما تيقنت أنى لا أعاينكم غضضت طرفى فلم أبصر به أحدا

ومن قول مسلم :

إن يحجبوها عن العيون فقد حجبت طرفى لها عن البشر

(٦) الابتراك : سرعة السير ، والبيت من قول أشجع :

فهأنت تبـــكى وهم جـــيرة فكيف تكون إذا ودعـــوا

لقد صنعوا بك ما لا يحـــل ولو راقبـــوا الله لم يصنعوا

أتطمع فى العيش بعد الفراق محـــال لعمرك ما تطمـــع

ومثله لآخر :

لقد كنت أبكى خيفة لفراقـــه فكيف إذا بان الحبيب وودعا

ومثله لسحيم :

أشوقا ولما يمض لى غير ليلة فكيف إذا خب المطى بنا عشرا ؟

(٧) أحاك : أثر .

إذا التوديع أعرض قال قلبي عليكَ الصمتَ لاصاحبتَ فاكا[١]

وهذا أيضا من ذاك ، ومنه :

ولولا أن أكــثر ما تمــنى معــاودةٌ لقلتُ ولا مناكا

أى لولا أن أكثر ما تمنى قلبي أن يعاودك لقلت له ولا بلغت مناك . ومنه :

قد استشفيتَ من داء بـداء وأقتلُ ما أعلّك ما شفاكا[٢]

أى قد أضمرت يا قلب شوقاً إلى أهلك ، فكان ذلك داء لك ، فاستشفيت منه بأن فارقت عضد الدولة ، ومفارقته داءٌ لك أيضاً أعظم من داء شوقك إلى أهلك ، فكأنك تداويت من فراقه بما هو أقتل لك من مكابدة الشوق إلى أهلك ، وهذا شبيهٌ[٣] قولِ النبي صلى الله عليه وسلم (كفَى بالسلامة داءً) .ومنها[٤] :

فأسترُ منك نجوانا وأخــفى هموماً قد أطلتُ لها العراكا

إذا عاصيتُها كانتْ شِداداً وإن طاوعتُها كانت رِكاكا[٥]

ومنــه[٦] :

وكم دون الثوِّيــة من حزينٍ يقول له قدومى ذا بذاكــا

الثوية من الكوفة . يقول له قدومى ذابذاكا : أى هذا القدوم بتلك الغيبة ولك هذا السرور بذلك الحزن . ومنه :

ومن عَذْبِ الرُّضاب إذا أنخنا يُقبل رحل تُروْكَ والوِراكا

تُروْكَ : اسم ناقة لم يُرِ مثلُها لعضدِ الدولة أمر له[٧] بها[٨] ، والوراك شيء يتخذه الراكب كالمخدة تحت وركه .

---

(١) عليك الصمت : اسكت لا تتكلم بالوداع أولا تمح غيره .
لا صاحبت فاك : دعاء وهو مما يتطير منه .

(٢) هو منقول من قول حميد بن ثور الهلالى :

أرى بصرى قد رابنى بعد صحــة وحسبك داء أن تصح وتسلما

(٣) حـ : يشبه . (٤) ساقط من ب

(٥) الركاك : الضعاف مفردها ركيك .

(٦) ساقطة من سائر النسخ .

(٧) « أمر له » ساقطة من حـ ، هـ .

(٨) حـ : به . . تحريف .

يُحرِّمُ أن يمَسَّ الطيب بعدى　　وقد عَلِقَ[١] العبيرُ به وصاكا

وهذا أيضًا منه :

ويمنع ثغــره من كل طيب[٢]　　ويمنحُه البشامــة[٣] والأراكا

يُحــدِّثُ مقلتيــه النومُ عنى　　فليت النوم حدَّث عن نداكا[٤]

وما أرضى لمقلتــه بحــلم　　إذا انتبهتْ توهمه ابتشاكا[٥]

ولا إلاَّ بأن يُصْغى وأحكى　　فليتــك لا يتيمة هواكا[٦]

ومنــه[٧] :

وفى الأحبابِ مُختصٌ بوجد[٨]　　وآخرُ يدَّعى معــه اشتراكا

إذا اشتبهتْ دموعٌ فى خــدود　　تَبين مَنْ بكى ممن تباكى

فنَزِّلْ يا بُعدُ عن أيدى رِكاب　　لها وقعُ الأسنةِ فى حَشاكا[٩]

هذه استعارة حسنة لأنه خاطب البعد وجعل له حسًّا .

وأيًّا شئتِ يا طُرُقى فكــونى　　أذاةً أو نجاة أو هلاكا[١٠]

جعل قافية البيت الهلاك فهلك ؛ وذلك أنه ارتحل عن شيراز بحسن حال ووفور

---

(١) الديوان : عبق . صاك به : لزق، والمعنى أن هذا الشخص لا يمس طيبا بعدى حزناً على فراق وهو مع ذلك طيب الرائحة كأن العبير قد لصق به .

(٢) الديوان : صب .

(٣) حـ : السآبة . تحريف . د ، هـ والديوان : البشامة، البشامة واحدة البشام وهو شجر يستاك به كالأراك . يصفه بالعفة والصون ؛ يصون ثغره عن العشاق ويبذله السواك المتخذ من هذين الشجرين .

(٤) المعنى أنه إذا نام رأى خيالى فى النوم فكأنه قد حدثه عنى فليت نومه حدثه عن إحسانك إلى حتى يعذرنى فى الإقامة عندك .

(٥) الابتشاك : الكذب . المعنى أنه لا يرضى إلا بأن يراه فى اليقظة على ما وصف له الحلم .

(٦) أى ولا أرضى إلا بأن يصغى إلى وأحدثه عن إحسانك وصفاتك وإذا كان ذلك فليته لا يصير متيما بحبك فينصرف عنى .

(٧) ساقطة من حـ . د ، هـ : ومنها .

(٨) ب : بود .

(٩) معنى البيت : يخاطب البعد فيقول له : تنح عن أيدى مطايانا ، فإنه لا ثبات لك أمامها لأنها تخرقك وتنفذ منك كما تخرق الرماح الأحشاء .

(١٠) قيل : إن عضد الدولة قال : تطيرت عليه من تركه النجاة بين الأذاة والهلاك . وروى البيت : وأنى شئت . . .

مال ، فلما فارق أعمال فارس حَسِب أن السلامَة تستمرُّ به كاستمرارها فى مملكة عضد الدولة فقتل ، كما سنشرحه . ومنها :

أذمّتْ مكرماتُ أبى شجـاع لعينى من نواى على أُلاكا[١]
ومَنْ أعتاضُ عنك إذا افترقنا وكلُّ الناس زورٌ ما خلاكا
وما أنا غيرُ سهم فى هـواء يعود ولم يَجِدْ فيه امتساكا[٢]

كيف قتل المتنبى

قال الخالديان كُنا كتبنا إلى أبى نصر محمد الجَبُّلىّ[٣] نسأله عما صدر لأبى الطيب المتنبى بعد مفارقته عضد الدولة ، وكيف قُتل ؟ وأبو نصر هذا من وجوه الناس فى تلك الناحية ، وله فضل ، وأدبٌ جزل ، وحُرمة ، وجاه ، فأجابنا عن كتابنا جوابا طويلاً يقول فى أثنائه : وأما ما سألتما عنه من خبر مقتل أبى الطيب المتنبى فأنا أسوقه لكما ، وأشرحه شرحًا بينًا :

اعلما أن مسيره كان من واسط فى يوم السبت لثلاثَ عشرةَ ليلةً بقيت من شهرِ رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، وقتل بضيعة[٤] تقرب من دير العاقول فى يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان ، والذى تولى قتله ، وقتل ابنه وغلامه ، رجلٌ من بنى أسد يقال له فاتك بن أبى جهل بن فراس

(١) أذم له منه : أخذله الذمة وهى العهد والجوار . وأذم له على فلان : إذا أخذ له الذمة ليجيره منه . ألاك : اسم إشارة بمعنى أولئك وهو إشارة إلى دموع المتباكى . والمعنى : أن مكرمات الممدوح أخذت لعينى عهدا من البعد أن تكون فى مأمن من دموع المتباكى . أى أن مكرماته تمنع عينى أن تجرى على فراقه دموعاً كاذبة لأنه قد ملك قلبه بإحسانه فهو يبكى عن وجد لا عن تكلف . وهذا البيت فى الديوان قبل البيت السابق له .

(٢) يشير فى البيت السابق إلى أنه ينوى الرجوع إليه وفى هذا البيت يقرر هذا المعنى فيقول : أنا فى انطلاقى من عندك وسرعة عودى إليك كالسهم إذا رمى به فى الجو فإنه لا يصادفه ما يمسكه هناك فلا يلبث أن ينقلب ويعود إلى الأرض .

ونعود فننبه على أن مدح المتنبى عضد الدولة كمدحه كافورا لم يكن عن عاطفة صادقة لأن هواه كان دائماً مع سيف الدولة ولأن عضد الدولة من هؤلاء الأعاجم الذين كان المتنبى لا يرى استحقاقهم السلطان ، وينقم منهم غصبهم سلطان العرب ، وهو إن أجاد أحياناً فإنما كان ذلك لنزعته الأدبية ولأنه كما يقول لابن جنى أتظن أن عنايتى بهذا الشعر مصروفة إلى من أمدحه به ؟ ليس الأمر كذلك لو كان لهم لكفاهم منه البيت ، ولما سأله ابن جنى : لمن هو؟ قال هو لك ولأشباهك ولذلك نرى فى مدحه عضد الدولة كلاما يحتمل الوجهين كما هو الشأن فى مدح كافور وإن كان ما وقع له مع عضد الدولة من هذا قليلا .

(٣) نسبة إلى « جبل » بفتح الجيم وضم الباء المشددة بلدة على شاطىء دجلة .

(٤) يقال لها : بيوزى كما فى معجم البكرى .

ابن بَدَّاد[1] . وكان من قوله لما قتله وهو متعفرٌ : قبحًا لهذه اللحية ياسبّاب . وسبب ذلك أن فاتكا[2]هذا خالُ ضبة أخو والدته . وضبة هو ابن يزيد العينى[3] الذى هجاه أبو الطيب بقوله :

ما أنصفَ القومُ ضبَّهْ   وأمَّــه الطــرطُبَّهْ[4]
وإنمــا قلتُ مــا قلـ   ـتُ رحمةً لا محبَّهْ[5]
وما عليــك من القتـ   ـلِ إنمــا هى ضربهْ
وما عليك من العــا   رِ أن أمــك قحبــه
وما يشــق على الكلـ   ـب أن يكون ابنَ كلبه
ما ضرهــا من أتاها   وإنمــا ضرّ صُلبــه
ولم ينكها ولكــن   عجانهــا ناك زُبّــه
يا أطيب النــاس نفسا   وألــين الناس رُكبــه
وأرخص الناس أمــا   تبيــع ألفًا بحَبّــه
كل الأيور سهام   بأمــه وهى جَعْبــه
وما على مَن به الدا   ءُ من لقاء الأطبة *

(١) كذا فى جميع النسخ . وفى العرف مع أنه نقل عن الصبح : شداد .

(٢) حـ ، د ، هـ : كان مكان : هذا ، وهذه الكلمة لا تستقيم مع قوله بعد : أخو والدته .

(٣) صوابه : العتبى كما فى شرح الواحدى ومعجم البكرى فى رسم الصافية وكان من قصة هذا الرجل أن قوماً من أهل العراق قتلوا أباه يزيد وسبوا امرأته أم ضبة ، وكان ضبة غدارا بكل من نزل به ، واجتاز به أبو الطيب فى جماعة من أشراف الكوفة فامتنع منهم وأقبل يجاهر بشتمهم ، فأرادوا أن يجيبوه بمثل ألفاظه القبيحة، وسألوا ذلك أبا الطيب فتكلفه لهم على كراهة، وقال هذه القصيدة وهو على ظهر فرسه .

وفى تقديم بعض نسخ الديوان لهذه القصيدة أن ضبة هذا كان يشتمهم أقبح شتم ويسمى أبا الطيب باسمه، ويقول ابن جنى : « ورأيته (أى أبا الطيب) وقد قرئت عليه القصيدة وهو يتكره إنشادها » . ذلك أنه أفحش فى هجائه غاية الإفحاش ، وعدد أبياتها ٣٩ ذكر منها المؤلف ١١ بيتا .

(٤) الطرطبة : المسترخية الثديين .

(٥) أى إنما قلت : ما أنصفوك رحمة بك لما أصابك من الذل والعار لا محبة لك وغيرة عليك .

* مثل هذا الشعر يأبى بعض الأدباء نشره ، لأنه يمس الأخلاق ، وبعضهم يرعى أمانة النقل ، فيرويه وينشره ، وناشرو ديوان المتنبى لم يروا بأساً فى نشر هذه القصيدة كاملة، ومن هذا الرأى الشيخ يوسف البديعى الذى رضى أن يروى هذه الأبيات . وهذا هو الثعالبى صاحب اليتيمة يقول فى جـ ١ص٢٧٣ بمناسبة ما رواه من شعر فيه مجون لأبى الرقعمق، وكان بالشام يشبه ابن حجاج بالعراق : « أشار علينا بعض

فيقال إن فاتكا داخلته الحمِيّةُ لما سَمِع ذكرها[١] بالقبح فى هذا الشعر ، وما للمتنبى أسخفُ من هذا الشعر ، ولا أوهى كلامًا[٢] ، فكان مع[٣] سخافته وركاكته سببَ قتله ، وقتلِ ابنه وغلمانه وذهاب ماله .

وأما شرح الخبر فإن فاتكا صديق لى، وهو (كما سُمى) فاتك، لسفكه الدماء، وإقدامه على الأهوال فى مواقفِ القتال . فلما سمع الشعر الذى هُجِى به ضبة اشتد غضبُه، ورجع على ضبةَ باللَّوْم ،وقال له: كان يجب ألا تجعلَ لشاعر عليكَ سبيلا، وأضمر غيرَ ما أظهر، واتصلَ به انصرافُ المتنبى من بلاد فارس، وتوجهُه إلى العراق ، وعلم أن اجتيازه بجبل* دَيْرِ العاقول ، فلم يكن ينزل عن فرسه ، ومعه جماعة من بنى عمه رأيهم فى المتنبى مثلُ رأيه؛ من طلبه واستعلام خبره مِنْ كل صادر ووارد، وكان فاتكٌ خائفًا أن يفوته ، وكان كثيراً ما ينزلُ عندى، فقلت له يومًا وقد جاءنى وهو يسائل[٤] قومًا مجتازين عن المتنبى : قد أكثرت المسألة عن هذا الرجل . فأىَّ شىء تريدُ منه إذا لقيته ؟ فقال ما أريد إلاَّ الجميل ،

= الأدباء ببتر أمثال هذه القطع التى يجىء فيها فحش و مجون لأنه خروج عن الأدب،ومفسدة للأخلاق» .
وقد اختلفت آراء العلماء فى مثل هذا ، ولكنا نرى أن علم الأدب غير علم الأخلاق ، وأن الأدب يتناول العواطف الإنسانية عامة، لا يفرق بين شريفها وخسيسها ،فلا حرج عليه إذا عرض لهذه العاطفة يصورها ، ولا حرج على الثعالبى إذا رواها فى كتابه الذى يصف أدباء عصره، ولا حرج علينا إذا نحن نشرنا الكتاب على أصله ، وراعينا أمانة العلم وحرمة التاريخ معاً ، فلم ننقص من الكتاب شيئاً ، وإن كنا نوافق الأخلاقيين ، ونتكر معهم هذا اللون من الأدب ، على أننا حين نبيح لأنفسنا إثبات هذا اللون لا نظننا خرجنا عن طريق السلف حين أثبتوا فى كتبهم ومؤلفاتهم كل ما قال الأدباء والشعراء فى هذه الناحية،وحسب الناقد نظرة فى أمهات كتب العربية ، فليس الثعالبى وحده هو الذى تفرد بوضع المجون فى كتابه ، بل ربما كان أبعد المؤلفين الإسلاميين عن الإسراف والغلو فيه .

(١) كذا فى ا ، ب . حـ : ذكر أخته،على أن الضمير يعود على فاتك . د ، هـ : ذكر أمه على أن الضمير يعود على ضبة .

(٢) حقاً إن هذا الشعر ليس من طراز شعر المتنبى فحولة وجزالة ، ولعله لم ير المقام مقام جد يستحق ذلك كما هى عادته .

(٣) سائر النسخ : (من) مكان (مع) .

* بجبل دير العاقول : ربما كانت محرفة عن جهة أو حيال لأن دير العاقول ليس به جبل (ذكرى المتنبى لعزام) .

(٤) حـ ، د ، هـ : سائل .

وعذلتُه(١) على هجاء ضبة، فقلت له : هذا لا يليق بأخلاقك ، فتضاحك ثم قال : يا أبا نصر والله لئن اكتحلتْ عينى به أو جمعتْنى وإياه بقعةٌ لأسفكنّ دمَه، ولأمْحقنّ حياته(٢ إلا أن يحال بينى وبينه٢) قلت له كفّ — عافاكَ الله — عن هذا القول ، وارجع إلى الله ، وأزِلْ هذا الرأىَ عن(٣) قلبك ، فإن الرجلَ شهيرُ الاسم ، بعيدُ الصّيتِ ، ولا يَحْسُنُ منك قتلهُ على شعر قاله ، وقد هجت الشعراءُ الملوكَ فى الجاهلية ، والخلفاءَ فى الإسلام ، فما سمعنا بشاعر قُتل بهجائه ، وقد قال الشاعر :

هجوتُ زهيراً ثم إنى مدحتُه   وما زالتِ الأشرافُ تُهجى وتُمدحُ

ولم يبلغ من(٤) جرمه ما يوجبُ قتله ، فقال : يفعل الله ما يشاء وانصرف ، ولم يمض لهذا القول غيرُ ثلاثةِ أيام حتى وافانى المتنبى ، ومعه بغال مُوقَرةٌ بكل شىء من الذهب ، والطيب ، والتجملات النفيسة ، والكتب الثمينة ، والآلات ، لأنه كان إذا سافر لم يُخلفْ فى منزله درهمًا ، ولا شيئًا يساويه ، وكان أكثرُ إشفاقـه على دفاتره ، لأنه كان قد انتخبها ، وأحكمها قراءةً وتصحيحًا ، قال أبو نصر : فتلقيته ، وأنزلته دارى ، وسألته عن أخباره ، وعمن لقى ، فعرفنى من ذلك ما سررتُ به(٥) له ، وأقبل يصف ابن العميد (٦ وفضله ، وأدبه ، وعلمه ، وكرمَ عضدِ الدولة٦) ورغبتَه فى الأدب ، وميلَه إلى أهله ، فلما أمسينا قلت له يا أبا الطيب : على أى شىء أنت مجمع ؟ قال : على أن أتخذَ الليلَ مَرْكَبًا ، فإن السير فيه يخف علىّ . قلت : هذا هو الصواب رجاء أن يُخْفيه الليل ، ولا يُصبحَ إلاّ وقد قطع بلداً بعيداً ، وقلت له : والرأى أن يكون معك من رجالة هذه البلدة الذين يعرفون هذه المواضع المخيفة جماعةٌ يمشونَ بين يديْك إلى بغداد ، فقطّب وجهَه وقال : لم قلتَ هذا القول ؟ فقلت : لتستأنس بهم ، فقال أما

---

(١) د ، هـ : عدله عن . جـ : عذله عن .
(٢ — ٢) هذه الجملة ساقطة من جـ ، د ، هـ .
(٣) جـ ، د ، هـ : من .
(٤) ساقطة من سائر النسخ .
(٥) ساقطة من سائر النسخ .
(٦ — ٦) سائر النسخ : وفضله وعلمه وكرمه وكرم عضد الدولة .

والجُرازُ(١) فى عنقى فما بى حاجة إلى مُؤنِس غيرِه ، قلت الأمر كما تقول ، والرأىُ فى الذى أشرتُ به عليك(٢) فقال تلويحُك ينُبى عن تعريض ، وتعريضُك ينبى عن تصريح ، فعرفْنى الأمر ، وبيِّن لى الخطب ، قلت : إن هذا الجاهل فاتكا الأسدىّ كان عندى منذ ثلاثة أيام ، وهو غيرُ راض عنك ، لأنك هجوتَ ابنَ أختِه ضبة ، وقد تكلم بأشياءَ توجبُ الاحترازَ والتيقظَ ، ومعه أيضًا نحوُ العشرين من بنى عمه ، قولهم مثلُ قوله ، فقال غلام أبى الطيب وكان عاقلا : الصوابُ ما رآه أبو نصر ،خذ معك عشرين رجلا يسيرون بين يديك إلى بغداد، فاغتاظ أبو الطيب من غلامه غيظًا شديداً ، وشتمه شتمًا قبيحًا ، وقال والله لا أرضى أن يتحدّثَ الناس بأنى سرت فى خفارة أحدٍ غيرِ سيفى . قال أبو نصر فقلت يا هذا أنا أوّجهُ قومًا من قبلى فى حاجة يسيرون بمسيرك وهم فى خَفارتكَ فقال : والله لا فعلتَ شيئًا من هذا ، ثم قال : يا أبا نصر : أبِخُرْءِ(٣) الطير تُخَشِّينى ؟ ومن عبيد العصا تخاف علىّ ؟ والله لو أن مِخْصَرَتى هذه ملقاةٌ على شاطئ الفرات وبنو أسد مُعطَشون بِخِمس(٤) وقد نظروا إلى الماء كبطون الحيات ما جَسَر لهم خُفٌ ولا ظِلْفٌ(٥) أن يَرِده. معاذ الله أن أشْغلَ فِكرى بهم لحظةَ عين . فقلت له قل إن شاء الله فقال : هى كَلمة مقولةٌ لا تدفعُ مَقْضِيًا ولا تستجلِب آتيًا ، ثم ركب ، فكان آخرَ العهدِ به . ولما صح عندى(٦) خبر قتله وجهت مَن دفنه ، ودفن ابنه ، وغلمانه ، وذهبت دماؤهم هدراً . هذا هو الصحيح من خبره . وقيل سبب قتله أنه لما ورد على عضد الدولة ومدحه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثةِ أفراس مُسرجة مُحلاّة ثم دس له من يسأله : أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟ فقال : إن سيفَ الدولةِ كان يعطى طبعًا ، وعضد الدولة تطبعًا ، فغضب عضد الدولة ، فلما انصرف جهز إليه قومًا من

---

(١) الجراز : كقراب السيف القاطع . حـ ، د ، هـ : الجزار تحريف .

(٢) حـ ، د ، هـ : إليك .

(٣) سقطت همزة الكلمة فى حـ ، د ، هـ .

(٤) الخمس : من أظماء الإبل وهو أن ترد الإبل يوماً ثم ترعى ثلاثة أيام ثم ترد فى اليوم الرابع .

(٥) يريد بالخف الإبل وبالظلف ذا الحوافر كالبقر والغنم .

(٦) ساقطة من حـ .

بنى ضبة فقتلوه بعد أن قاتل قتالا شديداً ، ثم انهزم ، فقال له غلامه أين قولك :

الخيل والليل والبيـــداء تعـــرفنى والحربُ والضرب والقرطاس والقلم

فقال قتلتنى قتلك الله ، ثم قاتل حتى قتل. وقيل إن الخفراء جاءوه وطلبوا منه خمسين درهمًا ليسيروا معه ، فمنعه الشحُّ والكبْر ، فتقدموه ، ووقع به ما وقع ، ولما قتل رثاه أبو القاسم المظفر بن على الطَّبَسىَ[1] .

رثاء المتنبى

لا رعى الله سِربَ هذا الزمان إذ دهانا بمثل ذاك اللسان

ما رأى الناسُ ثانىَ المتنبي أىُّ ثان يُرى لبِكْر الزمان

كان من نفسه الكبيرةِ فى جيـ ـش وفى الكبرياء ذا سلطان

هو فى شعـــره نبىٌّ ولـــكن ظهرت معجـــزاتهُ فى المعانى

ورثاه أيضًا ثابت بن هارون الرقى النصرانى بقصيدة يستثير فيها عضد الدولة على فاتك الأسدى وهى :

الدهر أخبثُ والليـــالى أنكدُ من أن تعيش لأهلها يا أحمدُ

قصدتْكَ لما أن رأتْك نفيسَها بُخلا بمثلك والنفائس تُقصدُ

ذقتَ الكريهةَ بغتةً وفقَدتَها وكريه فقدك فى الورى لايفقدُ

قل لى إن اسطعت الخطاب فإننى صبٌّ الفؤادِ إلى خطابك مُكمدُ

أتركتَ بعدكَ شاعراً والله لا لم يبقَ بعدك فى الزمان مُقَصِّدُ

أما العـــلومُ فأنهـــا يا ربها تبكي عليك بأدمـــع لاتَجمُدُ

يأيهـــا الملك المؤيَّدُ دعوةً مِمَّن حشاه بالأسَى يتوقدُ

هذى بنو أسدٍ بضيفك أوقعتْ وحوتْ عطاءك إذ حـــواه الفرقدُ

وله عليك بقصدِه ياذا العُلا حقٌّ التحرّم والذمامُ الأوكَدُ

فارع الذمام وكن لضيفك طالبًا إن الذمامَ على الكريم مؤيَّدُ

ورثاه أبو الفتح ابن جنى[2] بقصيدة أولها :

غاض القريضُ وأودتْ نضرةُ الأدبِ وصوَّحتْ بعد رىّ دوْحةُ الكُتُبِ

---

(١) سائر النسخ : أبو القاسم مظفر بن المظفر بن الطبسى . تحريف والصواب المظفر بن على الطبسى نسبة إلى طبس بفتح الطاء والباء وهى مدينة فى البرية بين نيسابور وأصبهان وكرمان .

(٢) أبو الفتح بن جنى : كان من أئمة النحو والعربية ولد بالموصل وتوفى ببغداد سنة ٣٩٢ هـ . ومن مؤلفاته الخصائص فى اللغة ، وكان المتنبى يقول : ابن جنى أعرف بشعرى منى فقد صحبه دهراً طويلا وشرح شعره ونبه على معانيه وإعرابه .

منهـــا :

سُلبتَ ثوب بهاء كنتَ تلبســه	كما تُخـتَطَّفُ(١) بالخطية السَّلَبِ
مازلتَ تصحب فى الجلّى إذا نزلتْ	قلباً جميعاً وعزما غير منشعب
وقد حلبتَ لعمرى الدهرَ أشطره	تمطو بهمة لا وانٍ ولا نَصِبِ(٢)
من للهوا جل يُحيِي مَيْتَ أرسُمها	بكل جائلة التصدير والحَقَبِ(٣)
قبّاءَ خوصاءَ محمودٍ علالتُها	تنبو عريكتها بالحِلْس والقَتَبِ(٤)
أم من لسِرحانها تقريه فضلته	وقد تضوّر بين الباس والسغب
أمْ من لبيض الظبا توكافُهن(٥) دمٌ	أم من لِسُمر القنا والزَّغْف واليلبِ
أم للمعارك يذكى جمر جاحمها	حتى يُعريها عن ساطع اللهب(٦)
أم للمحافل إذ تبدو لتعمرها	بالنظم والنثر والأمثال والخطب
أم للمناهل والظلماءُ عاكفةٌ	يُواصل الكرتين الوردِ والقَرَبِ(٧)
أم للملــوك تُحليها وتُلبسها	حتى تَمايسَ فى أبرادها القُشُبِ

---

(١) ا : تخطفت . سائر النسخ : تحفظت ، الخطيئة تحريف. الخطية : الرماح منسوبة إلى الخط بلدة قرب البحرين . والسلب صفة للخطية ومعناها ما يسلب به .

(٢) حلب الدهر أشطره : خبر الدهر ومارس الأيام . تمطو : من المطو وهو المد فى السير .

(٣) الهواجل : الصحراوات . التصدير : من صدر بعيره إذا شده بحبل من حزامه إلى كركرته . الحقب : الحزام يلى حقو البعير أو حبل يشد به الرحل فى بطنه ، والمراد بكل ناقة هذه صفتها . جميع النسخ : تحمى مكان يحيى . تحريف .

(٤) الأقب من الخيل : الدقيق الخصر الضامر البطن والأنثى قباء . خوصاء : غائرة العينين . الحلس : كساء تجلل به الدابة يوضع تحت البرذعة. القتب : الإكاف أو هو إكاف صغير على قدر سنام البعير . العلالة : بقية السير ، وتطلق أيضاً على الحلبة الوسطى للناقة. يريد أنها محمودة حتى فيما لا ينتظر فيه الحمد . جميع النسخ : فناء تحريف . حوصاء تحريف .

(٥) حـ ، د ، هـ : أو مكان أم . جميع النسخ : يوما فهن بدل توكافهن تحريف . الظبا : أطراف السيوف . التوكاف : مصدر وكف ويستعمل فى الدمع والمطر إذا نزل . الزغف : الدروع . اليلب : الترسة أو الدروع اليمانية من الجلود أو جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرءوس خاصة الواحدة يلبة .

(٦) حـ ، د ، هـ : المعارف مكان المعارك تحريف . جميع النسخ تدمى . تحريف. جاحم : من جحم النار إذا أوقدها والمعنى من للمعارك يذكى نارها .

(٧) القرب : طلب الماء ليلا ، وإذا كان بينك وبين الماء يوم فأول يوم تطلب فيه الماء القرب والثانى الطلق .

باتت وسادى أطرابٌ تؤرقنى   لما غدوتَ لَقًى فى قبضة النوب[1]
عمّرتَ خِدن المساعى غير مضطهد   ومتَّ كالنصل لم يدنس ولم يُعَب
فاذهب عليك سلام المجد ماقلقت   خُوص الركائب بالأكوار والشُّعَب[2]

اختلاف علماء الأدب فيه وفى الطائيين

وعلماء الأدب فى شعره مختلفون : فنهم من يرجحه على أبى تمام والبحترى ، ومنهم من يرجحهما عليه ، ومنهم من يرجح أبا تمام عليهما ، ومنهم من يرجح البحترى . والكلام فى هذا المكان يحتاج إلى إرخاء العنان فى حلبة البيان ، فنقول: قد أجمع أعلام العلم وفُرسان النثر والنظم على أن هؤلاء الثلاثة ذللوا[3] جَموح الآداب وشَموسها[4] . وأطلعوا أقمارها وشُموسها . وهم أصولُ الأدبِ وفروعه ، ومعدنُه ويَنبوعه ، وإلى كلامهم تَميلُ الطباع ، وعلى أبياتهم تَقف الخواطرُ والأسماع ، وثمراتُ البدائعِ منهم تُجتنى . وذخائرُ البراعة من غرائبهم تُقتنى .

كلام ابن الأثير

قال ابن الأثير فى المثل السائر[5] : « هؤلاء الثلاثةُ لاتُ الشعر وعُزّاه ومَناته[6] الذين ظهرت على أيديهم حسناتُه ومُستحسناتُه ، وجمعت بين الأمثال السائرَة ،وحكمة الحكماء، وقد حوتْ أشعارُهم غرابةَ المُحْدَثين إلى فصاحة القدماء .

أما أبو تمام فإنه ربُّ معان ، وصَيْقَلُ ألباب وأذهان ، وقد شُهد له بكل معنى مُبتكر لم يَمشِ فيه على أثر ، فهو غير[7] مُدافَع عن مَقام الإغراب[8]

---

(١) اللقى : الشيء الملقى فى الطريق ونحوه . أطراب : جمع طرب والمراد به الحزن . وسادى : مجرور بمضاف محذوف تقديره تحت .

(٢) الأكوار : الرحال جمع كور . الشعب : جمع شعبة وهى المزادة، يريد ما ارتحلت الإبل وكنى عن هذا بقلق الأكوار والشعب فإنها تضطرب إذا سارت الناقة .

(٣) جموح : من جمح الفرس : غلب فارسه .

(٤) شموس : من شمس الفرس : منع ظهره أن يركب .

(٥) ساقطة من الأصل ، انظر المثل السائر ح ٢ ص ٣٦٨ طبعة الحلبى ١٩٣٩ م وقد تصرف المؤلف فيما نقل عن ابن الأثير بعض التصرف .

(٦) اللات والعزى ومناة : أعظم أصنام كانت تعظم فى الجاهلية .

(٧) ح ، د ، هـ : خير .تحريف .

(٨) الإغراب : الإبداع .

(١الذى برّز فيه على الأضراب١) ولقد مارستُ من الشعر كل أول وأخير، ولم أقل ما أقوله إلا عن تنقيب وتنقير ، فمن حفظ شعر الرجل ، وكشف عن غامضه ، وراض فكره برائضه[٢] أطاعته أعنةُ الكلام، وكان قولُه فى البلاغة ما قالت حذام[٣]

وأما أبو عبادة البحترى فإنه أحسن فى سبكِ اللفظِ على المعنى ، وأراد أن يشعُر فغنى ، ولقد حاز طرفى الرقة والجزالة على الإطلاق ، فبينما يكون فى شظف نجد إذ تشبث[٤] بريف العراق، وسُئل أبو الطيب عنه وعن أبى تمام وعن نفسه فقال : أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحترى . ولعَمرى لقد أنصف فى حُكمه وأعرب بقوله عن متانة علمه ، فإن أبا عبادة أتى فى شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصمّاء فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فأدرك بذلك بُعد المرام مع قربه إلى الأفهام ، وما أقول إلا أنه أتى فى معانيه بأخلاط الغالية[٥] ، ورقِى فى ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب المتنبى فإنه أراد أن يسلك مسلكَ أبى تمام فقصرَتْ عنه خُطاه، ولم يُعطه الشعرُ من قياده ما أعطاه ، ولكنه حظِى فى شعره بالحِكَم والأمثال ، واختَصَّ بالإبداع فى مواضع القتال ، وأنا أقولُ فيه قولا لستُ فيه متأثما ، ولا منهُ متلثمًا ، وذاك أنه إذا خاض فى وصف معركة كان لسانُه أمضى من نِصالها ، وأشجعَ من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مَقام أفعالها ، حتى يَظُنَّ أن الفريقين قد تقابلا، والسلاحين قد تواصلا ، فطريقه فى ذلك يَضِلُّ[٦] بسالكه ، ويقومُ بعذر تاركه ، ولا شك أنه كان يشهدُ الحروبَ مع سيفِ الدولة ، فيصفُ لسانُه ما أداه عِيانُه ، ومع هذا فإنى رأيتُ الناسَ عادلين فيه عن التوسط ؛ فإما مُفْرِط فى وصفه ، وإما مُفرِّط ، وهو وإن انفرد بطريق صار أبا عذرِه[٧] ، فإن سعادة

(١ — ١) ساقطة من سائر النسخ .

(٢) سائر النسخ : برائقة : الرائض : من يروض الفرس حتى يسلس قياده.

(٣) حذام بالذال لا بالزاى امرأة من العرب عرفت بالصدق حتى ضرب بها المثل قال الشاعر :

إذا قالت حذام فصدقوها ... فإن القول ما قالت حذام

(٤) « إذا » كذا فى جميع النسخ ،والتصحيح من ابن الأثير .

(٥) الغالية : الطيب .

(٦) جميع النسخ : يظل .تحريف .

(٧) أبا عذره : السابق فيه .

الرجل كانت أكبرَ من شعره ، وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ، ومهما وصف به فهو فوق الوصف ، وفوق الإطراء ، ولقد صدق فى قوله من أبياتٍ يمدح بها سيف الدولة :

لا تطلبنّ كريمـــا بعد رؤيته   إن الكرام بأسخاهم يداً خُتموا
ولا تُبالِ بشعر بعد شاعره   قد أفسد القولُ حتى أحْمِـدَ الصمم

ولقد وقفت على أشعار الشعراء قديمها وحديثها حتى لم يبقَ ديوانٌ لشاعر مُفْلِقٍ يَثْبُتُ شعرُه على المِحكّ إلا وعرضتُه على نظرى، فلم أجدْ أجمعَ من ديوانى أبى تمام وأبى الطيب للمعانى الدقيقة ، ولا أكثرَ استخراجًا منهما للطيف الأغراض، ولم أجدْ أحسنَ تهذيبًا للألفاظ من أبى عبادة ، ولا أنفسَ ديباجةً، ولا أبهجَ سبكا » .

كلام الشريف الرضى

وقال الشريف الرضى[١] فى هذا المقام « وكلام الشريف شريف الكلام، أما أبو تمام فخطيب منبر[٢]، وأما البُحتُرىّ فواصف جُؤْذرٍ[٣]وأما أبو الطيب المتنبى فقائد عسكر[٤]. قال ابنُ الأثير :[٥]« الألفاظ تجرى من السمع مجرى الأشخاص من البصر ، فالألفاظُ الجزلة تُتخيَّل كأشخاص عليها مهابةَ ووقار ، والألفاظ الرقيقةُ تُتخيل كأشخاص ذَوِى[٦] دماثة ولين أخلاق، ولطافة مِزاج ، ولهذا ترى ألفاظ أبى تمام كأنها [٧رجال ، قد ركبوا خيولهم ، واستلأموا سلاحهم، وتأهبوا للطراد، وترى ألفاظ البحترىّ كأنها٧]نساءٌ حسان ، عليهن غلائلُ مُصبَّغات ، وقد تحلين بأصناف الحلى » .

---

(١) هو الحسن محمد بن الحسين الرضى العلوى نقيب أشراف بغداد ، وأشعر بنى هاشم توفى سنة ٤٠٦ هـ .

(٢) أراد بخطيب منبر : أنه مؤثر .

(٣) وبواصف جؤذر : حلاوة كلامه .

(٤) وبقائد عسكر : وصفه للوقائع .

(٥) ابن الأثير : هو الوزير أبو الفتح نصر الله بن محمد الشيبانى الملقب ضياء الدين المعروف بابن الأثير صاحب المثل السائر ولد سنة ٥٥٨ هـ وتوفى سنة ٦٣٧ هـ ببغداد (ابن خلكان ٢ : ١٦١) طبعة الميمنية . وكلامه هنا منقول من المثل السائر ، راجع طبعة الحلبى ص ١٧٨ – ١ .

(٦) ب : ذى .

(٧ – ٧) ساقط من سائر النسخ ، استلأموا : لبسوا اللأمة وهى الدرع المحكمة الملتئمة .

كلام بن شرف القيرواني

وقال ابنُ شرف القيروانيُّ[١] في مَقامته التي ذكر فيها الشعراء : « وأما أبو تَمام الطائيّ فمتكلف ، إلا أنه يصيب ، ومُتْعَب لكنْ له من الراحة نصيب ، وشُغْلُه المطابقةُ والتجنيس ، [٢]جيدٌ ذلك أو بئيس[٢] جزلُ المعاني ، مرصوصُ المباني ، مدحه ورثاؤه ، لا غزلُه وهجاؤه[٣] ، فهُماطرفا نقيض ، وسماءٌ وحَضيض ، وفي شعره علمٌ جَمّ من النسب ، وجملةٌ وافرةٌ من أيام العرب ، وطارت له الأمثال ، وحُفظتْ له الأقوال ، وديوانه مقرّو ، وشعره متلو » .

قال ابن بسام[٤] : أما صفته هذه لأبي تمام فنَصَفة لم يثْن عِطفها حَميّة ، ولا تعلّقت بذيلها عصبية ، حتى لو سمعها حبيبٌ لاتخذها قِبْلة ، واعتمدها ملة .

قال ابن شَرَف : وأما البحتريّ فلفظه ماءٌ ثجاج ، ودُرّ رَجراج ، ومعناه سِراجٌ وهّاج ، على أهدى مِنهاج ، يسبقه شعرُه إلى ما يَجيش به صدرُه ، بِيُسْرِ[٥] مراد ، ولين قياد ، إن شربته أرْواك ، وإن قدحتَه أوراك ، طبعٌ لا تكلفَ يُعنّيه ولا العنادُ يَثْنيه ، لا يُملّ كثيرُه ، ولا يُستكره غزيره .

وأما المتنبي فقد شُغلتْ به الألسن ، وسَهِرتْ في أشعاره الأعين ، وكثُر الناسخ لشعره ، والغائصُ في بحره ، والمفتشُ عن جُمانه ودُرّه ، وقد طال فيه الخُلفُ وكثُر عنه الكشفُ ، وله شيعةٌ تغلو في مدحه ، وعليه خوارجُ تَتعبُ في جرْحه ، والذي أقول : إن له حسنات وسيات ، وحسناتُه أكثرُ عدداً ، وأقوى مَدَداً ، وغرائبُه طائرة ، وأمثاله سائرةٌ ، [٦]وعلمُه فسيح ، وميزُه صحيح ، يَرومُ فيقدِر ، ويَدْرى ما يُورد ويُصْدِر[٦] .

---

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر المؤلف نشأ بتونس ثم ارتحل إلى الأندلس زمن ملوك الطوائف ، ومات بها سنة ٤٦٠ هـ . وله شعر رقيق ، وهجاء موجع ، ومدح بليغ ، ووصف بديع ، ويشوب شعره مزاج من البديع وخاصة الجناس .

(٢ — ٢) ساقط من ح ، د ، هـ .

(٣) سائر النسخ : مدحه ورثاه لا غزله وهجاه .

(٤) هو أبو الحسن على بن بسام من أهل الأندلس وصاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (يعنى جزيرة الأندلس) في سبعة أسفار .

(٥) ح ، د ، هـ : بيسير .

(٦ — ٦) ساقط من هـ .

والذى يُشعر به كلام ابن شرف تقديمُ البحترىّ ، كما أنه يُشعر كلامُ الشريف بتقديم أبى تمام .

تعصب العميدى على المتنبى

وكان الشيخُ أبو سَعْد محمدُ بنُ أحمد العَميدىّ عن أبى الطيب فى غاية الانحراف ، حائداً فى التمييز عن سَنَن الإنصاف ، ونحن نُوردُ كلامه ، ونرد فى نَحْره سهامَه ، فإنه تجاوز الحد ، وأكثر الرد .

(١سعَى جُهْدَه لكنْ تجاوزَ حَدَّه   وأكثر فارتابت ولو شاءَ قَلّلا

وبراعة كلامه(١) :

« إعجاب المرء بنفسه يَشرع إليه أسنة الطاعنين ، وتطاوله على أبناء جنسه يَجمع عليه ألسنةَ الشانئين ، فلا نقيصةَ عندى اقبحُ سِمَةً من اغترارِ الإنسان بجهله ، ولا رذيلةَ أبلغُ وصمةً من إنكار فضيلةِ مَنْ يقعُ الإجماعُ على فضله ، ولا منَقْبةَ أجلبُ للشرف من الاعتراف بالحق إذا وضَحَتْ دلائلُه ، ومن الانحراف عن الباطل إذا استقبحتْ مجاهلُه ، ولا دلالة على الحلم أبينُ من التوقف عند الشّبهات ، حتى ينجلىَ ظلامها ، والتصرّف على أحكام النَّصَفة حتى تهديك أعلامُها ، وما أحسنَ أثرَ الحاكم إذ عَدل وأنصَف ، وأقبحَ ذكرَه إذا مال عن الحق وجَنَف . والظلم قبيح . وهو من الحكام أقبح وأشنع ، وجُحود الفضل سخيفٌ . وهو من الفضلاء أسخفُ وأفظع . ومن لم يتميزْ عن العوام بمزّية تقديم وتخصيص . سَلَق المحسنين بلسان ذم وتنقيص ، ومَن عَدِمَ محاسنَ التمييز والتحصيل ، نظر إلى المَميِّزين بعين التقصير والتجهيل ، وأكثرُ آفاتِ كُتّاب زمانِناوشعرائهم أنهم(٢) : لايهتدون لتعليل الكلام وتشقيقه(٣) . ويتّبعون الهوى فيضلهم عن منهج الحقّ وطريقه . فإذا سمعوا فصْلا من كتابٍ ، أو بيتَ شعر ممن لا يكاد يُجيل فى الأدب قِدْحا ، ولا يعرف هجاء ولا مدحا ، فهو(٤) يَحكمُ على قائله

(١ - ١) ساقط من سائر النسخ . وبراعة كلامه أى مستهل كلامه أى كلام العميدى فى مقدمة الإبانة . طبعة العباسية بمصر ، وهى التى أشرنا إليها أحياناً فيما ذكره العميدى من السرقات ، كما أشرنا أحياناً أخرى بالرمز ن . الجامعة ، ونريد به مصور نسخة منها بالجامعة العربية .

(٢) « أنهم » زيادة عن الإبانة للعميدى ص ٢

(٣) تشقيق الكلام : إخراجه مخرجاً حسنا

(٤) « فهو » الضمير راجع إلى : من لا يكاد يجيل . . .

بالسّبق والتفخيم والإجلال والتعظيم ، (١ وليس يدرى ما رواه : سليم اللفظ أو مختلّه ، صحيح المعنى أو منحلّه(١) وهل ترتيبه مستحسَن أو مستهجَن ؟ وتقسيمه مطبوع أو مصنوع ، ونظامه مستعمل أو مسترذل ، وكلامه مستعذب أو مستصعب وهل سبقه إلى ذلك المعنى أحدٌ قبله أو هو مُبتدِع ؟ وأورد نظيرَه سواه أو هو مُخترِع ؟ استبدعوا(٢) كلامه ، واتبعوا أحكامه ، واعتمدوا على الاعتقاد دون الانتقاد ، وقبلوه بالتقليد لا بالاختيار ، وقابلوه بالامتثال دون الاعتبار والاختبار ، ثم إن بينتَ لهم عوارَ ما رَوَوْه وزلله ، وخطأ ما حكَوْه وخطلَه التزموا نصرة خطئه واقفين مواقف الاعتذار ، ومائلين عن طريقة الإنصاف إلى الانتصار ، وليستْ هذه الخصلةُ من خصال الأدباء الذين هذبتْهم الآداب فصاروا قدوةً وأعلامًا ، ودرّ بتْهم العلومُ فأصبحوا بين الناس قُضاةً وحُكامًا ، وإنما يذهب فى مدح الكتّابِ والشعراءِ مذهبَ التقليد مَنْ يكونُ فى علومه خفيفَ البضاعة ، قليلَ الصناعة ، صفرَ وِطاب الأدب ، ضيّق مجالِ الفضل ، قصيرَ باعِ الفهم ، جديبَ رِباعِ العقل ، فأما من رُزقَ من المعرفة ما يستطيعُ أن يميز بين غثِّ الكلام وسمينه ؛ ويَفرِقَ بين سخيفه ومتينه ، وأوتى من الفضل ما يَحسُنُ أن يعدلَ به فى القضية غير عادلٍ عن الإنصاف ، ويَحكم بالسويّة غيرَ مائلٍ إلى الإسراف والإجحاف ، فالأولى به ألاّ ينظرَ إلى أحد إلاّ بعين الاستحقاق والاستيجاب ، ولا ينُحل أحداً من رُتَبِ الجلالةِ إلاّ بقدرِ محَله من الآداب ، ولا يعظّمَ الجاهلية(٣) لتقدمهم إذا أخّرتهم معايبُ أشعارهم ، ولا يستحقرَ المحدثين لتأخرهم إذا قدمتهم محاسنُ آثارهم ، ويطرحَ الاحتجاجَ بالمُحال طرحا ، ويضربَ عن استشعار الباطل صفحًا ، ويُجلّ من يشهدُ بفضائله شهود عدول ، ويُذل(٤) مَنْ كلامُه عند التأمل منحول معلول . ولقد جرى يوما حديث المتنبى فى بعضِ مجالسِ أحدِ الرؤساء . فقال أحد حاملى عَرشه(٥) : سبحان من ختم بهذا الفاضل الفحولَ من

(١ — ١) كذا فى ا وقد وردت فى ب ، د ، ه محرفة . وفى حـ : العبارة فاسدة لا تستحق التسجيل.

(٢) « استبدعوا » جواب لقوله : « فإذا سمعوا » .

(٣) سائر النسخ : من الجاهلية .

(٤) كذا فى الأصول ، وفى مصورة مخطوط الإبانة بالجامعة العربية . وفى الإبانة : ينزل مكان يذل .

(٥) حـ ، د ، ه : شعره . ومعنى حامل عرشه : أى معظميه .

الشعراء وأكرمه ، وجمع له من المحاسن ما فَضَل به كلّ من تقدّمه ، ولو أُنصِف لَعُلِّقَ شعرُه كالسبع المعلقات من الكعبة، ولَقُدِّم على جميع شعراء الجاهلية فى الرتبة ، ولكن حِرفة[١] الأدبِ لحقته ، وقلةَ الإنصاف محت اسمه من جرَائد المتقدمين ومحقته ، وإلاّ فهاتوا لأى شاعر شئتم جاهلىّ أو إسلامىّ مثلَ قوله فى صفة الفرس :

رجلاه فى الركض رجلٌ واليدان يدٌ وفعلــه ما تريدُ الكفُّ والقدمُ[٢]

أليس هذا أبلغَ من قول القائل :

درير كخُذروفِ الوليد أمرّه تتابعُ كفيــه بخيط موصّل[٣]

لقد أبدع المتنبى ما شاء وأغرب ، وأفصح عن الغرض وأعرب ، فقلت للأُقيشر[٤] ما يقارب هذا المعنى فى نعت فرسه ، وهو قوله :

---

(١) حرفة الأدب : شؤمه . وهو يشير إلى قول على بن محمد بن بسام يرثى ابن المعتز :

لله درك من ملك بمضيعــة ناهيك فى العقل والآداب والحسب
ما فيه لو ولا ليت فتنقصــه وإنما أدركته حرفة الأدب

(٢) هذا البيت من قصيدة له فى سيف الدولة يرد بها على المتشاعرين مطلعها :

« واحر قلباه ممن قلبه شبم » وقد تقدم كلام عنها .

وقبل هذا البيت :

ومهجة مهجتى من هم صاحبها أدركتها بجواد ظهره حرم

ومعناه : رجلاه فى الركض رجل، أى أنه لحسن مشيه واستواء وقع قوائمه فى الركض كأن رجليه رجل واحدة لأنه يرفعهما و يضعهما معاً وكذا يداه ، وهو طوع لما يراد منه ففعله فى السرعة ما تريد القدم لأنه بها يستحث ، وفى المواتاة ما تريد الكف لأنه بها يعطف و يستوقف .

(٣) هذا البيت من معلقة امرئ القيس « قفانبك » فى وصف حصانه . درير : سريع أو مكتنز الحلق مقتدر . الخذروف : عود أو قصبة مشقوقة يفرض فى وسطه ثم يشد بخيط فإذا أمر دار وسمع له حفيف ، يلعب به الصبيان و يوصف به الفرس لسرعته .

جميع النسخ : ذرى موضع درير ، تحريف .

(٤) « فقلت » : الضمير راجع إلى العميدى الذى افتتح هذا الكلام بقوله : إعجاب المرء . . . إلخ . والأقيشر اسم المغيرة بن الأسود ينتهى نسبه إلى مدركة بن إلياس بن مضر ، ولد فى الجاهلية ونشأ فى أول الإسلام ، وكان كوفياً خليعاً ماجناً فاسقاً مدمن الخمر قبيح المنظر . له ترجمة فى الإعلام للزركلى ص ١٠٦٢ وفى الأغانى حـ ١٠ وفى معجم الشعراء فى صفحتى ٥٦ ، ٣٦٩ .

يجرى كما أختاره فكأنه بجميع ما أبغيه منه عالمُ
رجلاه رجلٌ واليدان يدٌ إذا أحضَرْته والمتن منه سالم

فصاح، وقال: يا قوم أهذا شعر إنسان له مُسكةٌ من عقل؟ أو بُلغةٌ من فضل؟ والله إن للمتنبي غلمانا وأتباعًا أجلُّ من هذا البليد المجهول. من أى قبيلة هذا العاجز الذى تكلم بمثل هذا الفضول؟ فقلت: عافاك الله، حديثنا فى الإبداع لا فى الاتباع، وفى الآداب لا فى الأنساب ليس يغنى المتنبي جلالة نسبه، مع[1] ضعف أدبه، ولا يضره[2] خلافُ دهره، مع اشتهار ذكره.

ولقد تأملتُ أشعارَه كلَّها فوجدتُ الأبياتَ التى يفتخرُ بها أصحابُه، وتعتبر فيها آدابُه من أشعار المتقدمين منسوخة، ومعانيها من معانيهم مسلوخة. وإنى لأعجب من جماعة يَغْلُون فى حديثِ المتنبي وأمره، ويدّعون الإعجاز شعره، ويزعمون أن الأبياتَ المعروفَةَ له هو مبتدعُها، ومخترعها، ومُحْدِثُها ومُفترعُها، لم يسبق إلى معناها شاعر، ولم ينطق بأمثالها باد ولا حاضر.

وهؤلاء المتعصبون له المفتخرون بالأُمَع التى يزعمون أنه استنبطها وأثارها، والمُعتدُّون بالفِقَر التى يدعون أنه افتضّ أبكارها، والمترنمون له بأبيات سائرة[3] يذكرون أنه انفرد بألفاظها ومعانيها، وأغرب فى أمثلتها ومبانيها، والمتمثلون بها فى مجالسهم ونواديهم والمستعملون لها فى خلَوَاتهم وأغانيهم[4]، كيف لا يستحون أن يقولوا بعصمته؟ ويتهالكوا فى الدلالات على حكمته؟ وكيف يستجيزون لنفوسهم ويستحسنون فى عقولهم، أن يشهدوا شهادةً قاطعة، ويَحكموا حكمًا جزْمًا بأنها له غير مأخوذة ولا مسروقة، وأنّ طرائقها[5] هو الذى ابتدأ توطئتها[6] غيرَ مسلوكة لغيره، ولا مطروقة؟ فليت شعرى هل أحاطوا علمًا بنصف دواوين الشعراء للجاهلية والمخضرمين والمتقدمين والمُحدثين فضلا عن جميعها؟

(١) ب: من. سائر النسخ: عن.
(٢) سائر النسخ: يضمر تحريف.
(٣) جميع النسخ: صائرة تحريف.
(٤) ح، د، هـ: مغانيهم.
(٥) ب: طراقها تحريف. ح، د، هـ: طرقها.
(٦) ح: بتوطيها تحريف د: بتوطيتها. هـ: بتوطئها. تحريف.

أم هل فيهم من يميّز بين مستعملها وبديعها[١] حتى يطلقوا القولَ غيرَ مُحتشمين أن المتنبي من بين أولئك الشعراء أبدعَ معانى لم يفطن لها سواهُ ولم يَعثُر بها أحدٌ ممن يجرى مجراه ؟ ولقد قال المرْزُبانى[٢] فيما حكى عنه : أنه لما صنف كتابه على حروف المعجم بأسماء الشعراء ، جمع داوين ألفِ شاعر حتى اختار من عيونها ما أراد ، وامتار من متُونها ما ارتاد .

انظر كيف حرق البحترى دواوين الشعراء حسداً

وذكر القاضى أبو الحسن علىٌّ بن عبدالعزيز الجُرجانىّ[٣] أن البحترىّ على ما بلغه أحرق خمس مئة ديوان للشعراء فى أيامه حسَداً لهم لئلا تشتهر أشعارهم ، وتُنشَر محاسنُهم وأخبارُهم ؛ فمن أين لهؤلاءالمتعصبين للمتنبي أنه سبق جماعتهم فى مِضماره ، ولم يقتبسْ من بعضها محاسنَ أشعاره ، وهل للذين يتدينون بنُصرته بصائرُ بحُسن المأخذ ، ولطفِ المتناوَل ، وجودة السرقة ، ووجوهِ النقل ، وإخفاءِ طُرُق السَّلْب ، وتغميض مواضع القلب ، وتغيير الصنعة والترتيب ، وإبدال البعيد بالقريب ، وإتعاب الخاطر فى التثقيف والتهذيب حتى يدّعوا علمَ الغيب فى تنزيهه عن السرقات التى لا تخفى صُورُها على ناقد ، وتبرئته عن المعايب التى يشهد عليه بها ألفُ شاهد ؟ ولست — يعلم الله — أجحدُ فضل المتنبي ، وجودةَ شعره ، وصفاءَ طبعه ، وحلاوة كلامه ، وعذوبة ألفاظه ، ورشاقةَ نظمه ، ولا أنكر اهتداءه لاستكمال شروط الأخذ إذا لَحظَ المعنى البعيدَ لحظًا ، واستيفاءه حدودَ الحِذق إذا سلخَ المعنى وكساه من عنده لفظا ، ولا أشك فى حسن معرفته بحفظِ التقسيم الذى يعلقُ بالقلبِ موقعُه ، وإيراد التجنيس الذى يملك النفسَ مَسمعُه ، ولَحاقه فى إحكام الصنعة ببعض من سبقه ، وغوصِه على ما يُستصفى ماؤه ورونقُه ، وسلامةِ كثير من أشعاره من الخطَل والخلل ، والزلل والدَّخَل ، والنظام الفاحش الفاسد ،

---

(١) يريد بالمستعمل الشائع على ألسنة الشعراء ، وبالبديع الطريف المخترع .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمران المرزبانى البغدادى الكاتب ولد سنة ٢٩٧ فى بيت رياسة ونشأ فاضلا ذكياً ممتع المحاضرة راوية للأدب مقدماً فى الدولة وعند أهل العلم والفضل وكان منزله مجمعاً علمياً له مؤلفات منها الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء فى أنواع من صناعة الشعر توفى سنة ٣٨٤ هـ ببغداد .

(٣) اقرأ هذا الخبر فى الوساطة ص ١٢١ طبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٣١ هـ والجرجانى فقيه مفسر مؤرخ شاعر كاتب ناقد ومن أشهر آثاره الوساطة بين المتنبى وخصومه وله ديوان شعر يجمع بين العذوبة والجزالة توفى سنة ٣٦٦ هـ .

والكلام الجامد البارد ، والزحاف القبيح المستبشَع ، واللحن الظاهر المستشنَع ؛ وأشهد أنه عن درجة أمثاله غيرُ نازل ولا واقِع ، وأعرف أنه مليحُ الشعر غيرُ مدافَع ، غيرَ أنى مع هذه الأوصاف الجميلة ، لا أبرئه من نهب وسرقة[١] ولا أرى أن أجعله وأبا تمام ربَّ المعانى ، ومسلمَ بن الوليد وأشباههَما فى طبقة [واحدة][٢] ولا ألحقه فى عذوبة الألفاظ وسهولتها ، ورشاقة المعرض ، ومجانبة التصنع والتكلف بالبحترى ، ولا أقيسه فى امتداد النفَس وعِلم اللغة والاقتدار على ضروب الكلام ، وتصوير المعانى العجيبة ، والتشبيهات الغريبة ، والحكم البارعة ، والآداب الواسعة بابن الرومى ، ولا أتهالك فى مدحه تهالك من يتعصب له تقليداً ، ويغلو فيجعل بينه وبين هؤلاء الفضلاء أمداً بعيداً ، إلى أن قال : ولولا أنه كان يجحد فضائل من تقدمه من الشعراء ، وينكر حتى أساميهَم فى محافل الرؤساء ، ويزعم أنه لا يعرف الطائييْن وهو على أشعارهما يُغير ، ولم يسمع بابن الرومى وهو من أشعاره يَمير ، ويسبهم إذا قيل فى أشعارهم إبداع ، ويعيبُهم متى أنشد لهم مِصراع ، لكان الناس يُغضون عن معايبه ويُغطون على مساويه ومثالبه ، ويعدونه كسائر الشعراء الذين لا يَنبشُ عظامَهم إنسان ، ولا يَجرى بذمهم لسان .

كيف وجد بخط المتنبى ديوانا أبى تمام والبحترى بعد قتله

ولقد حدثنى من أثق به : أنه لما قتل المتنبى وجد معه ديوانا[٣] أبى تمام والبحترى بخطه وعلى حواشى الأوراق علامة كلّ بيت أخذ معناه وسلخه ، فهل يَحِلّ له أن ينكر أسماء الشعراء وكُناهم ، ويجحدَ فضائل أولاهم وأخراهمُ إلى أن قال : وأنا بمشيئة الله تعالى أورد ما عندى من أبيات أخذ ألفاظها ومعانيها ، وادّعى الإعجاز لنفسه فيها ، ليشهدَ بلؤم طبعه فى إنكار فضيلة السابقين ، ويَسمَهُ بما نهبه من أشعارهم بِسِمة السارقين[٤] .

قلت : ليعلم أنه لا بد من تقديم مقدمتين قبل إيراد ما سُرّق به أبو الطيب المتنبى ، ليصير العاذل عاذراً والمحجوج مفاخراً : المقدمة الأولى : من المقرر عند

---

(١) حـ ، د ، هـ : سرق .

(٢) ساقطة من ا ، ب .

(٣) عبارة الإبانة فى النسخة المطبوعة هى « لما قتل المتنبى فى طريق الأهواز وجد فى خرج كان معه ديوانا الطائيين بخطه » .

(٤) انتهى كلام العميدى فى مقدمة الإبانة وأوله إعجاب المرء ص ١٨١ .

أرباب هذا الشأن ، وفُرسان هذا الميدان ، أن من المعانى ما يتساوى فيه الشعراء ، ويشترك فيه المُحدَثون والقدماء، لأنه كضياء القمر لا يخفى على من أوتى فضيلةَ النظر ، كما إذا قلنا فى مولانا نجل الحسام : له عزمة أمضى من الحسام، وهو كالليث يوم جداله ، وكالغيث وقت نواله ، أو إذا قلنا : وجهه كالبدر الزاهر ، وكفه كالبحر الزاخر ، أو إذا قلنا : كلماته كبرُد الشباب ، وألفاظه كبرد الشراب ، أو إذا قلنا : لا أشبه وجه مولانا إلا بالعيد المقبل لو كان العيد تبقى ميامنُه ، وتدومُ محاسنه ، أو إذا قلنا : مولانا كالبدر فى ارتفاع قدره ، وكالبحر فى اتساع صدره ، لو أن البحر لا يتغير ماؤه ، والبدرَ لا ينقصُ ضياؤه ، أو إذا قلنا : لمولانا خلق هو المسك لولا سوادُه ، وكفٌّ هو البحر لولا نفادُه ، ووجهٌ هو الشمس لولا كسوفه[1] ، والقمر لولا خُسوفه ، أو إذا قلنا : مولانا كالدهر لولا صروفُه ، والجبل لولا وقوفُه ، وقد شاهدت من مساطر كلامه ، ومقاطر أقلامه ، روضاتِ حزْن ، بل جنات عدن وكقولهم : عفت الديار وما عفت آثارها من القلوب ، وكقولهم : إن الطيف يجود بما يبخلُ به صاحبُه ، وإن الواشى لو علم بمزار الطيف لساءه ، وأشباه ذلك ، وكقولهم فى المراثى : إن هذا الرزء أول حادث ، وإنه استوى فيه الأباعدُ والأقارب، وإن الذاهب لم يكن واحدا وإنما كان قبيلة ، ويجرى هذا الأمر فى سائر أنواع الشعر ، فإن أمثال هذه المعانى الظواهر تتوارد عليها جميع الخواطر ، وتستوى فى إيرادها ، ومثل ذلك لا يُطلق على المتأخر اسم السرقة ، وإنما يطلق اسمُها فى معنى مخصوص كقول أبى الطيب :

المعانى التى تتساوى فيها الناس

المعانى المخصوصة

بناها علىٌّ والقنا يقـــرع القنا ... وموجُ المنـــايا حولها مُتلاطم
وكان بها مثلُ الجنون فأصبحتْ ... ومن جُثث القتلى عليها تمائم[2]

فإن هذا معنى مخصوص ابتدعه أبو الطيب . وكذلك قوله فى عضد الدولة وولديه .

وكان ابنـــا عدوٍّ كاثراه ... له ياءى حـــروفِ أُنيسيان[3]

(١) كان الأولى أن يقول : لولا كسوفها إلا أن البديعى آثر السجع .

(٢) هذان البيتان من قصيدة أولها : « على قدر أهل العزم تأتى العزائم » فى مدح سيف الدولة وذكر قلعة الحدث وقد تقدم الكلام عليها ، والمعنى المخصوص الذى يشير إليه هو معنى البيت الثانى .

(٣) هذا البيت من قصيدته التى أولها : « مغانى الشعب طيبا فى المغانى » وقد مضى الكلام فيها .

وهذا المعنى لأبى الطيب ، وهو الذى ابتدعه ، فمن أتى من بعده بهذا المعنى أو بجزء منه فإنه يكون سارقًا له ، وزعم بعض أهل الأدب أن ابن الرومى ابتدع قوله :

تشكو المحبّ وتُلْفَى الدهرَ شاكيةً   كالقوس تُصمى الرمايا وهى مِرنان[١]

وليس الأمر كما زعم فإنه من المثل المضروب وهو (تلدغ وتصىء) ويضرب[٢] لمن يبدأ بالأذى ثم يشكو ، وزعم كثيرٌ أن ابن الخياط[٣] ابتدع قوله :

أغارُ إذا آنستُ فى الحىّ أنةً   حذارًا عليه أن تكون لِحُبّه

وهو مأخوذ من قول أبى الطيب :

لو قلتَ للدنفِ الحزين فديتُه   ممّا بـه لأغرتَه بفـدائه

وهو أدق معنى من قول ابن الخياط .

السرقات الشعرية وأنواعها

المقدمة الثانية : فى السرقات الشعرية . والمحمودِ منها والمذموم . وهى على خمسة عشرَ ضربًا :

الضرب الأول : أن يأخذ الثانى من الأول المعنى واللفظ جميعًا ، كقول الفرزدق :

أتعدل أحسابًا لئامًا حُماتها   بأحسابنا[٤] ؟ إنى إلى الله راجعُ

وكقول جرير :

أتعـدل أحسابا كرامًا حُماتها   بأحسابكم ؟ إنى إلى الله راجع

فتخالفهما فى لفظة واحدة . وهذا الضرب مذموم والمتأخر ملوم . ومن هذا الضرب قول أبى نواس الحَكَمَى :

---

(١) مرنان : مصوتة .

(٢) ا ، ب : وتضرب .

(٣) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن على بن يحيى بن صدقة التغلبى الشاعر الدمشقى الكاتب كان من الشعراء المجيدين طاف البلاد ، وامتدح الناس ودخل بلاد العجم وامتدح بها ولو لم يكن له إلا قصيدته البائية التى أولها :

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه   فقد كاد رياها يطير بلبـه

لكفاه توفى بدمشق سنة ٥١٧ هـ .

(٤) كذا فى ا ، ب . سائر النسخ : بأجسامها وفى النقائض (طبعة ليدن) :
أتعدل أحساباً لئاما أدقة . . . وفيها أن البادئ جرير والفرزدق ناقض له .

* دارتْ على فتيةٍ ذل الزمانُ لهم   فما أصابهمُ إلا بمـا شاءُوا

أخذه من معْبد :

* لهْفِي على فتية ذلّ الزمان لهم   فما أصَابهمُ إلاّ بمـا شاءُوا

الضرب الثانى : أن يأخذ المعنى وأكثر اللفظ . وهذا الضرب ينقسم قسمين : مذموم ومحمود ، فالأول كقول أبى تمام :

محاسنُ أصناف المغنين جمّةٌ   وما قَصَباتُ السبق إلاّ لمعبَد (١)

أخذه من قول بعض المتقدمين يمدح معبداً صاحب المغنى (٢) :

* أجاد طُويسٌ والسُّريجىُّ بعده   وما قَصَباتُ السبق إلا لمعبد (٣)

والثانى كقول أبى الشيص (٤) :

* أجدُ الملامة فى هواكِ لذيذة   حبًّا لذكركِ فليلُمْنى اللُّومُ

أخذه أبو الطيب فقال :

أأحبـه وأحبّ فيـه ملامةً   إن الملامةَ فيه من أعدائه (٥)

وتسمية هذا مبتدَعاً أولى من تسميته سَرقة . وهذان الضربان يسميان نَسْخا .

الضرب الثالث : أن يأخذ المعنى ، ويستخرِج منه ما يشبهه . وهذا من أدقها مذهبا ، وأحسنِها صورةً فمن ذلك قول الحماسى (٦) :

---

(١) ويروى : محاسن أوصاف المغنين . . . وهو أجود ، والبيت من قصيدة أولها :

« غدت تستجير الدمع خوف نوى غد » .

(٢) حـ ، د ، هـ : الغناء .

(٣) طويس ويكنى بأبى عبد النعيم أول من غنى فى الإسلام ثم أخذ عنه معبد وطبقته وابن سريج وأمثاله وما زالت صناعة الغناء تتدرج عند العرب إلى أن كلمت أيام بنى العباس عند إبراهيم بن المهدى والموصلى وابنه إسحق .

(٤) اسمه محمد بن رزين وهو عم دعبل كان شاعراً عباسياً متوسط المحل من شعراء عصره غير نابه الذكر لوقوعه بين مسلم وأشجع وأبى نواس ، وكان من أوصف الناس للشراب ، وأمدحهم للملوك .

(٥) نقض المتنبى قول أبى الشيص ، وأصل هذا المعنى لأبى نواس فى قوله :

إذا غاديتنى بصبوح عـذل   فشربيـه بتسمية الحبيب
فإنى لا أعـد اللـوم فيـه   عليك إذا فعلت من الذنوب

(٦) هو الطرماح بن حكيم الطائى الخارجى الشعر وهو أحد شعراء حماسة أبى تمام ومن فحول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم ، ومنشؤه بالشام ، وانتقل إلى الكوفة واتصل بأحد الشراة من الخوارج ، واعتقد مذهبه . ومات خارجياً سنة ١٠٠ هـ وكان يجيد الفخر والمديح .

* لقد زادني حبًّا لنفسيَ أنني بغيض إلى كل امرئٍ غير طائل [١]

أخذه المتنبي ، واستخرج منه معنى شبيهًا به ، فقال :

وإذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأني فاضلُ [٢]

---

(١) كذا في ا ، ب وديوان الحماسة ،وفي حـ ، د ، هـ : بغيض إلى الجاهل المتعارف ،وبعده :

وأني شقيّ باللئـام ولا ترى شقيا بهم إلا كريم الشمائل

أخذه مروان بن أبي حفصة فقال :

ما ضرني حسد اللئـام ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

وأخذه أبو تمام فقال :

لقدآسف الأعداء فضل ابن يوسف وذو النقص في الدنيا بذي الفضل مولع

وأخذه ابن المعتز فقال :

ما عابني إلا الحسو د وتلك من إحدى المناقب *

فأتى أبو الطيب بالمعنى في لفظ مخالف للفظ مروان ، وأتى أبو تمام بالمعنى في جزء من لفظ مروان وتممه بلفظ من عنده ، وأتى ابن المعتز بالمعنى في لفظ سوى لفظهما ، وبالموازنة بين الطرماح وبين المتنبي نجد من أدب العبارة في قول الأول ما ليس في قول الثاني حيث قال :

« بغيض إلى كل امرئٍ غير طائل » ولم يقل كل ضعيف أو وضيع

أما المتنبي فقد سب خصمه بكلمة « ناقص » سباً واضحاً مؤلماً .

وشهرة بيت المتنبي إنما جاءت من إرساله الكلام إرسال القاعدة المطردة والمثل السائر .

وبيت المتنبي يذكرنا بطرفة هي أن أبا العلاء وهو ببغداد كان يوماً في مجلس أبي القاسم المرتضى وكان أبو العلاء يتعصب للمتنبي ويفضله ،والمرتضى يتعصب عليه ،فجرى ذكر المتنبي فتنقصه المرتضى ،فقال المعري لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله :

* لك يا منازل في القلوب منازل *

لكفاه فضلا فغضب المرتضى وأمر به فسحب برجله وأخرج ،وقال : أتدرون ما قصد بهذه القصيدة فإن للمتنبي ما هو أجود منها فقالوا : لا . قال : أراد قوله فيها :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

(٢) في الديوان وسائر النسخ : كامل . ومعرفة أن بيت المتنبي أصله من معنى الحماسي أمر عسير غامض لا يتبين إلا لمن مارس الأشعار وغاص في استخراج المعاني؛فالأول يقول : مما جمل نفسي في عيني وحسنها عندي أن الجاهل المتعارف مبغضي والمتنبي يقول: إن ذم الناقص إياي شاهد بفضلي فذم الناقص إياه كبغض الجاهل المتعارف ذلك الرجل ، وذم الناقص إياه شهادة بفضله كما أن بغض الجاهل المتعارف ذلك الرجل تحسين لنفسه في عينه .

ومن هذا الضرب قول أبى تمام[١] :

رَعتْه الفيافى بعد ما كان حِقْبةً رعاها، وماء الروض ينهل ساكبُهُ [٢]

أخذه البحترىّ ، واستخرج منه ما يُشابهُه فقال :

شيخان قد ثقل السلاح عليهما وعداهما رأىُ السميع المبصرِ
ركبا القنا من بعد ما حَمَلا القنا فى عسكرٍ متحاملٍ فى عسكر [٣]

ومن هذا الضرب قول أبى تمام أيضا :

• لا أظلم النأىَ قد كانتْ خلائقُها من قبلِ وشْك النوَى عندى نَوًى قَذَفا [٤]

أخذه البحترىّ فقال :

أعاتكُ ما كان الشبابُ مقربى إليك فألْحَى الشيبَ إذ هو مُبعدى [٥]

---

(١) سائر النسخ « أيضاً » بعد كلمة : أبى تمام .

(٢) البيت من قصيدة يمدح بها أبو تمام عبد الله بن طاهر مطلعها :

أهن عوادى يوسف وصواحبه فعزماً فقد ماً أدرك النجح طالبه

وفى هذا المطلع كلام . والبيت الذى نحن بصدده فى وصف جمل، ومعناه: أن الجمل رعى الأرض ثم سار فيها فرعته أى أهزلته، فكأنها فعلت به مثل ما فعل بها .

(٣) د : ركبا القنا من بعد ما ركب القنا . تحريف . ه : ركب القنا من بعد ما ركب . . . تحريف ح : ساقط منها من قوله : ومن هذا الضرب قول أبى تمام . رعته . . .إلى « فى عسكر متحامل فى عسكر » وهذان البيتان من قصيدة البحترى فى رثاء قومه مطلعها :

أقصر فإن الدهر ليس بمقصر حتى يلف مقدماً بمؤخر

والبحترى نقل معنى أبى تمام إلى وصف رجلين بعلو السن والهرم فقال :
إنهما كانا يحملان الرمح فى القتال ثم صارا يركبانه أى يتوكآن منه على عصا كما يفعل الشيخ الكبير

(٤) من قصيدة يمدح بها أبا دلف ومطلعها :

أما الرسوم فقد أذكر ما سلفا فلا تكفن من شأنيك أو تكفا

وفى سائر النسخ : لا أظلم الناس . . . تحريف
النوى : البعد . نوى قذف : بعيدة جداً والمعنى فى تشبيه أخلاقها بالنوى أن فيها مرارتها وشدتها وصعوبة ما يجد المحب فيها .

(٥) البيت من قصيدة يمدح بها أحمد بن المدبر وأولها :

لعمر المغانى يوم صحراء أرثد لقد هيجت وجدا على ذى توجد

وبيت البحترى ألطف وأوضح من بيت أبى تمام .

الضرب الرابع : أن يأخذ المعنى مجرداً من اللفظ . وهذا لا يكاد يأتى إلا قليلا ، ومنه قول جرير :

• ولا يمنعْك من أرب لِحَاهمْ سواءٌ ذو العِمَامة والخِمارِ

أخذه المتنبى فقال :

ومَنْ فى كفه منهم قَنَاةٌ كمن فى كفه منهم خِضابُ [١]

الضرب الخامس : أن يأخذ المعنى ويسيراً من اللفظ ، وذلك من أقبح السرقات. وأظهرها شناعة على السارق ، فمن ذلك قول البحترىّ :

فوق ضَعْفِ الصغار إن وُكِل الأم ر إليه ودون كَيد الكبارِ [٢]

أخذه من قول أبى نواس :

لم يُجْفَ من كبر عما يُراد به من الأمور ولا أزْرى به الصغر [٣]

وكذلك قول البحترى أيضا :

كلٌ عيد له انقضاء وكفّى كلَّ يوم من جوده فى عيد

أخذه من قول على بن جَبَلة[٤] :

لِلْعيدِ يومٌ من الأيام منتظرٌ والناسُ فى كل يوم منك فى عيدِ

---

(١) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة، وقد ظفر ببنى كلاب مطلعها :

بغيرك راعيا عبث الذئاب وغيرك صارماً ثلم الضراب

(٢) هذا البيت فى وصف غلام من قصيدة للبحترى يمدح بها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه إياه ومما جاء فيها من وصفه :

لك من ثغره وخديه ما شئـ ـت من الأقحوان والجلّنار

أعجمى إلا عجالة لفظ عربى تفتح النوار

وكأن الذكاء يبعث منه فى سواد الأمور شعلة نار

(٣) هذا البيت فى وصف غلام أيضاً .

(٤) على بن جبلة هو الشاعر المشهور بالعكوك ، وكان ضريراً ، ومن مداح أبى دلف القاسم ابن عيسى وهو القائل فيه :

إنما الدنيا أبو دلف بين مبداه ومحتضره

فإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

وبيت ابن جبلة أجود للعموم المفهوم من قوله « والناس » .

وكذلك قول البحترى أيضًا :

جاد حتى أفنى السؤال فلما باد منا السؤالُ جاد ابتداءَ [١]

أخذه من قول على بن جبلة :

أعطيتَ حتى لم تدعْ لك سائلا وبدأتَ إذ قطَع العُفاةُ سؤالها

وكذلك قول أبى تمام :

قد قلّصتْ شفتاه من حفيظته فخِيلَ من شدة التعبيس مبتسما [٢]

أخذه من ديك الجن [٣] :

وإذا شئتَ أن ترى الموتَ فى صو رة ليثٍ فى لبدتى رئبال

فالقَه غيرَ أنما [٤] لبدتاه أبيضٌ صارمٌ وأسمر عالى

تلقَ ليثا قد قلّصت شفتاه فيرُى ضاحكًا لِعَبْس الصيال

ومن هنا أخذ المتنبى قوله :

إذا رأيتَ نيوبَ الليثِ بارزةً فلا تظنّن أن الليثَ مُبتسمُ

لكنه أبرزه فى صورة حسنة ، فصار أولى به .

وكذلك قال [٥] أبو تمام :

ولم أمدحْك تفخيما بشعرى ولكنى مدحتُ بك المديحا

---

(١) البحترى فى هذا وفى سابقه لم يأت بجديد على بسطة باعه فى الشعر ، وما أغناه عن مثل هذه المآخذ .

(٢) قلّص وتقلص بمعنى انضم وانزوى . الحفيظة : الغضب .

خيل : ظن . والبيت من قصيدة له يمدح بها إسحق بن إبراهيم المصعبى مطلعها :

أصغى إلى البين مغترا فلا جرما أن النوى أسأرت فى عقله لمما

وأخذ أبى تمام من ديك الجن واضح .

(٣) هو عبد السلام بن رغبان كان يلقب بديك الجن ، ولد بحمص سنة ١٦١ هـ ومات سنة ٢٣٥ هـ .

(٤) كذا فى ا . ب : أن . تحريف . حـ ، د ، هـ : أن ذا وهو حسن .

(٥) حـ ، د ، هـ : قول .

أخذه من قول حسان فى النبى صلى الله عليه وسلم :

ما إن مدحتُ محمــداً بمقالتى ... لكنْ مدحتُ مقالتى بمحمد [١]

وكذلك قول ابن الرومى :

وكلتُ مجدَك فى اقتضائك حاجتى ... وكفى بــه متقاضياً ووكيلا

أخذه من قول أبى تمام :

وإذا المجد كان عونى على المر ... ء تقاضيتــهُ بترك التقاضى

وكذلك قول ابن الرومى :

ومالى عــزاء [٢] عن شباب علمتـُه ... سوى أننى من بعده لا أخلّد

أخذه من قول منصور النمرى [٣] :

قد كدت [٤] أقضى على فوت الشباب أسًى ... لولا تَعَزِّىَ أن العيش منقطع [٥]

الضرب السادس : أن يأخذ المعنى فيقلبه ، وذلك محمود ، ويخرجهُ حسنُه عن حد السرقة ، فمما جاء منه قول أبى تمام :

كريمٌ متى أمدحْه أمــدحْه والورى ... معى وإذا ما [٦] لمتُه لُمتُه وحدى

أخذه من تأخر عنه فقال :

مدحتهمُ وحدى فلما هجوتُهم ... هجوتهمُ والناس كلهمُ معى

الضرب السابع : أن يأخذَ بعضَ المعنى ، وهذا الضرب محمود ، فمن ذلك

---

(١) لعل أبا بكر رضى الله تعالى عنه نظر إلى قول حسان هذا حين استخلف عمر رضى الله عنه فقال له عمر : استخلف غيرى ، فقال أبو بكر : ما حبوناك بها ، وإنما حبوناها بك . ومن معنى أبى تمام قول المتنبى :

إذا خلعت على عرض له حللا ... وجدتها منه فى أبهى من الحلل

(٢) سائر النسخ : غواء ، تحريف .

(٣) سائر النسخ : النميرى ، تحريف .

(٤) جميع النسخ : كنت ، والتصحيح من المثل السائر .

(٥) ب : لولا تعزى أن السيف ، تحريف . حـ ، د ، هـ : لولا التعزى أن السيف ... تحريف .

(٦) ساقطة من ا ، ب .

قول أمية ابن أبى (١) الصلت :

عطاؤكَ زين لامرئ إن حبوتَه ... ببذل وما كل العطاء يَزينُ
وليس بشيْن لامرئ بذلُ وجهه ... إليك كما بعضُ السؤال يَشينُ

أخذه أبو تمام فقال :

تُدْعى عطاياه وفراً وهي إن شُهرت ... كانتْ فخاراً لمن يَعفوه مؤتنِفا
ما زلتُ منتظراً أعجوبــة زمنًا ... حتى رأيتُ سؤالا يَجتنى شرفا (٢)

ومن هذا الضرب قول على بن جَبَلَة :

وأثّل مــا لم يَحْوِهِ متقــدمٌ ... وإن نال منــه آخرٌ فهو تابعُ

أخذه المتنبي فقال :

ترفع عن عُون(٣) المكارم قدرُه ... فما يفعل الفَعْلات إلا عَذاريا (٤)

والمتنبي وأبو تمام أبرزا ما أخذاه ههنا فى صورة حسنة . وكذلك قال أبو تمام :

كَلِفٌ بِرَبِّ المجد يعلم أنــه ... لا يُبتدَى عُرفٌ إذا لم يُتمِم (٥)

---

(١) ساقطة من جميع النسخ ، وأمية هذا شاعر مخضرم مجيد فى أكثر شعره . أدرك الجاهلية والإسلام ، وهو من ثقيف ، واسمه عبد الله بن ربيعة بن عوف بن أمية مات بالطائف كافرا سنة ٩ هـ .

(٢) أتى أمية بمعنيين أحدهما أن عطاءك زين ، والآخر أن عطاء غيرك شين .أما أبو تمام فقد أتى بالمعنى الأول لا غير .

(٣) سائر النسخ : كون ، وتحريف .

(٤) العون : جمع عوان وهى خلاف البكر . عذارى : جمع عذراء وهى البكر . والبيت من قصيدة يمدح بها كافورا وأولها : كفى بك داء . . . وهو كقوله :

تمشى الكرام على آثار غيرهم ... وأنت تخلق ما تأتى وتبتــدع

(٥) ب : لايبتدىعرف إذا يتيم، تحريف. حـ،د ، هـ : لا يبتدى عرفا إذا يتيم، تحريف.
رب المجد : استدامه .
الديوان :

كلف برب الحمد يزعم أنــه ... لم يبتدأ عرف إذا لم يتمم

وبعده :

نظمت له خرز المديح مكارم ... ينفثن فى عقد اللسان المفحم

وهو من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة مطلعها :

نثرت فريد مدامع لم تنظم ... والدمع يحمل بعض شجو المغرم

أخذه البحترى فقال :

ومثلك إن أبدى الفَعال أعــاده وإن صنع المعروفَ زاد وتمما

الضرب الثامن : أن يأخذ المعنى فيزيدَ عليه معنى آخر ، وهذا الضرب لا يكونُ إلا حسنًا ، فن ذلك قول جرير :

غرائبُ أُلاَّ ف إذا حان وردها أخذن طريقًا للقصائد مُعْلَمَا(١)

أخذه أبو تمام فقال :

غرائبُ لاقتْ فى فنائك أنسَها من المجد فهى الآن غيرُ غرائب

فهذا أحسن من قول ـ رير للزيادة(٢) التى فيه . وهذا البيت من قصيدة يمدح بها أبا دُلَف العجلى ، وهى من أمهات قصائده، وأولها :

على مثلهـــا من أربُعٍ وملاعب أذيلت مصوناتُ الدموعِ السواكب

أقول لقُرحان من البينُ لم يُصِبْ رسيسَ الهوى بين الحشا والترائب

أى أقول لرجل لم يقطعه أحبابه ، ولم تَبعد عنه أصحابه ، وأصل القُرْحان: الذى لم يخرج عليه الجدرى . ويروى : لفرحان بالفاء .

أعِنّىَ أُفــرقْ شمـــل دمعى فإننى أرى الشمل منهم ليس بالمتقارِبِ

يقول : قد اجتمع دمعى ، لأنى لم أبك رجاء أن يقرب الشَّمْل ، والآن فقد رأيته ليس بالمتقارب ، فأعنّى بوقفة على منازلهم ، حتى أبكيَهم فأستريح .

فما كان(٣) فى ذا اليوم عذلُكَ كله عدوىَ حتى صار جهلك صاحبى

وما بك إركابى من الرشد مَرْكبا ألا إنما حاولتَ رُشدَ الركائب

يخاطب الرجلَ القُرحان الذى لم يُصَب بالمصائب ، وعَذَلَه على الرحيل ؛ يقول : ليس بك رشدى . ولكنك تريد أن تريح الركائب ، وأريدُ أن أتعبَها بالمسير .

---

(١) يقصد بالغرائب القصائد التى يهجو بها خصومه فتسير فى الناس .
وقبل هذا البيت :

فإنى لهاجيــكم بكل غريبة شرود إذا السارى بليل ترنما

(٢) الزيادة هى : لاقت فى فنائك أنسها .

(٣) الديوان : صار .

فكلنى إلى شوقى وسِرْ يَسِرِ الهوى [١] إلى حُرُقاتى بالدموعِ السواربِ

يقول : أنا لا أطاوعك على ما تريده ، فَسِرْ وسَلِّمنى إلى شوقى ، فإن هواى سيبعث دمعى ، ثم خاطب ديار أحبابه ، فقال :

أميدانَ لهوى من أتاح لكِ الردى [٢] فأصبحتِ ميدانَ الصَّبا والجنائب [٣]

أصابتك أبكارُ الخطوب فَشتّتت [٤] هوايَ بأبكار الظباء الكواعب

وركبٍ يُساقون الركابَ زُجاجةً من السير لم تقصد لها كفٌّ قاطبِ

هذا مثل، يقول: يسكرون ويُسكرون المطىّ من التعب فكأنهم سقوها زجاجة ولم تقصد لها كف قاطب أى ليس هى على الحقيقة زجاجةً فيها شرابٌ يناولها الساقى .

فقد أكلوا منهـا الغواربَ بالسُّرى فصارتْ لها أشباحُهم كالغوارب

يقودُ نواصيها جُذيلُ مَشارقٍ إذا آبهُ همٌّ [٥] عُذيقُ مَغاربِ

ويروى : يصرف مسراها ، يقول : يسير بهذه الإبل رجلٌ عالمٌ بالشرق والغرب يريد نفسه وهذا من المثل الذى قاله الحُباب [٦] بن المنذر : أنا جذيلها المحكَّك وعُذيقها المرجَّب، ويضرب لمن يُستشفى برأيه ، والجِذل خشبةٌ تحتكُّ بها الإبلُ الجربى ، والعِذق النخلة والتصغير فيهما للتفخيم .

يرى بالكَعاب الرَّوْدِ طلعةَ ثائرٍ وبالعِرْمِس الوجناء غرةَ آيبِ [٧]

---

(١) « فكلنى إلى شوقى وسر يسر الهوى » كذا فى ا ، ب والديوان . حـ ، د ، هـ

فكلنى إلى شوقى وسر حيث ترتجى

(٢) حـ ، د ، هـ : الهوى . الديوان : البلى .

(٣) الصبا : ريح تهب من الشرق . الجنائب: جمع جنوب: ريح تهب من ناحية الجنوب .

(٤) كذا فى ا ، الديوان . ب فشقت ، تحريف . حـ ، د ، هـ : فشققت .

(٥) آبه هم : أتاه ليلا .

(٦) من قبيلة الخزرج شهد غزوة بدر وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة كما شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى فى خلافة عمر وكان أحد خطباء يوم السقيفة الذين لا يقنعون إلا باشتراك الأنصار مع المهاجرين فى ولاية الحكم .

(٧) الكعاب : البنت كعب ثديها أى ظهر . الرود : اللينة .

يقول: يصرف[١] هذه الركاب رجلٌ محبب[٢] إليه السفر فى طلب العلا[٣]، فإذا رأى الكاعب من النساء، رأى بها طلعة ثائر دنا لينال منه، ابغضه الكاعبَ، وحبّه السفر، ليبلغَ مرادَه، وإذا رأى الناقة السريعة السير فكأنه رأى غُرة إنسان مُقبل عليه.

كأن بــه ضِغنــا على كل جانب من الأرض، أو شوقا إلى كل جانب

يقول: من حبه للسير فى البلاد، كأن به ضغنا على كل مكان، حتّى يفارقَه، أو شوقا إلى كل مكان، حتّى يبلغه؛ وكل ما ذكره من حبه للسير، حتّى يقول:

إذا العيسُ لاقتْ بى أبا دلف فقد تقطع ما بينى وبــين النوائب

وهذه الجملة معترضة*، جمح بها القلم فى ميدانه؛ ونعود إلى ما نحن بصدد بيانــه.

ومن هذا الضرب قول مَسْلَمة[٤] بنِ عبد الملك:

أذُلَّ[٥] الحياة وكُرْهَ المماتِ وكلا أراه طعاما وبيــلا

فإن لم يكن غيرُ إحــداهما فسيرا إلى الموت سيرًا جميلا

أخذه أبو تمام، فقال:

مثّل الموتَ بين عينيــه والذلَّ وكــلا رآه خطبــًا عظيما

ثم سارتْ به المنيــةُ قُدْمًا فأمات العِــدا ومات كريما

وقول أبى تمام أحسن[٦]. وكذلك ورد قول الطغرائى[٧]:

---

(١) حـ، د، هـ: يعرف، تحريف.

(٢) سائر النسخ: يحبب.

(٣) ساقطة من سائر النسخ. * يريد بهذه الجملة ما مضى من حديثه عن قصيدة أبى تمام.

(٤) أحد أبناء عبد الملك بن مروان وكان معروفاً بالتجربة والحلق وحسن البصر بالأمور ولما حضرت الوفاة عبد الملك أوصى بنيه بكلام منه: «أخوكم مسلمة نابكم الذى تفرون عنه، ومجنكم الذى تستجنون به، اصدروا عن رأيه».

(٥) جميع النسخ «ذل» من غير همزة الاستفهام والصواب بها ليستقيم وزن البيت.

(٦) زاد أبو تمام على مسلمة: «أمات العدا ومات كريما».

(٧) هو مؤيد الدين الأستاذ العميد فخر الكتاب وآخر فحول المشرق فى الشعر ومن شعره لامية العجم المشهورة، وله ديوان مطبوع، قتل فى فتنة سياسية سنة ٥١٣ هـ.

يا مَن إذا اجتمع الكُتّاب كان له ... فضلُ الإمارة مقتاداً كتيبتها
شكت إليك دواتى شيب لمتها ... وأنت أخلق من طرّى شبيبتها[١]

وقال مولانا السيد الأمجد أحمد (أفندى) الشهير بابن النقيب ، دامت معاليه :

لدواة داعيكم مدادٌ شاب من ... جَوْر اليَراع ، وقدرثّتْ لمُصابه
وأنت تؤمل فضلكم وترومُ مِن ... إحسانكم تجديدَ شَرْخ شبابه

فى قوله — أيده الله — زيادة حسنة ، وهى جَوْر اليراع ، وقد رثت لمصابه .
وكذلك ورد قول أبى نواس :

قل لمن يدعى سُلَيْمَى سِفاها ... لستَ منها ولا قُلامةَ ظفرِ
إنما أنت مُلصَق مثلُ واو[٢] ... ألحقتْ فى الهجاء ظلما بعمرِو

أخذه البحترى فقال :

خــلّ عنا فإنمـــا أنت فينا ... واوُ عمرو أو كالحديث المعاد

فالبحترىّ زاد على أبى نواس : الحديث المعاد .

وأحسن من قولهما[٣] قول ماجد الديار الشامية ، مولانا أحمد (أفندى) الشاهينى ، طال بقاه[٤] ، وهو :

إنما البهنسى أحمد خَطْبٌ ... لا خطيب ولا جليل بقَدْرِ
زيدت الياء فيه ظلما وعـــدوا ... نًا كواو غدَتْ بآخر عمرو

---

(١) سائر النسخ : طوى ، تحريف
(٢) كذا فى ا ، ب وهامش ح ، هـ . ح ، د ، هـ : إنما أنت فى الحروف كواو .
(٣) ب ، د ، هـ : قوليهما .
(٤) سائر النسخ : أطال الله بقاه . وأحمد الشاهينى هو: الأديب أحمد بن شاهين القبرسى الأصل ، الدمشقى المولد ، الشاعر المنشئ المشهور . ولد سنة ٩٩٥ وتوفى سنة ١٠٥٣ هـ بدمشق . كان أول أمره من الجند ، ثم اشتغل بالأدب والعلم فبرع فيهما وولى قضاء دمشق . وهو الذى استقبل أبا العباس أحمد المقرى لما زار دمشق استقبالا حسنا ، واقترح عليه تأليف كتاب « نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب » فألفه وأهداه إليه . وكان البديعى مؤلف « الصبح المنبى » بالشاهينى صلة وثيقة . ترجمه المولى المحبى فى كتابه « خلاصة الأثر ، فى أعيان القرن الحادى عشر » (٢١٠ — ٢١٧) ، وذكر الأبيات الثلاثة التى ستأتى فى ص ٢٠ ، وأولها « وقائلة والشمس أعنى » . . .

ووجه حسنه[1] المناسبة فيه بين الحرفين . وكذلك ورد قول الشريف الرضى :

ولو أن لى يومًا على الدهر إمرةً　　وكانت لى العُدوَى على الحدَثان
خلعت على عطفيك برد شبيبتى　　جوادا بعمرى واقتبال زمانى

فقال الشاهينى حرس الله ببقائه الفضل والكرم ؛ ولا برحت أياديه التمائم من العدم : يخاطب شيخه أبا العباس أحمد بن محمد المقرى[2] المغربى فى آخر قصيدة ، وأرسل إليه هدية وخمسين غرشا ولا يخفى ما فى هذا البيت الثانى من الحسن :

لو كان لى أمر الشباب خلعته　　بُرْداً على علْياك ذا أردانِ
لكن تعذر بعث أول غايتى　　فبعثت نحوك غاية الإمكانِ

وكذلك ورد قول أبى تمام :

يَصُدُّ عن الدنيا إذا عنّ سُؤددٌ　　ولو برَزَت فى زىّ عذْراءناهدِ

أخذه من قول ابن المُعذّل[3]

ولست بنظار إلى جانب الغنى　　إذا كانت العلْياء فى جانب الفقرِ

وكذلك ورد قول البحترىّ :

ركبوا الفرات إلى الفرات وأملوا　　جذلان يُبدع فى السماح ويُغرب

---

(١) سائر النسخ : حسن ، تحريف .

(٢) ولد بتلمسان ونشأ بها ورحل إلى فاس ثم إلى القاهرة وكان آية باهرة فى علم الكلام والتفسير والحديث ومعجزا فى الأدب والمحاضرات ولم ير نظيره فى جودة القريحة وصفاء الذهن وقوة البديهة وله المؤلفات الشائعة ومنها نفح الطيب توفى سنة ١٠٤١ ودفن بالقاهرة .

(٣) يريد به عبد الصمد بن المعذل من شعراء الدولة العباسية ولد ونشأ فى البصرة وتوفى سنة ٢٤٠ هـ وله قصيدة مشهورة فى وصف الحمى مطلعها :

وبنت المنيــة تنتــابنى　　هــدوا وتطرقنى سحره

ومنها :

لها قدرة فى جسوم الأنام　　حباها بها الله ذو القــدره

والبيت المنسوب إليه فى الأغانى (١٣ : ٢٢٧) وبعده :

وإنى لصبار على ما ينوبنى　　وحسبك أن الله أثنى على الصبر

أخذه من قول مسلم بن الوليد[١]

ركبت إليه البحر فى مؤخراتــه[٢] فأوفت بنا من بعد بحر إلى بحر

إلا أنه زاد عليه : جذلان يُبْدع فى السماح ويُغْرِب . وكذلك ورد قول أبى نواس :

ليس[٣] على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

أخذه من قول جرير :

إذا غضبتْ عليك بنـــو تميم حسبت[٤] الناس كلهم غضابا

يحكى عن أبى تمام : أنه دخل على ابن أبى دُواد[٥] فقال له : أحسبك عاتبا يا أبا تمام فقال : إنما يعتب على واحد وأنت الناس جميعًا . قال[٦] من أين هذه يا أبا تمام ؟ فقال : من قول الحاذق أبى نواس وأنشده البيت السابق، وفى بيت أبى نواس زيادة حسنة قد ملكته رِق هذا المعنى ؛ وذلك أن جريراً جعل الناس كلهم فى بنى تميم. وأبا نواس جعل العالم كله فى واحد وذلك أبلغ[٧]

---

(١) كان يلقب بصريع الغوانى لقوله :

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا صريع محيا الكأس والأعين النجل

وكان شاعراً متصرفا فى شعره ويقال إنه أول من تعمد البديع توفى سنة ٢٠٨ هـ .

(٢) مؤخراته : أواخر ركوبه .

(٣) جميع النسخ : وليس .وهو خطأ . (٤) حـ ، د ، هـ : رأيت .

(٥) كان أكبر شخصية فى عصر المأمون وكان قاضى القضاة للمعتصم اشتهر بإكرام أهل العلم والأدب وكان إلى ذلك شاعراً مجيدا فصيحا بليغا قصده الشعراء بمديحهم كأبى تمام، والمؤلفون بتآليفهم كالجاحظ وهو من المعتزلة توفى سنة ٢٤٠ هـ .

(٦) هـ : فقال . (٧) كرر أبو نواس هذا المعنى فقال :

متى تحطى إليه الرحل سالمة تستجمعى الخلق فى تمثال إنسان

ولأبى الطيب فى هذا المعنى :

(ا) هدية ما رأيت مهديها إلا رأيت العباد فى رجل

(ب) « أم الخلق فى شخص حى أعيدا »

(حـ) ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق .

(د) ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الإله نفوسهم والأعصرا

(هـ) نسقوا لنا نسق الحساب مقدما وأتى « فذلك » إذ أتيت مؤخرا

فعلل وشبه وأوضح المعنى بذكر الحساب واجتماع أعداده فى الفذلكة وهذا قريب من قوله :

مضى وبنوه وانفردت بفضلهم وألف إذا ما جمعت واحد فرد

فجعل الألف واحداً فردا يجمع ما تحته من الأعداد كجمع هذا فضائل آبائه وهو فرد .

الضرب التاسع : أن يأخذ المعنى فيكسيه عبارة أحسن من الأولى ، وهذا هو المحمود الذى يخرجه حسنه عن باب[١] السرقة ، وعليه قول أبى نواس :

يدلّ على ما فى الضمير من الهوى   تقلب عينيه إلى شخص من يهوى

أخذه المتنبى فأجاد حيث قال :

وإذا خامر الهوى قلبَ صبٍّ   فعليه لكل عين دليلُ

الضرب العاشر : أن يأخذ المعنى ، ويسبكه سبكا[٢] موجزا ، وذلك من أحسن السرقات ، فمن ذلك قول بعض المتقدمين :

أمن خوف فقر تعجلته   وأخرت إنفاق ما تجمع
فصرتَ الفقير وأنت الغنىّ   وما كنت تعدو الذى تصنع

أخذه المتنبى فقال :

ومن ينفق الساعاتِ فى جمع ماله   مخافةَ فقر فالذى فعل الفقر

وكذلك ورد قول أبى تمام :

كانت مساءلة الركبان تخبرنى   عن أحمد بن سعيد أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت   أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

أخذه أبو الطيب فقال :

وأستكبر الأخبار قبل لقائه   فلما التقينا صغّر الخبرَ الخُبرُ

وقال أبو تمام :

كم صارم عضْب أناف على فتى[٣]   منهم لأعباء الوغى حمال
سبق المشيبَ إليه حتى ابتزه   وطن النهى[٤] من مفرق وقذال

---

(١) حـ ، د ، هـ : حد .

(٢) ساقطة من سائر النسخ .

(٣) كذا فى الديوان . وفى جميع النسخ : قفا نهم .

(٤) وطن النهى : كناية عن الرأس . القذال : مؤخر الرأس ، والبيتان من قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر هزيمة بابك الخرمى وأولها :

آلت أمور الشرك شر مآل   وأقر بعد تخمط وصيال

أخذه المتنبي فقال وأحسن :

يسابق القتلُ فيهم كلّ حادثة فما يصيبهمُ موت ولا هرم

الضرب الحادىعشر : أن يكون المعنى عامًّا ، فيجعله خاصًّا ،أو بالعكس ، وهذا من السرقات التي يُسامح[1] فيها صاحبُها ، ومنه قول الأخطل[2] :

لا تنــه عن خلق وتأتى مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم[3]

أخذه أبو تمام فقال :

أألوم من بخلت يداه وأغتــدى للبخل تِربا ؟ ساء ذاك صنيعا

وكذلك[4] قول أبي تمام :

ولو حاردتْ شَوْلٌ عذرتُ لِقاحَها ولكنمنعتَ الدرَّ والضَّرعُ حافلُ[5]

أخذه المتنبي فقال :

وما يؤلم الحرمانُ من كف حــارم كما يؤلم الحرمانُ من كفّ رازق

الضرب الثاني عشر : أن يزيد المعنى[6] بيانًا مع المساواة فى أصله ؛ ومنه قول أبي تمام :

هو الصُّنع إن يعجــلْ فنفعٌ وإنيَرِثْ فَلَلرَّيْثُ فى بعــض المواطن أنفعُ

---

(١) حـ ، د ، هـ : تسامح .

(٢) أحد الفحول الثلاثة الذين انتهى إليهم الشعر فى عصر بنى أمية أولهم جرير وثانيهم الفرزدق توفى سنة ٩٥ هـ .

(٣) اختلف العلماء فى نسبة هذا البيت فنسبه بعضهم إلى الأخطل ، وبعضهم إلى أبي الأسود ، وبعضهم إلى المتوكل الليثى الكنانى (انظر المقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية للعينى على هامش خزانة الأدب حـ ٤ ص ٣٩٣ ، ٣٩٤) .

(٤) أى من قبيل الخاص الذى عم .

(٥) حاردت : ما نعت . شول : جمع شائلة وهى ما أتى على حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها . اللقاح : جمع لقوح وهى الناقة قد قبلت اللقاح . الدر : اللبن . الضرع : الثدى ، والبيت من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات .

(٦) حـ ، د ، هـ : تأنيقا وبيانا .

أخذه المتنبي فأوضحه بمثال فقال :

ومن الخير بطء سيبك عــنى — أسرع السحب فى المسير الجَهامُ

الضرب الثالث عشر : وهو اتحاد الطريق ، واختلاف المقصد ، فمن ذلك قول بعضهم :

كأنه غــنّى لشمس الضحى — فنقطتــه طــربا بالنجوم

أخذه مولانا[1] الشاهينى أدام الله سودده ، فقال وأحسن غاية[2] الإحسان :

وقائلة والشمسَ أعنى وقــد رأت — قروحًا على خــدٍّ يفوق على الورد

أما تغتدى تُهدى لحبك عُــوذَةً — فقلت وهل تُغنى الرقى من أخى الوجد

فجــاءته ولَهَى بالنجوم[3] تمائما — فأدهشها حتى نُثِرْنَ على الخدّ[4]

وعلماء الأدب يسمون هذا الضرب سلخًا .

الضرب الرابعَ عَشَر : قلب الصورة الحسنة إلى صورة قبيحة ؛ وهذا الضرب يسمى مسخًا . فما ورد منه قولُ ديك الجنّ :

نحــن نُعزيك ومنك الهدى — مستخرجٌ والصبر مستقبل

نقول بالعقــل وأنت الذى — نأوى إليــه وبه نعقل[5]

إذا عفــا عنك وأودى بنا الدّ — هْرُ فذاك المحسنُ المجُمِلُ

[6] أخذه المتنبي فقال [6] :

إن يكن صبر ذى الرزية فضلاً — تكن الأفضلَ الأعزَّ الأجلاَّ

أنت يا فوقَ أن تعزى عن الأحـ — باب فوق الذى يعزيك عقلا

وبألفاظك اهتــدى فإذا عزّ — اك قال الذى له قلتَ قبــلا[7]

---

(١) بقية النسخ : مولانا أحمد أفندى الشاهينى . له ترجمة فى ص ١٩٩ .

(٢) حـ ، د ، هـ : كل الإحسان .

(٣) حـ ، د ، هـ : والنجوم تمائما .

(٤) جاء هذا البيت ثانيا فى حـ ، د ، هـ .

(٥) وردت الأفعال فى هذا البيت بالتاء فى جميع النسخ . والصواب أنها بالنون .

(٦ – ٦) كذا فى حـ ، د ، هـ . وفى ا ، ب : قال المتنبى .

(٧) هذه الأبيات مطلع قصيدة يعزى بها سيف الدولة فى أخته الصغرى ، ويسليه بالكبرى .

الضرب الخامس عشر : قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة ، ولا يسمى هذا الضرب مسخًا وإن سموه ، لأنه محمود ، والمسخ مذموم ، فمن ذلك قول المتنبي :

إنى على شغفى بما فى خُمْرِهَا   لأعِفُّ عما فى سراويلاتها[1]

أخذه الشريف الرضى فقال :

أَحِنُّ إلى ما تَضمن الخُمْر والحلَى   وأصدِفُ عما فى ضَمَانِ المآزرِ[2]

آخر ضروب السرقات الشعرية

وههنا ضرب آخر : وهو أن ينقل المعنى من غير اللغة العربية إليها ، وهذا يجرى مجرى الابتداع كقول المرحوم البورينى[3] :

يقولون فى الصبح الدعاءُ مؤثِّرٌ   فقلتُ نعم لو كان ليلى له صبحُ

وكذلك قوله :

وانظر إلى وَرَقِ الغصونِ فإنها   مشحونةٌ بأدلــةِ التوحيــد

[فإنه نقلها من اللغة الفارسية][4]

و[5] إذا كانت المقدمة الأولى على ذكر منك ، ولم تذهب ضروب الثانية عنك ، فيجب أن نورد عليك ما قاله العميدى وأبانه ، وما شنع على المتنبى فى

---

(١) بعض نسخ الديوان : سرابيلاتها . والخمر : جمع خمار ، وهو ما تغطى به المرأة رأسها . ومعنى البيت : أنه يهوى وجوههن ، ويعف عن أبدانهن . وقد علق صاحب اليتيمة على البيت بقوله : « كثير من العهر أحسن من هذا العفاف ؛ فإن الشعراء كانت تصف المآزر تنزيها لألفاظها عما يستشنع ذكره حتى تخطى المتنبى إلى التصريح الذى لم يهتد له غيره » . اهـ – بتصرف .

(٢) فى بقية النسخ بياض فى موضع : « فى ضمان » .

(٣) البورينى : هو الشيخ حسن بن محمد البورينى الملقب بدر الدين . كان عالماً محققاً ، ذكى الطبع ، فصيح العبارة ، طليق اللسان ، متين الحفظ حسن الفهم ، عذب المفاكهة ، حوى كثيرا من معارف عصره فى الآداب والعلوم . ولد بقرية صفورية سنة ٩٦٣ وتوفى سنة ١٠٢٤ هـ . وبورين من قرى نابلس . ذكره المولى المحبى فى خلاصة الأثر (٢ : ٥١ – ٦٢) . وذكره الشهاب الخفاجى فى « ريحانة الألبا ٢١ – ٢٧ » ، وذكر من شعره ما أورده المؤلف .

(٤) ما بين المعقوفين : ساقط من ا . والبيت الأول « يقولون فى الصبح . . . » من مقطوعة خمسة أبيات أولها بيت الشاهد ، ذكرها الشهاب فى الريحانة طبعة العثمانية » ثم قال : « وفى البيت الأول معنى حسن ، قال إنه ترجمه من الفارسى ، مع أنه مشهور فى كلام العرب قديما وحديثا » . وأورد عدة شواهد على ما يقول .

(٥) الواو ساقطة من ب . سائر النسخ : ثم مكان الواو .

الإبانة[١] ومن أنصف بعد الوقوف عليهما ، ورَدّ ما أورده إليهما ، علم أن العميدى دعاه الحسدُ إلى أن جعل محاسنَ أبى الطيب عيوبًا . وحسناتِه ذنوبًا .

قال العميدى : قال ديك الجن :

دِعْصٌ يُقِلّ قضيب بانٍ فوقه   شمسُ النهار تُقِل ليلا مظلما[٢]

قال المتنبى :

غصنٌ على نَقَوَىْ فلاةٍ نابتٌ   شمس النهار تقل ليلا مظلما[٣]

قال العميدى مثل هذا البيت تسميه أصحابه التوارد ، وأخصامه النسخ ، وأنا أعرف أنه تعب فى نظم هذا البيت فله فضيلة التعب . قلتُ كل من البيتين ليس فيه معنى مخصوص حتى يحكم بالسرقة ، وتشبيه القد بالقضيب وما تحويه المآزر بالكثيب ، والوجه بالشمس ، والشعر بالظلام ، مما تتوارد عليه الأفهام ، وبيت المتنبى وإن كان هو الأخير فإنه سالم من التكرير ، وقد قال أهل الفضل إنه من الوجوه المنقصة لقول العرب القتل أنفى للقتل،فتنبه لأمثاله ، ولا تحفل بمقاله .

قال العميدى

قال العلوى الكوفى المعروف بالحِمّانى فى بَرِّية[٤] .

تيهاء[٥] لا يتخطاها[٦] الدليل بها   إلا وناظره بالنجم معقــود

---

(١) كتاب الإبانة عن سرقات المتنبى لفظا ومعنى ، ألفه الشيخ أبو سعيد محمد بن أحمد العميدى تولى ديوان الإنشاء بمصر ، وتوفى بها سنة ٤٣٣ هـ . وفى ترجمته فى معجم الأدباء (١٥ : ٢١٢) أنه أبو سعد ، لا أبو سعيد .وكذلك فى البغية . وقال : إنه أديب نحوى لغوى مصنف ا هـ . وكان فى شدة الانحراف عن المتنبى كما يقول البديعى ، وكما يعلم من مقدمة الإبانة .

(٢) الدعص : الكثيب من الرمل ، ويريد به هنا الردف على التشبيه .

(٣) نقوان : تثنية نقا وهو الكثيب من الرمل . والبيت من قصيدة فى المدح أولها :

« كفى أرانى ويك لومك ألوما » .

(٤) «فى برية» : ساقطة من : حـ ، د ، هـ . والعلوى الكوفى المعروف بالحمانى : هو على بن محمد ، ذكره صاحب الموشح فى موضعين (٣٤٦ ، ٣٥٦) وقال عنه :كان شعر على بن محمد أكبر من علمه . وروى المرزبانى عن جبلة بن محمد الكوفى بالبصرة سنة ٧٤ هـ ، قال :قال لى على بن محمد الكوفى : ربما جاءنى المعنى المليح فى اللفظ الخشن ، فأشك فى لغته وفى إعرابه ، فأعدل عنه ، ولا أسأل عن ذلك من يعلمه ، كراهة أن أسأل بعد ما كبرت ، وتركى لعلم ذلك حدثا. وله شعر ذكر فيه (« حمان » . ولعلها خطة لبنى حمان بالكوفة .)

(٥) حـ ، د ، هـ : فى رتبة ، تحريف .

(٦) حـ ، د ، هـ : لا يخطاها ، تحريف .

قال المتنبي :

عقدتُ بالنجم طرفى فى مفاوزه   وحُرَّ وجهى بحر الشمس إذ أفَلا [١]

قلت: بيت المتنبي أحسن لما فيه من التجنيس والزيادة فى المعنى .

قال العميدى: ذكر ابن قتيبة[٢] فى كتاب عيون الأخبار لبعض الأعراب:

لى همــة فــوق السما   ء وباب رزقى الدهرَ مُغْلَقْ

هل ينفع الحِرصُ الكثيـ   ـرُ لصاحب الرزق المُضَيَّق

إن امرأً أمن الزمــا   ن لمستغِرّ العقل أحْمَق

قال المتنبي :

فالموت آت والنفــوسُ نفائس   والمستغرّ بمــا لديه الأحمق

قلت : الفرق بينهما كما بين السراب والشراب لمن يهتدى مناهج الصواب .

قال العميدى : قال ابن الرومى :

شكواى لو أنا أشكوها إلى جبَلٍ   أصَمَّ ممتــنعِ الأركان لا نفلقا

قال المتنبي :

ولو حُمِّلتْ صُمُّ الجبالِ الذى بنا   غداةَ افترقنــا أوشكتْ تتَصَدَّعُ[٣]

قلت: لو لم يكن فى بيت المتنبي إلا ما تراه من الرقة والإنسجام لكفاه العدولُ عن الانفلاق إلى التصدعِ فى هذا المقام .

---

(١) البيت فى وصف مهمه ، وقبله :

كم مهمه قذف قلب الدليل به   قلب المحب قضانى بعد ما مطلا

حر الوجه: أشرف شىء فيه يريد أنه كان ينظر إلى النجم نظراً متصلا خوفاً من الضلال ، وإذا غاب النجم عقد حروجهه بحر الشمس ، والمراد أنه سافر فيه ليلا ونهارا حتى بلغ ما أراد. وهذا من قصيدة يمدح بها سعيد بن عبد الله أولها :

أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا   والبين جار على ضعفى وما عدلا

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفى أحد علماء اللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه كثير التصنيف والتأليف ومن كتبه : الشعر والشعراء وعيون الأخبار وغيرهما عاش من ٢١٣ – ٢٧٦ هـ .

(٣) هذا البيت من قصيدة أولها :

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا   فلم أدر أى الظاعنين أشيع

وهو مأخوذ من قول البحترى :

وأكتم ما بى من هواك ولو يــرى   على جبــل صلد إذن لتقطعــا

قال العميدى : قال أبو تمام :

له منظر فى العين أبيضُ ناصعُ ولكنه فى القلب أسْودُ أسْفَعُ [١]

وقال العَطَوِىّ [٢] :

أَبعــدك الله من بيــاض بَيَّضتَ مِنْ عينىَ السوادا

قال المتنبى :

ابعَدْ بَعِدتَ بياضًا لابياض له لأنتَ أسودُ فى عينى من الظلم

قال العميدى : قوله أسود فى النحو ركيك [٣] لم يسمع إلا فى أبيات شواذ نوادر .قلت لنا مندوحه عن الوجه الذى يردعليه الاعتراض بأن يكون مِن للتبعيض [٤] قال العميدى :

قال نصر الخبزأرزى :

وأسقمنى حــتى كأنى جفونُه وأثقلنى حتى كأنى روادفُهْ

وقال محمد بن أبى زُرعة [٥] الدمشقى :

أسقمــنى طــرفهُ وحَمَّلنى هــواه ثِقلا كأننى كَفَلُه

---

(١) البيت فى وصف الشيب .

(٢) العطوى : هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطيه مولى كنانة بصرى شاعر وهو أحد المتكلمين الحذاق (عن معجم الشعراء للمرزبانى) .

(٣) لأن أفعل التفضيل لايصاغ من الألوان هكذا فهو شاذ لورود الوصف على أفعل وإن أجازوا ذلك فى السواد والبياض دون غيرهما من سائر الألوان، والبيت من قصيدة أولها :

ضيف ألم برأسى غير محتشم والسيف أحسن فعلامنه باللمم

(٤) ويمكن أن يكون : « لأنت أسود فى عينى » كلاما تاما ثم ابتدأ « من الظلم» كما تقول هو كريم من أحرار، وسرى من أشراف فمن فى هذين المثالين ليست داخلة على المفضل عليه. على أن الكوفيين يصوغون أفعل التفضيل من الأفعال التى الوصف منها على أفعل مطلقاً وعليه جاء بيت المتنبى هذا وهو كوفى.

(٥) هو أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقى من قضاة مصر فى عهد هرون بن خمارويه حتى سقوط الدولة الطولونية (من ٢٨٤ — ٢٩٢ هـ وقد اشتهر بالشفقة ورقة القلب .

قال المتنبي :

أعارني سقم جفنيــه[١]وحملني من الهوى ثقل ما تحوى مآزره

قلت : لو سمع هذا أبو الطيب لأنشد قول البحترى :

إذا محاسنى اللاتى أتيتُ بها كانت ذنوبى فقل لى كف أعتذر

قال العميدىّ : قال البحترىّ :

جلّ عن مذهب المديح فقدكا د يكـــون المديحُ فيه هجاء[٢]

وقال نصر الخبز أرزى :

ومن قِلّـــة ما أُثـــنى عليه صرت كالهاجى

قال المتنبى

وعُظْمُ قدرِك فى الآفاق أوهمنى أنى بقلة ما أثنيت أهجوكا[٣]

قلت حسن بيت المتنبى لا يخفى على ذى مُسكة . قال العميدى : قال ابن الرومىّ :

أقسمتُ بالله ما استيقظتمُ لِحَسَنًا ولا وُجدتمْ عن العليــا بنُوّام

وقال بشار بن برد :

وسهرتمُ فى المكرمات وكسبها سَهراً بغير هوى وغيرِ سَقام

---

(١) الديوان ، ح ، د ، هـ: عينيه . والبيت من قصيدة فى جعفر بن كيغلغ أولها :

حاشى الرقيب فخانته ضمائره وغيض الدمع فانهلت بوادره

(٢) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف أولها :

يا أخا الأزد ما حفظت الودادا لمحب ولا ذكرت الوفـاء

(٣) من قصيدة يمدح بها عبد الله بن يحيى البحترى مطلعها :

بكيت يا ربع حتى كدت أبكيكا وجدت بى وبدمعى فى مغانيكا

وله فى هذا المعنى :

تجاوز قدر المدح حتى كأنه بأحسن ما يثنى عليه يعاب

وقوله :

وكان من عــدد إحســانه كأنه أسرف فى سـبه

قال المتنبى :

كثيرُ سُهادِ العين من غيرِ علة　　　يُؤرّقه فـيما يُشرّفه الذكرُ[١]

قلت : بيت المتنبى أشرف لشرف الذكر .

قال العميدى : قال ابن الرومى :

وقد سار[٢] شعرى الأرض شرقًاومغربا　　　وغنى به الحضْرُ المقيمون والسفْرُ

قال المتنبى :

هم النـاس إلا أنهـم من مكارم　　　يُغنّى بهم حضْرٌ ويحدو بهم سَفْر[٣]

قلت: أصاب شاكلة الصواب بقوله : ويحدو .

قال العميدى : أنشد ابن قتيبة لبعض الأعراب :

بصيرٌ بأعقاب الأمور برأيه　　　كأن له فى اليوم عينًا على غدِ

قال المتنبى :

ماضى الجَنان يُريه الحزمُ قبل غد　　　بقلبه ما ترى عيناه بعد غد[٤]

---

(١) البيت من قصيدة يمدح بها عبد الله بن يحيى البحترى مطلعها :

أريقك أم ماء الغمامة أم خمر　　　بفىّ برود وهو فى كبدى جمر

ورواية نسخ الديوان : « يؤرقه فيما يشرفه الفكر » وهى الصحيحة لأن البيت الذى قبله :

ترى القمر الأرضى والملك الذى　　　له الملك بعد الله والمجد والذكر

فحكم المصنف على بيت المتنبى إذن فيه نظر .

(٢) حـ : صار . تحريف .　　(٣) من القصيدة السابقة .

(٤) البيت من قصيدة يمدح بها أبا عبادة بن يحيى البحترى ومطلعها :

ما الشوق مقتنعا منى بذا الكمد　　　حتى أكون بلا قلب ولا كبد

وهذا المعنى قد أكثر فيه الشعراء وكرره المتنبى فقال :

ذكى ، تظنيه طليعة عينـه　　　يرى قلبـه فى يومه ما يرى غدا

وقال :

ويعرف الأمر قبـل موقعه　　　فما له بعـد فعلـه نـدم

وقال :

مستنبط من علمه ما فى غـد　　　فكأن ما سيكون فيـه دونا

ومن قول أوس بن حجر فى ذلك :

الألمعى الذى يظن بك الظن　　　كأن قد رأى وقد سمعـا

وقال أبو تمام :

ولذاك قيل من الظنون جليـة　　　علم وفى بعض القلوب عيون

قال المقبول[1] الجـَزرىّ :

يجود مالاً على العافى سحابهمُ ... وتمطر الدمَ أسيافٌ لهم قُضُبُ[2]

وقال أبو الحسن النحاس :

إذا أروت الأرضَ أسيافهُـم ... من الدم خلت سحابا همع

[3] وقال ابن الرومى :

سماءٌ أظلت كل شىء وأعملت ... سحائب شتّى صوبها المال والدم

قال المتنبى :

قومٌ إذا أمطرت موتا سيـــوفهُـمُ ... حسبتَـها سحبًا جادت على بلد[3]

قال ابن الرومى :

يغلو فتكثُر باللحاظ جِراحنا ... فى وجنتيه وفى القلوب جـــراحه

قال المتنبى :

ما بالُه لاحظتُـــه فتضرّجتْ ... وجنـــاته وفـــؤادىَ المجروح[4]

---

(١) المقبول الزيادى الجزرى : شاعر ذكره أبو هلال العسكرى فى ديوان المعانى حـ ٢ ص ٢٧٣ ، وذكره العميدى فى الإبانة ص ١٥ محرفا ، وفى بعض الأصول : المتبول ، وفى بعضها الآخر : المتبولى .

(٢) حـ ، د ، هـ : ماء . تحريف . هـ : سحائبهم .

(٣ – ٣) ساقط من سائر النسخ .

(٤) من قصيدة يمدح بها مساور بن محمد الرومى أولها :

جللا كما بى فليـــك التـــبريح ... أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح ؟

وهو من قول كشاجم :

أراه فيدمى خـــده وهو جارحى ... بعينيه والمجروح أولى بأن يدمى

قال أبو القواق[١] :

ردت صنائعه عليه حياته فكأنه من نشرها منشور

وقال مؤنس بن عمران البصرى :

طوته المنايا والثناء كفيله برد حياة ليس يُخلقها الدهر

قال المتنبى :

كفل الثناء له برد حياته لما انطوى فكأنه منشور[٢]

قال بشار بن برد :

وإذا أقلّ لىَ البخيلُ عذرته إن القليل من البخيل كثير

وقال بعض المتقدمين :

قليلٌ منك يكفينى ولكن قليلك لا يقال له قليل

---

(١) البيت منسوب فى ديوان الحماسة للتميمى فى منصور بن زياد وقد عرف به فقال : هو عبد الله بن أيوب و يكنى أبا محمد كان من أهل اليمامة شاعر مولد فصيح عربى عالم متكلم ، مدح الفضل بن يحيى . وكأنه كان بعد مسلم بن الوليد بقليل .

والبيت من قصيدة أولها :

لهفا عليك للهفة من خائف يبغى جوارك حين ليس مجير

ونسب البيت فى التبيان إلى منصور النمرى .

أما أبو القواق الذى نسب إليه البيت فأعرابى أسدى غلبت كنيته على اسمه فلم يعرف ذكره المرزبانى فى معجم الشعراء تحت عنوان: من غلبت كنيته على اسمه من الشعراء المجهولين والأعراب المغمورين .

(٢) من قصيدة يرثى بها محمد بن إسحق التنوخى مطلعها :

إنى لأعلم واللبيب خبير أن الحياة وإن حرصت غرور

وهو من قول الخادرة :

فأثنوا علينا – لا أبا لأبيكم – بأحسابنا إن الثناء هو الخلد

ومثله لأبى تمام :

سلفوا يرون الذكر عيشا ثانيا ومضوا يعدون الثناء خلودا

قال المتنبي :

وقنعت باللقيا وأول نظرة إن القليل من الحبيب كثير (١)

قال ابن الرومى :

وأعوام كأن العام يوم وأيام كأن اليوم عام

وقال أبو تمام :

أعوام وصل كاد ينسى طولها ذكرُ النوى فكأنها أيام

ثم انبرت أيامُ هجر أعقبت(٢) بِجَوًى أسى فكأنها أعوام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

قال المتنبي :

إن أيامنا دهورٌ إذا غبـ ت وساعاتنا القصار دهور (٣)

قال أبو تمام :

فما تترك الأيام من أنت آخذ ولا تأخذ الأيام من أنت تارك

---

(١) من قصيدة يرثى بها محمد بن إسحق التنوخى مطلعها :

غاضت أنامله وهن بحور وخبت مكايده وهن سعير

وهذا من قول الموصلى :

إن ما قل منك يكثر عندى وقليل ممن تحب الكثير

ومثله لجميل :

وإنى ليرضينى قليل نوالكم وإن كنت لا أرضى لكم بقليل

ومثله لتوبة الخفاجى :

وأقنع من ليلى بما لا أنا له ألا كل ما قرت به العين صالح

ولآخر :

جودوا على بمنطق أحيا به إن القليل من المحب كثير

(٢) الديوان : أردفت .

(٣) نص بيت المتنبى :

تدمى خدودهم الدموع وتنقضى ساعات ليلهم وهن دهور

أما هذا البيت فمنسوب لأبى المعتصم وقد رواه التبيان هكذا :

إن أيامنا دهور طوال ولساعاتنا القصار شهور

وقد روى :

إن أيامنا دهور إذا غبـ ت وساعاتنا القصار شهور

كما فى ن . الجامعة لوحه ٢٣ ا ونسبته للمتنبى ولم نجده فى ديوانه وأصل هذا المعنى بيت الحماسة :

يطول اليوم لا ألقاك فيه وعام نلتقى فيه قصير

وقال معوج الرقى[١] :

ما يفسد الدهر شيئًا أنت تصلحه　　وليس يصلح شيئًا أنت تفسده

قال المتنبي :

ولا تفتق الأيام ما أنت راتق　　ولا ترتق الأيام ما أنت فاتق[٢]

قال أبو العتاهية :

قدكنت صنت دموعي[٣] قبل فرقته　　فاليوم كل مصون فيه مبتذل

وقال معوج الرقى :

هان من بَعد بُعدك الدمع والصبـ　　ـرُ وكانا أعزّ خلق مصـــون

قال المتنبي :

قدكنت أشفق من دمعي على بصري　　فاليوم كل عزيز بعدكم هانا[٤]

قال معقل العجلى[٥] :

ما فى الملابس مفخرٌ لذوى النهى　　إن لم يزنهـــا الجود والإحسان

ليس اللئـــيم تزينـــه أثوابه　　كالميت ليس تزينه الأكفان

---

(١) معوج الرقى : ذكره العميدى فى الإبانة فى أحد عشر موضعاً واستشهد بأبيات له منها هذا البيت ، وذكره ياقوت فى المعجم فى ترجمة أحمد بن كليب النحوى على لسان صديقه أبى بكر الصنوبرى الشاعر فى موضعين ص ١١٧ ، ١١٩ وقال : ومعنا أبو بكر المعوج الرقى الشاعر الشامى .

(٢) من قصيدة يمدح بها الحسين بن إسحق التنوخى مطلعها :

* هو البين حتّى ما تأنى الحزائق *

وقد تناهب الشعراء هذا المعنى وأصله من قول العباس بن مرداس السلمى للنبى صلى الله عليه وسلم :

وما كنت دون امرئٍ منهما　　ومن تضع اليوم لم يرفع

(٣) ح ، د ، هـ : دموعا .

(٤) من قصيدة يمدح بها أبا سهل سعيد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكى مطلعها :

قد علم البين منا البين أجفانا　　تدمى وألف فى ذا القلب أحزانا

وهذا من قول أبى نواس فى الأمين :

وكنت عليه أحذر الموت وحده　　فلم يبق لى شىء عليه أحاذر

وأخذه أبو نواس من قول امرأة من العرب :

كنت السواد لناظرى　　فعليك يبكى الناظر

من شاء بعدك فليمت　　فعليك كنت أحاذر

(٥) معقل العجلى : هو أخو أبى دلف العجلى ذكره العميدى فى موضعين من الإبانة هذا أحدهما .

قال المتنبي :

لا يُعجبنّ مَضيماً حسنُ بِزته وهل يَروق دفينا جودة الكفن[١]

قال جابر السِّنبِسى [٢] :

خيل شوازب[٣] أمثال الصقور لها فوارس لا يخافون الردى بُسُلُ

كأنهم خلقوا والخيل تحتهمُ وهم أسود وفى أنيابها الأجل

قال المتنبي :

وكأنها نُتجت قياما تحتهم وكأنهم خلقوا على صهواتها[٤]

وقال السيد الحميرى[٥] :

قوم نبالهمُ ليست بطائشة وفيهمُ لفساد الدين إصلاح

ويفصحون عن المعنى بألسنة كأنما هى أسياف وأرماح

وقال البحترى :

وإذا تألق فى الندىّ كلامه المصـ قول خلت لسانه من عَضْبه

---

(١) من قصيدة يمدح بها أبا عبدالله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبى وهو يومئذ يتقلد القضاء بأنطاكية ومطلعها :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

(٢) جابر السنبسى : شاعر جاهلى قديم من سنبس وهى حى من طيىء وقد ذكره العميدى فى الإبانة فى موضعين هذا أحدهما .

(٣) الشوازب : جمع شوزب وهو الطويل الحسن الخلق أو الضامر .

(٤) من قصيدة يمدح بها أبا أيوب أحمد بن عمران ومطلعها :

سرب محاسنه حرمت ذواتها دانى الصفات بعيد موصوفاتها

وهو من قول أبى نواس فى أرجوزة يصف فيها اللعب بالكرة والصولجان .

جن على جن وإن كانوا بشر كأنما خيطوا عليها بالإبر

وبين القولين تفاوت واضح فبقدر ما فى قول أبى نواس من النزول والضعف بقدر ما فى قول أبى الطيب من العلو والقدرة .

(٥) السيد الحميرى : هو إسماعيل بن محمد اليمنى علوى المذهب مخلص له غال فيه ظل حياته يمدح عليا وآله ويسب الصحابة حتى توفى سنة ١٧٣ هـ انظر فوات الوفيات لابن شاكر ص ٢٣ وما بعدها .

قال المتنبي :

كأن ألسنهم فى النطق قد جعلت على رماحهم فى الطعن خُرْصانا [١]

قال امرؤ القيس[٢] :

ألم تريانى كلما جئت طارقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تَطيّبِ

وقال الخليع[٣] الأول :

وزائرة ما ضمّختْ قطُّ ثوبَهَا بمسك ومن أثوابها المسكُ يسطع

يـنمّ عليهـا ريقُها وحُليّها وغرتُها فى الليل والليل أدرع [٤]

وقال بشار بن برد :

وزائرة ما مسها الطيبُ برهـة من الدهر لكنْ طيبُها الدهر فائح

قال المتنبي :

أتت زائرا ما خامر الطيبُ ثوبَها وكالمسك من أردانها يتضوع [٥]

قال ابن الرومى :

لو أبى الراغبون يوماً نـداه لدعـاهم إليـه بالترغيب [٦]

---

(١) من القصيدة السابقة : قد علم البين . . .
والخرصان : جمع خرص بضم الخاء وكسرها وهو السنان .

(٢) رأس شعراء الجاهلية وقائدهم إلى الافتنان فى الشعر وتقصيد القصائد وهو صاحب المعلقة المشهورة : قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل .

(٣) الخليع الأول : كذا ذكره العميدى والمراد به الخليع الأصغر كما فى معجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٥٢ وهو محمد بن أحمد من ولد عبيد الله بن قيس الرقيات مات بعد سنة ثمانين ومائتين أوفيها ، وقد ذكره العميدى مرة واحدة فى صفحة ٢٠ وذكر له البيتين اللذين ذكرهما المؤلف .

(٤) أدرع : أسود يقال ليلة درعاء إذا كان قمرها يطلع عند الصبح .

(٥) من القصيدة التى مطلعها : حشاشة نفس . . . وقد سبقت الإشارة إليها .

(٦) فى : ن . الجامعة : بالترهيب .

قال المتنبى :

وعطـــاءُ مال لو عداه طالب　　أنفقتـــه فى أن تلاقى طالبا[١]

قال التنوخى [٢] الكاتب :

أنت فى الدهر كالطرى من الور　　د وفى الشعر كالبديع الغريب

فيك بشر يُدنى النجاح من الرا　　جى ويقضى بالنيل للمطلوب

قال المتنبى :

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة　　كنت البديع الفرد من أبياتها[٣]

قال العونى[٤] :

مضى الربيع وجاء الصيف يقـــدمه　　جيش من الحرّ يرمى الأرض بالشرر

كأن بالجو ما بى من جوى وهـــوى　　ومن شحوب فلا يخلو من الكدر

قال المتنبى :

كأن الجـــو قاسى ما أقاسى　　فصار سواده فيه شحوبا[٥]

---

(١) من قصيدة فى مدح على بن منصور الحاجب وهو أفضل من قول أبى تمام :

تكاد عطاياه يجن جنـــونها　　إذا لم يعوذها بنغمة طالب

فقد قالوا : ما بالها يحوجها إلى الجنون ويلتمس لها العوذ والرقى هلا فك أسرها وقدم خلاصها ولم ينتظر لها نغمة طالب ففعل ما قال أبو الطيب .

وقد تداول الناس هذا المعنى فقال مسلم :

أخ لى يعطينى إذا ما سألته　　ولو لم أعرض بالسؤال ابتدانيا

وقال أبو العتاهية :

وإنا إذا ما تركنـــا السؤال　　فلم نبغ نائله يبتغينـــا

وإن نحن لم نبغ معروفـــه　　فمعروفـــه أبداً يبتغينـــا

وقال أبو تمام أيضاً :

فأضحت عطاياه نوازع شردا　　تسائل فى الآفاق عن كل سائل

(٢) البيتان ذكرهما العميدى فى الإبانة ص ٢٢ ونسبهما للتنوخى أيضاً . وفى الشطر الثانى من البيت الأول « كالبعيد القريب » فى موضع « كالبديع الغريب » ورواية المؤلف أجود .

(٣) من القصيدة التى مطلعها : « سرب محاسنه حرمت ذواتها » .

(٤) العونى : ذكره العميدى فى الإبانة فى ص ٢٢ — ٣٣ — ٦٤ — ٦٥ .

(٥) من قصيدة يمدح بها على بن محمد بن سيار مطلعها :

« ضروب الناس عشاق ضروبا »

قال بعض المتقدمين : « هو[1] جميل بن معمر » :

ونغص دهرُ الشيب عيشى ولم يكن   يُنغصه إذ كنت والرأس أسود
نخص زمان الشيب بالذم وحده   وأى زمان يا بثينةُ يُحمد

قال المتنبى :

من خص بالذم الفراق فإننى   من لا يرى فى الدهر شيئاً يحمد[2]

قال محمد بن كناسة الأسدى[3] :

ترى خيلهم مربوطة بقبابهم   وفى كل قلب من سنابكها وقعُ

قال المتنبى :

قيامٌ بأبواب القباب جيادهُمْ   وأشخاصها فى قلب خائفهم تعلو[4]

قال ديك الجن :

أخا الرأى والتدبير لا تركب الهوى   فإن الهوى يُرديك من حيث لا تدرى
ولا تثقنْ بالغانيات وإن وفتْ   وفاء الغوانى بالعهود من الغدر

قال المتنبى :

إذا غدرت حسناء أوفت بعهدها   ومن عهدها ألاَّ يدوم لها عهد[5]

---

(١) كذا فى الأصل، وهو ساقط من ب . حـ ، د ، هـ . وهامش العكبرى جـ ١ ص ٣٣١ : وهو . وقد رجعنا إلى ديوان جميل – مكتبة صادر – بيروت فلم نجد هذين البيتين .

(٢) من قصيدة يودع فيها صديقاً له أولها : أما الفراق فإنه ما أعهد

(٣) (الأسدى) ساقطة من حـ ، د ، هـ . ومحمد بن كناسة : شاعر كوفى من بنى أسد نقل عنه المرزبانى فى الموشح أخباراً لبعض الشعراء ، وترجمه محمد بن داود بن الجراح فى كتاب الورقة بقوله : محمد بن عبد الله بن كناسة الأسدى يكنى أبا يحيى كوفى شاعر راوية الكميت وغيره . ولد سنة ١٢٣ هـ وتوفى بالكوفة سنة ٢٠٧ هـ وله من الكتب : كتاب الأنواء وكتاب معانى الشعر وكتاب سرقات الكميت من القرآن وغيره (ترجم له صاحب الفهرست ص ١٠٥ طبعة مصر) . وترجم له الأغانى (١٣ : ٣٣٧) .

(٤) الديوان : صيام ، والبيت من قصيدة يمدح بها الحسين بن على الهمذانى أولها :

لقد حازنى وجد بمن حازه بعد

(٥) من القصيدة السابقة .

قال علي بن يحيي المنجم[1] من أبيات يُغنى بها :

وجـــهٌ كأن البـــدر ليلة تمه   منه استعار النور والإشراقا
وأرى عليه حديقة أضحى لها   حدَقٍ وأحـــداقُ الأنام نطاقا

قال المتنبي :

وخصرٌ تثبت الأبصار فيـــه   كأن عليـــه من حَدَقٍ نطاقا[2]

قال بشار بن برد :

إذا ابتسمت جادت دموعي[3] بوابل   من الغيث أجْرته بروقُ المباسِم

وقال الخبز أرزي :

فواعجبـــا حتـــام يمطر ناظري   إذا هو أبدى من ثناياه لي برقا

قال المتنبي :

تَبُلُّ خدي كلمـــا ابتسمت   من مطر برقُـــه ثناياهـــا[4]

قال عبد الصمد بن المعذل[5]

يعطيك فوق المنى من فضل نائله   وليس يعطيك إلاَّ وهو يعتـــذر

قال المتنبي :

يعطيـــك مبتـــدئا فإن أعجلته   أعطاك معتذراً كمن قد أجرما[6]

---

(١) علي بن يحيي المنجم : هو أبو الحسن علي بن يحيي بن أبي منصور المنجم البغدادي ، كان شاعراً راوية أخبارياً مات سنة ٢٧٥ هـ بسر من رأى في آخر أيام المعتمد وله تصانيف (راجع ابن خلكان ص ٤٩٥ ومعجم الأدباء ١٥ : ١٤٤ — ١٧٥ ، وسمط اللآلى ٥٢٥) .

(٢) سبق الحديث عن هذا البيت وعن بيت السرى :

أحاطت عيون العاشقين بخصره   فهن له دون النطاق نطاق

في حديث المؤلف نفسه حين قال : وحكى أن السرى الرفاء . . .   ص٧٩

(٣) كذا في ا ، حـ . وفي ب ، د ، هـ : جفوني .

(٤) معناه : كلما ابتسمت فلمعت ثناياها كالبرق بكيت فجرى دمعي كالمطر فكان هذا المطر من ذلك البرق والبيت من قصيدة يمدح بها عضد الدولة .

(٥) عبد الصمد بن المعذل : هو أبو القاسم عبد الصمد بن المعذل ينتهى نسبه إلى ربيعة بن نزار شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية مصري المولد والمنشأ كان هجاء وكان أبوه وجده شاعرين .

(٦) لم يسعف المتنبي تعبيره حين قال : إن أعجلته ، كن قد أجرما .

قال صالح بن حيان الطائى[١] :

صبرت ومن يصبر يجد غِبَّ صبره ... ألذّ وأحلى من جنى النحل فى الفمِ

قال المتنبى :

فثب واثقا بالله وثبة ماجد ... ترى الموت فى الهيجا جنى النحل فى الفم[٢]

قال أبو تمام :

لو حار مرتاد المنية لم يجد ... إلا الفراق على النفوس دليلا

قال المتنبى :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت ... لها المنايا إلى أرواحنا سبلا[٣]

قال أبو مسلم محمد بن صبيح[٤] :

فعيش ذى الهم[٥] فى هم وفى نكد ... وذو الجهالة فى خصب وفى فرح

وقال أبو الفتح الإسكندرى[٦] :

اخترْ من الكسب دونا ... فإن دهرك دونُ

زجّ الزمان بحمق ... إن الزمان زَبون

---

(١) وصفه الصولى فى أخبار أبى تمام بأنه غلام أبى تمام والمنشد لشعره و يروى عنه أحاديث عن أبى تمام (اقرأ أخبار أبى تمام ص ٢١٠ ، ٢٦٩) .

(٢) هذا البيت ساقط من سائر النسخ .

(٣) جاء فى التبيان : قال ابن القطاع قال لى شيخى محمد بن على التميمى قال لى أبوعلى بن رشدين قلت للمتنبى عند قراءتى عليه هذا البيت : أضمرت قبل الذكر قال ليس كذلك وليست المنايا فاعلة و إنما هى فى موضع خفض (أى بالإضافة والمضاف لها جمع لماة) وقال الشريف هبة الله بن محمد فى أماليه : « لها » من الحشو لأن المعنى غير مفتقر إليها . والبيت من القصيدة التى منها :
« عقدت بالنجم طرفى فى مفاوزه » وقد تقدم الكلام عنها فى هذا الباب .

(٤) أبو مسلم محمد بن صبيح ذكره العميدى فى الإبانة ص ٢٦ وقال فى نعته : صديق الحمار وفى ن . الجامعة لوحة ١٦٢ : الجماز .

(٥) الهم : الهمة .

(٦) أبو الفتح الإسكندرى هو اسم نحله بديع الزمان الهمذانى فى مقاماته الرجل الذى نسب إليه الحوادث التى رواها .

لا تُكْـــذبنّ بعقل ما العقل إلا جنـــون[1]

ولمحمد البجلى[2] الكوفى :

هـــذا زمان مشـــوم كـــا تـــراه غشوم
الجهـــل فيـــه جميل والعقـــل عيب ولوم
والمـــال طيف ولكن عـــلى اللئـــام يحوم

قال المتنبى :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم[3]

وقال محمد البيدق الشيبانى[4] :

---

(١) لا تكذبن بالبناء للمجهول وروى لا تكذبن : بالبناء للمجهول أيضاً من كذا كرماء إذا حبسه أى لا تكن ممنوعاً بعقلك عما فيه صلاح عيشك . اقرأ مقامات بديع الزمان ص٨١ المطبعة الكاثوليكية

(٢) محمد البجلى الكوفى : فى معجم الشعراء (٤٢١) محمد البجلى الكوفى مأمونى ، وكان هجاء الحسن بن رجاء بن أبى الضحاك ، والأبيات المنسوبة إليه جاءت فى مقامات بديع الزمان فى المقامة الساسانية :

الحمق فيه مليح ، بدل : الجهل فيه جميل ،
حول اللئام يحوم ، بدل : على اللئام يحوم
انظر المقامات طبعة السعادة ص ٦٧ .

(٣) بيت المتنبى يفوق ما تقدم بحيث لا يحتاج إلى بيان ، وهو من القصيدة التى هجا بها إسحق ابن كيغلغ ومطلعها : لهوى النفوس سريرة لا تعلم
وقد تداول الشعراء هذا المعنى :
قال البحترى :
أرى الحلم بؤساً فى المعيشة للفتى ولا عيش إلا ما حباك به الجهـــل
ولآخر :
من لى بعيش الأغبيـــاء فإنه لاعيش إلا عيش من لم يفهم
ولابن المعتز :
وحـــلاوة الدنيا لجاهلها ومـــرارة الدنيا لمن عقلا
ولآخر :
وأخو الدراية والنبـــاهة متعب والعيش عيش الجاهل المجهـــول

(٤) محمد البيدق الشيبانى : ذكره العميدى فى الإبانة ص ٢٧ وهو راوية أخبارى كان ينشد هارون الرشيد أشعار المحدثين ، وكان أحسن الناس إنشاداً . وهو شاعر من أهل نصيبين ملقب بالبيدق لقصره و انظر الأغانى ١٣ : ١٤٦)

إنى لأُنصف فى إخائك دائماً ... حاشاك من ظلم فلِمْ لاتنصف
الظلم طبعك والعفاف تكلف ... والطبع أقوى والتكلف أضعف

قال المتنبى :

والظلم من(خُلُق)النفوس فإن تجد ... ذا عفــة فلعلة لا يظلم [١]

قال أبو الحسن على بن مهدىّ الكسروى[٢] :

لم أنس يــوم تعانقنا وعللنى ... من ريقه صافيا ماشابه كدرُ
أبصرتُه فرأيت الشمس طالعة ... تغشى العيون فيعشى دونها البصر
هذا على أن حول الشمس من شعر ... ليل يقال له الأصداغ والطُّررُ
أنا القتيل وطرفى قاتلى ودمى ... ما بين قلبى ومن عُلّقته هدر

وقال دعبل :

لا تأخـــذوا بظـــلامتى أحداً ... طرفى وقلبى فى دمى اشتركا

قال المتنبى :

وأنا الذى اجتلب المنيـــة طرفُه ... فمن المطالبُ والقتيل القاتل[٣]

قال العتَكى[٤] :

هدانا الله بالقتلى نراها ... مُصلّبـــة بأفواه الشعاب

---

(١) هذا البيت من القصيدة التى أشرنا إليها قريباً (فى هجاء ابن كيغلغ)

(٢) أحد الرواة العلماء النحويين ، كان أديباً ظريفاً شاعراً ، أدب هارون بن على المنجم ، ومات فى خلافة المعتضد العباسى : ترجم له معجم الشعراء ص ٢٩٢

(٣) هو من القصيدة التى يمدح بها أحمد بن عبد الله الأنطاكى ومطلعها :

* لك يا منازل فى القلوب منازل *

والبيت منقول من قول قيس بن ذريح :

وما كنت أخشى أن تكون منيتى ... بكفى إلا أن ما حان حائن

(٤) هو ثابت قطنة العتكى : من شعراء خراسان وفرسانهم أصابه سهم فى عينه فكان يحشوها بقطنة فلقب بها ، وكان من أصحاب يزيد بن المهلب وله أخبار طريفة فى الخزانة جـ ٤ ص ١٨٤ — ١٨٧ وله ترجمة فى الشعر والشعراء جـ ٢ .

قال المتنبى :

إذا سلك السماوةَ غيرُ هادٍ　　فقتلاهمْ لِعينيه مَنارُ[١]

قال أبو تمام :

ولطالما أمسى فؤادُك منزلا　　وَمِحلَّةً لظباء ذاكَ المنزل

وقال أيضًا :

وقفت وأحشائى منــازل للأسى　　بها وهى قفر قد تعفت منازلــه

وقال معوج الرقى :

كم وقفنــا على الطلول وجُدنا　　بسحاب من الدموع يَهِلُّ

يا محــل الآرام والعِين أهلا　　لك فى القلب منزل ومحل[٢]

قال المتنبى :

لك يا منازل فى القلوب منــازل　　أقفرت أنتِ وهن منك أواهل[٣]

قال أبو تمام :

ورحب صدر لوَ ان الأرض واسعة　　كوسعه لم يضق عن أهله بلد

قال المتنبى :

تضيق عن[٤] جيشه الدنيا ولو رحبت　　كصدره لم يضق فيهــا عساكره

قال الناشى[٥] :

لمــا عطفـــن رءوسهنَّ (م) إلى الظعائن فى الكِلَلْ

---

(١) من قصيدة يصف فيه إيقاع سيف الدولة ببعض قبائل العرب مطلعها :

طوال قنا نطــاعنها قصار　　وقطرك فى ندى ورى بحار

(٢) الآرام : الظباء مفرده رئم . العين : جمع عيناء أو أعين وهى بقر الوحش .

(٣) مطلع قصيدة يمدح بها أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكى ولهذا المطلع قصة مرت .

(٤) كذا فى الديوان . جميع النسخ : فى .

(٥) هو أبو الحسين الناشى الأصغر من مداح سيف الدولة ذكره صاحب اليتيمة فى ج ١ ص ١٩٧ (مطبعة الصاوى) .

قـــدرتهـــن لعشقهـــن (م) طلبن منهن القبـــل

قال المتنبي :

ويغيرني جذبُ الزمام لقلبهـــا فمهـــا إليك كطالب تقبيلا[١]

قال البحتري :

تلقـــاه يقطر سيفُه وسنانُه وبنانُ راحته ندى ونجيعا[٢]

قال المتنبي :

ملك سِنـــان قناتـــه وبنانُه يتباريان دمـــًا وعُرفًا ساكبا

قال أبو العتاهية :

وإذا الجبان رأى الأسنة شُرَّعًا عاف الثباتَ فإن تفرد أقدما

قال المتنبي :

وإذا ما خـــلا الجبانُ بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

قال مسلم [٣]بن عياش العامري :

وخيل مؤدبة لا تزال قوائمها عالكاتِ اللجمْ [٤]
تحن إلى الحرب من غير أن تقادَ وما أقلقتها الحُزُمْ
وقد ستر النقعُ أعرافَها فآذانهـــا كرءوس القلمْ

قال المتنبي :

قاد الجياد إلى الطعان ولم يَقُدْ إلا إلى العادات والأوطـــان

---

(١) يقول لمحبوبته يحملني على الغيرة جذبك زمام الناقة إليك لأن الناقة تقلب فمها إليك كأنها تطلب قبلة .

(٢) جميع النسخ : دما . والصواب : ندى كما في الديوان. النجيع : من الدماء ما كان إلى السواد ، والغرض هنا الدم مطلقاً

(٣) مسلم بن عياش العامري : ذكره العميدي في الإبانة ص ٣٦

(٤) لا تزال : مضارع زال يزال كخاف يخاف بمعنى ثبت ولم يتحول. عالكات : من علك اللجام [illegible]

إن خُلِّيَتْ(١) ربطت بآداب الوغى فدعاؤها يغنى عن الأرسان
فى جحفل سَتَر العيونَ غبــارُه فكأنمــا يبصرن بالآذان

قال محمد بن مسلم المعروف بابن المولى(٢) :
ما زلتَ تقرعهم فى كل مُعتَرك ضربًا يحل محل الشيب باللمم
ترى الجماجم منه غير آمنةٍ وسائرَ الجسم منها(٣) صار فى حرَم

قال المتنبى :
خص الجماجم والوجــوه كأنما جاءت إليك جسومهم بأمان(٤)

قال على بن هارون المنجم(٥) :
كريم نهته النفس عن شهــواتها ووافته(٦) أقساطَ المعالى بلا بخس
إذا لم تكن نفس ابن آدم حرة تحن إلى العليا فلا خير فى النفس

قال المتنبى :
تلك النفوس الغالبات على العلا والمجدُ يغلبها على شهواتها

قال أبو تمام :
فإن لم يَفِدْ يوما إليهن طالبٌ وفدن إلى كل امرئ غيرِ وافد(٧)

(١) كذا فى ب والديوان ، وفى سائر النسخ : خيلت وهو تحريف . وهذه الأبيات من قصيدة فى مدح سيف الدولة مطلعها : الرأى قبل شجاعة الشجعان .

(٢) محمد بن مسلم المعروف بابن المولى : قال صاحب الأغانى (٣ : ٢٨٦) هو محمد بن عبد الله ابن مسلم بن المولى مولى الأنصار من بنى عمرو بن عوف شاعر متقدم مجيد من مخضرمى الدولتين ومداحى أهلهما ، قدم على المهدى وامتدحه وكان ظريفاً عفيفاً نظيف الثياب حسن الهيئة .

(٣) كذا فى جميع النسخ ، والصواب : « منه » لأن الضمير عائد على « ضرباً » التى فى البيت الأول .

(٤) الضمير فى « خص » يعود على الضرب فى البيت السابق :
ما زلت تضربهم دراكا فى الذرا ضرباً كأن السيف فيه اثنان
والبيتان من القصيدة السابقة .

(٥) هو أحد بنى المنجم الذين يقول فيهم صاحب اليتيمة : وما منهم إلا أغر نجيب ولهم وراثة قديمة فى منادمة الملوك والرؤساء واختصاص شديد بالصاحب .

(٦) ووافته : كذا فى ج ، د ، هـ . وفى ب : ووفته ، بتشديد الفاء (انظر الفهرست لابن النديم)

(٧) فى المدح بالكرم والضمير فى (إليهن) يعود على العطايا .

وقال أيضًا :

وفدتْ إلى الآفاق من نفحاته نِعَمٌ تُسائل عن ذوى الإقتار

قال المتنبى :

وأنفسهم مبــذولةٌ لوفودهم وأموالهم فى دار من لم يفد وفْدُ

قال أبو [1] عمران الضريرُ الكوفىّ :

لست أدرى كيف ابتليتُ بقوم لا يخافون ربهــم حسادى
حسدونى على الحياة ومن لى بحيــاة أنال فيهــا مرادى

قال المتنبى :

ولكــنى حُسِدتُ على حياتى وما خير الحيــاة بلا سرور

قال أبو أحمد الخراسانى [2] :

وكم مهمه قد جبتُه بعد مهمه وكم مسلك وعْر وكم منهل قفر
يلين بعزمى كلُّ صعب أرومهُ وهل خطب دهر لا يهوّنه صبرى

قال المتنبى :

قد هون الصبرُ عندى كلَّ نازلة ولينَّ العزم حدَّ المركب الخشنِ

قال بشر بن هُدبة الفزارى :

أرى الحرب فى عينىَّ مثل عقيلة فَيؤنسنى غِشيانُها وعناقُها
ومن لؤم طبع الجاهلين اجتنابُهم ورودَ المنايا وهى أرىٌ [3] مذاقها

قال المتنبى :

يرى الجبناء حبَّ الموت جهلا وتلك خديعــة الطبع اللئيم [4]

---

(١) فى سائر النسخ : قال عمران

(٢) سائر النسخ : أبو محمد وفى الإبانة أبو أحمد بن محمد الخراسانى ص ٤١ ، ٥٥ .

(٣) الأرى : العسل .

(٤) روى هذا البيت فى نسخ الديوان هكذا : يرى الجبناء أن العجز عقل

قال معوج الرقى :

يُفنى المواهب كى تبقى محامدُه ويُخلص الجودَ من مَنّ ومن كدر
تلقاه إن وهب الدنيا بجملتها لسائل(١) خَجِلا فى زىّ معتذر(١)

قال المتنبي :

إذا الجود لم يرزق خلاصًا من الأذى فلا الحمدُ مكسوبا ولا المال باقيا(٢)

قال الناشي :

ومن علت فى اكتساب المجد همتُه ولم يساعده جَدٌ بات فى تعب

قال المتنبي :

وأتعب خلق الله من زاد همُّــه وقصّر عما تشتهى النفسُ وُجدُه(٣)

قال البحترى :

وقد هذبتك الحـــادثاتُ وإنما صفا الذهب الإبريزُ قبلك بالسبك

قال المتنبي :

لعل عتبك محمـــودٌ عواقبُه وربما صحت الأجسامُ بالعلل (٤)

---

(١) سائر النسخ « كسائل »

(٢) هذا من أحسن الكلام وقد نظر فيه الشاعر إلى قول الله تعالى :
« لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » وهو من قول الحكيم : إذا لم تتجرد الأفعال من الأذى كان الإحسان إساءة .

(٣) هذا البيت يضرب به مثلا لنفسه ، كأنه يقول أنا أتعب خلق الله لزيادة همّى وقصور طاقتى عن بلوغ ما أهم به وهو مأخوذ مما فى الحديث : إن بعض العقلاء سئل عن أسوأ الناس حالا ، فقال : من قويت شهوته و بعدت همته واتسعت معرفته وضاقت مقدرته ، وقد قال الخليل بن أحمد :

رزقت لبأ ولم أرزق مروءته وما المروءة إلا كثرة المـــال
إذا أردت مساماة تقـــاعدنى عمـــا ينوه باسمى رقة الحال

وأصل هذا كله من قول الحكيم : أتعب الناس من قصرت مقدرته واتسعت مروءته .

(٤) هذا من كلام الحكيم : قد يفسد العضو لصلاح الأعضاء كالكى والفصد اللذين يفسدان الأعضاء لصلاح غيرهما وقد نقله من قول الآخر :

لعل سبأ يفيـــد حبأ فالشر للخير قد يجـــر

وقريب منه قول ابن الرومى : =

قال عبد الله بن طاهر (١) :

إذا كرمتْ نفس الفتى عفّ (٢) قلبُه   وساعده عيناه واليد والفمُ
وغير جميل أن يُرى المرء مطرقًا   وفى قلبه نار من الشوق تُضرمُ

قال المتنبى :

وإطراق طرفِ العين ليس بنافع   إذا كان طرفُ القلب ليس بمطرق (٣)

قال أبو العتاهية :

بدنى ناحل وصبرى بدينُ   واعتزامىَ ماض وجسمى حسير
ومن الموت قد سلمتُ ولكن   بعد هذا إلى الممات أصير

= أحمد الله إذ رزقت هجاء   هو بعد الخمول نوه باسمك
قد تذكرت موبقات ذنوبى   فرجوت الخلاص منها بشتمك

(١) عبد الله بن طاهر : أحد قواد المأمون وكان سيداً نبيلا عالى الهمة ، ألف له أبو تمام كتاب الحماسة ، وكان أديباً ظريفاً جيد الغناء وله شعر مليح ورسائل طريفة (ابن خلكان ١ : ٣٢٧ -٣٢٩) دار الطباعة بتصرف . وله ابن يسمى عبيد الله وإليه نسب البيتان فى الإبانة . طبع دار المعارف .

(٢) سائر النسخ : عز .

(٣) الإطراق : أن تضرب ببصرك إلى الأرض أى أن إغضاء عينه عن مثل هؤلاء لا ينفعهم إذا كان يلحظهم بنظر قلبه فلا يخفى عليه ما هم فيه ويتضح هذا المعنى بالبيت الذى قبله وهو قوله :

ويمتحن الناس الأمير برأيه   ويغضى على علم بكل ممخرق

(والممخرق صاحب العبث وهى كلمة مولدة مأخوذة من المخراق وهو منديل يلف ويتضارب به الصبيان) وهذا المعنى الذى شرحناه فيه نظر إلى قول ابن الرومى :

والفؤاد الذكى للناظر المط   رق عين يرى بها من وراء

ولابن دريد :

ولم ير قبلى مغضيا وهو ناظر   ولم ير قبلى ساكتاً يتكلم

وبيت المتنبى من قصيدة فى مدح سيف الدولة أولها :

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى   وللحب ما لم يبق منى وما بقى

وهذا المطلع يذكر بطريفة هى أن الخالديين أبا بكر وأخاه عثمان (وقد تقدمت ترجمتهما) قالا لسيف الدولة : إنك لتغالى فى شعر المتنبى ، اقترح علينا ما شئت من قصائده حتى نعمل أجود منها فدافعهما زماناً ثم كررا عليه فأعطاهما هذه القصيدة ، فلما أخذاها قال عثمان لأخيه أبى بكر : ما هذه من قصائده الطنانات فلأى شىء أعطاناها ثم فكرا فقال أحدهما لصاحبه : والله ما أراد إلا قوله :

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق   أراه غبارى ثم قال له الحق

(الضمير فى «شاء» لسيف الدولة) فتركا القصيدة ولم يعاوداه ولم يعملا شيئاً .

يا خليليَّ كيف يخدعني الدهـ ... ـر وإني بِهِ بصـير خبير
اسقيـاني من قبل أن يتقضى ... أملٌ أرتجى[١] وعمـر قصير

قال المتنبي :

فإن أمرض فما مرض اصطباري ... وان أُحمم فما حُمَّ اعـترامى
وإن أسـلم فما أبـقى ولكن ... سلمت من الحِمام إلى الحِمام[٢]
تمتـع من سهـاد أو رقـاد ... ولا تأمل كَرًى تحت الرِجام[٣]
فإن لثـالث الحـالين معنى ... سوى معنى انتباهك والمنام[٤]

وقال زُرَيق[٥] البَصْرىّ :

فلا تحسِبوا الإقتارَ عارًا عليكمُ ... وأعداؤكم مُثْرُون بين المحافلِ
كذا عادةُ الدهر الخئون ولم يزل ... يُخلّط فى الأحكام حقًّا بباطلِ
رأيت الغنى عند الأراذل محنةً ... على الناس مثلَ الفقر عند الأفاضلِ

قال المتنبي :

والغنى فى يـد اللئيم قبيـح ... مثلُ[٦] قبح الكريم فى الإملاق

---

(١) سائر النسخ : يرتجى

(٢) هو كقول طرفة :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى ... لكا لطول المرخى وثنياه باليـد

وكقول الآخر :

إذا بل من داء به خـال أنه ... نجـا ، وبه الداء الذى هو قاتله

(٣) الرجام : القبور ، واحدها رجم (كجبل) ، يقول : تمتع ما دمت حيا من حالتى النوم والسهاد فإنك لا تنام فى القبر . وفيه نظر إلى قول الآخر :

تمتـع بالرقاد على شمال ... فنومك قد يطول على اليمين

(٤) يريد بثالث الحالين : الموت . يقول : إن الموت غير اليقظة والرقاد فلا تظن الموت نوماً.

(٥) زريق البصرى : هو أبو جعفر محمد بن بشير البصرى المعروف بزريق — كا فى : ن . الجامعة لوحة ٣٤ ب .

(٦) فى نسخ الديوان : قدر . والبيت يشبه قول أبى تمام :

كم نعمة لله كانت عنـده ... فكأنهـا فى غربة وإسار

وما أحسن قول العطوى :

نعمـة الله لا تعاب ولكن ... ربما استقبحت على أقوام

قال الناشى :

يا أكرمَ الناس أخلاقًا وأوفرَهم عقلا وأسبقهم فيه إلى الأمَدِ
أصبحتَ أفضلَ من يمشى على قدم بالرأى والعقل لا بالبطش والجَلَدِ(١)
لئن ضَعُفْتَ وأضناك السقام فلم يضعف قوى عقلك الصافى ولم يَمِدِ
لو كان أفضلُ ما فى الخلق بطشهمُ دون العقول لكان الفضل للأسد
وإنما العقل شىء لا يجود به للناس غيرُ الجواد الواحد الصمدِ

قال المتنبى :

لولا العقولُ لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

قال إدريس(٢) الأعور يرثى عبد الله بن طاهر :

أجيل طرفى فما ألقى سوى جدث وارى محاسن ذاك المنظر البهج
وتربة ما رأتهـا عـينُ غانية إلا سخت بدم بالدمع ممتزج
وسودتها بنِقْسٍ بعـد غاليةٍ وبدلت حمـرة التفاح بالسبج(٣)

قال المتنبى :

وأبرزت الخـدورُ مخبآتٍ يضعن النقس أمكنة الغوالى(٤)

قال أبو تمام :

تعـود بسط الكف حتى لو انه أراد انقباضًا لم تطعه أنامله(٥)

---

(١) والجلد : معطوف على العقل .

(٢) إدريس الأعور : وفى ن . الجامعة : أبو سليمان الأعور وهو إدريس من أولاد مروان بن أبى حفصة مولى بنى أمية يرثى عبد الله بن طاهر لوحة ٤٠ ب

(٣) النقس : المداد الأسود . السبج : خرز أسود . والمراد به هنا السواد . الغالية : نوع من الطيب .

(٤) البيت من قصيدة يرثى بها والدة سيف الدولة ومطلعها :

نعد المشرفية والعوالى *

وأراد بمخبآت : جوارى الفقيدة .

ومن خير أبيات هذه القصيدة قوله :

ولو كان النساء كمن فقـدنا لفضلت النساء على الرجـال
ومـا التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخـر للهلال

(٥) وروى : ثناها لقبض .

وقال ابن الرومى :

تعــوَّدَتِ المواهبَ والعطايا أناملُ فيضُ راحتِـها[١] انسجامُ
فليس لها عن الحمد انفــراج وليس لها على المال انضمام

قال المتنبى :

عجبًا له حَفِظَ العِنانَ بأنمل ما حفظُها الأشياءَ من عاداتها

قال العَكَوَّك[٢] :

عجبتُ لَحراقة[٣] ابن الُحسَيْن كيف تعــوم ولا تَغْـرَقُ
وبحران من تحتهــا واحــدٌ وآخرُ من فوقهــا مُطْبِـقُ
وأعجب من ذاك عيدانُهــا وَقَدْ مَسَّها كيف لا تُورِقُ

وقال أبو البيداء[٤] :

هو المشترى الحمدَ الكثيرَ بماله وفى يده للسائلين سَحَــاب
ولو مطرت كفاه أرضًا لأخصبت وأورق صفــوانٌ عليه تُرابُ

قال المتنبى :

وعجبتمن أرضٍ سحابُ أكُفـِّهم من فوقها وصخُورها لاتُورِقُ[٥]

---

(١) جميع النسخ : فيض راحته .

(٢) العكوك : هو على بن جبلة . فى ا ، ب : أبو العكوك . سائر النسخ : ابن العكوك . والصواب حذف المضاف من كل

(٣) الحراقات : سفن فيها مرامى نيران ، يرى بها العدو .

(٤) أبو البيداء : هو أبو البيداء الرياحى ويسمى أسعد بن عصمة أعرابى نزل البصرة ، وكان يعلم الصبيان بأجرة أقام بها أيام عمره يؤخذ عنه العلم وكان شاعراً (الفهرست لابن النديم ص ٦٦) .

(٥) وفى هذا المعنى يقول مسلم بن الوليد :

لو أن كفا أعشبت لسماحــة لبدا براحتــه النبات الأخضر

ولبعض الأعراب :

لو أن راحته مــرت على حجر صلد لأورق منها ذلك الحجر

وبيت الأعرابى أجود خيالا من بيت مسلم فإن صورة الكف وقد أعشوشبت وبدا عليها النبات صورة غير مقبولة .

قال أبو تمام :

ومن خدم الأقوام يرجو نوالَهم　　فإنىَ لم أخدمك إلا لأخدما[١]

قال المتنبي :

وما رغبتى فى عسجد أستفيده　　ولكنهـــا فى مفخر أستجدُّه[٢]

قال ابن المعتز :

وأرى الثريا فى السماء كأنهـــا　　قدمٌ تبدتْ فى ثيـــاب حداد

وقال معوج الرقى :

كأن بناتِ[٣]نعش حين لاحت　　نوائحُ واقفاتٌ فى حـــداد[٤]

قال المتنبى :

كأن بنـــات نعش فى دجاها　　خرائـــدُ سافراتٌ فى حداد

قال بشار :

وظن وهو مُجدٌّ فى هزيمتـــه　　ما لاح قدامه شخصًا يسابقه

قال أبو نواس :

فكل كف رآها ظنها قدحًا　　وكل شيء رآه ظنـــه الساقى

قال المتنبى :

وضاقت الأرض حتى كاد هاربُهم　　إذا رأى غَير شيء ظنه رجلا[٥]

---

(١) وله أيضاً فى هذا المعنى :

يا ربما رفعة قد كنت آملهـــا　　لديك لا فضة أبغى ولا ذهباً

(٢) وكرره فقال :

وسرتَ إليك فى طلب المعـــالى　　وسار سوارى فى طلب المعاش

(٣) بنات نعش : مجموعة من سبعة نجوم تسمى الدب الأكبر .

(٤) لابن المعتز فى هذا المعنى :

كأن نجوم الليل والليل مظـــلم　　وجـــوه عذارى فى ملاحف سود

(٥) فى شرح هذا البيت كلام طويل من ذلك قولهم كيف يرى غير شىء وغير شىء معدوم والمعدوم لا يرى . وليس الأمر كذلك بل أراد غير شىء يعبأ به أو أن شيئاً فى البيت يراد به الإنسان خاصة

قال أبو[١] المتورد :

حـــلّ المشيب بمفرق فكأنه سيف صقيـــل
أقبـــحْ بضيف قال لى لما أتى قرُب الرحيـــل

وقال البحترى :

وددت بياض السيف يوم لقيننى مكانَ بياض الشيب حل بمفرقى

قال المتنبى :

ضيف ألم برأسى غـــير مُحتشم والسيف أحسن فعلا منه باللمم

قال الخليع الأكبر :

وخير بلاد الله عندىَ بلـــدةٌ أنال بها عزًّا وأحوى بها حمدا

وقال البحترى :

وأحب أقطار البلاد إلى الفتى أرضٌ ينال بها كريم المطلب

قال المتنبى :

وكل امرئٌ يولى الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

قال النابغة[٢] :

وتنكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتّى تحسب الجون أشقرا

فالمعنى إذا رأى غير إنسان ظنه رجلا يطلبه لأن خوفه من الإنسان

ومثله قول جرير :

ما زال يحسب كل شىء بعدهم خيـــلا تكر عليهم ورجـــالا

وقول جرير يشير إلى قوله تعالى : « يحسبون كل صيحة عليهم » على أن الخوف وحده قد يصور للإنسان أنه يرى أشياء لا وجود لها وهذا معنى غير شىء .

(١) أبو المتورد : كذا فى سائر النسخ والإبانة للعميدى ص ٤٩ وفى ن . الجامعة : أبو المستورد لوحه ٥٩ ا .

(٢) المراد النابغة الجعدى لا النابغة الذبيانى وهو شاعر مخضرم عمر طويلا عاش إلى أيام عبد الملك بن مروان والبيت من قصيدة يمدح بها النبى عليه الصلاه والسلام أولها :

خليلى عوجاً ساعة وتهجـــرا ولوماً على ما أحدث الدهر أو ذرا

الجون : الأبيض والأسود ضد والمراد هنا الأول . الأشقر : الأبيض المشرب حمرة .

وقال أبو المهاجر البجلى[١] :

وخاضت عتاقُ الخيل فى حومة الوغى دماء فصارت شُهبُ ألوانها دُهما

قال المتنبى :

جفتنى كأنى لست أنطقَ قومِها وأطعنَهم والشهبُ فى صورة الدُّهْمِ[٢]

قال قدامة بن موسى الجمحى[٣] :

شجاع يرى الإحجام كفراً فيتقى وسمح يرى الإفضال فرضًا فيُفضِل
وما يتناهى القول فى وصف مدحه ولكننى أبغى اختصارًا فأجمل

قال المتنبى :

هو الشجاع يعدّ البخل من جُبُنٍ وهْو الجواد بعد الجبن من بَخَلِ[٤]

قال إبراهيم البَنْدَنيجى الكاتب[٥] :

أحاول أمرا والقضاء يعوقه فبينى وبين الدهر فيه طِراد
ولولا الذى حاولت صعبا مرامه لساعدنى فيه عليه شداد

---

(١) أبو المهاجر البجلى : أعرابى شاعر ينسب إلى الكوفة ذكره العميدى فى الإبانة ص ٥١ .

(٢) الشهب من الخيل : ما يخالط ألوانها بياض . والدهم : السود

(٣) قدامة بن موسى : ذكره ابن قتيبة فى الشعر والشعراء بقوله : « وكان قدامة بن موسى عالماً بالشعر ، وكان يقدم زهيراً ويستجيد قوله » الشعر والشعراء طبعة ليدن ١٩٠٢ ص ٥٧ وفى خلاصة أسماء الرجال الخزرجى « قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة الجمحى المكى إمام حرم المدينة مات ١٥٣ هـ » .

(٤) مأخوذ من قول الآخر :

إلى جواد يعد الجبن من بخل وباسل بخله يعتده جبنا
يلقى العفاة بما يرجون من أمل قبل السؤال ولا يبغى له ثمناً

وقد بين مسلم بن الوليد أن الشجاعة جود بالنفس فى قوله :

يجود بالنفس إذ ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(٥) كذا فى ج وهو الصواب وهو منسوب إلى بندنيج بلدة مشهورة فى طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد . وعنه حديث فى أخبار أبى تمام للصولى ص ٦٧ وما بعدها . بقية الأصول بها تحريف لهذا الاسم ، والبندنيجى هذا شاعر معاصر للبحترى وابن الرومى وكان يشهد مجلسهما كما ذكر الصولى فى أخبار أبى تمام ص ٦٧ ، ٦٨ .

قال المتنبي :

أهمّ بشيء والليالي كأنها ... تطاردني عن كونه وأطارد
وحيداً[١] من الخُلان في كل بلدة ... إذا عظم المطلوب قل المساعد

قال الناشي :

إليكم بني العباس عني فإنني ... إلى الله من ميل إليكم لتائب
تركتم طريق الرشد[٢] بعد اتضاحه ... وأقصتكم عنه ظنونٌ كواذب
سيظفر[٣] أهل الحق بالحق عاجلا ... وتبعدكم سُمرُ القنا والقواضب
أترضون أن تطوى صحائف عصبة ... كرام لهم في السابقين مراتب
ألم تعلموا أن التراث تراثهم ... وهم أظهروا الإسلام والكفرُ غالب
فلا تذكروا منهم مثالبَ إنما ... مثالب قوم عند قوم مناقب

قال المتنبي :

بذا قضت الأيام ما بين أهلها ... مصائبُ قوم عند قوم فوائد[٤]

قال أبو راسب البجلي[٥] :

ولولا انتقاد الدهر لم يكنسُ قاسما ... جلالا ولم يسلُب سواه المعاليا

قال المتنبي :

ولما رأيت الناس دون محله ... تيقنت أن الدهر للناس ناقد[٦]

---

(١) الديوان : وحيد .

(٢) ا : المجد

(٣) ا : سيظعن وقد أثبتنا ما في مصورة ن . الجامعة .

(٤) مأخوذ من قول الحارث بن حلزة :

ربما قرت عيون بشجاً ... مرمض قد سخنت منه عيون

وقول الطائي :

ما إن أرى شيئاً لشيء محييا ... حتى تلاقيه لآخر قاتلا

ولكن المتنبي سبكه في نصف بيت وأحسن فيه .

(٥) أبو راسب البجلي : ذكره المرزباني في معجم الشعراء ضمن الشعراء المجهولين والأعراب المغمورين ممن لم يقع إليه أسماؤهم (ص ٥١٢ طبعة القدسي) .

وذكره العميدي في الإبانة ص ٥٨ ، ٥٩ وقال عنه : ودعبل يروي شعره .

(٦) يقول : لما رأيت الناس كلهم دونه في المحل والرتبة والقدرة ، علمت أن الدهر ناقد للناس

وقال أبو راسب أيضًا :

ولو كنت تحوى عمر من قدنهبته بسيفك فى الدنيا لكنت مُخلَّدا

قال المتنبي :

نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بأنك خالــد[١]

قال أبو العتاهية :

شيم فتحت من المجد ما قــد كان مستغلِقًا عــلى المُدّاحِ

قال المتنبي :

وعلموا الناس منك المجد واقتدروا على دقيق المعانى من معانيكا[٢]

قال أبو العالية * :

أنارت بك الأوقات حتّى تبسمت ورقت حواشيها وطاب نسيمها
فخذ ما صفا منها وعش فى سعادة فليس ببــاق لهوهــا ونعيمها

قال المتنبي :

اِنعمْ ولَذَّ فللأمور أواخــر أبداً إذا كانت لهن أوائل[٣]

يعطى كل واحد منهم على قدر محله واستحقاقه . وقد ينقد هذا المعنى بأن الدهر يرفع الخامل أحياناً، ويضع النابه .

(١) وقد نقل هذا المعنى المرحوم على الجارم بك إلى ناحية أخرى فقال فى رثاء على إبراهيم باشا الطبيب :

لو حزت كل حياة صنت مهجتهــا خلدت كالشمس إشراقاً وإصباحــاً

(٢) هذا البيت من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى البحترى وفيها :

أحييت الشعراء الشعر فامتدحــوا جميع من مدحوه بالذى فيكا

وبيت المتنبى : وعلموا الناس . . . منقــول من قول أبى فنن

يعلمنا الفتح المديح بجــوده ويحسن حتّى يحسن القول قائله

* أبو العالية : — أعرابى راوية فى الدولة العباسية له رواية عن أبى عمران المخزومى فى الشعر والشعراء لابن قتيبة طبع ليدن ١٩٠٢م ص٢٦ وف : ن . الجامعة : أذ. مؤدب العباس بن المأمون .

(٣) منقول من الحكمة : كل ما كان له أول تدعو الضرورة إلى أن له آخرا .

قال السيد الحميرى[١] :

تخفَى على أغبياء الناس منزلتى إنى[٢] النهارُ وهم فيه الخفافيشُ

قال المتنبي :

وإذا خفيتُ على الغبيِّ فعاذرٌ ألاَّ ترانى مقلةٌ عمياءُ[٣]

قال العونى[٤] :

يا صاحبيَّ بعدتما فتركتما قلبي رهينَ صبابة وتصابى
أبكى وفاءكما وعهدكما كما أبكى المحبَّ معاهد الأحباب

قال المتنبي :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تُسعدا والدمعُ أشفاه ساجمهُ[٥]

قال العونى :

أحب ابن بنت المصطفى وأزوره زيارة مهجور يَحِنّ إلى الوصل
وما قدمى فى سعيه نحو قبره بأفضل منه رتبةً مركزُ العقل

قال المتنبي :

خير أعضائنا الرؤوس ولكن فَضَلَتْها بقصدك الأقدامُ[٦]

قال البحترى :

اغتنم فرصة من الدهر واطرب ليس شيء من الجديدين باقى

(١) تقدمت ترجمته .
(٢) هـ ، هامش د : أنا
(٣) مأخوذ من قول الشاعر :
وقد بهرت فما أخفى على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمرا
(٤) العونى : ذكره العميدى فى الإبانة فى الصفحات ٢٢ ، ٣٣ ، ٦٤ ، ٦٥ واستشهد بما ذكره المؤلف .
(٥) تقدم الكلام على هذا البيت .
(٦) وهذا كقوله أيضاً :
وإن القتام التى حوله لتحسد أرجلها الأروس

وزمان السرور يمضي سريعًا   مثلَ طيبِ العِناق عند الفراق

قال المتنبي :

للهــو آونــة تمــر كأنها   قُبَلٌ يُزوِّدُها حبيبٌ راحلٌ

قال منصور النَّمَرى :

رضيت بأيام المشيب وإن مضى   شبابي حميــداً والكريم ألوف

قال المتنبي :

خلقت ألوفا لو رجعت إلى الصّبا   لفارقتُ شيبي موجَعَ القلب باكيا

قال البحترى :

تعنو له وزراءُ الملك خاضعةً[١]   وعادةُ السيف أن يَستخدم القلما[٢]

وقال ابن الرومى :

كذا قضى الله للأقلام مذ خُلقتْ   أن السيوف لها مذ أرهفت خدم

قال المتنبي :

حتى رجعت وأقلامى قوائلُ لى   المجد للسيف ليس المجد للقــلم

اكتبْ بنا ابداً بعد الكِتاب به   فإنمــا نحن للأسياف كالخدم[٣]

قال البحترى :

أضرتْ بضوء البــدر والبدرُ طالعٌ   وقامت مقام البــدر لما تغيبا

---

(١) الديوان : راغبة .

(٢) الضمير فى « له » يعود على الممدوح وهو رافع بن هرثمة وأول القصيدة :

باقه آلى يمينــا برة قسما   ما كان ما زعم الواشى كما زعمــا

وقبل هذا البيت :

إذا صدعنا الدجى عنــا بغرته   خلنا بها قبسا تجلوه أو ضرما

ما قال معتمدا إن الغمام حكى   نداه إلا غبى الظن أو وهمــا

تعنو له وزراء الملك راغبــة   وعــادة السيف أن يستخدم القلمــا

(٣) هذا البيت من قول الأقلام أيضاً وجعل الضرب بالسيف كتابة ، والمعنى: اقتل بالسيف ثم اكتب بنا ما تقول من شعر فى هزيمة الأعداء .

وقال نصر الخبزأرزى :

وما حاجة الركب السُّراة إذا بدا ... لهم وجهه ليلا إلى طلعة البدرِ

قال المتنبي :

وما حاجةُ الأظعان حولكِ فى الدجى ... إلى قمر ما واجدٌ لكِ عادمه

قال على بن جبلة :

قمرٌ نمّ عليه نورُه ... كيف يُخفِى الليلُ بدراً طلعَا

وقال الشعبانى [1] :

فإذا جزعت من الرقيب فلا تزرْ ... فالبدر يفضح كلَّ ليل مظلم

قال المتنبي :

أمِنَ ازديارَكِ فى الدّجا الرقباءُ ... إذ حيث كنتِ من الظلام ضياء[2]

قال أبو تمام :

مقيم الظن عندك والأمانى ... وإن قلقت ركابى فى البلاد

قال المتنبي :

وإنى عنك بعد غد لغاد ... وقلبى عن فنائك غيرُ غاد

قال أبو تمام :

وما سافرت فى الآفاق إلا ... ومن جدواك راحلتى وزادى

قال المتنبي :

محبك حيث ما اتجهتْ ركابى ... وضيفك حيث كنتُ من البلاد

---

(١) الشعبانى : هو جابر بن أحمد الشعبانى شاعر كان فى أيام المعتصم جاء ذكره فى الإبانة للعميدى ص ٦٥ ، ٦٩ وذكر بيت الشاهد : فإذا جزعت . . .

(٢) من قول أبى نواس :

ترى حيثما كانت من البيت مشرقاً ... وما لم تكن فيه من البيت مغربا

قال البحترى :

ولم أر فى رنْق الصَّرَى لىَ مَوْرِداً[١] فحاولتُ وِرد النيــل عنداحتفاله

وقال الكسروى :

وما أنا تارك بحــراً نمــيراً وأطمع فى الجداول والسواقى
(إذاً لَجحدتُ مــا أوليتنيه من النعمى ومِتّ من النفاق)

وقال العطوى :

أأمتاح من بئر قليــل معينها وأقعد عن بحر زُلال مشاربه

قال المتنبى :

قواصدَ كافــور توارِكَ غيره ومن قصد البحرَ استقلّ السواقيا

قال إبراهيم بن عيسى فى معرض العتاب :

يا وارث المجــد التليــ ـد وبانىَ الكرم الأصيل
مــالى أراك قبلت أقو ال الوشاة بلا دليل
قد كنت أحسب أننى أحظى بنــائلك الجزيل
حــتى رأيت وسائلى خَلُقَتْ وضاعت فى السبيل
فعلمت أنى قــد غلط تُ وتهت فى خطب طويل
ولقــد أتيتك آنفــاً أرجــوك فى أمر قليل
أنصف فإنك منصف إلا لخــادمك الذليل
إمــا إزاحــة علــة فيها الشفاء من الغليل
إمــا فقــوتٌ ما أعيـ ـش يصون وجهى عن بخيل[٢]
إمــا فإذنٌ استقــلْ لُ به على وجــه جميل

---

(١) كذا فى ا . وفى الديوان :

ولم أرض فى رنق الصرى لى موردا . . .

الرنق : الكدر . الصرى : الماء يطول مكثه .

وقد جاء هذا الشطر فى نسخ الصبح محرفاً تحريفاً لم نر فائدة فى إثباته .

(٢) « ما » فى قوله « ما أعيش » مصدرية ظرفية أى مدة عيشى .

من لم يعنك على المقـا م فقد أعان على الرحيل

قال العميدى لمح المتنبي جميع هذه الأبيات وسلخ البيت الأخير فى قوله :

إذا ترحلت عن قوم وقد قـدروا ألاَّ تفارقهم فالـراحلون همُ[١]

قال أبو هفّان المِهْزَمِيّ[٢] :

جلستَ فقام الدهر فيما تريده ونِمتَ عن الأشغال والجَدُّ ساهر
وأنت لأرباب المـكارم كلهم إمام وإن غابوا فإنك حاضر

قال المتنبي :

ودانت له الدنيا فأصبح جالسا وأيامـه فـيما يريد قيـام
وكـل أناسٍ يتبعون إمامهم وأنت لأهل المكرمـات إمام

قال العميدى : أترى يخفى على النساء دون الرجال هذا وما يجرى مجراه أنه سرقة ؟ قال عبد الله بن محمد الرقى المكى بابن[٣] عمران :

صينت ظهورُ مطايانا لغيبتـه فليس يركبها من بعده أحد
من يصحب الدهر لم يأمن تقلبه يعيش حيرانَ حتى ينفذ الأبدُ

قال المتنبي :

نزلنا عن الأكوار نمشى كرامة لمن بان عنا أن نُلمَّ به ركبـا
ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت على عينه حتى يرى صدقها كِذْبا[٤]

---

(١) من قول أبى تمام .

وما القفر بالبيد القواء بل التى نبت بى وفيها ساكنوها هى القفر

(٢) أبو هفان المهزمى : فى الأصول : ابن هفان المهزوىّ وهو تحريف والصواب ما أثبتناه . وأبو هفان هو : عبد الله بن أحمد بن حرب أبو هفان المهزمى العبدى الشاعر كان من أهل البصرة وسكن بغداد وله محل كبير فى الأدب حدث عن الأصمعى . انظر تاريخ بغداد (٩ : ٣٧٠) هفان بفتح الهاء وكسرها (عن التاج) والمهزمى نسبة إلى مهزم بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الزاى

(٣) عبد الله بن محمد الرقى المكى بابن عمران : فى الإبانة للعميدى ص٧٦ أنه عبد الله بن محمد الرقى المكى بابن حمدان يعزى صديقاً له وذكر البيتين وفى ن. الجامعة لوحة ٩ ب عبيد الله بن محمد الرقى المكى بابن حمدان وحرف الدال يقرب من الراء .

(٤) فيه نظر إلى قول أبى نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

قال إسماعيل بن محمد الرادانى[1] يمدح الحسن بن وهب :

كأنما الناس مخلوقون من ظُلَم ... وأنتَ وحدَك مخلوقٌ من النورِ
تهتزّ كالغصن عندالجودِ من طرب[2] ... وتستعين[3] بقلب غير مذعور

قال المتنبى :

فلو خلق الناس من دهــرهم ... لكانوا الظــلام وكنتَ النهارا
أشــدُّهم فى النــدى هِزةً ... وأبعــدهم فى علوّ مُغــارا

قال الهرمزى[4] :

سَقِم المجد مذ سقمت ، ويبرا ... حــين تبرا ، وبالأعادى السَّقامُ
وإذا ما سلمت فالناس طــرًّا ... سلمــوا مثلما سلمت وقاموا

قال المتنبى :

المجد عُوفى مذ عوفيت والكــرم ... وزال عنك إلى أعدائك الألم

قال سعيد الخطيب[5] :

وماكنت أدرى أن فى كفك الغنى ... وأنك قد أصبحتَ للمجد عنصرا
وقد كنتُ فى ليل من الشك مظلم ... إلى أن بدا صبح اليقــين فأسفرا
تبرعت بالأموال من غير كلفة ... وحزتَ بها عنى الثناء المحبرا

قال المتنبى :

وعادى محبيــه بقول عُــداته ... وأصبح فى ليل من الشك مظلم[6]

---

(١) إسماعيل بن محمد الرادانى : شاعر من أهل جرجان ذكره العميدى فى الإبانة ص ٧٧ . وفى ن الجامعة: إسماعيل بن محمد الباذانى من أهل جرجرايا وعقبت على بيتيه بقولها : وأبيات الجرجرانى مع بساطتها أسلم من أبيات المتنبى لتركه الإطباق فيها . لو ة ٢٤ ب .

(٢) ح ، د ه : كرم .

(٣) تستعين : كذا فى الإبانة للعميدى ص ٧٧ وهى محرفة فى جميع النسخ .

(٤) الهرمزى : هو الحسن بن مخلد من وزراء المعتمد ، وكان شاعراً روى له خبرا صاحب الموشح مع البحترى الشاعر ص ٣٤٠ ، وذكر له العميدى فى الإبانة ص ٧٩ ما أورده مؤلف الصبح

(٥) سعيد الخطيب : شاعر مطبوع الشعر كان فى أيام المعتصم ذكره العميدى فى الإبانة فى موضعين ص ٦٣ ، ٨٠ .

(٦) قبل هذا البيت :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتــاده من توهم

قال المستهل بن الكميت :

وإنى وإن أُلْبستُ ثوب خصاصة　　فلستُ لَعمرى للبخيل بمادح
ومن رام مدح الباخلين فإنــه　　ضعيفُ أساسِ العقل بادى القبائح [١]
نصحتك: لاتكرم علوًّا ولاتُهن　　صديقا لك الخيرات فاقبل نصائحى
وما أربى فى العيش لولا محبتى　　لنفع مُحب أو مَضرّة كاشح

قال المتنبى :

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها　　سرور محب أو إساءة مُجرم [٢]

قال البحترى :

إذا ما الجرح رُمّ [٣] على فساد　　تبين فيــه تفريط الطبيب

قال المتنبى :

فإن الجرح ينغر [٤] بعد حين　　إذا كان البناء على فساد

قال أبو العتاهية :

يا جامعَ المــال والآمال تخدعه　　خوفا من الفقر هذا الفقر والعَدَمُ
أسأت ظنك بالله الذى خضعت　　له الرقاب فشابت قلبَك الظُّلَم

ومعنى : وعادى محبيه . . . إلخ أنه لسوء ظنه ، وإسراعه إلى تصديق ما يتوهمه يصدق ما يسمعه من التهم فى حق من يصادقه ، ولو كان ذلك القول من عدوه فيعادى من يحبونه بوشاية أعدائه ، ويشك فى كل أحد فلا يتبين له الصديق من غيره .

(١) حـ ، د ، هـ : المفاضح .

(٢) المقابلة فى البيت ليست دقيقة

(٣) رم الشىء : أصلحه .

(٤) نغر الجرح : إذا هاج وورم بعد الجبر . الديوان ، ب : ينفر بالفاء .
والبيت مثل : أى أنهم يطوون لك العداوة فى أنفسهم إلى أن تمكنهم الفرصة فلا تبقهم . يدل على على ذلك ما قبله :

فلا تغررك ألسنة مــوال　　تقلبهن أفئــدة أعادى
وكن كالموت لا يرثى لباك　　بكى منه ويروى وهــو صادى

قال ابن الرومى :

ومن راح ذا فقر وبخل فإنه   فقير أتاه البخل من كل جانب[١]

قال المتنبى :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله   مخافة فقر فالذى فعل الفقر[٢]

قال أحمد بن مهران الكاتب[٣] :

أتانى كتاب منك فيه بلاغةٌ   يعظمها عُجباً به كل كاتب
معان كأخلاق الكرام حميدةٌ   صحاحٌ بألفاظ كزُهر الكواكب

قال المتنبى :

كأن المعانى فى فصاحة لفظهـا   نجومُ الثريا أو خلائقُك الزُّهرُ

قال أبو أحمد الخراسانى[٤] :

وليس يضرنى ضعفٌ وفقـر   إذا أنفقت مالى فى المعـالى
رأيت العار فى بخـل وكبر   ولست أراه فى فقر الرجـال

قال المتنبى :

غثاثةُ عيشى أن تَغِثَّ كرامتى   وليس بغثٍّ أن تغث المآكل[٥]

---

(١) الديوان: ومن راح ذا حرص وجبن   أتاه الفقر من كل جانب
ون . الجامعة : ومن راح ذا فقر وبخل .

(٢) من قول الآخر :

أمن خوف فقر تعجلته   تؤخـر إنفاق ما تجمع
فصرت الفقير وأنت الغنى   وما كنت تعدو الذى تصنع

ومثله :

يخوفنى بالفقر قوم وما دروا   بأن الذى فيه أفاضوا هو العسر
فقلت لهم لما لحونى وأكثروا   ألا إن خوف الفقر عندى هو الفقر

(٣) أحمد بن مهران الكاتب ذكره العميدى فى الإبانة ص ٨٣ وأورد له البيتين وفى ن . الجامعة : محمد .

(٤) كذا ورد اسمه فى « ا » والعميدى فى الإبانة ص ٤١ ، ٥٥ وفى سائر النسخ « أبو محمد » وفى ن . الجامعة لوحه ٥٠ ا : أبو محمد الحسين بن تختاخ الخراسانى وهو كثير المدح للرشيد ولغيره .

(٥) الغثاثة : الهزال ، وهو من قول الحكيم : فقر النفس أشد من فقر الملك والمال .

قال العميدى لقد صار هذا غثًّا لاجتماع الغثاثات فيه .

قال ابن وهب الفزارى وهو جاهلى[١] :

أرى الموت فى الحرب مثل الحياة ... لتبليغىَ النفس فيها الأملْ
وأعلم أنى امرؤ لا أذو ... ق طعم الممات بغير الأجل

قال المتنبى :

فوقى فى الوغى عيشى لأنى ... رأيت الموت فى أربِ النفوس

قال تميم بن خزيمة[٢] :

وليس يَضرُّنى قومى إذا ما ... غزاهم فى ديارهمُ كلابُ
زنادى غيرُ مُصلدة وسيفى ... عليه من دمائهمُ قِرابُ
فلا تستحقرونى لانفرادى ... فإن التبر معدنهُ التّرابُ

قال المتنبى :

وما أنا منهمُ بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرَّغامُ

قال بشار بن برد :

إذا اعتذر الجانى إلىّ عذرته ... ولا سيما إن لم يكن قد تعمدا
فمن عاتب الجهالَ أتعب نفسَه ... ومن لام من لا يعرفُ اللومَ أفسدا

قال المتنبى .

وما كلٌّ بمعذور ببُخل ... ولا كلٌّ على بخل يُلام[٣]

---

(١) ابن وهب الفزارى : زادت النسخة « ب » وهو جاهلى ، وفى الإبانة أنه كان يسمى الحبيس، وهو جاهلى حضر حرب داحس والغبراء . وفى ن. الجامعة لوحة ٢٩ ب: حنش بن وهب . . . ثم قالت بعد بيتيه وبيت المتنبى : وبين هذا البيت والأبيات التى تقدمت بون بعيد .

(٢) تميم بن خزيمة : ذكره العميدى فى الإبانة ص ٨٦ ونعته بقوله : وهو مطبوع الشعر وأورد له هذه الأبيات .

(٣) فى هذا البيت تفسيران : أحدهما ليس كل أحد يعذر إذا بخل لأن الغنى لا عذر له فى المنع والبخل ، وليس كل أحد يلام على البخل فالمعسر المحتاج إلى ما فى يده لا يلام على بخله ، والوجه الآخر أن الذى لا يعذر فى بخله من ولدته الكرام ، والذى لا يلام فى بخله من ولده اللئام ويكون على هذا من قول الطائى :

لكل من بنى حواء عذر ... ولا عذر لطائى لئيم

قال العميدى متهكمًا : هذه الألفاظ إذا سمعها الصوفية تواجدوا عليها لمجانستها كلامهم قال أبو سعيد[١] المخزومىّ :

لم يتْرك الجودُ فيه غيرَ عادته ولم يشِن وعدَه كِذْبٌ ولاخلَف[٢]
فلا يلام على إتلافه كرما أموالَه والذى لم يعْطه تلَف
حفظ المروءة يؤذى قلب صاحبها والحب مغرًى بهالمستَهتَرُ الكلَف

قال المتنبى :

تلَذ له المروءةُ وهى تُؤذى ومن يعشَقْ يلَذُّ له الغرامُ

قلت بيت المتنبى أشرف[٣] من بيت أبى سعيد المخزومى لمن تأملهما إلا أن لفظه تؤذى آذت بيت المتنبى لضعف تركيبها فيه .

وبيان[٤] ذلك: أن هذه اللفظةَ إذا أُوردَتْ فى كلام ، فينبغى أن تكون مندرجة مع ما يأتى بعدها ليحسن موقعها ، كما وردت فى قوله تعالى : (إن ذلكم كان يؤذى النبىّ فيستحيى منكم) ، وجاءت فى بيت المتنبى منقطعة ، وقد جاءت هذه اللفظة بعينها فى الحديث النبوى ، وأضيف لها كاف الخطاب ، فأزال ما بها من الضعف والركة ، وذاك أنه اشتكى النبىّ صلى الله عليه وسلم فجاء جبريلُ عليه السلام فقال: (باسم الله أرقيك من كل داء يُؤذيك) ، فإنه لما زيد فيها أصلحها وحسنها ؛ ولهذا تزاد الهاء فى بعض المواضع كقوله تعالى : (ما أغنى عنى ماليَهْ هلك عنى سلطانيَهْ) ، وهذا الموضع غامض يحتاج إلى إمعان نظر ، وربما يُنكِر هذا مَن لم يذق طعم الفصاحة ، ولا عرف أسرار الألفاظ فى تركيبها وانفرادها فكم من لفظة واحدة وردت فى موضعين زانت أحدَهما ، وشانت الآخر ، وذلك من خاصة التركيب ، كما ورد فى القرآن الكريم: (إن هذا أخى له تسعٌ وتسعون نعجةً ولى نعجةٌ واحدةٌ) فلفظه (لى) مثل (تؤذى) ، وقد جاءت فى الآية مندرجة

---

(١) ا ، ب : أبو سعد

(٢) ا ، حـ : خلف .

(٣) هامش ب : أسرف بالسين المهملة

(٤) الكلام من هنا إلى قوله: «ورجع إلى ما قاله العميدى» منقول بتصرف كثير عن المثل السائر لابن الأثير ، طبعة الحلبى الجزء الأول ص ١٤٢ — ١٤٨ .

متعلقة بما بعدها ، وإذا جاءت منقطة لا تجيء لائقة ، كقول أبي الطيب المتنبي :

تُمسى الأمانيّ صرعى دون مبلغهِ فما يقول لشيء ليت ذلك لى

فهذه اللفظة وقعت فى الآية فى غاية الحسن ، بخلاف وقوعها فى البيت ، ونظير ذلك أنك ترى لفظتين يدلان على معنى واحد إلا أنه لا يحسنُ استعمالُ هذه فى موضع تستعمل فيه هذه ، بل يفرق بينهما ، وهذا لا يُدركه إلا من دق فهمُه ، فمن ذلك قوله تعالى : (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) ، وقوله تعالى : (رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً) ، فاستعمل الجوفَ فى الأولى ، والبطن فى الثانية ، ولم يستعمل إحداهما مكان الأخرى ، وكذلك قوله تعالى : (ما كذب الفؤاد ما رأى) ، وقوله : (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) ، والقلبُ والفؤادُ سواء ، ولم يستعمل أحدهما فى مكان الآخر ، وعلى هذا ورد قول الحماسى [١] :

نحن بنو الموتِ إذا الموتُ نزلْ لا عارَ بالموتِ إذا حُمّ الأجَلْ

والموت أحلى عندنا من العسلْ

وقال أبو الطيب :

إذا شئتُ حفّتْ بى على كل سابح رجالٌ كأن الموتَ فى فمها شهدُ

فلفظة الشهد فى بيت أبى الطيب أحلى من العسل ، وقد وردت لفظة العسل فى القرآن الكريم دون لفظة الشهد فوقعت أحسن من الشهد ، وكثيراً ما تجد ذلك فى أقوال الشعراء المفْلِقين ، وبلغاء الكُتّاب ، ومصاقع الخطباء ، وتحته [٢] دقائق ورموز .

رجع إلى ما قاله العميدى ، قال : قال ضمضم الكلابى [٣] :

ومُعْتَرك ضَنْكِ المجال شهدته ولم أخش أسباب المنايا هنالكا

---

(١) هذه ثلاثة أبيات من مشطور الرجز اختارها أبو تمام فى الحماسة ونسبها إلى الأعرج المعنى (نسبة إلى معن) الطائى أو إلى عمرو بن يثربى . شرح التبريزى على الحماسة ج ١ ص ٢٨٠ .

(٢) كذا فى ب . وفى سائر النسخ : ما تحته .

(٣) ضمضم بن الصلت بن المثنى أبو مهدى الكلابى شاعر وحفيده محمد بن سعيد بن ضمضم

شفيتُ جوَى صدرى وصُنتُ عشيرتى ... وغادرتُ وجــهَ المجد أبيض ضاحكا
فمن شاء أن يبقَى له العــزُّ خالداً ... نفى الضيمَ واستسقَى السيوفَ البواتكا
إذا لم يكن عن قبضة الموتِ مخلَصٌ ... فعجزٌ وجبنٌ أن تخــافَ المهالكا

قال المتنبى :

وإذا لم يكن من الموت بُدّ ... فمن العجز أن تكون جبانا[1]

قال أبو العتاهية :

إنى أكاشر أعــدائى مغالطة ... وفى الحشا لهبٌ من غيظهم ضَرِمُ
ولج فى العــذل أقوام مقتهمُ ... وكان[2] فى أذنى عن عذلهم صَمَمُ

قال المتنبى :

كأن رقيبًا منــك سدّ مسامعى ... عن العذل حتى ليس يدخلُها عَذْل[3]

قال بشار بن بُرد :

كأن جفُونى كانت العِيسُ فوقها ... فسارتْ وسالتْ بعدهن المدامعُ

قال المتنبى :

كأن العِيسَ كانت فوق جفنى ... مُناخات فلما ثُرْن سالا[4]

= شاعر فصيح أعرابى مدح محمد بن عبدالله بن طاهر ورثاه بعد وفاته وبقى محمد هذا إلى قبيل الثمانين والمائتين . (معجم الشعراء ٤٥٨) .

(١) هو من قول خالد بن الوليد لما حضره الموت : فى جسدى مائة طعنة وضربة وهأنذا أموت على فراشى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء .

(٢) جميع النسخ : كأن . وقد زدنا « واوا » قبلها بعد حذف الهمزة ليستقيم الوزن والإعراب .

(٣) من قول العباس بن الأحنف :

أقامت على قلبى رقيباً وناظرى ... فليس يؤدى عن سواها إلى قلبى

ولمحمد بن داود :

كأن رقيباً منك يرعى خواطرى ... وآخــر يرعى ناظرى ولسانى

(٤) حـ : سرن . ومعنى ثرن : نهضن للمسير وهذا البيت مبنى على ما قبله وهو :

تولــوا بغتة فكأن بينــاً ... تهيبنى ففاجأنى اغتيــالا
فكان مسير عيسهم ذميــلا ... وسير الدمــع إثرهم انهمالا

يقول : كنت لا أبكى قبل فراقهم ، فكأن مطاياهم كانت باركة فوق جفنى تمسك الدمع عن =

قال هرون بن على بن يحيى بن أبى منصور المنجم[١]

أرى الصبح فيها منذ فارقتَ مظلمـــا فان أبْتَ صار الليـــل أبيض ناصعا

قال المتنبى :

فالليـــل حين قدمتَ فيها أبيضُ والصبح منذُ رحلتَ عنها أسودُ[٢]

قال العَوْنى :

إن دهراً سخا بمثلك سَمْحٌ ولقد كان قبل هـــذا بخيلا[٣]

قال المتنبى :

أعدى الزمانَ سخاؤه فسخا به ولقد يكون به الزمانُ بخيلا[٤]

قال الخطيب[٥] فى تلخيص المفتاح ، وإن كان الثانى[٦] دون الأول فالثانى مذموم كقول أبى تمام :

هيهات لا يأتى الزمانُ بمثله إن الزمـــان بمثلـــه لبخيل

= السيل ، فلما رحلوا سال دمعى ، فكأنها ثارت من فوق جفنى .

قال ابن جنى : لم يقل فى سبب بكاء أظرف من هذا البيت ، وإن كنا لا نستسيغ هذا الخيال ، وهو بروك الإبل فوق جفنه .

(١) هرون بن على بن يحيى بن أبى منصور المنجم : أديب قليل الشعر من أهل بيت الفضل والأدب ولد فى سنة ٢٥١ هـ وتوفى سنة ٢٨٩ هـ وقد تقدم ذكر بعض بنى المنجم فى هامش رقم (١) ص ٢١٩ ، هامش (٥ ، ص ٢٢٥ .

(٢) الضمير فى « فيها » يعود على منبج بلد الممدوح : شجاع بن محمدالطائىالمنبجى ، والبيت منقول من قول الطائى :

وكانت وليس الصبح فيهـــا بأبيض وأضحت وليس الليل فيها بأسود

(٣) حـ ، د ، هـ : ذاك .

(٤) يعنى سخابه على وكان بخيلا به ، فلما أعداه سخاؤه أسعدنى الزمان بضمى إليه وهدايتى نحوه ، وهذا المعنى كثير كقول أبى تمام :

علمنى جـــودك السماح فما أبقيت شيئاً لدى من صلتك

وقول ابن الخياط :

لمست بكفى كفه أبتغى الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يعدى

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعـــدانى فأتلفت ما عندى

(٥) الخطيب : هو سعيد الخطيب وقد ترجمناه فيما سبق . والمفتاح : كتاب فى البلاغة .

(٦) الثانى أى الآخذ والناقل .

وقول أبي الطيب : ولقد يكون به الزمان بخيلا .

وميز الشارح بيت أبي تمام بعدة وجوه :

منها أن قول المتنبي : « ولقد يكون » لم يصب مَحَزَّه [١] ، إذ المعنى على المضيّ ، ومنها أن المضارع [٢] إذا كان على [٢] معناه أي يكون الزمان بهلاكه بخيلا ، لعلمه بأنه سبب لصلاح الدنيا ، ونظام العالم ، فَيَرِد : أنه إذا سخا به فقد بذ له ، فلم يبق له فى تصرفه حتّى يسمحَ بهلاكه أو يبخل ، ومنها أنه على تقدير تصحيح ذلك الوجه يكون فيه مضاف ، ولا قرينة تدل عليه .

ونقل عن أبي على الفارسى أنّ فى بيت أبي تمام تقصيراً ، لأن الغرض فى هذا النحو نفى المثل ، وأن يقال : إنه يعزُّ وإنه لا يكون ، فإذا جعل سبب فَقْدِ مثله بُخلُ الزمان به ، فقد أخلّ بالغرض ، وجوّز وجود المثل ، ولم يمنعه من حيث هو ، بل من [٣] حيث بخل الزمان بأن يجود بمثله . قال أبو الشمقمق [٤] :

المـــرء ليس بمـــدرك ... من دهره مـــا يبتغيـــه
يســقَى العليـــل من الدوا ... ء خلاف ما هو يشتهيه

قال المتنبي :

ما كل ما يتمنى المـــرءُ يُدركه ... تجرى الرياح بما لاتشتهى السفن

قال محمود بن الحسن الوراق [٥] :

لا تَلْحَ شيبي وما شاهدتَ من كبرى ... ما دمتُ أغدو صحيح العقل والبصر [٦]

---

(١) حـ ، د : محله

(٢ - ٢) « إذا كان على » ساقط من ب ، حـ ، د .

(٣) ساقطة من حـ ، د .

(٤) أبو الشمقمق : اسمه مروان بن محمد والشمقمق الطويل وهو مولى بنى أمية وكان عظيم الأنف أهرت الشدقين وكان غير جيد الشعر على إكثاره وفيه هجاء كثير وقد هاجى بشار بن برد وأبا العتاهية ومروان بن أبي حفصة وأبا نواس و بكر بن النطاح .

(٥) محمود بن الحسن الوراق : كذا فى ا ، تاريخ الخطيب البغدادى (١٣ : ٨٧) . وفى سائر النسخ : محمود بن الحسين . وفى فوات الوفيات (٢ : ٢٨٥) محمود بن حسن الوراق ، و يقول عنه : إنه شاعر أكثر شعره فى المواعظ والحكم ، روى عنه ابن أبي الدنيا وتوفى فى خلافة المعتصم فى حدود الثلاثين والمائتين .

(٦) لاتلح من لحاه إذا عابه وقبحه .

قالــوا : أبوك تميمـــى وهمتــه شمٌ القُتار وأكل الشحم بالوضَر[١]
ومــا تميم إذا عــدت أولِى كرمٍ فقلت فى النار معنى ليس فى الحجر

قال المتنبى :

فإن تكن تغلب الغلباءُ عنصرَهــا فإن فى الخمر معنى ليس فى العنب[٢]

قال العميدى هذا لفظ غَثّ عامىّ ، وذاك منطقى .

قلت بلغ منه تعصُّبُه أنــه ذم كلاماً أجمع أهل الأدب على حسنه .

قال مروان بن سعيد البصرى[٣] :

أغنيتنى عن سؤال الباخلين فلا أحتاج ما أنت تبقى لى إلى رجل
وصنتَ عرضى عمن كنتُ أقصدُه فلم أنل منه غير المنــع والبخَل
مالى وما لِثَمادِ المــال أقربُه فى لجة البحر ما يُغنى عن الوَشَل[٤]
أنت الذى فيك مجد الناس كلهم لولاك أصبحت الدنيا بلا رجل

قال المتنبى :

خد ما تراه ودع شيئاً سمعتَ به فى طلعة البدر ما يُغنيك عن زُحَل[٥]

---

(١) القتار : رائحة البخور والقدر . الوضر . وسخ الدسم واللبن .

(٢) البيت فى رثاء أخت سيف الدولة يقول : إن فيها من الكمال معانى ليست فى تغلب وهو كقوله

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغــزال

وكقوله :

فإن يك سيار بن مكرم انقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد

وهو تفضيل لها على قومها . الغلباء : الغلاظ الرقاب وصفهم بذلك لأنهم لا يخضعون لأحد ، وعجز البيت من جيد الكلام .

(٣) مروان بن سعيد البصرى : هو مروان بن سعيد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة بصرى من أصحاب الخليل ومن الحذاق بالنحو وكان شاعراً هاجى ابن عمه عبد الله بن محمد ابن أبى عيينة وله معه مناقضات (معجم الشعراء ٣٩٩) وبغية الوعاة للسيوطى .

(٤) الثماد : الماء القليل .

(٥) زحل : أعلى الكواكب السيارة ويسمى « كيوان » .

قال كعب بن مَعْدان الأشقرى[١] :

كأن الرماح السمهريات بينهم هموم فما يطرُقن غير الحشا طَرْقا
حُماةٌ كُماةٌ لم يُزَنّوا[٢] بريبة ولا غدَرُوا يوما ولا ضيّعوا حقا

قال المتنبى :

وقد صُغتَ الأسنةَ من هموم فما يخطُرن إلا فى فــؤاد[٣]

---

(١) كعب بن معدان الأشقرى : شاعر أزدى سكن خراسان واستفرغ شعره فى مدح المهلب وولده « معجم الشعراء للمرزبانى ٣٤٦ » .

(٢) لم يزنوا : لم يتهموا .

(٣) قبله : كأن الهام فى الهيجاء عيون وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقال هذا المعنى جماعة منهم منصور النمرى قال :

وكأن موقعــه بجمجمــة الفتى سكر المدامــة أو نعاس الهاجع

وبيت المتنبى من قول دعبل فى على كرم الله وجهه :

كأن سنانه أبدا ضمــير فليس له عن القلب انقلاب
وصارمه كبيعتــه بخم فمــوضعها من الناس الرقاب

« خم » بضم الخاء وتشديد الميم : مكان .

جاء فى معجم الأدباء فى ترجمة الناشى : حدث الناشى قال : كنت بالكوفة سنة ٣٢٥ هـ وأنا أملى شعرى فى المسجد الجامع بها والناس يكتبون عنى وكان المتنبى إذ ذاك يحضر معهم وهو بعد لم يعرف ولم يلقب بالمتنبى فأمليت القصيدة التى أولها :

بآل محمد عرف الصواب وفى أبيــاتهم نزل الكتاب

وقلت فيها :

كأن سنان ذابله ضمير فليس عن القلوب له ذهــاب
وصــــارمه كبيعـــته بخم مقــاصدها من الخلق الرقاب

فلمحته يكتب هذين البيتين ، ومنها أخذ ما أنشدتمونى الآن من قوله :

كأن الهــام فى الهيجــاعيون وقــد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صغت الأسنة من هموم فــا يخطرن إلا فى فؤاد

قال الخالع : وأصل هذا لأبى تمام :

من كل أزرق نظــار بلا نظر إلى المقاتل ما فى متنه أود
كأنه كان ترب الحب مذ زمن فليس يعجزه قلب ولا كبد

وعليه وقع المتنبى ، وسبق إلى ذلك ديك الجن أيضاً فى قوله :

قنا تنصب فى ثغــر التراق كما ينصب فى المقــل الرقاد

وأبيات المتنبى أمثل الجميع إذا تركت العصبية .

قال محمد بن العباس :

أما ترى الزعفرانَ الغضَّ تحسبُه وقت الصباح إذا أبصرتَه عنَما[١]
مسكٌ وورد ونَدٌّ طيبَ رائحة فى[٢] حالة وكذاك المسك كان دما

قال المتنبى :

وإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

قال على بن الجهم :

فدارى ومالى والضياع وكلُّ ما تملكتُه من بعض ما هو باذله[٣]

قال المتنبى :

أسيرُ إلى إقطاعه فى ثيابه على طِرْفِهِ من داره بحسامه[٤]

قال البحترى :

ملوك يَعدون الرماح مَخَاصرا إذا زعزعوها والدروع غلائلا[٥]

قال المتنبى :

متعوداً لُبس الدروع يخالها فى البرد خزاً والهواجر لاذا[٦]

قال الخبزأرزى :

وشادن زرتُه فرحب بى ترحيب جان على مواليه
جنيتُ ورداً من خدّه بفمى فعشتُ لا عاش من يعاديه
تُحيي رفاتَ العظام[٧] قُبلتُه لأن ماء الحياة من فيه

---

(١) العنم : أطراف الخروب الشامى الذى ينبت أخضر ثم تبدو الحمرة فى أطرافه قبل أن ينعقد فإذا عقد تفشته الحمرة كله وظهرت عقده ، وبه تشبه بنان الجوارى .

(٢) فى حالة : أى فى آن واحد

(٣) هذا البيت : ساقط من هـ .

(٤) د ، هـ : فى حسامه . الإقطاع : جمع قطع وهو ما يقطع . الطرف : الجواد .

(٥) حـ ، د ، هـ : غلائل .

(٦) فى ملح مساور بن محمد الرومى : الخز : ثوب غليظ . اللاذ : ثوب رقيق من الكتان أو من الحرير .

(٧) حـ ، ء ، هـ : العظام الرفات . الرفات : الحطام .

قال المتنبي :

فذُقتُ ماء حيــاة من مقبَّلِها — لو صاب تُرباً لأحيا سالفَ الأمم

قال أبو نواس :

يبكي فيُذرى الدرَّ من نرجس — ويَلطِمُ الــوردَ بعُنَّابِ

وقال ابن الرومى :

كأن تلك الدموعَ قَطْرُ نَدًى — تَقطر من نَرْجِس على وردِ

قال المتنبي :

ترنو إلىَّ بعين الظبي مُجْهشةً[1] — وتمسح الطل فوق الــورد بالعَنم

قال مَعْقلُ العِجْلىّ :

كم كتمتُ الهوى حياءً من النا — س وأخفيت لوعتى واحــتراقى
أعلنتْ عــبرتى سرائــر حبى — كيف تَخفى سرائرُ العشاقُ ؟

قال المتنبي :

وكاتم الحب يومَ البين منهتكٌ — وصاحبُ الدمع لا تَخفى سرائرُه

قال العَونى :

تحار خواطرُ المُدّاح فيه — ويعجز عن فضائله اللسان

وقال أيضًا :

تضلّ عقولُ الناس فى نعت فضله — ويغرق فى أمواج أفضاله الفكر

قال المتنبي :

إذا تغلغل فكرُ المرء فى طرَف — من مجده غرقت فيه خواطره

---

(١) المجهشة : المتهيئة للبكاء .

قال البحترى :

وبلوتُ منـــك خلائقا محمودة　　لو كن فى فلك لكن نجوما[١]

قال المتنبى :

أقلب منك طرفى فى سماء　　وإن طلعتْ كواكبها خصالا

قال العوفى :

وإنى ليسرى بى أغرُّ مُحجّل　　سُرًى لا يبالى فيه بالنحس والسَّعد
ويصحبنى من نسل أعوج ضُمَّرٌ　　عِتاقٌ هُداة لا تجورُ عن القصد[٢]
عليها كهـــولٌ دارعون تلثمـــوا　　حياءً فهم بالبعد فى صورة المُرْد

قال المتنبى :

تُبـــدل أيامى وعيـــشى ومنزلى　　نجائبُ لا يُفكـرْن فى النحس والسعد
وأوجـــهُ فتيـــان حياء تلثموا　　عليهـــن لا خوفا من الحر والبرد
وقال فى موضع آخر :　　كأنهمُ من طول ما التثموا مُرْدُ[٣]

* * *

قال السيد الحميرى :

وإن مسيرى من ذَراك ضرورةٌ　　ولولا اضطرارى ما رضيتُ بذالكا
وما رحلـــتى إلا تبشر عاجلا　　بأنى أقـــيم الدهرَ تحت ظلالكا

قال بعض المتقدمين :

سنرجـــع إن عشنا ونقضى أذمـــة　　فكم من فراق كان داعيةَ الوصل

---

(١) فى الأصل المخطوط « ا » وبلون بنون النسوة ولا مرجع لهذا الضمير فى القصيدة وقد ورد البيت فى الديوان :

وشكرت منك مواهبـــا محمـــودة　　لو سرن فى فلك لكن نجـــوما

ولذلك رأينا أن تكون : بلوت بالتاء لا بالنون .

والبيت من قصيدة فى مدح إبراهيم بن الحسن بن سهل .

(٢) أعوج : فرس شهير عند العرب . ضمر : جمع ضامر . العتاق : الكرام .

(٣) صدر هذا البيت : « سأطلب حقى بالقنا ومشايخ »

وقال أبو تمام :

أآلفة النحيب كم افتراق أظل فكان داعيةَ اجتماع

قال المتنبي :

لعل الله يجعله رحيلا يُعين على الإقامة فى ذَراكا [١]

قال ابن الرومى :

يرى الصعب سهلا إن توجه نحوه بعزم صقيل لا تُفَلُّ مضاربُه

وغُرَّة وجه يهزم النحسَ سعدُه وتَطلعُ فى أفق السعود كواكبه

قال المتنبي :

فإنك ما مر النحوسُ بكوكب وقابلتَه إلا ووجهُك سَعْدُه [٢]

قال الهيثم بنُ الأسود النَّخَعيّ :

إذا نال بالسيف الفتى سُؤل نفسه ترفع عن تدنيسها بسؤال

ومن لم يصن فى حاجة ماءَ وجهه عن الناس لم يلبس ثيابَ جلال

قال المتنبي :

من أطاق التماس شيء غلابا واغتصابا لم يلتمسه سؤالا

وقال موسى بن عمران :

أصبحت من معشر ما فى قلوبهمِ من السيوف ومن خوض الردى فَرَقُ

يستسهلون صعابَ الحادثات فهم يلقَوْنها بنفوس ما بها قلقُ

قال المتنبي :

وإنا لنلقى الحادثاتِ بأنفسٍ كثيرُ الرزايا عندهنّ قليلُ

---

(١) الذرا : الكنف والناحية

(٢) البيت من قصيدة فى مدح كافور أولها :

أود من الأيام ما لا توده وأشكو إليها بيننا وهى جنده

لِمَن هون الدنيا على النفس ساعة ... وللبيض فى هام الكماة صليلُ[1]

وقال البحترى :

كستك يدُ الأيام ثوبَ جلالـــة ... فغابت عواديها وزالتْ خطوبُها
إذا اعتل ذو فقر فأنت شفاؤه ... وإن شكتِ الدنيا فأنتَ طبيبُها

قال المتنبى :

وكيف تُعِلك الدنيــا بشىء ... وأنت لعلة الدنيــا طبيب ؟

قال ابن الرومى :

إن اقبلتْ فالبدر لاح وإن مشت ... فالمسك فاح وإن رنت فالريمُ

قال المتنبى :

بدت قمرًا ومالت خُوط [2] بان ... وفاحتْ عنبراً ورنت غزالا] [3]

قال مَخْلَد بن بكار الموصلى [4] :

لا عدمناه من همام كريم الـــعهد غمرِ الندى حميدِ الخصال
يُحسن الكرَّ فى الكلام وفى الإقـ ... ـدام يوم الوغى وعند النَّوال[5]

قال المتنبى :

هم المحسنون الكَرَّ فى حومةِ الوغى ... وأحسن منه كرُّهم فى المكارم

---

(١) بين البيتين خمسة أبيات والبيت الثانى من هذين لا يتضح معناه إلا بذكر سابقه وهو :
فإن تكن الدولات قسماً فإنهـــا ... لمن ورد الموت الزؤام تــدول
لمن هون الدنيا ...
والقصيدة فى مدح سيف الدولة ومطلعهـــا
ليـــالى بعد الظاعنين شكول ... طـــوال وليل العاشقين طويل
(٢) الخوط : الغصن الناعم .
(٣) ما بين القوسين وأولها فى ص ٢٥٥ ساقط من سائر النسخ . وهى : ب ، حـ ، د ، هـ .
(٤) مخلد بن بكار الموصلى : شاعر معاصر لأبى تمام أقام بالموصل وأصله من الرحبة كان بينه وبين أبى تمام الشاعر أهاج ، وقد عقد الصولى فى كتاب أخبار أبى تمام فصلا فى أخبار مخلد مع أبى تمام ص ٢٤٣ وما بعدها وضبط فى الأغانى وسمط اللآلى مخلد بوزن جعفر . هامش أخبار أبى تمام ص ٢٣١
(٥) حـ ، د ، هـ : النزال .

قال أبو العتاهية :

أجدادُه علَّمـوه فى طفولته　　قتل العِدا واكتسابَ الحمدِ بالجود
فاجتثَّ دابر أعداء ذوى حسد　　وفى السماحة أفنى كلَّ موجود

قال المتنبى :

فتى علمتْـه نفسُه وجدودُه　　قِراعَ الأعادى وابتدار[1] الرغائب
ألا أيها المالُ الذى قد أباده　　تَعَزَّ فهـذا فعلُه فى الكتائبِ

قال بشار بن بُرد :

لعمرى لقد هذبتُ قولى ولم أدع　　مقالات لمغتاب ودعوى لمن لَحا
ومن كان ذا فهم بليـد وعقـله　　به عِلةٌ عاب الكلام المنقحا

قال المتنبى :

وكم من عائب قولا صحيحًا　　وآفتـه من الفهم السقيم

قال عبد الرحمن بن دارة[2] :

فإن أنتمُ لم تقتـلوا بأخيـكمُ　　فكونوا بقايا للخَلوق[3] وللكُحل
وبيعـوا الردينيات بالخمر واقعدوا　　على العار وابتاعوا المغازل بالنَّبل

قال الناشى الأكبر :

إن كنت بالذل راضيًا فأرِحْ　　فى الجَفْن حدَّ المهند الخذِم[4]
فالمرءُ بالجـود والشجاعة والـ　　ـهمة يحوى محاسنَ الكـرمِ

---

(١) فى الديوان : ابتذال وهو قريب من البذل والبيتان غير متتاليين وهما من قصيدة يمدح بها طاهر بن الحسين العلوى أولها :

أعيـدوا صباحى فهو عند الكواعب　　وردوا رقادى فهو لحظ الحبائب

(٢) عبد الرحمن بن دارة : ترجم له ولأخيه سالم معجم الشعراء، وهما من بنى عبد الله بن غطفان وقال عنهما : شاعران محسنان ، قد كتبت أشعارهما وأخبارهما فيما تنخلته من أشعار بنى عبد الله بن غطفان ، ودارة أمهما وهى امرأة من بنى أسد ، سميت بذلك لأنها كانت جميلة شبهت بدارة القمر .

(٣) الخلوق : الطيب .

(٤) الخذم : القاطع .

قال المتنبى :

إذا كنتَ ترضى أن تعيشَ بذلة ... فلا تستعِدَّنَّ الحسُام اليمانيـا

ولا تستطيلنَّ الرمــاحَ لغارةٍ ... ولا تستجيدنَّ العِتاقَ المذَاكيا[١]

قال بشار بن بُرْد :

والجِد ليس بزائد فى رزق مَن ... يسعى وليس بنائم عن نائم

ويموتُ راعى الضأن عند تمامه ... موت الطبيب الفيلسوف العالم

قال المتنبى :

يموتُ راعى الضأن فى جهلــه ... ميتــة جالينوس فى طبــهِ[٢]

وقال الخبزأرزى :

إن نفسى تذوبُ فى كل حين ... حسراتٍ ومن جفــونى تسيلُ

وقال الْجَهْمِى[٣] :

وليس الذى يجرى من العين ماؤها ... ولكنها روحٌ تذوبُ فتقْطُر

وقال الواسطى[٤] :

وقائلة : أىُّ الدماء التى غدتْ ... تجود بها عند الوداع المحاجرُ

فقلت لها : نار الحشا صعَّدتْ بها ... فهن على خدىَّ بيض بوادر

ألم تَرَ حسنَ الورد يبيضّ ماؤه ... فيقطرُ من نار تُجِنّ الضمائر

وقال الجُعْفى الكوفى :

دمعى جرى من جفونى يوم بينهمُ ... فلستُ أعلم دمعى كان أم روحى ؟

---

(١) استعد الحسام : أعده واتخذه عدة . المذاكى : الخيل التى اكتملت قوتها .

(٢) جالينوس : طبيب يونانى قديم .

(٣) حـ ، د ، هـ : على الجهمى .

(٤) الواسطى هو محمد بن يعقوب المكنى بأبى جعفر ويعرف بمثقال، نزل بغداد وغلب على شعره مع قلته الهجاء والرفث وكان من أصحاب ابن الرومى أول أمره ينحله أشعاره فى هجاء القحطبى وغيره (معجم الشعراء ص ٤٤٨)

وقال بشار :

حشاشتى[١] ودعتنى يومَ بينهم — وشيعتهمْ وخلتنى وأحزانى
وقد أشاروا بتسليم على حذر — من الرقيب بأطراف وأجفان

قال المتنبى :

حشاشة نفس ودعتْ يوم ودّعوا — فلم أدر أىَّ الظاعنين أشيع ؟
أشاروا بتسليم فجُدنا بأنفس — تسيلُ من الآماق والسُّمُ[٢] أدمع

قال أبو العتاهية :

قد صار يحسُدنى من كان يَعذِرنى — فيه ، ويعذِرنى رهطى وأضدادى
والسقمُ لازمنى حتى أنِستُ به — وفرَّ منى أطبائى وعُوّادى

قال المتنبى :

عواذلُ ذاتِ الخال فىّ حواسدُ — وإن ضجيع الخَوْدِ منى لماجدُ[٣]
ألح علىّ السقمُ حتى ألِفتُه — وملَّ طبيبى جانبى والعوائدُ

قال أبو الشّيص[٤] :

دعتنى جفونُك حتى عشقتُ — ولم أكُ من قبلها أعشقُ
فدمعى يسيلُ[٥] وصبرى يزولُ — وجسمىَ فى عبرتى يغرقُ

---

(١) حـ ، د ، هـ : حشاشة : بالتنوين

(٢) السم : مخففة لغة فى الاسم أى أن نفسى تسيل من عينى حين أشار أحبتى التسليم والوداع واسمها دموع ، ومن أبدع ما جاء فى هذا المعنى قول ديك الجن :

ليس ذا الدمع دمع عينى ولكن — هى نفسى تذيبها أنفاسى

(٣) العواذل : اللوائم . الخود : المرأة الناعمة .

والمعنى أن اللواتى يعذلن هذه المرأة فى محبتها لى هن حاسدات لها على لأنها ظفرت منى بضجيع ما جد ويجده فى عفته عنها مع اقتداره على ألا يعف وقد بين ذلك فيما يلى هذا البيت :

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر — ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

(٤) تقدمت ترجمته .

(٥) حـ ، د ، هـ : يسير وهو غير مناسب

قال المتنبي :

وما كنت ممن يدخل العشقُ قلبه ولكن من يُبصِرْ جفونَك يعشَق

قال السيد الحميرى :

همة تنطح الثريا وعــزٌ نبوى يُزعزع[١] الأجبالا
وعطاءٌ إذا تأخر عنه سائلوه اقتضاهُم استعجالا

قال المتنبي :

شرف ينطح النجوم بِرَوْقَيـ ـه وعــزٌ يقلقل الأجبـالا[٢]

قال صاحب نصر بن سيار :

طال عتبُ الزمانِ ظلماً علينا وجفانـا فمـا لـه إعتابُ
فأجِـرْنا مِنِ عَتْبِـه وأذاه أنت ترجـى لمثلـه وتهاب
ما لنا مُنصفٌ سواك فيُشْكَى[٣] أنت كالنصل والملوكُ قِراب

قال المتنبي :

لنا عند هذا الدهر حق يلُطّه وقد قل إعتاب وطال عتابُ[٤]
ولا مُلْكَ إلا أنت والمُلكُ فضلة كأنك سيف فيه وهْو قِراب[٥]

قال إبراهيم بن متمم بن نويرة :

والخيلُ قد نسجتْ على صهواتها أيدى الرياح براقعا وجِلالا[٦]
ضاقت عليهن الفلاةُ فلا ترى من كثْرة القتلى لهن مجـالا

---

(١) حـ ، د ، هـ : يقلقل .
(٢) الروق : القرن . وهذا خيال غير مستساغ لأن إثبات قرنين للشرف مما ينفر منه .
(٣) كذا فى ا ، ب ، والمعنى : يشكى إليه . وشكيت لغة فى شكوت . حـ ، د ، هـ : فنشكى .
(٤) أعتبه : أزال عتبه أى أرضاه . يلطه : يجحده .
(٥) معنى البيت أنت الملك حقاً لاما أنت فيه من سؤدد لأنك أنت الذى حصلته بعلو همتك .
(٦) جلالا ، بكسر الجيم : جمع « جل » وهو ما يوضع على ظهر الفرس .

قال المتنبي :

صافيات(١) الألوان قد نسج النقـ	ـعُ عليهـا بَراقعا وجِلالا
ولتَمْضِنَّ حيث لا يجد الرمـ	ح مداراً ولا الحصان مجالا (٢)

قال بشار بن بُرْد :

حظى من الخير منحوس وأعجبُ ما	أراه أنى على الحِرْمان مَحْسود (٣)
أغدو وأمسى وآمالى قطعتُ بها	عمرى تخيب وأموالى المواعيد
وأكرمُ الناس من تأتى مواهبه	من غيرِ وعد وفيه الخيرُ موجود(٤)

قال المتنبي :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها	أنى بما أنا باك منه محسود
أمسيت أرْوَحَ مُثْرٍ خازنا ويدا	أنا الغنى وأموالى المواعيد
جود الرجال من الأيدى وجودهُم	من اللسان فلا كانوا ولا الجود

قال العميدى: من قال إن هذا غير مأخوذ من كلام بشار فقد عدم الفطنة والتمييز ، وجميع الرشاد والتوفيق ، وجهل مواقع الأخذ ، واحتاج أن يُسقَى شربةً تشحذ فهمَه ، وتجلو طبعه ، وتُزيل العِيَّ عنه .

قال محمد بن أبى عيينة المهلبى(٥) :

إنى لأختار الحمـا	م على مصاحبة اللئامِ

(١) الديوان : خافيات .

(٢) قبل هذا البيت :

حالفته صدورها والعوالى لتخوضن دونه الأهوالا

فالضمير فى « لتمضن » لصدور الخيل وعوالى الرماح وكان الوجه أن يقول : لتمضين وحكى الكوفيون حذف الياء مع تسكينها والمعنى أنها حالفته على أن تفعل ما يعجز عنه غيرها من الخيل والرماح .

(٣) جميع النسخ : وأعجب ما أنى أراه والوزن مستقيم ولكن الأسلوب غير مستقيم .

(٤) نسب هذا البيت فى سائر النسخ للمتنبى والصواب أنه لبشار

(٥) محمد بن أبى عيينة : من آل المهلب الشعراء الذين ذكرهم ابن النديم فى الفهرست ص ٢٣٣ وهو والد عبد الله بن محمد بن أبى عيينة الذى سبق التعريف به وذكره محمد بن يحيى الصولى فى أخبار أبى تمام ص ١١٨ طبع القاهرة ووازن بينه وبين أبى تمام فى الشعر إذ وصفه بأنه شاعر مطبوع يتكلم بطبعه ولا يكد فكره ، ويخرج ألفاظه مخرج نفسه ، وأبو تمام يتعب نفسه ، ويكد طبعه ويطيل فكره ، ويعمل المعانى ويستنبطها .

وأفر منهـــم ما جيـ ت ولا أفـر من الحسامِ
نفسى الكريمة لا تَقَرُّ عـــلى المذلة والمــلامِ
والموت أطيب فى فمى عند الهوان من المدامِ

قال المتنبى :

وعندها لَذَّ طعمَ الموتِ شاربُه إن المنية عند الذلّ قِنديدُ[1]

قال أبو العتاهية :

أزُفّ أبكار أشعارى إليك فما عندى سوى الشكر لاخيلٌ ولامال
فاقبل هديـــة من تصفو مودته إن لم تساعده فيما رامه الحـــال

قال المتنبى :

لا خيلَ عندكَ تُهديها ولا مال فليسْعد النطقُ إنلميسعدالحالُ[2]

قال على بن الجهم :

ولاخير فى عيش امرئ وهو خامل وذكرُ الفتى بالخير عمر مُجَدَّد
فنبه عن النوم الحسامَ ولا تنم لتبقى فما فى الأرض شىءٌ مُخلّد

قال المتنبى :

ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته ما قاته[3] وفضولُ العيش أشغال

---

(١) وعندها : أى وعند الحال التى يشير إليها بقوله :

جوعان يأكل من زادى ويمسكنى لكى يقال عظيم القدر مقصود
ويلمهـــا خطـــة ويلم قائلها لمثلهـــا خلق المهرية القـــود

القنديد : عسل قصب السكر ، والخمر .

سائر النسخ : قنديل مكان قنديد ، تحريف .

(٢) هو مطلع قصيدة فى مدح أبى شجاع فاتك المعروف بالمجنون ، وقد أخذ على الشاعر قبح المطلع ، لأن السامع يكره هذا .

(٣) جميع النسخ : فاته بالفاء ، تحريف . والبيت كقول سالم بن وابصة :

غنى النفس ما يكفيك من سد خلة فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

قال سليمان الخزاعي :

فَطِنٌ بالـذي أُرِيدُ فقولي ليس يغني ولا سكوتي يَضرُّ

يسبق البـذلُ وعدَه فَنَداه ليس يَفنى وسُحْبُه ما تَغُرُّ

وقال بعض المتقدمين

أروحُ بلا شُغل وأغـدو بمثلِه وحسبُك بالتسليم مني تقاضيا

وقال العِرْزِمِيُّ* :

وإذا طلبتَ إلى كريم حاجةً هـاؤه يُغنيك والتسلـيمُ[1]

قال المتنبي :

وفي النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ سكوتي بيانٌ عنـدها وخطابُ

ومما ينتظم في هذا السلك قول بعض خدام واحدِ الدنيا ونَيِّرِ فَلَكِ العليا، من زينت بمدائحه غررُ الآداب ، المولى المخدوم[2] بهذا الكتاب، من قصيدة يمدحه بها ويهنئه بعيد الأضحى من سنة خمسين وألف :

يابن مَنْ مَالَه إذا كان قد عُدَّ م أولو الفضل في الفضائل ثاني

وهمـا النيران في كل مجـدٍ دونه في عُلـوه النـيرانِ

أنت أذكى الأنامِ طُرًّا وقد جئـ تُ وحالي تُغني عن التَّرجُمانِ

وإذا ما أعرتَني وحـيَ لحظٍ كنت أدرى مني بما في جَنَاني

مرما أورده العميدي

قال العميدي : قال سليمان بن[3] مهاجر البَجَلي الكوفي :

دقَّتْ* مضارِبُ سيفه فكأنه صبٌّ وأعناق الرجـال حبائبُ

---

* العرْزمي : هو أبو بكر العرزمي محمد بن عبيد الله من حضرموت ، كوفي أدرك الدولة العباسية وجل شعره آداب وأمثال ، وقد ذكر له معجم الشعراء ص ٤١٧ شيئاً من شعره .

(١) ورد هذا البيت في التبيان منسوباً إلى أبي بكر الخوارزمي ، وفي شرح الواحدي ص ٦٨٦ والوساطة (٢٨٢) أبو بكر العرزمي بكسر العين وسكون الراء وكسر الزاي . وفي جميع النسخ العروضي وهو مأخوذ من قول أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جدعان :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يوماً كفـاه من تعرضه الثنـاء

(٢) يريد بالمخدوم : المولى عبد الرحمن نجل الحسام، كما صرح به في مقدمة الكتاب، وقد عرفنا به في المقدمة .

(٣) ساقطة من الأصل . * ب : رقت جا، وهي ود .

وأسنةُ الأرماح يَحكى ضوءُها　　شمساً وأحشاء الرجالِ مغارب

قال المتنبي :

رقّتْ مضاربهُ فهــنّ كأنما　　يُبدين من عشق الرقاب نُحولا

والمتنبي وإن أخذ بعضَ معانى الأبياتِ التى أوردها العميدى فقد زاد من ألفاظه ما يحلو سماعهُ ، وتعذُبُ أنواعهُ ، ويَلطُفُ موقعهُ ، ويَخِف على القلوب موضعه ، ويصلُ إلى النفوس بلا تكلف ، ويمتزج بالأرواح بلا تعسف ، وكساها من عنده ملاحة ، فاستوفى شروط الكمال كُلَّها ، وأذهب كَلَّها ، ونظم محاسنهـا المتفرقةَ بحسن صنعته ، وأزال الكزازةَ عنها بحذقه وبراعته ، فصار أولى بها من مُبدِعها ، وأحق بأن يشهدَ له الفضلاءُ بانفراده بها ، بجلالة موقعها.

قال على بن منصور الحلبي المعروفُ بابن القارح[1] : كان أبو محمد[2] بن وكيع متأدباً ظريفاً ، ويقول الشعر ، وعمل كتاباً فى سرقات المتنبي ، وحاف عليه كثيراً ، وسألنى يوما أن أخرج معه ، واستصحب مغنياً وأمره ألا يغنى إلا بشعره فغنّى :　　قف

لــو كان كلُّ عليلٍ　　يــزداد مثلَك حُسنــا
لكان كــلُّ صحيح　　يودُّ لو كان مُضنى
يا أكملَ الناس حسْنــاً　　صِل أكمل الناس حزْنا
غنِيت عــنى ومالى　　وجــه به عنك أغنى

فقلت له : هل تثقل عليك المؤاخذة ؟ قال : لا . فقلت : إن أبياتك مسروقة :
الأول من قول بعضهم :

---

(١) على بن منصور الحلبي : هو على بن منصور بن طالب الحلبي الملقب دوخلة ، يعرف بابن القارح ، وهو الذى كتب إلى أبى العلاء رسالة مشهورة تعرف برسالة ابن القارح ، وأجابه عنها أبو العلاء برسالة الغفران . يكنى أبا الحسن ، وهو شيخ من شيوخ أهل الأدب ، كان ببغداد راوية للأخبار ، وحافظاً للغة والأشعار ، وكان تلميذاً لأبى على الفارسى ، ومولده بحلب سنة إحدى وخمسين وثلثمائة (١٥ : ٨٣ وما بعدها) معجم الأدباء .

(٢) جميع الأصول : محمد بن وكيع ، والصواب : أبو محمد الحسن بن على بن أحمد بن محمد ابن خلف الشاعر المصرى التنيسى المولود بجزيرة تنيس المتوفى بها سنة ٣٩٣هـ ، وهو شاعر بارع ، وعالم جامع ، يدل شعره على أنه كان على حظ كبير من الظرف ، وخفة الروح ، وأولع بوصف الزهر والخمر ، وله كتاب المنصف فى سرقات المتنبى ، ولم يطبع بعد .

فلو كان المريضُ يزيدُ حسناً كما تزدادُ أنت على السقام

لما عِيدَ المريض إذن وعُدَّتْ شِكايتُه مــن النِعمَ الجِسام

والثانى من قول رؤبة [١] :

سَلْمُ ما أنساكِ مــا حييت لو أشرب السلوانَ ما سَليتُ

مالى غنى عنك ولو غَنيتُ

فقال : والله ما سمعت بهذا . فقلت : إذا كان الأمرُ على هذا فاعذِر المتنبى على مثله ، ولا تبادر إلى الحط عليه ، ولا المؤاخذة له ، والمعانى يستدعى بعضها بعضًا .

كيف أمر المتنبى ابنه إجازة البيت بالإشارة

قال ياقوت : كان المتنبى يومًا جالسًا بواسط فدخل عليه بعض الناس ، فقال أريد أن تُجيز لنا هذا البيت ، وهو [٢] :

زارنا فى الظــلام يطلبُ سِترًا فافتضحنــا بنــوره فى الظلام

فرفع رأسه ، وكان ابنه المُحَسَّد واقفًا بين يديه ، وقال له : يا محسد : قد جاءك بالشمال ، فأته باليمين ، فقال ارتجالا :

فالتجأنا إلى حنادس شعــر سَتَرَتنا عن أعــين اللوّام

ومعنى قول المتنبى لولده جاءك بالشمال فأته باليمين ، أى أن اليسرى لا يتم بها عمل ، وباليمين تتم الأعمال . ومراده : أن المعنى يحتمل الزيادة ، فأوردْها ، وقد لطف فى[٣] الإشارة .

ابتداء ترجمته فى اليتيمة

وعقد الثعالبى لذكره بابا مستقلاً فى يتيمته فقال [٣] :

الباب الخامس فى ذكر أبى الطيب المتنبى وما له وعليه .

هو وإن كان كوفى المولد شامى المنشأ ، وبها تخرج ، ومنها خرج نادرة الفلك ، وواسطة عقد الدهر فى صناعة الشعر ، ثم هو شاعر سيف الدولة ،

---

(١) هو ابن العجاج ، اشتهر هو وأبوه بالرجز فى عصر بنى أمية .

(٢) ساقط من حـ ، د ، هـ .

(٣ — ٣) ساقط من سائر النسخ .

المنسوب إليه المشهور به[١] ، إذ هو الذى جذب[٢] بِضَبْعِه[٣] ، ورفع قدره ، ونَفَّق سعر شعره ، وألقى عليه شعاع سعادته حتى[٢] سار ذكره مسير الشمس والقمر ، وسافر كلامه فى البدو والحضر ، وكادت الليالى تنشده ، والأيام تحفظه ، كما قال :

وما الدهر إلا من رُواة قصائدى	إذا قلتُ شعراً أصبحَ الدهرُ منشدا
فسار به من لا يسير مشمّرًا	وغنَّى به من لا يغنى مُغَرِّدا

وكما قال :

ولى فيك ما لم يقُل قائلٌ	وما لم يَسِرْ قمر حيث سارا
وعندى لك الشُّرَّدُ السائرا	ت لا يختصصن من الأرض دارا
قواف إذا سِرْنَ عن مِقْوَلى[٤]	وثَبْنَ الجبالَ وخُضْنَ البحارا

وهذا من أحسن ما قيل فى وصف الشعر السائر ، وأبلغ منه قول على بن الجهم ، وهو[٥] :

ولكن إحسان الخليفة جعفر	دعانى إلى ماقلت فيه من الشعر
فسار مسيرَ الشمس فى كل بلدة	وهَبَّ هبوب الريح فى البر والبحر

فليس اليومَ مجالسُ الدرسِ أعمر بشعر أبى الطيب من مجالس الأنس ، ولا أقلام كُتاب الرسائل أجرى به من ألسنُ الخطباءِ فى المحافل ، ولا لحُون القوالين والمُغنين أشغل من كتب المؤلفين والمصنفين ، فقد ألفت الكتبُ فى تفسيره ، وحل مشكله وعويصه ، وكُسِرت[٦] الدفاترُ على ذكر جيده ورديئه ، وتكلم الأفاضل فى الوساطة بينه وبين خصومه ، والإفصاح عن أبكار كلامه وعُونه ،

---

(١) ساقطة من سائر النسخ .

(٢ — ٢) ساقط من نسخ الأصل .

(٣) الضبع : العضد كلها

(٤) كذا فى الديوان . والأصول : إذا سرن من مقولى .

(٥) ساقطة من سائر النسخ .

(٦) كذا فى ب ، من كسر الكتاب إذا قسمه أبواباً وفصولا . سائر النسخ : كثرت تحريف .

وتفرقوا فِرقا فى مدحه وذمه ، والقدح فيه ، والنضح عنه ، والتعصب له وعليه ، وذلك أدل دليل على وُفور فضلِه ، وتقدم قدمه ، وتفرده عن أهل زمانه بمَلْك رقاب القوافى ، ورِقّ المعانى ، فالكامل من عدت سقطاته ، والسعيد من حسبت هفواته.

ذكر شروح ديوان المتنبى

وقد انتدَب العلماءُ لديوانه ، وشرحوه شروحًا كثيرة : فمنهم من تكلم على ديوانه أجمع ، ومنهم من تكلم على بعضه ؛ فن شروحه كتاب ابن جنى ، وهو أول من شرحه ، وكتاب اللامع العزيزى[١] لأبى العلاء المعرى ، وكتاب معجز أحمد لأبى العلاء أيضًا ، وكتاب أبى الحسن على بن أحمد الواحدىّ ، وكتاب الموضِّح لأبى زكريا التبريزى ، وكتاب عبد القاهر الجرجانى ، وكتاب أبى منصور محمد بن عبد الجبار السمعانى [٢]، وكتاب أبى القاسم إبراهيم بن محمد الإفليلى[٣]، وكتاب أبى الحجاج يوسف بن سليمان الأعلم* ، وكتاب عبد الرحمن بن محمد الأنبارى، وكتاب فى سرقات المتنبى للحسن بن محمد بن وكيع[٤] ، وسماه المنصف، وكتاب أبى البقاء عبد الله العُكْبَرىّ ، وكتاب أبى اليُمن يزيد بن الحسين الكندىّ[٥] ، وكتاب عبد الواحد بن محمد بن على بن زكريا ، وكتاب محمد ابن على بن إبراهيم الهراسى الكافى[٦] ،وكتاب أبى الحسن محمد بن عبد الله الدلَّنَى عشر مجلدات ، وكتاب كمال الدين بن القاسم الواسطى ، وكتاب الوساطة للقاضى

---

(١) فى سائر النسخ « اللامع الغريزى» وفى (ا) اللمع ، وهو غير صحيح. والعزيزى نسبة إلى الأمير عزيز الدولة حاكم حلب من قبل الفاطميين من ٤٠٧ – ٤١٣هـ

(٢) وكذلك ورد الاسم فى الأعلام للزركلى ص ٩١٣ ،

(٣) فى النسخ « إلا قليل » بالقاف ، وصوابه بالفاء ، وهو نحوى عالم فى فروع الأدب أندلسى عاش فى قرطبة ، ومات بها سنة ٤٤١هـ .

* فى الأعلام ص ١١٨٠ : يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمرى أبو الحجاج المعروف بالأعلم ... إلخ

(٤) شاعر مصرى عالم ولد ، ومات فى تنيس بالقرب من دمياط سنة ٣٩٣ هـ، انظر هامش ٢ ص ٢٦٥

(٥) ولد ببغداد سنة ٥٢٠ ، وكان تلميذ ابن الشجرى فى هذه المدينة ، ثم انتقل إلى حلب ، ثم إلى دمشق ، ومات سنة ٦١٣ هـ راجع ابن خلكان جـ١ ص ١٩٦ . وكذلك جاء اسمه فى بغية الوعاة أبو اليمن ص ٢٤٩ .

(٦) فى الأعلام ص ٩٤٥ الهراشى بدل الهراسى مات سنة ٤٢٥هـ

علي بن عبد العزيز الجرُجاني ، وكتاب أبي بكر محمد بن العباس الخوارزميّ ، وكتاب عبد الرحمن بن دُوستَ النيسابوريّ ، وكتاب أبي الفضل أحمد بن محمد العروضيّ ، وكتاب التجني على ابن جني لابن فورجَّة ، وكتاب الفتح على أبي الفتح لابن فُورجَّة أيضًا ، وكتاب معاني أبياته لابن جني ، وكتاب التنبيه لأبي الحسن علي بن عيسى الرَّبَعي ، وقد رد فيه على ابن جني أيضًا ، وكتاب أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني[1] ، وكتاب الحسين بن محمد بن طاهر الشاعر ، وكتاب أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز القَيرْواني ، وكتاب علي بن جعفر بن القطاع ، وكتاب الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد ، وكتاب أبي الحسن عبد الرحمن الصقليّ ، وكتاب قصائد الصبا للأعلم[2] ، وكتاب نزهة الأديب في سرقات المتنبي من حبيب لابن حَسْنُون المصري ، وكتاب الانتصار لأبي الحسن أحمد بن أحمد المغربيّ ، وكتاب التنبيه[3] عن رذائل المتنبي لأحمد المغربي أيضًا ، وكتاب بقية الانتصار ، المكثر من الاختصار لأحمد المغربي أيضًا ، وكتاب الرسالة الحاتمية لأبي الحسن محمد بن المظفر الحاتميّ * وكتاب جبهة الأدب للحاتميّ أيضًا ، وكتاب المآخذ الكِندِيَّة من المعاني الطائية ، وكتاب الاستدراك على ابن الدهان للوزير ضياء الدين ابن الأثير الجزري ، وكتاب الإبانة للصاحب العميدي . سوى الشروح التي لم نسمع بذكرها .

ولم يسمع بديوان شعر في الجاهلية ولا في الإسلام شُرِح هكذا مثلَ هذه الشروح الكثيرة سوى هذا الديوان ، ولا تداول على ألسنةِ الأدباء في نظم ونثر أكثر من شعر المتنبي .

---

(١) في النسخ عبد الرحيم بدل عبد الرحمن ، وهو غير صحيح انظر خزانه الأدب ج ١ ص ٣٨٢ واسم كتابه « إيضاح المشكل لشعر المتنبي » وأهداه إلى السلطان البويهي بهاء الدولة .

(٢) ذكر المؤلف للأعلم قبل ذلك كتاباً لم يسمه وذكر هنا اسم « قصائد الصبا »

* انظر صفحة ١٢٠

(٣) في ديوان المتنبي للمستشرق « بلاشير » « التنبيه المنبي عن رذائل المتنبي» وقد ورد اسم المؤلف في معجم الأدباء ج ١٧ ص ١٢٧ : محمد بن أحمد بن محمد المغربي أبو الحسن ، وعلى هذا الاسم هامش يقول : لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته في ياقوت ، وفي هذه الترجمة أنه راوية المتنبي وأحد الأئمة الأدباء والأعيان الشعراء . . . إلخ ثم يقول : ومن تصانيفه التي شاهدتها : كتاب الانتصار المنبيء عن فضائل المتنبيء ، وكتاب التنبيه المنبيء عن رذائل المتنبيء ... وكتاب بقية الانتصار المكثر للاختصار وغيرها ص ١٢٨ من نفس الجزء .

ما أخذه الصاحب من المتنبي

هذا الصاحب مع بُغضِه له ، وتعصبه عليه ، أكثر الناس استعمالا لكلماته ، فى محاضراته ومكاتباته .

فمن ذلك فصل له من رسالة فى وصف قلعة افتتحها عضُدُ الدولة :

« وأما قلعة كذا ، فقد كانت بقية الدهر المديد ، والأمد البعيد ، تَعطس بأنف شامخ من المَنَعة ، وتنبو بعِطْف جامح على الخَطَبة ، وترى أن الأيام قد صالحتها على الإعفاء من القوارع ، وعاهدتها على التسليم من الحوادث ، فلما أتاح الله للدنيا ابن َبجْدتها وأبا بأسها ونَجْدتها ، جهلوا بون ما بين البحور والأنهار ، وظنوا الأقدار تأتيهم على مقدار ، فما لبثوا أن رأوا معقلهم الحصين ، ومثواهم القديم، نُهْزةَ الحوادث ، وفرصة البوائق ، ومَجرَّ العوالى ومجرى السوابق .

وإنما ألم بألفاظ بيتين لأبى الطيب أحدهما :

حتى أتى الدنيا ابنُ بَجْدتها[٢] فشكى إليــه السهلُ والجبلُ

والآخــر :

تذكرتُ ما بين العُذَيب وبارق مَجَرَّ عوالينا ومجرى السوابق[٣]

ومن ذلك فصل آخر له أيضًا .

« لئن كان الفتح جليلَ الخطر ، حميد الأثر فإن سعادة مولانا لتبشر بشوافع له ، يُعْلَم معها أن لله أسرارًا فى عُلاه لا يزال يُبديها ، ويَصل أوائلها بتواليها » .

وهو من قول أبى الطيب :

ولله سرٌ فى عُــلاك وإنمــا كلام العِدا ضرب من الهَذَيان

---

(١) الصاحب : يريد الصاحب إسماعيل بن عباد الطالقانى ، وزير بنى بويه ، وأكبر أصحاب الأستاذ أبى الفضل بن العميد ، وبه تخرج فى الكتابة . لقب بالصاحب لطول صحبته ابن العميد ، وكان مولده سنة ٣٢٦هـ ، وتوفى ٣٨٥ هـ بالرى . وفيات الأعيان (١ : ٧٥ ، ٧٦)

(٢) ابن بجدتها : يقال للعالم بالأمر هو ابن بجدته ، والبيت من قصيدة فى مدح عضد الدولة .

(٣) العذيب وبارق : موضعان بظاهر الكوفة . العوالى : الرماح . السوابق : الخيل . ما : مفعول تذكر . ومجر : بدل اشتمال من ما . والبيت مطلع قصيدة مدح فى سيف الدولة .

ومن ذلك « ولو كان ما أحسنه شَظِية من قلم كاتب لما غُيِّر خطُّه ، أو قذى في عين نائم لما انتبه جفنُه » .

وهو من قول أبي الطيب :

ولو قلم أُلقيتُ في شق رأسه   من السقْم ما غيرتُ من خط كاتب[1]

وقول نصر :

ضَنيتُ[2] حتى صرت لو زُجَّ بي   في ناظر النائم لم ينتبه

ومنه أخذ ابن العميد قولَه :

فلو أن ما أبقيتِ من جسدي قذًى   في العين لم يمنع من الإغفاء

ومن ذلك في التعزية .

« إذا كان الشيخُ القدوةَ في العلم وما يقتضيه ، والأسوةَ في الدين وما يجب فيه ، لزم أن يتأدب في حالات الصبر والشكر بأدبه ، ويؤخذ في ثارات الأسى بمذهبه ، فكيف لنا بتعزيته عند حادث رزيته ، إلا إذا رددنا له بعض ما أخذناه عنه ، وأعدنا إليه طائفة مما استفدناه منه » وإنما هو حلّ من قول أبي الطيب :

أنت يا فوقَ أن تُعزَّى عن الأحـ   ـباب فوق الذي يعزيك عقلا
وبألفاظك اهتدى فاذا عزّ   اك قال الذي له قلت قبلا[3]

ومن ذلك : وقد أثنى عليه ثناء لسان الزهر على راحة المطر[4] ، وهو من قول أبي الطيب :

(١) أكثر الشعراء من القول في هذا المعنى ومن أحسن ما ورد فيه :

فاستبق ما أُبقيت لي فلعلني   يوماً أقيك به من الأعداء
من مهجة ذابت أسى فلو انها   في العين لم تمنع من الإغفاء

(٢) حـ ، د ، هـ : حنيت ، تحريف

(٣) هذان البيتان من قصيدة يعزى بها سيف الدولة بأخته الصغرى ويسليه بالكبرى ؛ وسيأتي بعد قليل تعزيته إياه بأخته الكبرى .

(٤) جميع النسخ : وقد أثنى عليه لسان الدهر وهو غير واضح ، والتصحيح من اليتيمة في ترجمة الصاحب .

وذكيّ رائحـــة الرياض كلامُها   تبغى الثناء على الحيـــا فتفوح

والأصل فيه قول ابن الرومى :

شكرتْ نعمة الولىّ على الوسـ   ـمىّ ثم العِهـــاد بعد العهادِ[١]
فهى تثـــنى عـــلى السماء ثناء   طيب النَّشر شائعـــًا فى البلاد
من نسيم كأن مسراه فى الأر   واح مَسرى الأرواح فى الأجساد

ومما أورده من أبيات أبى الطيب كما هى قوله فى كتاب أجاب به ابن العميد عن كتابه الصادر إليه عن شاطئ بحر فى وصف مراكبه وعجائبه :

وقد علمت أن سيدنا كتب وما أخطر بفكره سعةَ صدره ، ولو فعل ذلك لرأى البحر وَشَلا ، لا يفضل عن التبرض ، وثمدا[٢] لا يكثر عن الترشف .

وكم من جبال جُبْت تَشْهَدُ أنك الـْ   جبالُ وبحر شاهد أنك البحرُ[٣].

وله من رسالة فى التهنئة ببنت،أولها : « أهلا بعقيلة النساء ، وكريمة الآباء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار » ثم يقول فيها :

ولو كان النســـاء كمثل هذى   لفضُلت النساءُ على الرجال[٤]
وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ   ولا التذكيرُ فخرٌ للهـــلال

وله من كتاب تعزية : « وقلنا قد أخذ الزمان من أخذ ، وترك من ترك ، فهو لا شك يعفو عن القمر ، وقد أسلم الشمسَ للطَّفَل . ولا يصلُ الصُّروف بالصروف ، ولا يجمع الكسُوفَ إلى الخُسوف . فأبى حكمُ المَلَوَيْن[٥] . وقد غبنك إذ قاسمك الأخوين[٦] ، فأبى إلا أن يعود فيُلحق الباقىَ بالفانى ، والغابر بالماضى .

---

(١) الولى : المطر بعد المطر . الوسمى : مطر الربيع الأول . العهاد : أول مطره .
(٢) التبرض : التبلغ بالقليل . الثمد : الماء القليل .
(٣) نص بيت المتنبى :
وكم من جبال جبت تشهد أننى الـ   ـجبال وبحر شاهد أننى البحر
(٤) بيت المتنبى :
ولو كان النساء كمن فقـــدنا   لفضلت النساء على الرجـــال
(٥) الملوان : الليل والنهار .
(٦) (الأخوين) : زيادة عن يتيمة الدهر .

وعاد فى طلب المتروك تاركه   إنا لنغفل والأيام فى الطلب
ما كان أقصر وقتا كان بينهما   كأنه الوقت بين الوِرد والقَرَب[١]

أقول هذا كعادة المصدور فى النَّفْث ، وشكوى الحزن والبث ، وإلا فما يعجبُ السَّفْرُ من تَقَدُّمِ بعض ، وكلٌّ بين الراحلة والرحل ؛ لا يترك الموت ساعيًا على وجه الأرض حتى ينقله إلى بطن التراب .

نحن بنو الموتى فما بالنا   نعاف ما لا بد من شربه
تبخل أيدينا بأرواحنا   على زمان هى من كسبه
فهذه الأرواح من جوه   وهذه الأجسام من تربه[٢]

وهذا غيض من فيض ما اغترفه الصاحب من بحر المتنبى ، وتمثل به من شعره وكان مثله معه كما قال الشاعر :

شتمت من تيمنى مغالطا   لأصرف العاذل عن لَجاجته
فقال لما وقع البزاز فى الثوب[٣] علمنا أنه من حاجته

وكما قال الآخر :

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها   ولم أر كالدنيا تُذم وتُحلب

وكما قال الآخر :

نبئت أنى إذا ما غِبتُ تشتمنى   قل ما بدا لك فالمحبوب مسبوب

---

(١) هذان البيتان من قصيدة رثى بها أخت سيف الدولة وقد توفيت بميافارقين مطلعها :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب   كناية بهما عن أشرف النسب

وقبلهما :

قد كان قاسمك الشخصين دهرهما   وعاش درهما المفدىّ بالذهب

فقد أخذ الموت الصغرى وأبقى الكبرى ثم عاد بعد قليل وأخذها وهذا المعنى مأخوذ من قول الأعرابى

وقاسمنى دهرى بنىّ مشاطرا   فلما تقضى شطره عاد فى شطرى

ومعنى البيت الثانى : ما كان أقصر . . . أنه يتعجب من قصر ما كان بينهما من الزمان فكأنه لقصر الوقت ما بين القرب إلى الورد وهو ليلة . القرب : سير الليل لورد الغد وذلك أن القوم يرعون الإبل وهم فى ذلك يسيرون نحو الماء فإذا بقيت بينهم وبين الماء عشية عجلوا نحوه فتلك الليلة ليلة القرب .

(٢) هذه الأبيات فى رثاء عمة عضد الدولة .

(٣) وقع البزاز فى الثوب : أى ذمه

ما أخذه الصابى من المتنبى

وليس الصاحب بأوحدَ فى الاقتباس من كلام المتنبى ؛ وهذا أبو إسحاق الصابى له من ذلك غير فصل [١].

فمن ذلك ما كتب فى تقريظ [٢] شاب مقتبِل الشبيبة ، مكتهِل الفضيلة :
« ولقد آتاه الله فى اقتبال العمر جوامعِ الفضل ، وسَوَّغه فى عنفوان الشباب محامد الاستكمال ، فلا تجد الكهولة خَلَّة تتلافاها بتطاول المدة ، وثُلمة تسدها بمزايا الحُنكــة » .

وهذا من قول أبى الطيب :

لا تجدُ الخمرُ فى مكارمــه إذا انتشى خَلَّــة تلافاها [٣]

وأخذه من قول البحترى :

تكرمتَ من قبل الكئوس عليهم فما اسطَعْنَ أن يُحدثْن َفيك تكَرُّما

ومن ذلك ما كتب إلى ابن [٤] معروف تهنئة بقضاء القضاة :
منزلة قاضى القضاة [٥] تجلُّ عن التهنئة بالولاية لأن ما تكتسبه الولاةُ بها من الصيتِ والذكر ويدَّرعونه فيها من الجمال والفخر ، سابق له عنده ، وحاصل قبلها له ، وإذا مد أحدهم إليها يدا تجذبُها إلى سَفال [٦] . جذبتها يدُه إلى المحل العالى ، فكأن أبا الطيب عناه ، أو حكاه بقوله :

(١) « له من ذلك غير فصل » كذا فى ا ، ب . حـ ، د ، هـ : « قد اقتبس منه أيضاً » .
(٢) كذا فى ا . ب ، حـ : تقريض وهى بمعناها
(٣) فى مدح عضد الدولة وخير منه بيت البحترى وأول هذا المعنى لعنترة :

وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكمــا علمت شمائلى وتكرمى

ولأبى نواس فيه أيضاً :

فتى لا يذيب الخمر شحمة ماله ولكن أياد عود وبــوادى

ولا يزال البحترى أجود من عنترة وأبى نواس .
(٤) ساقطة من الأصل .
(٥) « منزلة قاضى القضاة » ساقط من جميع النسخ ، والتصحيح من اليتيمة .
(٦) كذا فى ا ، ب . والسفال بالفتح : ضد العلو

فوق السماء وفوق ما طلبوا فإذا أرادوا غايةً نزلوا[١]

ومن ذلك ما كتب :

« وعاد مولانا إلى مستقر عزه عود الحَلْى إلى العاطل، والغيثِ إلى الروض الماحل » وهذا من قول أبى الطيب :

وعُدتَ إلى حلَب ظافرًا كعَود الحُلىّ إلى العاطل

وإذا كان هذان الصدران المقدَّمان على بلغاء الزمان يقتبسان من أبى الطيب فى رسائلهما ، فما الظن بغيرهما ؟ وما أحسن قول الشاعر :

ألا إن حَلّ الشعر زينة كاتب ولكن منهم من يَحُل فيَعْقِدُ

وممن يحذو حذوَهما الأستاذُ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضَّبى[٢] . وما أظرف ما قاله فى كتابه إلى أبى سعيد الشبيبى[٣] :

وقد أتانى كتاب شيخ الدولتين . فكان فى الحسن روضة حَزْن، بل جنة عدن، وفى شرح النفس ، وبسط الأنس ، برد الأكباد والقلوب ، وقميص يوسف فى أجفان يعقوب . وهو من قول أبى الطيب :

كأن كل سؤال فى مسامعه قميص يوسف فى أجفان يعقوب

فصل للخوارزمى أخذ بعضه من المتنبى

ومن ذلك فصل لأبى بكر الخُوارَزمىّ :

« وكيف أمدح الأميرَ بخلُق ضنَّ به الهواء ، وامتلأت من ذكره الأرض والسماء ، وأبصره الأعمى بلا عين ، وسمعه الأصمُّ بلا أذُن وهو من قول أبى الطيب :

تُنشد أثوابُنا مدائحه بألْسُن ما لهن أفواهُ

(١) البيت فى مدح عضد الدولة .

(٢) أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبى هو أكبر تلاميذ الصاحب إسماعيل بن عباد تخرج به فى البلاغة نثراً ونظماً وولى الوزارة بعده، وكان خلفاً للصاحب فى حمل أعباء الوزارة وتصريف شئونها خير تصريف، وقد قال عنه الثعالبى فى اليتيمة ج ٣ ص١٨ طبع دمشق: هو جذوة من نار الصاحب أبى القاسم، ونهر من بحره ، وخليفته النائب منا به فى حياته ، القائم مقامه بعد وفاته .

(٣) كذا فى ب وهو الصواب . وهو أبو سعيد أحمد بن شبيب قال عنه الثعالبى فى اليتيمة : فرد خوارزم ومفخرتها وكان جامعاً بين أدب القلم والسيف وفروسية اللسان والسنان صاحب كتب وكتائب وفضائل ومناقب ولما اختص بالدولة السامانية والدولة البويهية سمى صاحب الجيشين وشيخ الدولتين ج ٤ ص ٢٤٢ مطبعة حجازى .

إذا مررنا على الأصم بها أغنته عن مِسْمعيه عيناهُ

ولأبى بكر الخُوارَزمىّ من رسالة :

« ولقد تساوت الألسن حتى حُسِد الأبكم ، وأُفسد الشعرُ حتى أُحمد الصمم » .

وهو من قول أبى الطيب :

ولا تبالِ بشعر بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحمد الصمم (١)

أنموذج لسرقات الشعراء من المتنبى

قال أبو الطيب :

وقد أخذ التمامَ البدرُ فيهمْ وأعطانى من السَّقم المِحاقا (٢)

أخذه أبو الفرج (٣) الببغاء فلطفه ، وقال :

أوَ ليس من إحدى العجائب أننى فارقته وحييت بعد فراقه

يا من يحاكى البدرَ عند تمامه ارْحم فتى يحكيه عند مِحاقه

وقال أبو الطيب :

قد علَّم البينُ منا البينَ أجفانا تَدْمَى وألَّف فى ذا القلب أحزانا (٤)

---

(١) فى مدح سيف الدولة وقصد بشاعره نفسه .

(٢) المحاق : نقصان القمر فى آخر الشهر . بدر التمام : القمر إذا امتلأ فظهر ، والمعنى أن الحبيب الذى هو كالبدر أخذ التمام لنفسه وأعطانى المحاق فهو لا يزال تام الجمال مشرق النور وأنا لا أزال سقيم الأعضاء ناحل الجسم .

(٣) أبو الفرج الببغاء هو عبد الواحد بن نصر المخزومى من أهل نصيبين شاعر متصرف فى فنون الشعر كان معاصرا لسيف الدولة وبينهما رسائل مودة والبيتان اللذان أوردهما المؤلف فى يتيمة الدهر (١ — ١٦٤)

(٤) البين : البعد . منا : حال من الأجفان مقدمة . البين مفعول به ثان مقدم لعلم وأجفانا مفعول أول . تدمى : تسيل . بها : نعت للأجفان . يقول : إن بعد الأحبة علم أجفاننا الدامية من طول البكاء أن يبتعد بعضها عن بعض كناية عن إدامة السهر وكان باعثاً على الجمع بين أحزان القلب فتألفت ؛ وتقديم الحال على صاحبها وتقديم المفعول الثانى جعل البيت يبدو غريباً فى السمع وخير منه بيت المهلبى وخير منه أيضاً بيت المتنبى الآتى فى هذا المعنى :

كأن الجفون على مقلتى ثياب شققن على ثاكل

أخذه المهلبيّ ، فقال :

تصارمتِ[١] الأجفانُ منذ صرمتني ... فما تلتقي إلا على عَبرة تجري

وقال أبو الطيب :

وكنتُ إذا يممتُ أرضا بعيدة ... سريتُ فكنتُ السرَّ والليل كاتمه[٢]

أخذه الصاحب ، فقال :

تجشمتها والليل وَحْفٌ جناحُه ... كأنىَ سرٌّ والظلامُ ضميرُ[٣]

وقال أبو الطيب :

لبِسْن الوشي لا متجمـــلات ... ولكـــن كي يصُنَّ به الجمالا

أغار عليه الصاحب ، فقال :

لبسن برودَ الوشي لا لتجمل ... ولكن لصون الحسن بين بُرُود[٤]

وقال أبو الطيب :

ســقاكِ وحيانا بك اللهُ إنما ... على العيس نَوْرٌ والخُدور كمائمه

أخذه السَّرِىّ ، فقال :

حيـــا به اللهُ عاشقيه فقـــد ... أصبـــح ريحانةً لمن عشقا

---

(١) كذا في ا ، ب . سائر النسخ : تصرمت .

(٢) كذا في ا ، الديوان . سائر النسخ كاتم .

والبيت من قول البحترى :

وطيك سراً لو تكلف طيــه ... دجى الليل عنا لم تسعه ضمائره

وبيت البحترى من قول قعنب :

سرينـــا به والليل داج ظلامه ... فكان لنا قلباً وكنا له سرا

(٣) الوحف : الشعر الكثير الأسود . ومعنى : الليل وحف جناحه أنه شديد الظلام

(٤) قيل للصاحب أغرت على أبي الطيب في قولك : لبـــن برود الوشي . . . فقال نعم كما أغار هو في قوله :

مابـال هـــذى النجوم حائرة ... كأنهـــا العمى ما لها قائد

على بشار في قوله :

والشمس في كبد السماء كأنهـــا ... أعمى تحير مـــا لديه قائد

وقال أبو الطيب :

يَخِدن بنا في جوْزِهِ وكأننا ... على كُرَةٍ أو أرضُه معنا سَفْرُ[١]

أخذه السرى ، فقال :

وخَرْقٍ طال فيه السير حتى ... حسبناه يسير مع الركاب

قال أبو الطيب :

هام الفؤاد بأعرابية سكنت ... بيتا من القلب لم تَمْدُدْ له طُنُبا[٢]

أخذه السرى ، فقال :

وأحلَّها من قلب عاشقها الهوى ... بيتًا بلا عمد ولا أطناب

قال أبو الطيب :

ليت الغمامَ الذى عندى صواعقه ... يُزيلهن إلى من عنده الديمُ[٣]

أخذه السرى ، فقال :

وأنا الفِداء لمن مَخِيلةُ برقِه ... عندى ، وعند سواى من أنوائه[٤]

= وفى اليتيمة أن البيت المنسوب لبشار منسوب إلى العباس بن الأحنف ثم يقول : وهذه مصالتة لا سرقة وهى مذمومة عند النقدة .

(١) يخدن : من الوخد وهو ضرب من السير سريع . الجوز : الوسط والضمير فى « جوزه » يعود على خرق فى البيت السابق لهذا وهو :

وخرق مكان العيس فيه مكاننا ... من العيس فيه واسط الكور والظهر

والخرق : الفلاة الواسعة . والمعنى : كانت إبلنا تسرع بنا فى وسط هذه الفلاة ولا تبلغ آخرها فكأننا نسير على كرة لا يبلغ لها طرف . أو أن الأرض مسافرة معنا فلا نجتازها وقول المتنبى هذا من قول أبى النجم :

فكأن أرض الله سائرة ... معنا إذا سارت كتائبه

(٢) الهيام : أن يذهب الرجل على وجهه لغلبة الهوى عليه . الطنب : حبل الخباء

(٣) هذا البيت والذى قبله ساقطان من سائر النسخ . الديم : الأمطار . يشبه سيف الدولة بالغمام وسخطه بالصواعق وبره بالمطر . يقول : أنالنى سخطه وأذاه وأنال غيرى رضاه وبره ، فليته يحيل هذا الأذى إلى من عنده ذلك البر فينتصف الفريقان .

(٤) الأنواء : الأمطار وروى البيت فى العكبرى :

وأنا الفداء لمن مخيلة برقه ... حظى وحظ سواى من أنوائه

وبيت السرى أحسن سبكا وأكثر معنى من بيت المتنبى فسرقته محمودة .

وقال أبو الطيب :

فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال

وقال أيضا :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذّهب الرَّغامُ

أخذ أبو بكر الخوارزمى معنى البيتين فقال :

فديتُكَ ما بـدا لى قصدُ حُرٍّ ... سواك من الورى إلاّ بَدَا لى[١]

وأنك منهمُ وكـذاك أيضـاً ... من المـاء الفرائدُ واللآلى

وتسكن دارهم وكذاك سكنى الـ ... ـحجارة والزُّمرُّد فى الجبال

وهذا معنى قد اخترعه المتنبى ، وكرره فى تفضيل البعض على الكل ،

فأحسن غاية الإحسان حيث قال :

فإن يكُ سيارُ بن مُكْرَمٍ انقضى ... فإنكَ ماء الورد إن[٢] ذهب الورد[٣]

وقال أيضًا :

فإن تكنْ تغلبُ الغلباءُ عنصرَها ... فإن فى الخمر معْنًى ليس فى العنب

ألم به أبو الفتح[٤] البُستى ، فقال :

أبوك حوى العليـا وأنت مبرِّزٌ ... عليه إذا نازعته قصب المجـد

---

(١) « إلا بدا لى » : إلا غيرت رأيى وعدلت عنه وفاعل (بدا) ضمير يعود على البداء المفهوم من الكلام وهو بمعنى العدول عن الشىء » .

(٢) كذا فى الديوان . وفى الأصول إذ مكان إن .

(٣) يمدح على بن محمد بن سيار بن مكرم التميمى وبعد هذا البيت

مضى وبنوه وانفـردت بفضلهم ... وألف إذا ما جمعت واحـد فرد

ومطلع القصيدة :

أقـل فعالى بله اكثره مجـد ... وذا الجد فيه نلت أم لم أنل جـد

(٤) أبو الفتح البستى : هو على بن محمد الكاتب البستى صاحب الطريقة الأنيقة فى التجنيس والبديع والبيتان اللذان ذكرهما المؤلف له فى اليتيمة للثعالبى (٤ — ٢١٩)

وفى الخمر معنى ليس فى الكرم مثلُه ... وفى النار نُورٌ ليس يوجد فى الزَّند
وخير من القول المقدَّم فاعترف ... نتيجتُه والنحلُ يُكرم للشهد

وقال أيضًا :

أبوك كريم غير أنك سابق ... مداه بلا ضيم عليه ولا ذَمّ[1]
فلا يَعجبنَّ الناسُ مما أقوله ... وأقضى به فالغيث أندى من الغَيم

وقال أبو الطيب :

وصرت أشك فيمن أصطفيه ... لعلمى أنه بعض الأنام

أخذه أبو بكر الخوارزمى ، فقال :

قد ظلمناك بحسن الظّـ ... ـنّ يابعض الأنام

وقال أبو الطيب :

أتى الزمانَ بنوه فى شَبيبته ... فسرَّهم وأتيناه على الهَرَمِ

أخذه أبو الفتح ، وحسنه ، فقال :

لا غرو أن لم نجد فى الدهر مُختَرَفًا ... فقد أتيناه بعد الشَّيب والخَرَفِ[2]

وقال أبو الطيب :

هى الغرض الأقصى ورؤيتك المنى ... ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق

امتثله السّلامى[3] ، فقال :

وبشرت آمالى بمَلْك هو الورَى ... ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

---

(١) كذا فى ا ، ب . ج : بلا إثم عليه ولا ضيم . د : بلا ذيم عليه ولا ضيم .

(٢) كذا فى ا . المخترف : المجتنى أى لا عجب أن لم نجد فى الدهر ما نجنيه ونقطفه من متع الحياة فقد أتيناه بعد أن شاب وفسد .

(٣) هو أبو الحسن محمد بن عبد الله المخزومى السلامى الشاعر المشهور والسلامى نسبة إلى دار السلام (بغداد) لنشأته بها ولد ٣٣٦ هـ وتوفى ٣٩٣ هـ وهو أشعر شعراء بغداد بعد ابن نباتة . والبيت من قصيدة له فى مدح عضد الدولة وقد أوصله إليه الصاحب بن عباد . انظر ترجمته فى ابن خلكان طبع الميمنية (١ – ٥٢٤ – ٢٦) .

وقال أبو الطيب :

لم تـــزل تسمع المديح ولكنّ م صُهالَ الجياد غيرُ النهاق[١]

أخذه الزعفرانى[٢] ، ولطفه ، فقال :

وتغنّيـــك فى النَّدِىّ طيور أنا وحدى ما بينهن الهَزَارُ[٣]

نبذة من سرقاته التى ذكرت فى اليتيمية سوى ما أوردناه أولا

قال مَخْلد الموصِلىّ[٤] :

يا منزلاً ضَنّ بالسلام سُقيت رِيًّا من الغمام

لم يترك الدهرُ منك إلا ما ترك الشوقُ من عظامى

أخذه أبو الطيب ، فجوده حيث قال :

ما زال كلُّ هزيمِ الودقِ يُنْحلها والشوقيُنحِلُنى حتىحكتجسدى[٥]

قال عمرو بنُ كُلثوم :

فآبوا بالنِّهاب وبالسبايا وأبنـــا بالملوك مُصَفَّدينا

أخذه أبو تمام ، فأحسن إذ قال :

إن الأسودَ أسودَ ألغاب هِمتهـــا يومَ الكريهة فى المسْلوب لاالسَّلَبِ

أخذه أبو الطيب ، فلم يحسن فى تكرير النهب ، وذكر القُماش إذ هو من

---

(١) الصهال كالصهيل صوت الخيل . الديوان : صهيل،والبيت من قصيدة فى مدح أبى العشائر أولها :

أتراهـــا لكثرة العشـــاق تحسب الدمع خلقة فى المآق ؟

(٢) الزعفرانى هو عمر بن إبراهيم من أهل العراق ، وشيخ شعراء عصره كان من ندماء الصاحب ابن عباد والبيت من مقطوعة نيروزية فى اليتيمية حـ ٣ ص ١٦٨ ، ٦٩ .

(٣) الهزار : العندليب . الندى : النادى .

(٤) مخلد الموصلى : سبق التعريف به .

(٥) هزيم الودق : صوت السحاب ، والبيت من قصيدة فى مدح أبى عبادة بن يحيى البحترى مطلعها : « ما الشوق مقتنعاً منى بذا الكمد » والضمير فى « ينحلها » يعود على الديار فى بيت سابق .

ألفاظ العامة والسوقة ، حيث قال :

ونهبُ نفوسِ أهل النهب أولى بأهل المجد من نَهْبِ القُماش[١]

وقال بشارُ بن بُرد :

كأن مُثار النقع فوق رءوسنـا وأسيافَنا ليلٌ تهاوَى كواكبُهْ

أخذه أبو الطيب ، وذكر الرماح مكان الأسياف ، فقال :

وكأنما كُسِيَ النهارُ بها دُجَى ليل وأطلعتِ الرماحُ كواكبا[٢]

وقال مسلم بن الوليد :

أرادوا ليُخفوا[٣] قبرَه من عدوه فطِيبُ ترابِ القبر دلَّ على القبر

ألم به أبو الطيب ، فقال :

وما ريحُ الرياض لها ولكـن كساها دفنهُم فى التُرْب طِيبا[٤]

قال الفرزدق :

وكنتُ فيهم كمطور[٥] ببلدته يُسَرُّ أنْ جمع الأوطانَ والمَطَرا

---

(١) النهب : الغارة أو هو ما ينهبه الإنسان . أهل النهب : الجيش. القماش : متاع البيت ومتاع الإنسان لسفره وإقامته يقول : نهب نفوس أهل الغارة أولى من نهب الأقمشة .
والبيت من قصيدة يمدح بها أبا العشائر مطلعها :

مبيّى من دمشق على فراش حشاه لى بحر حشاى حاش

(٢) الضمير فى « بها » يعود على عجاجة فى بيت سابق . أطلعت : روى بالبناء للمعلوم وللمجهول. كواكبا على الأول مفعول به وعلى الثانى حال أى منيرة كالكواكب والبيت من قصيدة يمدح بها على بن منصور الحاجب مطلعها :

بأبى الشموس الجانحـات غواربا اللابسات من الحرير جلاببا

(٣) فى ا ، د : ليخفى . سائر النسخ : ليخفوا

(٤) من قصيدة يمدح بها على بن محمد بن سيار بن مكرم التميمى أولها :

ضروب الناس عشاق ضروبا فـأعذرهم أشفهم حبيبـا

(٥) ح ، د ، هـ : كطمور ، تحريف .

أخذه المتنبي ، فقال :

وليس الذى يتَّبَّع الوبل رائــدا كمن جاءه فى داره رائدُ الوَبْل[١]

وفى قوله فى هذه القصيدة :

وخيل إذا مرت بوحش وروضة أبت رعيها إلا ومِرْجلُنا يَغلِى[٢]

رائحة من قول امرئ القيس :

إذا ما ركبنا قال ولدانُ أهلنــا تعالَوا إلى أن يأتنا الصيدُ نَحْطِبِ

قال أبو نواس :

وكلتَ بالدهر عيناً غيرَ غافلة بجود كفيك تأسو كل ما جرحا

ويقال إنه أمدح بيت للمحدثين ، أخذه أبو الطيب وزاد فيه حسن التشبيه ، فقال :

تَتَبَّعَ آثار الرزايا بجوده تتبعَ آثار الأسنة بالفُتُلِ[٣]

قال أبو نواس فى وصف الخمر ، وهو من قلائده :

إذا ما أتت دون اللَّهاةِ من الفتى دعا هَمُّــه من صدره برحيل

أخذه أبو الطيب ، ونقله إلى معنى آخر ، فقال :

وما هى إلا لحظة بعــد لحظة إذا نزلت فى قلبه رحل العقــل[٤]

---

(١) من قصيدة يمدح بها أبا الفوارس دلير بن لشكروز أولها :

كدعواكِ كل يدعى صحة العقل ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل

(٢) وخيل معطوفة على أنفس فى البيت الذى قبله وهو :

ولو لم تَسِرْ سرنا إليك بأنفس غرائب يؤثرن الجياد على الأهل

ومعنى البيتين كنا نقصدك بأنفس كرام وخيل كرام لا ينكر سبقها إذا ظهرت لها سوانح الوحش وأحاطت بها خمائل الروض أبت أن تطمئن وتستقر حتى تدرك ما تحاول صيده من الوحش .

(٣) الفتل: جمع فتيلة وهى التى يجعل فيها الطبيب المرهم ليوصله للجرح ، والبيت من القصيدة السابقة فى مدح أبى الفوارس .

(٤) البيت من قصيدة يمدح بها شجاع بن محمد الطائى أولها :

قال ابن أبى عُيينة ، ويُروى للخليل :

زُرْ وادىَ القصرِ نعم القصرُ والوادى ... فى منزل حاضر إن شئت أو بادى
تَلْقَى به السفنَ والظلمانَ حاضرةً ... والضبَّ والنونَ والملاحَ والحادى[1]

وهذا أحسن ما قيل فى وصف مكان يجمع بين أوصاف البر والبحر والحاضر والبادية .

ألم به أبو الطيب فى وصف مُتصيَّد عضدِ الدولة بناحية سهلية جبلية تجمع الأضداد :

سقيًا لدَشْتِ الأرْزَنِ الطوال
بين المروج الفيح والأغيال ... مُجاورِ الخنزيرِ للرئبال
دانى الخنانيص من الأشبالِ ... مُشْتَرِفِ الدُّبِّ على الغزال
مُجتمِعِ الأضدادِ والأشكال[2]

قال بعضُ العرب وهو من الأمثال السائرة :

إذا بَلَّ من داء به ظَنَّ أنه ... نجا ، وبه الداءُ الذى هو قاتلُه[3]

أخذه أبو الطيب ، فقال ، وأحسن :

وإن أسلم فما أبقى ولكن ... سلمتُ من الحِمام إلى الحِمامِ

قال بعض الرُّجَّاز :

هل يَغْلِبنِّى واحدٌ أقاتلُه
ريمٌ على لَبَاتِه سلاسلُه .

عزيز أساً من داؤه الحدق النجل ... عياء به مات المحبون من قبل

والبيت فى الغزل . اللحظة : النظرة من الحبيب

(١) الظلمان : جمع ظليم وهو ذكر النعام . النون : الحوت . الملاح : سائق السفينة . الحادى سائق الإبل .

(٢) الأبيات من قصيدة من مشطور السريع. الناحية السهلية الجبلية تعرف بدشت الأرزن . الدشت : الصحراء . الأرزن : شجر صلب تتخذ منه العصى . الطوال بكسر الطاء جمع طويل وهو نعت الأرزن . الخنانيص : أولاد الخنازير المفرد خنوص بكسر الأول وتشديد الثانى . مشترف : مشرف .

(٣) بل : شفى . يريد بالداء القاتل : الموت الذى يكمن له حتى يجىء أجله .

سلاحه يوم الوغى مكاحِلُه

أخذه أبو الطيب ، فأكمل الوصف ، وأظهر الغرض حيث قال :

مِن طاعِنِى ثُغَرِ الرجال جآذرٌ ومن الرماح دمالج وخلاخِلُ(١)

ولذا اسم أغطيةِ العيون جفونُها من أنها عملَ السيوفِ عواملُ(٢)

قال أبو تمام :

غرُبت خلائقُه وأغرب شاعرٌ فيه فأبدع مُغربٌ فى مُغرِب(٣)

أخذه أبو الطيب ، فقال :

شاعر المجد خِدْنه شاعر اللفـ ـظ كلانا رب المعانى الدقاق(٤)

قال أبو تمام :

يمدون بالبيض القواطع أيْديًا فهن سواءٌ والسيوفُ القواطعُ

أخذه أبو الطيب ، فأوقع التشبيه على الجملة حيث قال :

همامٌ إذا ما فارق الغمدَ سيفُه وعاينْتَه(٥) لم تدرِ أيُّهما النصل؟

قال ابن الرومى :

لا قُدِّستْ نُعْمى تسربلْتها كم حجة فيها لِزنديقِ(٦)

---

(١) ثغر : جمع ثغرة وهى نقرة النحر . الدمالج : جمع دملج وهو حلى يلبس فى العضد . الخلاخل : جمع خلخل لغة فى الخلخال. يقول : الحسان يفعلن بالعشاق فعل الأبطال المقاتلين فهن من جملة الطاعنين و رماحهن الحلى الذى عليهن .

(٢) إنما سميت أغطية العيون جفوناً لأنها ضمنت أحداقاً تفعل فعل السيوف فسمى غطاؤها باسم غمد السيف وهو الجفن .

(٣) غربت : من الغرابة والندرة . أغرب شاعر فيه : أى أتى بالغريب المبدع فى وصفه .

(٤) البيت من قصيدة فى مدح أبى العشائر مطلعها :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة فى المآقى

فهو شاعر المجد والمتنبى شاعر اللفظ .

(٥) حـ ، د ، هـ : وفارقته تحريف .

(٦) يذم من لا يستحق ما هو فيه من نعمة ، و يقول : إن فى غنى مثل هذا حججا للزنادقة الملحدين وهو كقول القائل :

أخذه أبو الطيب ، فقال :

فإنه حجــةٌ يؤذى القلوب بها ‏ ‏ ‏ ‏ مَنْ دينُه الدهرُ والتعطيلُ والقِـدمُ[١]

وقال ابن الرومى :

وأحسن من عِقد العقيلةِ جِيدُها ‏ ‏ ‏ ‏ وأحسن مِن سربالها المُتجرَّد[٢]

أخذه أبو الطيب ، فقال :

ورب قبحٍ وحُلًى ثقــالٍ ‏ ‏ ‏ ‏ أحسن منها الحسنُ فى المعطال[٣]

قال عبيد[٤] الله بن عبد الله بن طاهر :

وجرّبت حتى ما أرى الدهر مُغربا ‏ ‏ ‏ ‏ على بشىء لم يكن فى تجاربى

أخذه أبو الطيب ، فقال :

قد بلوتَ الخطوب مرًّا وحــلواً ‏ ‏ ‏ ‏ وسلكتَ الأنام حزْنًا وسهلا

وقتلتَ الزمــان علما فما يُغـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـرِب قولا ولا يُجدد فعلا[٥]

وكرر هذا المعنى ، فقال :

عرفتُ الليالى قبل ما صنعتْ بنا ‏ ‏ ‏ ‏ فلما دهتنى[٦] لم تزدنى بها علما

= كم عاقل عاقل أعيت مذاهبــه ‏ ‏ ‏ ‏ وجاهــل جاهــل تلقاه مرزوقا

هذا الذى ترك الأوهام حــائرة ‏ ‏ ‏ ‏ وصير العالم النحرير زنديقا

(١) البيت فى هجاء كافور ، والمعنى أن تمليكه حجة للدهرى أن يقول لو كان للناس مدبر وكانت الأمور جارية على تدبير حكيم لما ملك هذا العبد. الدهريون : من لايؤمنون بدين ولا إله«وما يهلكنا إلا الدهر» التعطيل : تعطيل الناس عن أن يعتقدوا بإنه يدبرهم . . . القدم قدم الدهر ، وأنه مخلوق بنفسه .

(٢) المتجرد : جسمها .

(٣) المعطال : التى لا حلى لها .

(٤) ا : « عبد» بدل عبيد ، كان عبيد الله ذا محل من الأدب والتصرف فى فنونه و رواية الشعر وقوله والعلم باللغة وأيام الناس وعلوم الأوائل (الأغانى ٩ : ٤٠)

(٥) خطاب فى هذين البيتين لسيف الدولة وهما من قصيدة يعزيه فيها بأخته الصغرى ويسليه ببقاء الكبرى .وما أجمل قول بعض العرب وقد مات ولده فحسن عزاؤه فقيل له فى ذلك فقال : أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره . ولعل هذا أصل هذا المعنى .

(٦) كذا فى الديوان . جميع النسخ : دهتنا ، والبيت من قصيدة يرثى بها جدته : أولها : =

وكتب ابن المعتز لعُبيد الله بن سليمان[١] يعزيه عن ابنه أبى محمد ، ويُسليه ببقاء أبى الحسين القاسم أبياتًا منها :

ولقد غَبَنْتَ الدهرَ إذ شاطرته بأبى الحسين وقد ربحتَ عليهِ
وأبو محمد الجليل مصابُه لكنَّ يمنى المرء خيرُ يديه

فأخذ أبو الطيب هذا المعنى ، وقال لسيف الدولة من قصيدة يعزيه بها عن أخته الصغرى ، ويُسَلّيه ببقاء الكبرى حيث قال :

قاسمتْك المنونُ شخصَين جورًا جعل القسْمُ نفسه فيك عَدلا[٢]
فإذا قست ما أخذن بماغـا درْن سرًّى عن الفؤاد وسلًّى[٣]
وتيقنتَ أن حظـك أوفى وتبينتَ أن جدَّك أعلى

وكان أبو الطيب كثير الأخذ من ابن المعتز ، على تركه الإقرار بالنظر فى شعر المحدثين ، فمما أخذه منه قوله :

تَكَسَّبُ الشَّمس منك النورَ طالعةً كما تكسَّبَ منها نورها القمرُ

وهو معنى قول ابن المعتز :

البدر مِن شمس الضحى نورُه والشمسُ من نورك تستملى

وأخذ قوله ، وهو من قلائده ، قيل ولعله أميرُ شعره :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأنثنى وبياض الصبح يُغرِى بى[٤]

= ألا لا أرى الأحداث مدحاً ولاذمـا فما بطشها جهلا ولا كفها حلما

(١) « بن سليمان » : ساقطة من سائر النسخ . وهو عبيد الله بن سليمان بن وهب من كتاب العصر العباسى الأول .

(٢) المنون : المنية وقد يراد بها الجمع كما فى البيت الثانى والمعنى أن المنايا قاسمتك أختيك جورا وظلما منها وهذه المقاسمة على جورها عادلة إذ أخذت الصغرى وأبقت لك الكبرى لأنك أشرف المتقاسمين

(٣) ورد هذا البيت فى سائر النسخ محرفا .

(٤) قال صاحب اليتيمة : « هذا البيت أمير شعره ، وفيه تطبيق بديع ، ولفظ حسن ، ومعنى بديع جيد ، وهذا البيت قد جمع بين الزيارة والانثناء ، وبين السواد والبياض ، والليل والصبح ، والشفاعة والإغراء ، وبين لى وبى ، وقد أجمع الحذاق بمعرفة الشعر والنقاد أن لأبى الطيب نوادر لم تأت فى شعر =

من مصراع لابن المعتز .

ذكر ابن جنيّ ، قال حدثني المتنبي وقت القراءة عليه قال : قال لي ابن حنزابة وزيرُ كافور : أعلمت أني أحضرت كتبي كلَّها وجماعةً من أهل الأدب يطلبون لي من أين أخذت هذا المعنى ، فلم يظفروا بذلك ، وكان أكثرَ مَن رأيتُ كتبا . قال ابن جني : ثم إني عثَرتُ بالموضع الذي أخذه منه إذ وجدت لابن المعتز مصراعًا بلفظ لين صغير جدًّا فيه معنى بيت المتنبي كله على جلالة لفظه وحسن تقسيمه ، وهو قوله : *فالشمس نمامة والليل قوّاد*[1] . ولن يخلوَ المتنبي من إحدى ثلاث إما أن يكون ألمّ بهذا المصراع فحسَّنه ، وزينه ، وصار أولى به . وإما أن يكونُ قد عثر بالموضع الذي عثَر ابن المعتز به ، فأربى عليه في جودة الأخذ . وإما أن يكون قد اخترع المعنى ، وابتدعه ، وتفرد به، ولله دره . وناهيك بشرف لفظه ، وبراعة نسجه . وما أحسن ما جمع أربعَ مطابقات في بيت واحد ، وما أراه سبق إلى مثلها ، وما زال الناسُ يتعجبون من جمع البحتري ثلاث مطابقات في قوله :

وأمة كان قبحُ الجور يُسخطها دهراً فأصبح حسن العدل يُرضيها

حتى جاء أبو الطيب ، فزاد عليه ، مع عذوبة اللفظ ، ورشاقة الصنعة .

قال ابن الرومي :

أرى فضل مالِ المرء داءً لِعرضِه كما أن فضل الزاد داءٌ لجسمِه
فليس لداء العِرض شيءٌ كبذله وليس لداء الجسم شيءٌ كحَسْمه

غيره ، وهي مما تخرق العقول ، منها هذا البيت » . ونحن بعد أن أسمعناك رأي القدامى في هذا البيت نحب أن تسمع رأي المحدثين فيه . وها هو بنصه للدكتور طه حسين في كتابه مع المتنبي ج ٢ ص ٥٦٦ — ٥٦٨ « والقدماء معجبون أشد الإعجاب بهذا البيت من هذه القصيدة ، وهو أزورهم . . . إلخ وربما كنت [illegible] . ولكني أحب أن أعجب بهذا البيت ، فلا أظفر بما أريد من الإعجاب الخالص الذي لا يشوبه [illegible] . [illegible] يعجب في هذا البيت ؟ هو هذا الطباق الكثير المتتابع الذي يحدث موسيقى [illegible] في النفس ، فالشاعر يطابق بين الزيارة . . . إلخ »

(١) صدر البيت : لا تلق إلا بليل من تواصله

وبعده : كم عاشق وظلام الليل يستره لاق أحبته والناس رقاد

ألم به أبو الطيب ، فقال :

يتداوى من كثرةِ المال بالإقـ لال جودا كأنّ مالا سقامُ(١)

* * *

قال :

ذكر بعض تكرر من معاني أبي الطيب

وأنت المرء تمرضُه الحشايا لهمته وتشفيه الحروبُ(٢)

وقال :

وما فى طبّه أنى جواد أضر بجسمه طول الجِمام(٣)

---

(١) جودا مفعول له عامله الإقلال أو الفعل قبله يقول: كأنه يحسب المال سقاما فيتداوى ببذله ليقل عنده فيشفى، والبيت من قصيدة يمدح بها أبا الحسين على بن أحمد المرى الخراسانى مطلعها :

لا افتخار إلا لمن لا يضام مدرك أو محارب لا ينام

ومن روائع هذه القصيده :

ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام

كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجئٌ إليها اللئام

من يهن يسهل الهوان عليه مالجرح بميت إيلام

تنبيه : بعد كل ما تقدم من سرقات المتنبى من الشعراء أو سرقاتهم منه نستطيع أن نقول إن الحكم على السرقات الأدبية فى الألفاظ أمرها واضح ، لأن أخذ اللفظ كله أو بعضه ليس الحكم عليه عسيرا ؛ أما السرقات فى المعانى فأمرها عسير ؛ لأن المعانى بحر لا ساحل له ، ونقدها ومعرفة المسروق منها من أدق الأمور،ولا يتيسر ذلك إلا لمن حفظ كثيراً ، وكان ذا ذوق سليم ، وملاحظة دقيقة وفكر نفاذ ، وعلم بتاريخ الشعراء ، فليس كل ما تسمعه منها مسروقاً ، إذ منها الشائع ، الذى يخطر على بال كل شاعر ، ومنها المبتدع الطريف ، وهو نادر لا يقع عليه إلا عباقرة الشعراء ومن السرقات ما يدق حتى على الأديب اللبيب ، فليتأمل هذا عند الموازنات .

وبعد فقد عارضنا بعض الحالات فى باب السرقات فى هذا الكتاب زيادة على مخطوطات الصبح بالإبانة (الطبعة القديمة) و بمصورة مخطوطة الإبانة بمكتبة الجامعة العربية وقد أشرنا إلى ذلك فى كل موضع رجعنا إليهما أو إلى أحداهما كما سبق التنبيه عليه .

(٢) البيت من قصيدة فى مدح سيف الدولة وقد عاده من دمل كان به ، ومطلع القصيدة :

أيدرى ما أرابك من يريب وهل ترقى إلى الفلك الخطوب

(٣) هذا البيت من القصيدة التى وصف فيها الحمى التى غشيته وهو فى مصر ، والضمير فى : طبه يعود على الطبيب الذى عاده . الجمام : الراحة . وأولها :

ملومكما يجل عن الملام ووقع فعاله فوق الكلام

ومن روائع هذه القصيدة فى وصف الحمى قوله :

وزائرتى كأن بها حياء فليس تزور إلا فى الظلام

بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت فى عظامى

يضيق الجلد عن نفسى وعنها فتوسعه بأنواع السقام =

وقال :

ليت الحبيبَ الهاجرى هَجْرَ الكرَى | من غير جُرم واصلى صِلةَ الضَّنى(١)

وقال :

فياليت ما بينى وبين أحبتى | من البُعد ما بينى وبين المصائب

وقال :

إذا بدا حجبتْ عينيك هيبتُه | وليس يحجبه سِترٌ إذا احتجبا

وقال :

أصبحتَ تأمر بالحِجاب لخلوةٍ | هيهات لست على الحجاب بقادر
من كان ضوءُ جبينــه ونوالُه | لم يُحجبا لم يحتجب عن ناظر
فإذا احتجبت فأنت غير محجب | وإذا بَطَنْتَ فأنت عينُ الظاهر(٢)

وقال :

أميرٌ أمـيرٌ عليــه النـدى | جواد بخيـل بألا يجـودا

وقال :

ألا إن الندى أضحى أمـيرا | على مال الأمير أبى الحسين(٣)

كأن الصبح يطردها فتجرى | مـدامعها . بأربعة سجام
أراقب وقتهـا من غير شوق | مـراقبة المشوق المستهـام
ويصدق وعدها والصدق شر | إذا ألقاك فى الكرب العظـام
أبنت الدهر عندى كل بنت | فكيف وصلت أنت من الزحام ؟

(١) الضنى : الهزال والسقم .

(٢) هذه الأبيات فى بدر بن عمار وقد دخل عليه يوماً فوجده خالياً ، وقد أمر الغلمان أن يحجبوا الناس عنه ، ليخلو للشرب ، فقالها ارتجالا .

(٣) جاء فى العرف الطيب هامش ص ٦٣ ما يأتى :
روى له الثعالبى فى يتيمة الدهر بيتين فذين أوردهما فيما تكرر من معانيه أحدهما قوله :
ألا إن الندى . . . .
والآخر قوله (ورواه له مرة أخرى فيما امتثل فيه ألفاظ المتصوفة) :
أفيكم فتى حى يخبرنى عنى | بما شربت مشروبة الراح من ذهنى=

وقال :

ومال وهبتَ بلا[١] موعـــد ... وقِرْن سبقتَ إليـــه الوعيدا

وقال :

لقد حال بالسيف دون الوعيد ... وحالت عطاياه دون الوعود

وقال :

وما رغبتى فى عسجد أستفيده ... ولكنها فى مَفخَر أستجدُّهُ

وقال :

فسرت إليك فى طلب المعالى ... وسار سواى فى طلب المعاش

وقال :

قد علم البين منا البين أجفانا ... تَـدْمَى وألف فى ذا القلب أحزانا

وقال :

كأن الجفــون عــلى مقلتى ... ثياب شُقِقْن عــلى ثاكِل

وقال :

كأنك بالفقــر تبغى الغنى ... وبالموت فى الحرب تبغى الخلودا

وقال :

كأنك فى الإعطاء للمال مبغضٌ ... وفى كل حرب للمنيـــة عاشق

= وهما بموضع من الغرابة، لبعدهما عن مشابهة شعر المتنبى، وقد أخطأتنى فى استثباتهما مظان الطلب حتى رأيتهما بعد ذلك لأبى تمام والأول من قصيدة له مطلعها :

خشنت عليه أخت بنى خشين ... وأنجــح فيك قول العاذلين

والثانى مطلع قصيدة كتب بها إلى الحسن بن وهب والقصيدتان مثبتتان فى ديوانه وهذا من مثل الثعالبى فى حد العجب .

(١) كذا فى ا ، ب والديوان . حـ ، د ، هـ : على .

والبيت فى مدح أبى الحسين بدر بن عمار وهو يومئذ يتولى حرب طبرية من قبل أبى بكر محمد بن رائق سنة ٣٢٨ هـ وأولها :

أحلما نرى أم زمانا جـــديداً ... أم الخلق فى شخص حى أعيــدا

وقال :

الذى زُلتُ عنه شرقا وغربا   ونـداه مقـابلى ما يزول

وقال :

ومن فرَّ من إحسانه حسدا له   تلقاه منه حيثما سار نائل

وقال :

فكأنمـا نُتِجتْ قياماً تحتهم   وكأنما وُلدوا على صَهَواتها

وقال :

وَطْعنَ غطاريفٍ كأن أكفهم   عَرفْن الرُّدَينيات قبل المعاصمِ

وقال :

جَرَحْتِ[1] مُجرَّحا لم يبق فيـه   مكانٌ للسيوف وللسهـام

وقال :

رمانى الدهـر بالأرزاء حـتى   فـؤادى فى غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتـنى سهامٌ   تكسرت النصالُ على النصالِ

وقال :

وشكيـتى فقدُ السَّقام لأنه   قد كان لما كان لى أعضاءُ

وقال :

لم يترك الحبُّ[2] من قلبى ومن كبدى   شيئاً تُتَيمـه عينٌ ولا جِيدُ

وقال :

تصدُّ[3] الرياحُ الهوُج عنها مخافةً   وتفزَع فيها الطيرُ أن تلقط الحبا[4]

(١) الخطاب للحمى من القصيدة التى أشرنا إليها قبلا .
(٢) الديوان : الدهر .
(٣) ح ، د ، ه : تصيد . تحريف .
(٤) كذا فى الديوان : جميع النسخ : ويفزع فيها الطير أن يلقط الحبا ، والبيت فى وصف مدينة =

وقال :

إذا أتتها الرياحُ النكبُ من بلد فما تَهُبّ بها(١) إلا بترتيب(٢)

وقال :

إذا ضوءها لاقى من الطير فرجة تدور فوق البيض مثلَ الدراهم(٣)

وقال :

وألقى الشرق منها فى ثيابى دنانيرا تفر من البنان(٤)

وقال :

ولقد بكيت على الشباب ولِمتى مسودة ولِماء وجهىَ رَوْنق
حذرا عليه قبل يوم(٥) فراقه حتى لكدت بماء جفنىَ أشرق(٦)

= مرعش من قصيدة يمدح بها سيف الدولة أولها :

فديناك من ربع وإن زدتنا كربا فإنك كنت الشرق للشمس والغربا

(١) حـ ، ء ، هـ : لها

(٢) الضمير فى « أتتها » يعود على الملك فى بيت قبله هو :

يدبر الملك من مصر إلى عدن إلى العراق فأرض الروم فالنوب

والملك يذكر ويؤنث والبيت فى مدح كافور من قصيدة مطلعها :

من الجآذر فى زى الأعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب

(٣) الضمير فى : ضوءها للشمس . البيض : جمع بيضه بفتح أوله وهى الخوذة من الحديد والبيت من جملة أبيات يصف فيها جيش أبى محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج والى الرملة منها :

وذى لجب لاذو الجناح أمامه بناج ولا الوحش المثار بسالم
تمر عليه الشمس وهى ضعيفة تطالعه من بين ريش القشاعم
إذا ضوءها . .

وفيها البيت السابق :

وطعن غطاريف كأن أكفهم عرفن الردينيات قبل المعاصم

ومطلع القصيدة :

أنا لائمى إن كنت وقت اللوائم علمت بما بى بين تلك المعالم

(٤) من قصيدة فى وصف شعب بوان مطلعها :

مغانى الشعب طيبا فى المغانى بمنزلة الربيع من الزمان

(٥) جميع النسخ : حين .

(٦) لم نجد فى الأصول ولا فى اليتيمة مثالا آخر له فى هذا المعنى .

وقال :

هـدِيّةٌ ما رأيت مهديها   إلا رأيت العباد فى رجل

وقال :   أم الخلق فى شخص حىٍّ أعيدا[١]

وقال :   ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق[٢]

ثم كرره ، وزاد فيه ، فقال :

ولقيتُ كل الفاضلين كأنما   رد الإلهُ نفوسَهم والأعصُرا

نُسقوا لنا نسق الحساب مقدَّما   وأتى « فذلك » إذ أتيت مؤخرا

والأصل فيه قول أبى نواس :

ليس على الله بمستنكر   أن يجمع العالم فى واحد

وقوله[٣] وقد كرره :

متَى تَحُطّى إليه الرَّحْلَ سالمة   تستجمعى[٤] الخلق فى تمثال إنسان

وقال أبو الطيب :

هو الشجاع يَعُدُّ البخل من جُبُنٍ   وهو الجوادُ يعد الجبنَ من بَخَلِ

وقال :

فقلت إن الفتَى شجاعته   تريه فى الشح صورة الفَرَق

والأصل فيه قول أبى تمام :

أيقنت أن من السماح شجاعةً   تُدمِى وأن من الشجاعة جودا[٥]

---

(١) صدره : أحلما نرى أم زمانا جديدا ، وقد تقدم الكلام على هذا .

(٢) صدره : هى الغرض الأقصى ورؤيتك المنى .

(٣) أى قول أبى نواس

(٤) الخطاب لناقته

(٥) قبل هذا البيت :

فإذا رأيت أبا يزيد فى ندى   ووغى ومبدى غارة ومعيدا

وقال أبو الطيب :

ومن أعتاض منك إذا افترقـــنا وكل الناس زور ما خلاكا ؟

وقال فى مثله فتبرد وبالغ :

إنما الناس حيث أنت وما النا س بناس فى موضع منك خالى

وقال :

إذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأرض ومَن فوقها والبأس والكرم المحضُ

وقال :

وما أخصـــك فى برء بتهنئـــة إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وقال :

تجاوز قدر المدح حتّى كأنه بأحسن ما يثنى عليـــه يُعاب

وقال :

وعُظْمُ قدرك فى الآفاق أوهمنى أنى بقـــلة ما أثنيت أهجوكا

وقال :

وكان مَن عـــدَّدَ إحسانَه كأنمـــا أسرف فى سبـــه

والأصل فيه قول البحترى :

جلّ عن مذهب المديح فقد كا د يكون المديح فيه هجاء[1]

وقال :

نال الذى نلتُ منـــه مـــنى لله ما تصنـــع الخمـــور[2]

---

(١) عندنا أن خيرا من قول المتنبى والبحترى قول القائل :

ويصدق فيه المدح حتّى كأنمـــا يسبح من صدق المقـــالة شاعره

إذ لم يسلم بيت من هذه الأبيات من كلمة لا تناسب المقام فى الأول : يعاب وفى الثانى : أهجوكا وفى الثالث : « فى سبه » وفى الرابع : هجاء .

(٢) يقول : إن الشراب الذى نلت حصة منه قد نال حصة منى لأنه أخذ شيئاً من عقلى وقوتى

وقال :

أفيكم فتى حيٌّ فيخبرنى عنى بما شربت مشروبةُ الراح من ذهنى؟[١]

وقال :

عليم بأسرار الديانات واللُّغى له خطرات تفضح الناس والكُتْبا

وقال :

كأنك ناظر فى كل قلب فما يخفى عليك محل غاش

وقال :

ووَكَّلَ الظن بالأسرار فانكشفت له سرائر أهل السهل والجبل

وقال :

فاغفر فدى لك واحْبُنى[٢] من بعدها[٣] لتخصنى بعطية منها أنا

وقال :

له أياد إلى سالفة[٤] أُعدّ منها ولا أعددها

وقال ، وهو من قلائده :

خير أعضائنا الرءوس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام

وقال :

وإن الفِئام[٥] التى حوله لتحسد أقدامَها الأرؤُس

= ثم تعجب من فعل الخمور وهو مأخوذ من قول الطائى :

وكأس كمعسول الأمانى شربتها ولكنها أجلت وقد شربت عقلى

إذا اليد نالتها بوتر توقرت على ضغنها ثم استقادت من الرجل

وفى الشطر الأول من بيت المتنبى ثقل .

(١) انظر ما كتب عنه برقم ٣ من هوامش ص ٢٩٠ ورواية الديوان حرّ

(٢) هذه الكلمة محرفة فى سائر النسخ .

(٣) الضمير فى : « بعدها » يعود على كلمة : عقوبة فى بيت سابق هو :

أضحى فراقك لى عليه عقوبة ليس الذى قاسيت منه هينا

(٤) الديوان : سابقة .

(٥) الديوان : الفئام ومعناها الجماعات وهى فى النسخ مصحفة « القيام » ولا تصح إلا إذا قلنا القيام (القائمون) الذين ... انظر العكبرى قافية السين .

وقال :

وما الحسن في وجه الفتى شرف[١] له ... ولكنـــه في فعلــه والخلائق

وقال في وصف الخيل :

إذا لم تشاهد غير[٢] حسن شياتها ... وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقريب منه قوله :

يحب العاقلون على التصــافي ... وحب الجاهلين على الوسام

وقال في معنى قد تصرفت فيه الشعراء :

ذل من يغبط الذليل بعيش ... رُبَّ عيش أخفُّ منه الحِمامُ

وقال :

عش عزيزا أو مت وأنت كريم ... بين طعن القَنا وخفق البُنود

وقال :

إذا ما لم تُسِرْ جيشًا إليهم ... أسَرْتَ إلى قلوبهم الهُلُوعا[٣]

---

(١) الديوان : شرفاً . وقد تداول معنى هذا البيت جماعة الشعراء من سابق ولاحق :
قال الفرزدق :
ولا خير في حسن الجسوم وطولهــا ... إذا لم تزن حسن الجسوم عقــول
وقال العباس بن مرداس :
ومــا عظم الرجال لهم بفخــر ... ولكن فخرهم كرم وخــير
وقال أبو العتاهية :
وإذا الجميــل الوجــه لم ... يأت الجميــل فما جماله ؟
وقال دعبل :
وما حسن الوجوه لهم بزين ... إذا كانت خلائقهم قباحا
(٢) ساقطة من سائر النسخ . الشية : اللون وقبل هذا البيت قوله :
وما الخيل إلا كالصديق قليلــة ... وإن كثرت في عين من لا يجرب
وهي من أجود ما قيل في الخيل .
(٣) الهلوع : الجزع . وهذا المعنى قريب من قول الطائي :
لم يسر يوماً ولم ينهد إلى بلــد ... إلا تقدمه جيش من الرعب

وقال :

بعثوا الرعبَ فى قلــوب الأعادى　　فكأن القتال قبل التلاقى[١]

وقال :

قدناب عنك شديدالخوف واصطنعت　　لك المهابة ما لا يصنع البُهَمُ[٢]

وقال :

أبصروا الطعن فى القلوب دراكا　　قبل أن يبصروا الرماح خيالا

وقال :

صيام بأبواب القِباب جيادهُم　　وأشخاصهم فى قلب خائفهم تعدو[٣]

وقال :

تغير عنه على الغــارات هيبتُـه　　ومالُه بأقاصى البر أهمال[٤]

والأصل فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم (نصرت بالرعب) ثم أكثر الناس[٥] منه ، ومن أوجز ما قالوا : قول على بن جبلة العَكَوَّك :

غدا مُجتَمِـع العزم　　له جندٌ من الرعب

وقال :

وأتعب خلق الله من زاد همُّه　　وقصَّر عما تشتهى النفسُ وُجْدُه[٦]

وقال :

لحى الله ذى الدنيا مُناخًا لراكب　　فكلٌ بعيد الهم فيهــا معذَّبُ

---

(١) هو من قول حبيب :

لو لم يزاحفهم لزاحفهم له　　مــا فى قلوبهم من الأوجال

(٢) البهم : الأبطال مفرده بهمة كغرفة وهو الشجاع الذى لا يدرى كيف يؤتى له فشبه بالباب المبهم الذى لا يدرى كيف يفتح فيقال مبهم .

(٣) صيام : قيام يقال صام الفرس إذا وقف ويروى قيام ، أشخاصها .

(٤) أهمال : جمع همل بفتحتين والهمل : الإبل بلا راع .

(٥) ساقطة من سائر النسخ .

(٦) الوجد : السعة .

وقال :

ومَعال إذا ادَّعاها سـواهم   لزمتـه جنايـة السرَّاقِ

وقال :

مِسكيَّة النَّفحات إلا أنهـا   وحشية بسواهمُ لا تَعْبَق[١]

ذكر ما ينعى على أبي الطيب من معايب شعره ومقابحه .

ذكر ما ينعى على أبي الطيب

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها   كفى المرءَ نُبلا أن تُعَدّ معايبه

ثم نقفى[٢] على آثارها بذكر محاسنه ، وسياق بدائعه وفرائده .

فحسن دراريّ الكواكب أن ترى   طوالعَ فى داج من الليل غيهب

فمنها قبح المطالع ، وحقها الحسنُ والعذوبة لفظًا ، والبراعة والجودة معنى ، لأنها أول ما يقرع الأذن ويصافح الذهن ، [٣] فإذا كانت حاله على الضد[٣] ، مجه السمع ، وزجه القلب ، ونبت[٤] عنه النفس ، وجرى أمره على ما تقول العامة : أول الدَّن دُرْدىّ[٥] .

بعض ابتداءات أبي الطيب القبيحة

ولأبى الطيب ابتداءات ليست لَعمرى من أحرار الكلام وغُرره ، بل هى كما نعاها عليه العائبون مستشنَعة مستبشَعة ، لا يرفع السمع لها حجابه ، ولا يفتح القلب لها بابه ، كقوله :

---

(١) يقول : روائح ثنائهم كالمسك إلا أنها نافرة لا تألف غيرهم ولا تفوح إلا منهم أى أنه لا يثنى على غيرهم بما يثنى به عليهم و يوضح هذا المعنى البيت السابق لهذا وهو قوله :

وتفوح من طيب الثنـاء روائح   لهم بكل مكانة تستنشق

والبيتان من قصيدة فى مدح أبي المنتصر شجاع بن محمد بن أوس بن معن بن الرضى الأزدى أولها :

أرق على أرق ومثـلى يأرق   وجـوى يزيد وعبرة تترقـرق

وفى القصيدة عيون منها :

كبرت حـول ديارهم لما بدت   منهـا الشموس وليس فيها المشرق

وعجبت من أرض سحاب أكفهم   من فوقها وصخورها لا تورق . . .

(٢) جميع النسخ : نقتفى على . والمعروف . أن هذا الفعل يتعدى بنفسه .

(٣ – ٣) كذا فى ا ، ب . حـ ، د ، هـ : فإن كانت على الضد

(٤) حـ : نأت .

(٥) الدن : وعاء الخمر . الدردى : ما يبقى بأسفله

هذى برزْتِ لنا فهجت رَسِيساَ   ثم انصرفتِ وما شَفَيْتِ نَسِيساَ[١]

فإنه لم يرض بحذف علامة النداء من هذى ، وهو غير جائز عند النحويين حتى ذكر الرسيس والنسيس ، فأخذ بطرَفَى الثقل والبَرد ، كقوله :

(أوْهِ بديلٌ من قولتِى واها)[٢] وهو برُقْية العقْرب أشبه منه بافتتاح كلام فى مخاطبة ملك ، وكقوله وهو مما تكلف له اللفظ المتعقدّ ، والترتيب المتعسف لغير معنى بديع ، لا يفى شرفه وغرابته بالتعب فى استخرجه ، ولا تقوم فائدة الانتفاع به بإزاء التأذى باسماعه :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمُه   بأن تُسعدا والدمعُ أشفاه ساجِمُهْ

ذكر بعض ابتداءات تطير منها

وكقوله فى استفتاح قصيدة فى مدح مَلِك[٣] يريد أن يلقاه بها أول لُقيه :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا   وحسبُ المنايا أن يكــن أمانيا[٤]

وفى الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا ما فيه من الطّيرَة التى تَنْفِر منها السوقة فضلا عن الملوك .

حكى الصاحب قال : ذكر الأستاذ الرئيس[٥] يوما الشعر فقال : إن أول ما يُحتاج فيه إليه حسن المطلع ، فإن ابن أبى الثياب[٦] أنشدنى فى يوم نَوْروز قصيدةً ابتداؤها :

(أقَبْرٌ وَمَا طَلَّتْ ثراكَ يدُ الطَّلّ) . فتطيرتُ من افتتاحه بالقبر ، وتنغصت باليوم والشعر ، فقلت له : كذاك كانت حال أبى[٧] مقاتل الضرير ،

---

(١) حذف حرف النداء مع اسم الإشارة ممنوع عند البصريين جائز عند الكوفيين .
الرسيس : ابتداء الحب . النسيس : بقية الروح . الديوان : انثنيت بدل انصرفت .

(٢) تمامه * لمن نأت والبديل ذكراها * . أوه : كلمة توجع . واها : كلمه تعجب واستطابة .

(٣) هو كافور .

(٤) سبق القول فى هذا والذى قبله .

(٥) حكى الصاحب : أى إسماعيل بن عباد صاحب ابن العميد وقد مرت ترجمته والأستاذ الرئيس هو ابن العميد وقد مر ذكره أيضاً .

(٦) ابن أبى الثياب : أحد الشعراء المقيمين بحضرة ابن العميد ومن مداحه (اليتيمة جـ ٤ ... دمشق

(٧) جمع الأصول والصناعتين : أبى مقاتل ، واليتيمة (١ : ١٠٦) ابن مقاتل .

لما أنشد مخدومه الداعي إلى الحق العلوى الثائر بطَبرستان،(١) وهو الحسن بن زيد بن محمد ، من أولاد زيد بن عليّ ، واستولى على طَبرستان (١) وما يليها ، فى خلافة المستعين ، ويسمى بالداعى الأكبر ، وقد ولىَ الأمرَ بعده أخوه محمد بن زيد ، إلى أن قتل بجرُجان (موعد أحبابك بالفُرقة غدٌ) أغضبه التفاؤل بهذا الافتتاح ، وقال له : بل موعد أحبابك يا أعمى ولك المثلُ السَّوْء .

ودخل أيضًا على الداعى يوم المِهْرجان ، وأنشده :

لا تَقلْ بشرى ولكن بُشريان　　　غُرَّةُ الداعى ويومُ المِهْرجانْ

فإنه نفر من قوله : « لا تقل بشرى » أشد نِفار ، وتطيَّر ، ، وقال : أعمى ويبتدئُ بهذا فى يوم مِهْرجان ، وأمر بضربه خمسين سَوْطا ، وقال : إصلاح أدبه أبلغ من ثوابه(٢) ، ولما أنشد أبو نُواس الفضل بن يحيى البرمكى قصيدته التى مدحه بها ، وأولها :

أرَبْعَ البِلى إن الخشوعَ لبادى　　　عليك ، وإنى لم أخنك ودادى

تطير الفضل من هذا الابتداء ، فلما انتهى إلى قوله :

سلام على الدنيا إذا ما فُقِدتمُ　　　بنى برْمَكَ من رائحين وغادى

استَحْكَمَ تطيرُه ، ولم يمض أسبوع حتى نزلتْ بهم النازلة(٣) .

ولما فرغ المعتصم من بناء قصره بالمَيدان ، جلس فيه ، وجمع أهله وأصحابه

(١ — ١) ساقط من سائر النسخ .

(٢) وقال هلا قلت : إن تقل بشرى فعندى بشريان ،وقد يحمل بعض الممدوحين مثل هذا الخطأ من مادحيهم إذا نظروا إلى حسن مقصدهم وإن خانهم التعبير وما أجمل ما وقع من السيدة زبيدة أم الأمين فقد رووا أن أحد الشعراء أنشدها مدحاً وهى تستمع :

أزبيدة　بنة　جعفر　طوبى　لزائرك　المثاب
تعطين　من　رجليك　ما　تعطى　الأكف　من　الرغاب

فوثب إليه الخدم يضربونه فنعتهم وقالت : أراد خيراً فأخطأ : ومن أراد خيراً فأخطأ أحب إلينا ممن أراد شراً فأصاب ، سمع قولهم : شمالك أندى من يمين غيرك ، وقفاك أحسن من وجه غيرك ، وظن أنه إذا قال هذا كان أبلغ فى المديح ، أعطوه ما أمل ، وعرفوه ما جهل .

(٣) النازلة : فتك الرشيد بهم .

وأمرهم أن يخرجوا فى زينتهم ، فما رأى الناس أحسن من ذلك اليوم ، فاستأذنه إسحاق بن إبراهيم الموصلى فى الإنشاد فأذن له ، فانشده شعراً حسناً ، إلا أنه استفتحه بذكر الديار وعفائها ، وقال :

يا دارُ غيّرك البِلى ومحَاكِ يا ليتَ شعرى ما الذى أبكاك ؟[1]

فتطير المعتصم من ذلك ، وتغامز الناس على إسحاق بن إبراهيم ، كيف ذهب إلى[2] مثل ذلك ، مع معرفته وعلمه ، وطول خدمته للملوك ، ثم أقاموا يومَهم ، وانصرفوا ، فما عاد منهم اثنان إلى ذلك المجلس ، وخرج المعتصم إلى (سُرَّ مَنْ رَأى) وخَرِب القصر .

وينبغى للشاعر إذا أراد ذكر دار فى مديحه ، فليذكر كما[3] ذكر أشجع السلمىّ حيث قال :

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامُ خلعت عليه جمالها الأيامُ

وما أجدر هذا البيت بمفتتح شعر إسحاق بن إبراهيم الذى أنشده للمعتصم . وقصيدة أبى نواس التى أولها :

يا دارُ ما فعلت بك الأيام لم يبق فيك لذاذةٌ تُستامُ

من أشرف شعره ، وأعلاه منزلة ، وهى مستنكرة الابتداء ، لأنها فى مدح الخليفة الأمين ، هلا قال كما قال العُمانىّ[4] :

على منبر العَلْياء جَدُّك يخطُب وللبلدة العَذْراء سيفك يخْطِب

وافتتاح المديح بمثل[5] ذكر الديار ودثورها يتطير منه ولا سيما فى مشافهة

---

(١) كذا فى ا . سائر النسخ والمثل السائر أبلاك

(٢) «ذهب إلى» كذا فى حـ ، د ، هـ . ا : ذهب عليه : ب . : ذهب مثل .

(٣) ساقطة من حـ ، د ، هـ .

(٤) العمانى : هو محمد بن ذؤيب الفقيمى كان يجيد وصف الفرس وقد عمر فدح الخلائف من مروان إلى الرشيد وأخذ جوائزهم ولم يكن من أهل عمان (وهى كورة على ساحل بحر اليمن والهند قريبة من البحرين) وإنما قيل له عمانى لأن دكينا الراجز نظر إليه وهو يسقّى إبله فرآه عليها مصفر الوجه ضريرا مطحولا (عظيم الطحال) فقال : من هذا العمانى ؟ فلزمه الاسم ، وأهل عمان مصابون بصفرة الألوان مطحولون لأنها وبية .

(٥) كذا فى ا ، ب . سائر النسخ : بذكر .

الخلفاء والملوك والوزراء ، وللاحتراز عن التطير ، تأبىّ أهل الظَّرف إهداء السفرجل إلى الأحباب ، لاشتمال اسمه على «سَفَرٍ جَلَل» ، فكيف لا يلومون مهيارا الديلمى [١] على قوله :

وإنك مذْخور لإحيـــاء دولةٍ إذا هى ماتت كان فى يدك النشر

وهل خلع هارون على كاتبه إذا سأله عن شىء ، فقال : لا و[٢] أيد الله أمير المؤمنين ، إلا لأنه لم يسمع ما عليه الأغبياءُ فيما بينهم من ترك الواو فى مثل هذا الجواب .

قال الصاحب بن عباد : هذه الواو أحسن من واوات الأصداغ فى خدود المُرْد المِلاح . وسأل هارونُ المأمونَ عن جمع [٣] المسواك فقال : ضد[٤] محاسنك يا أمير المؤمنين ؛ فأعجب به غاية الإعجاب . وسأل بعض الملوك كاتبه عن شجرة تراءت له ، فقال : شجرة الوفاق ، تفاديا من[٥] شجرة الخلاف ، ولما دخل ذو الرمة[٦] على عبد الملك[٧] ، وأنشده قصيدته التى أولها : ما بال عينيك منها الماءُ ينسكب[٨]

وكانت عين عبد الملك تدمَع ، فتوهم أنه خاطبه ، فقال له[٩] : ما سؤالك عن هذا يابن الفاعلة[١٠] ؟ ومقته ، وأمر بإخراجه ، وكذلك قول البحترى وقد

---

(١) مهيار الديلمى : هو أبو الحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسى الديلمى الشاعر المشهور ، أسلم على يد الشريف الرضى ، وعليه تخرج فى نظم الشعر ، توفى سنة ٤٢٨ هـ .

(٢) هذا الواو واو وصل لو حذفت لتسلط النفى على ما بعدها ودل الكلام على الدعاء على المخاطب لا له كما هو المقصود .

(٣) جـ : جميع السواك ، وجميع بمعنى جمع .

(٤) ساقطة من سائر النسخ .

(٥) كذا فى سائر النسخ . ا : عن .

(٦) اسمه غيلان ، ويكنى أبا الحارث ، شاعر أموى ، يجيد وصف الإبل وبكاء الديار ، وكثيراً ما تغنى فى شعره بصاحبته مية ، وبناقته صيدح .

(٧) عبد الملك بن مروان : أعظم خلفاء بنى أمية ، وأبصرهم بالأدب ونقد الشعر ، وكانت مجالسه حافلة بالسمار والشعراء والمناقضات الأدبية ، توفى فى آخر القرن الأول .

(٨) ا ، جـ : عينك . وتمامه : كأنه من كلى مفرية سرب .

(٩) [له] : ساقطة من حـ ، د ، هـ .

(١٠) حـ : الخاطئة

أنشد يوسف بن محمد[١] قصيدته التى أولها :

لك الويل من ليل تقاصر آخره[٢]

فقال له : لك الويل والحَرَب[٣]

وكقوله أيضًا :

(فؤاد ملاه الحزن حتى تصدعا)[٤] فإن ابتداء المديح بمثل هذا طِيَرَةٌ ينبو عنها السمع ، ولو كانت فى المراثى لحسن موقعها ، وكذلك قول أبى تمام :

تجرَّعْ أسًى قد أقفر الجَرَعُ الفرْدُ[٥]

والذى ألقاه فى هذه الورطة ، التجنيس بين تَجَرَّع والْجَرَع . ولما أنشد الأخطل عبدَالملك بن مروان قصيدته التى أولها (خفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا) ، قال له عبد الملك : لا ، بل منك ، وتطير من قوله . ولما دخل أبو النجم[٦] على هشام بن عبد الملك[٧] ، وأنشده أرجوزة ؛ منها فى وصف الشمس : كأنها فى الأفق عين الأحول[٨] .

---

(١) كان البحترى يمدح محمد بن يوسف المشهور بأبى سعيد الثغرى . ولما مات الثغرى ولى المتوكل ابنه هذا ما كان لأبيه ، ومدحه البحترى كما مدح أباه .

(٢) الديوان :

له الويل من ليل بطاء أواخره   ووشك نوى حى تزم أباعره

يقال : إن البحترى لما سمع النقد غير المطلع من الخطاب إلى الغيبة .

(٣) الحرب : السلب : حربه حربا : سلبه ماله .

(٤) لم نجد قصيدة هذا المطلع فى ديوان البحترى طبعة هندية بمصر ولعلها من القصائد التى لم تنشر بعد .

(٥) هذا صدر مطلع قصيدة يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة ، وعجزه :

* ودع حسى عين يحتلب ماءه الوجد * والجرع : أرض رملية .

(٦) أبو النجم : هو الفضل بن قدامة ، من عجل ، كان ينزل بسواد الكوفة ، وقد اشتهر بالرجز ، وله مع العجاج مواقف . ومطلع أرجوزته التى منها هذا البيت : الحمد لله الوهوب المجزل أنشدها هشاماً ، وكان يصفق بيديه استحساناً ، فلما بلغ هذا البيت أمر بوج ء رقبته وإخراجه . وكان أبو النجم وصافاً للفرس .

(٧) وهشام أحد خلفاء بنى أمية ، وأعقل بنى عبد الملك وأحزمهم .

(٨) وقبله :

حتى إذا الشمس جلاها المجتلى   بين سماطى شفق مرعبل =

وكان هشام أحولَ فأمر بإخراجه .

بعض ابتداءات لا يتطير منها مع كراهتها

واعلم أن شروط الابتداء ألا يكون يُتَطَيَّر منه كما مر ، ولا يمجه السمعُ ، كقول أبى تمام :

قَدْكَ اتئبْ أسرفتَ فى الغُلواءِ   كم تعذُلون وأنتمُ سُجَرائى [1]

وكقوله :

تَقِى جَمَحاتى لستُ طوعَ مُؤنِّبى   وليس جنيبى إن عذلْتِ بمصحبِى [2]

وكقول المتنبى :

أقَلُّ فَعالى بَلْهَ أكثرُه مجدُ   وذا الجِدُّ فيه نلتُ أولم أنل جَدَ

أىْ أقلُّ فعالى جِد ، دعْ أكثره ، وهذا الجدّ فى المجد جَد ، نلت أو لم أنلْ .

وكقوله :

كُفِّى أرانِى وَيْكِ لومَكِ ألْوَمَا   همٌّ أقام على فــؤاد أنْجَما

ومعنى هذا البيت هو ما قاله ابن جنى لا غير . يقول للعاذلة كُفِّى واتركى عَذْلى ، فقد أرانى هذا الهمّ لومَكِ إياى أحقَّ بأن يُلام منى .

قال الصاحب : ومن عنوان قصائده التى تُحير الأفهام ، وتفوت الأوهام ، وتجمع من الحساب مالا يُدرَك (بالأرثماطيقَى) ، وبالأعداد الموضوعة للموسيقا .

أحُــادٌ أم سُداسٌ فى أحاد   لُيَيْلَتُنا المنَوُطَــةُ بالتنادِ [3]

وهذ كلامُ الُحكْل [4] ورَطانةُ الزّط [5] ، وما ظنك بملوح قد تشمر

= صفواء قد كادت ولما تفعــل   فهى على الأفق كعين الأحول

صفواء : مائلة للغروب . مرعبل : مقطع

(١) فى الديوان : أربيت بدل : أسرفت . حـ : كتب البيت محرفا قدك : يكفيك . الاتئاب الاستحياء . الغلواء : من غلا يغلو إذا زاد فى القول والفعل . السجراء : الأحباب .

(٢) تق : احذرى لغة فى « اتق » جمحاتى : عصيانى .

(٣) التنادى : يوم القيامة .

(٤) الحكل : ما لا يسمع صوته كالذر والعجمة فى الكلام .

(٥) الزط : جيل من الهنود يقيم فى البنجاب .

للسماع من مادحه ، فصكّ سمعه بهذه الألفاظ الملفوظة[١] ، والمعانى المنبوذة ، فأى هزّة تبقى هناك ؟ وأى أريحية تثبت هنا ؟ وهذا البيت مدخول من وجوه : الأول : أن هذا البناء لا يتجاوز رُباعَ إلا نادرا . الثانى[٢] : أن أحاد لا تستعمل فى موضع الواحد، وكذلك سداس . الثالث : حذف الهمزة من أحاد . قال الواحدىّ : وأكثروا فى معنى هذا البيت ، ثم لم يأتوا ببيان مفيد موافق للفظ وإن حكيت ما قالوا فيه طال الكلام ، ولكنى أذكر ما وافق اللفظ من المعنى ، وهو أنه أراد : واحدة أوست فى واحدة ، إذا جعلتها فيها كالشيء فى الظرف ، ولم يرد الضرب الحسابى بسبع[٣] وخص هذا العدد ، لأنه أراد ليالى الأسبوع ، وجعله اسما لليالى الدهر كلها [٤] لأن كل أسبوع بعده أسبوع آخر ، إلى آخر الدهر . يقول هذه الليلة واحدة ، أم ليالى الدهر كلها [٤] جمعت فى هذه الواحدة ، حتى طالت وامتدت إلى يوم القيامة ؟ وهو قوله « لييلتنا المنوطة بالتناد » هذا كلام فيه ما فيه لمن تأمله .

ومن ابتداءاته البشعة التى تنكرها بديهة السماع قوله :

مُلِثَّ القطرِ أعطِشْها رُبوعَا ... وإلا فاسقِها السمَّ النقيعَا[٥]

وقوله :

اثْلِثْ[٦] فإنا أيُها الطَّلَلُ ... نبكى وتُرْزِمُ تحتنا الإبلُ

وقوله :

بقائى شاء ليس همُ ارتحالا ... وحسنَ الصبر زَمّوا لا الجمالا[٧]

---

(١) الملفوظة : المطروحة المهملة .

(٢) حـ ، د ، هـ : والثانى .

(٣) كذا فى جميع النسخ .

(٤ — ٤) ساقط من سائر النسخ .

(٥) مضى الكلام فى هذا البيت

(٦) اثلث : كن ثالثاً . ترزم : تحن. يقول : كن ثالثنا فى البكاء أيها الطلل لأننا نبكى عندك والإبل تحن كأنها تبكى أيضاً . ثلثهم من باب ضرب إذا كان ثالثهم أو كلهم ثلاثة بنفسه .

(٧) زموا : من زم البعير إذا خطمه بالزمام . يقول لما رحلوا ارتحل بقائى، وهو الذى أراد الارتحال لا هم ، وكأنهم زموا صبرى للسير لأجمالهم ، لأنى فقدت الصبر لما ارتحلوا .

قال الصاحب : ومن افتتاحاته العجيبة قوله لسيف الدولة فى التسلية عن المصيبة :

لا يحزُنِ اللهُ الأميرَ فإننى ... لآخذُ من حالاته بنصيب[١]

قال الصاحب : لا أدرى لم لا يحزن سيفُ الدولة إذا أخذ المتنبى بنصيب من حالاته ؟ قلت : بلغ بغض الصاحب أبا الطيب إلى أنْ حرَّف بيتَه ، واعترض ، وإلا فالصاحب أجل من أن يشتبه عليه مثلُ هذا ، والمعنى لا أحزنه الله ، فإنه إذا حزن حزنتُ ولقد أبدع فى التلويح بالحزن ، والنون فى لا يحزن مكسورة ، وهو دعاء . ومن هذه القصيدة البيت الذى أفسده حشوه وهو :

ولا فضلَ فيها للشجاعةِ والندى ... وصبر الفتى لولا لقاء شَعُوبِ[٢]

وأجاب عنه بعض الشراح جوابًا غير مَرْضىّ .

ومنها إتباع الفقرة الغرّاء بالكلمة العوراء ، والإفصاح بذلك فى شعره عن كثرة التفاوت ، وقلة التناسب ، وتنافر الأطراف ، وتخالف الأبيات ، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر ، والضعيف الساقط ؛ فبينا[٣] هو يصوغ أفخر حلى ، وينظم أحسن عقد ، وينسج أنفس وشى ، ويختال فى حديقة ورد ، إذا به قد رمى بالبيت والبيتين فى أبعاد الاستعارة ، وتعويص اللفظ ، وتعقيد المعنى إلى المبالغة فى التكلف ، والزيادة فى التعمق ، والخروج إلى الإفراط والإحالة ، أو السفسفة والركاكة ، أو التبرد[٤] والتوحش ،

---

(١) القصيدة فى مدح سيف الدولة — وتعزيته عن غلامه يماك .

(٢) يريد بالحشو المفسد لفظ : والندى . لأن المعنى أن الدنيا لا فضل فيها للشجاعة والكرم والصبر على الشدائد على تقدير عدم الموت وهذا إنما يصح فى الشجاعة والصبر دون العطاء فإن الشجاع إذا تيقن الخلود هان عليه الاقتحام فى الحروب لعدم خوفه من الهلاك فلم يكن فى ذلك فضل وكذلك الصابر إذا تيقن زوال الشدائد وبقاء العمر هان عليه صبره على المكاره لوثوقه بالخلاص منها بخلاف الباذل ماله فإنه إذا تيقن الخلود شق عليه بذل المال لاحتياجه إليه فيكون بذله حينئذ أفضل أما إذا تيقن الموت ، فقد هان عليه بذله ولهذا قال طرفة :

فإن كنت لا تسطيع دفع منيتى ... فدعنى أبادرها بما ملكت يدى

(معاهد التنصيص ج ١ ص ٣٢٣)

(٣) ا : فيناه واستعماله فى النثر شاذ . ب : فبينا هو . سائر النسخ : فبينما هو .

(٤) هـ : والتبرد .

باستعمال الكلمات الشاذة ، فحا تلك المحاسن ، وكدر صفوها ، وأعقب حلاوتها مرارة لا مَسَاغ[١] لها ، واستهدف لِسِهام العائبين ، وتحكك بأسنة الطاعنين ، فمن متمثل[٢] بقول الشاعر :

أنت العروسُ لها جمالٌ رائع   لكنهـــا فى كل يوم تُصرع

ومن مُشبِّه إياه بمن يُقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات ، وبدائع الطيبات ، ثم يتبعها بطعام وَضِر ، وشراب عَكِر ، أومن يتبخر بالندّ المعُشب ، المثلث المركب من العود الهندى ، والمسك الأصهب[٣] ، والعنبر الأشهب[٤] ، ثم يرنِّقُه بإرسال الريح الخبيثة ، ويُفسده بالرائحة الردية ، أو بالواحد من عقلاء المجانين ، ينطق بنوادر الكلم ، وطرائف[٥] الحكم ، ثم تعتَريه سكرةُ الجنون فيكون أصلح أحواله ، وأمثل أقواله أن يقول : اعذرونى فان العِذرة[٦] متعذرة .

فما نشر أبو الطيب من هذا النمط قوله :

أتـــراهـــا لكـــثرة العشّاق   تحسَب الدمعَ خِلقةً فى المآقى؟

وهذا ابتداء ما سمع بمثلة ، ومعنى تفرد بابتداعه ، لولا ما كدر صفوه ، وقبح حسنه ، وشفعه بما لا يبالى العاقل أن يُسقطه من شعره ، وهو قوله :

كيف تَرْثى التى ترى كل جَفن   راءهـــا غيرَ جفنها غيرَ راقى[٧]

فبينا الذوق يستلذ حلاوة البيت الأول، إذ[٨] شرق بمرارة[٨] البيت الثانى، وقولـــه :

---

(١) جميع النسخ : لا يساغ، تحريف .
(٢) كذا فى ب . والكلمة محرفة فى غيرها . .
(٣) الأصهب : الأحمر مأخوذ من الصهبة وهى احمرار الشعر .
(٤) الأشهب : ما يغلب البياض فيه السواد
(٥) ح ، د ، ه : ظرائف .
(٦) العذرة : بكسر أوله العذر .
(٧) قد مضى الكلام فى هذا البيت .
(٨ – ٨) هذه العبارة مضطربة فى الأصول وأوضح صورها ما أثبتناه عن (ح) وفيها : إذا شرق . . .

ليـــاليّ بعد الظاعنين شُكُولُ طِوال وليلُ العاشقين طويلُ
يُبِنَّ لى البدرَ الذى لا أريده ويخفين بـــدراً ما إليه سبيل
وما عشت من بعد الأحبة سَلوةً ولكـــننى للنائبات حَمول
وما شرقى بالمـــاء إلا تذكـــرا لمـــاءٍ به أهلُ الحبيب نُزُول

إلى أن قال :

يُحـــرِّمه لمـــعُ الأسنَّة فوقـــه فليس لظمآن إليـــه سبيلُ

من قصيدة اخترع أكثر معانيها ، وتسهل فى ألفاظها ، فجاءت مطبوعة مصنوعة ، ثم اعترضته تلك العادة المذمومة فقال :

أغركمُ طول الجيوش وعرضُها على شَروب للجيوش أكُول
إذا لم تكن لليث إلا فريسةً غذاه ولم يمنعك أنك فيـــل[1]

ثم أتى بما هو أطمُّ منه ، فقال — وذكر الصاحبُ أنه من أوابده[2] التى لا يسمع طول الأبد بمثلها :

إذا كان بعض الناس سيفًا لدولة فنى الناس بُوقاتٌ لها وطُبولُ
فإن تكن الدَّولات قسما فإنها لمن ورد الموتَ الزؤامَ تَدولُ

قال الصاحب قوله : الدولات وتدول من الألفاظ التى لو رزق فضل السكوت عنها لجاز[3]. وقال من قصيدة جمع فيها بين الشَّذْرةِ والبَعْرةِ والدّرة والآجرة :

لك يا منازلُ فى القلوب منازلُ أقفرت أنتِ وهن منك أو أهلُ

وهذا ابتداء حسن ، ومعنى لطيف ، ثم قال :

وأنا الذى اجتلب المنيـــة طرفُه فَمَنِ المُطالِبُ والقتيلُ القاتلُ

---

(١) ب ، حـ ، هـ : إذا لم يكن للجيش . . . . غداه
وقد عيب عليه الاستعارة فى البيت السابق فى : على شروب للجيوش أكول ، وتصور سيف الدولة يأكل الجيوش ويشربها وفيها ناس ودواب وحديد ، كما عيب عليه فى هذا البيت التشبيه فى قوله : أنك فيل .
(٢) الأوابد : الدواهى يبقى ذكرها على الأبد .
(٣) فى اليتيمة : لكان سعيدا

وهو وإن كان مأخوذاً من قول دعبل :

لا تطلبا بظلامتى أحداً ... طرفى وقلبى فى دمى اشتركا

فإنه أخذ بأطراف الرشاقة والملاحة . ثم استمر فى القصيدة فجاء بالتوسط المقارب ، والبديع النادر ، والردىء النافر ، حيث قال :

ولذا اسم أغطيةِ العيون جفونُها ... من أنها عَمَلَ السيوفِ عواملُ[1]

وهو معنى فى نهاية الحسن واللطف لو ساعده اللفظ .

كم وقفة سجرتك شوقا بعدما ... غرِى الرقيبُ بنا ولجَّ العاذلُ

فلم يَحسن موقعُ سجرتك[2] ، أى ملأتك،هكذا الرواية بالجيم ولو كانت بالحاء من السحر ، لم يكن بأس ، ثم قال ومَلُح :

دون التعانق ناحلَيْن كشَكْلَتَىْ ... نصب أدقهما وضمَّ الشاكلُ

أى قريب بعضنا من بعض ، ولم نتعانق خوف الرقيب ، ثم قال وأحسن غاية الإحسان :

للهو آونةٌ تمرّ كأنها ... قُبَلٌ يُزَوِدها حبيبٌ راحل

جمع الزمانُ فما لذيذٌ خالص ... مما يشوب ولا سرورٌ كامل

حتى أبو الفضل بن عبد الله رؤ ... يته المنى وهو[3] المقام الهائل

قال ابن جنى : وهذا خروج غريب ظريف حسن، ما أعرفه لغيره ، يقول: إن المنى رؤيته إلا أن هيبته تهول[4] ، ثم قال فجمع أوصافا فى بيت واحد :

للشمس فيه وللرياح وللسحا ... ب وللبحار وللأسود شمائلُ

(١) مضى الكلام عنه

(٢) ويروى : شجرتك أيضاً أى حبستك عن الكلام من : شجر الدابة إذا جذب لجامها ليكفها .

(٣) الديوان : وهى .

(٤) حـ ، د ، هـ : تهوله .

ثم قال وتحذلق وتبرد :

ولديـــه مِلْعقيان والأدب المُفا   دِ ومِلْحياةِ ومِلْممات مناهلُ[١]

وإنما ألمّ فى صدر هذا البيت بقول أبى تمام : (نأخذ من ماله ومن أدبه)[٢] ثم قال :

علامـــة العلماء واللجُّ الذى   لا ينتهى ولكل لُجٍ ساحلُ

ثم قال فأحال[٣] :

لو طاب مولد كل حى مثلَه[٤]   وَلَدَ النساءُ وما لهن قوابـــل

قال القاضى أبو الحسن : إن طيب المولد لا يُستغنى به عن القابلة ، وإن استغنى عنها كان ماذا ؟ وأى فخر فيه ؟ وأى شرف ينال به[٥] ؟ ثم توسط وقارب ، فقال :

ليَزِدْ بنوالحسن الشّرافُ تواضعا   هيهات تكتم فى الظلام مَشاعِلُ
ستَروا الندى ستر الغراب سِفادَه   فبدا وهل يَخفَى الرَّباب الهاطل[٦]

ثم قال ، وتوحش ، وتبغّض ما شاء الحاسدُ :

جَفَخَت وهم لايجفخون بها بهم   شِيَمٌ على الحسب الأغَر دلائلُ

ولفظة الجفْخ مُرَّة الطعم إذا مرّت على السمع اقشعر منها ، ويا لله العجب أليس أنها بمعنى فخرت ، وهى لفظة حسنة رائقة ، ولو وضعت فى هذا البيت موضع

---

(١) من العقيان ومن الحياة ومن الممات ، والمعنى أن لهذه الأشياء عنده موارد يردها الناس منه كما يردون مناهل الماء .

(٢) صدره : * ترى بأشباحنا إلى ملك * وهو من قصيدة يمدح بها أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى .

(٣) كذا فى ا ، ب . ومعناها : أتى بالمحال . سائر النسخ : وأجاد .

(٤) نعت لمصدر محذوف أى طيباً مثل طيب مولده .

(٥) لا نوافق القاضى أبا الحسن على نقده هذا .

(٦) النقد فى قوله : ستر الغراب سفاده .

جفخت لما اختل شيء من وزنه ، فأبو الطيب ملوم من وجهين : أحدهما أنه استعمل القبيح ، والآخر أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنه ، ومثل بيت أبي الطيب ما ورد في الحماسة لتأبط شراً[1] حيث قال :

يَظل بمَوْمَاة ويُمسِي بغيرها جَحيشاً ويَعْرورِي ظهورَ المهالك[2]

فلفظ جحيش من الألفاظ المنكرة ، وهي بمعنى فريد ، فعليه من اللوم ما على أبي الطيب ، وكذلك ورد قول أبي تمام :

قد قلت لما اطلخم الأمرُ وانبعثت عشواءُ تاليةً غُبْساً دهاريسا[3]

فلفظة اطلَخَمَّ من الألفاظ المنكرة ، وهي مع غرابتها غليظة في السمع كريهة على الذوق ، وكذلك لفظة دهاريس، ثم قال :

يا افخرْ فإن الناسَ فيك ثلاثة مستعظمٌ أو حاسدٌ أو جاهلُ

أي يا هذا افخر ، فحذف المنادى ، وتباغض ، وتبادى[4] ثم قال[5] :

لا تَجسُرُ الفصحاءُ تُنشد ههنا بيتاً ولكني الهزبْرُ الباسلُ
ما نال أهلُ الجاهلية كلهم شعري ولا سمعتْ بسحري بابلُ

ثم قال، وأرسله مثلا سائراً ، وأحسن جداً :

وإذا أتتك مَذَمَّتي من ناقص فهي الشهادةُ لي بأني فاضل[6]

---

(١) تأبط شرا : هو ثابت بن جابر من فهم ، وكان شاعراً بئيساً يغزو على رجليه وحده ، خرج ذات مرة وقد تأبط سيفاً ، وسئلت أمه عنه فقالت تأبط شراً وخرج وهو من عدائي العرب وفتاكها ، كان إذا جاع نظر إلى الظباء فينتقي أسمنها ثم يجري خلفه فلا يفوته !

(٢) الموماة : المفازة : يعروري يركب . والمعنى أنه كثير الجولان في الأرض مستأنس بنفسه يركب المهالك لشدة حماسته وجرأته . وفي الأصول التي بأيدينا المسالك وفي ديوان الحماسة المهالك كما أثبتنا لأن البيت الذي قبله ينتهي بكلمة المسالك وهو :

قليل التشكي للمهم يصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك

(٣) عشواء : ضعيفة البصر . غبس : جمع غبساء وهي المظلمة . الدهاريس : الدواهي .

(٤) ساقط من سائر النسخ .

(٥) رواية اليتيمة فتال وهي تدل على أن التباغض والتبادى مقصود بهما البيتان : لا تجسر ... إلخ

(٦) كذا في ا ، ب . الديوان وسائر النسخ : كامل .

ثم قال ، وتعسف فى اللفظ :

وأمَا وحقك وهْو غايةُ مُقسِمٍ لَلْحقُّ أنتَ وما سواكَ الباطلُ
الطيب أنتَ إذا أصابك طيبُه والماءُ أنتَ إذا اغتسلتَ الغاسل

وتقدير الكلام : الطِّيبأنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت غاسله إذا اغتسلت به ، وإنما ألم فيه بقول القائل :

وتزيدين طيب الطيب طيبًا إن تمسّيه أين مثلك أينا ؟[1]

تلميح بشعر المتنبى

تذكرت بقول المتنبى : . إذا أتتك إلخ . ما يحكى أن أبا العلاء المعرىّ : كان فى بعض الأيام حاضراً فى مجلس الشريف المُرْتَضى[2] ، فجرى ذكرُ المتنبى ، فهضم المرتضى من جانبه ، فقال المعرى : لو لم يكن له من الشعر إلا قولُه (لك يا منازلُ فى القلوب منازلُ) لكفاه ، فغضب المرتضى ، وأمر بإخراجه ، وقال أتدرون ما عَنَى ؟ فقالوا : لا. قال : عنى به قول المتنبى : وإذا أتتك البيت .

ومن التلميح بهذا البيت ماحكاه صاحب الحدائق[3] أن الفتح بن خاقان ذكر ابن الصائغ فى قلائد العقيان ، فقال فيه : رَمَدُ عين الدين ، وكَمَدُ نفوس المهتدين ، لا يتطهر من جنابة ، ولا يظهر مخايل إنابة . فبلغ ذلك ابن الصائغ ، فمر يوماً على الفتح بن خاقان ، وهو جالس فى جماعة ، فسلم على القوم ، وضرب على كتف الفتح ، وقال له : إنها شهادة يافتح ، ومضى . فلم يَدْر أحدٌ ما قال

---

(١) هو من قول ابن الجويرية :

تزين الحلى إن لبست سليمى وتحسن حين تلبسها الثياب

وقبله :

وإذا الدرزان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا

(٢) أخو الشريف الرضى الشاعر العلوى المشهور .

(٣) صاحب الحدائق هو أبو عمر أحمد بن فرج وهو اختيار لمحاسن أشعار أهل الأندلس عارض به كتاب الزهرة لمحمد بن داود الأصفهانى الظاهرى وقد ترجم له الفتح بن خاقان فى قلائد العقيان ص ٧٩ وترجم له ابن سعيد فى المغرب المجلد الخامس (الورقة ١٧٣) توفى سنة ٤٠٠ هـ والفتح بن خاقان أديب أندلسى مشهور صاحب كتابى : قلائد العقيان ، ومطمح الأنفس فى ملح أهل الأندلس واسمه الفتح ابن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسى الإشبيلى ، توفى قتيلا سنة ٥٣٥ هـ بمراكش .

وابن الصائغ هو أبو بكر محمد بن باجة التجيبى الأندلسى السرقسطى الفيلسوف الشاعر توفى سنة ٥٣٢ هـ أو ، ٥٢٥ هـ بمدينة فاس .

إلا الفتحُ ، فتغير لونُه ، فقيل له ما قال لك ؟ فقال : إنى وصفته كما تعلمون فى قلائد العقيان ، فما بلغت بذلك عشر ما بلغ هو منى بهذه الكلمة ، فإنه أشار بها إلى قول المتنبى : وإذا أتتك إلخ . ومن التلميح ما قيل : إنه دخل على سيف الدولة بعضُ الشعراء[١] فقال أيها الأمير : بماذا تفضل علىّ ابن عِيدان[٢] السقا ؟ قال لحسن شعره ، فقال أيها الأمير : اختَر أى قصيدة له حتى أعارضها ، بأحسن منها ، فقال سيف الدولة : عليك بقصيدته التى أولها :

لعينيكِ ما يلقى الفؤادُ وما لقى ... وللحب ما لم يبق منى وما بقى

فلم يرها من مختاراته ، فأمعن[٣] النظر ، فرأى فى أثنائها :

بلغتُ بسيف الدولة النور رتبةً ... أنرتُ بها ما بين غرب ومشرق

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق ... أراه غُبارِى ثم قال له : الحق

فامتنع عن معارضتها ، وعلم قصد سيف الدولة .

« قال ابنُ بسَّام[٤] فى الذخيرة . إن أبا عبدالله بن شرف[٥] قال يومًا للمأمون ابن ذى النون[٦] أيام خدمته إياه ، واستشفافه[٧] صُبابة عمره فى ذراه[٨] وقد أجرَوا ذكر أبى الطيب ، فذهبوا فى وصفه[٩] كل مذهب : إن رأى المأمون (لا فارق العزةَ والعلاء) أن يشير إلى أى قصيدة شاء من شعر أبى الطيب حتى أعارضه بقصيدة

---

(١) هما الخالديان أبو بكر وأخوه عثمان وقد تقدم التعريف بهما وحديثهما مع سيف الدولة فى هذا .

(٢) كذا فى ا ، ب . سائر النسخ : عبدان بالباء وتقدم صواب ذلك .

(٣) أمعن النظر : الأفصح أمعن فى النظر .

(٤) ابن بسام : اسمه أبو الحسن على بن بسام صاحب كتاب الذخيرة وهو كتاب جامع لأدب أهل الأندلس حتى منتصف القرن السادس ألفه صاحبه مساماة لأبى الفرج الأصبهانى فى كتابه الأغانى الذى هو أكبر مجموعة فى أدب العرب بالمشرق حتى منتصف القرن الرابع. عاش ابن بسام فى إشبيلية كما يقول ابن سعيد ومات سنة ٥٤٢ هـ .

(٥) من أشهر شعراء المغرب وكان معاصراً لابن رشيق الشاعر القيروانى وكلاهما من مداح المعز ابن باديس أحد ملوك المغرب مات ابن شرف سنة ٤٦٠ هـ وابن رشيق سنة ٤٦٣ هـ .

(٦) أحد ملوك الطوائف بالأندلس .

(٧) فى الأصل : استشعافه ، تحريف ، والصواب استشفافه ، والتصحيح من الذخيرة .

(٨) الأصل : داره تحريف .

(٩) الذخيرة : تأنيبه .

تُنسى اسمه، وتُعفّى رسمَه، فتثاقل ابنُ ذى النون عن جوابه علماً بضيق جنابه، وإشفاقاً من فضيحته وانتشابه، وألحَّ أبو عبد الله حتى أحرج ابنَ ذى النون، وأغراه، فقال له: دونك قوله: (لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى)

فخلا بها ابن شرف أياماً فوجد مركبَها وعْراً ومريرتها شَزْراً [١]، ولكنه أبلَى عذراً، وأرهق نفسه من أمرها عسراً، فما قام ولا قعد، ولا حل ولا عقد. وسُئل ابن ذى النون بعدُ. أى شىء أقصده إلى تلك القصيدة؟ فقال: لأن أبا الطيب، يقول فيها: بلغت بسيف الدولة النور رتبة، وأنشد البيتين [٢]. قال ابن بسام وقد حُدثتُ أيضاً أن أبا على بن شيق ناجى نفسَه بمعارضة أبى الطيب فى بعض أشعاره، وراطن شيطانه بالدخول فى مضماره، فأطال الفكرة، وأعمل النظرةَ بعد النظرة، فاختار من شعره ما لم يطر ذكره، ولا انحط قدره، فأداه جهدُه، وذهب به نقدُه، إلى معارضة قوله (أمِنَ ازديارَك فى الدجى الرقباءُ) فبث عيونه، واستمد شياطينه، فلم يدع ثنية إلا طلعها [٣]، ولا دوِّية [٤] إلا اتسع لها، فوسعها، ثم صنع قصيدة [٥] رأى أنها مادة طبعه، ومنتهى طاقة فنه ووُسْعِه، ثم حكَّم نقدَه، ورضى ما عنده، فرأى أن [٦] قد قصرت يداه، وقصَّر مداه، وعلم أن الإحسان كنز لا يوجد بالطلب» [٧].

تلميح لبعض علماء العصر

ومن التلميح ما كتبه العلامة عمادُ الفضائل والآداب سَمِيَّ مَنْ ألف برسمه

---

(١) المريرة: طاقة الحبل. الشزر: المحكم الفتل.

(٢) وتمام الخبر كما فى الذخيرة: وهذه غريبة ولو صدرت عن أبى العباس المأمون فضلا عن منتزع لقبه يحيى بن ذى النون، وقدما كبا الجموح وذهبت بالباطل الريح ولم يندم من بنى على أسه ولاهلك من عرف قدر نفسه.

(٣) فى الذخيرة بعد هذه الجملة «ولا خبيئة إلا أطلعها».

(٤) فى الذخيرة: «ولا زوية» وهو تصغير زاوية

(٥) فى الذخيرة بعد (قصيدة) فيما بلغنى

(٦) (أن) زيادة عن الذخيرة.

(٧) ما بين القوسين ساقط من سائر النسخ وقد استأنسنا فى تصحيحه بالذخيرة فى ترجمة صاعد بن الحسن اللغوى بالقسم الرابع من المجلد الأول طبعة جامعة القاهرة ص ١٤، ١٥ وتمام الخبر فيها:

وميدان لا يستولى عليه التعصب، وصان نفسه عن أن يتحدث عنه بأن تكون المرة أحزم منه.

هذا الكتاب إلى مضاهيه ومثيله ، ورسيله فى الفضل وزميله ، شيخنا النجم[١] الذى بنوره تُشرق الدجنة ، وأرسله من دمشق إلى حلب مع هدية ، من جملتها أديبٌ عليه سيماءُ أهل الجنة :

أنجمَ الدين مَنْ مَلكَ القلوبا ... فقلبى فى حِماه لن يثوبا
أخى فكأنَّ أمًّا أرضعتنا ... معا فى الشام أو (حَلَبَ) الحليبا
ومَنْ[٢] لى من بِعادى عنه همٌّ ... عسى ألقى له فرجا قريبا
لقد أهديتُ قاضينا إليكم ... لينشدكم من الشعر الغريبا
ولطفُك ليس يُنكر فى الهدايا ... على من زاركم فيها أديبا
فلا زالتْ ديارُك مشرقات ... ولا دانيتَ يا نجم الغروبا

والتلميح إلى الأديب الذى ذكره أبو الطيب المتنبى فى قصيدته التى يمدح بها على بن[٣] سيار بن مُكْرَم التميمى ، وأولها :

ضروب الناس عشاق ضروبا ... فأعذرهم أشفهمُ[٤] حبيبا

ومنها :

أعزمى طال هذا الليلُ فانظُرْ ... أمنكَ الصبحُ يَفْرَقُ أن يئوبا
كأنَ الفجرَ حِبٌّ مُستزارٌ ... يُراعى من دُجُنَّته رقيبا
كأن نجومه حَلْىٌ عليه ... وقد حُذِيَتْ قوائمه الجَبُوبا[٥]
كأن الجوَّ قاسى ما أقاسى ... فصار سوادُه فيه شُحوبا[٦]
كأن دُجاه يجذبها سُهادى ... فليس تَغيبُ إلا أن يَغيبا

---

(١) نجم الدين أفندى الأنصارى عالم حلب وسيأتى ذكره فى الابتداءات الحسنة .

(٢) كذا فى (ا) ومن اسم موصول . ب : ومالى .

(٣) يقال : كان لا بن سيار هذا وكيل يتعرض للشعر فدح أبا الطيب فبعث به ابن سيار إلى المتنبى فأنشده فسار أبو الطيب إلى ابن سيار ومدحه بهذه القصيدة .

(٤) أشفهم : أفضلهم يعنى أن كل صنف من الناس يعشق صنفا مما يحب فأحقهم بالعذر من كان محبوبه أفضل .

(٥) الجبوب : وجه الأرض . حذيت الجبوب أى جعل حذاء لها يقول كأن النجوم حلى قد علقت على الليل فلا تفارقه وكأن الأرض قد جعلت حذاء له فلا يستطيع أن يمشى لثقلها .

(٦) الشحوب : تغير اللون (هامش فى الأصل) .

الضمير فى : « ليس تغيب » يعود إلى دُجاه ، وهى جمع دُجْية ، وفى : « إلا أن يغيبا » يعود إلى سهادى . ومنها :

أقَلّبُ فيـه أجفـانى كأنى ... أعُدّ بـه على الدهر الذُّنوبا
وما ليلٌ بأطـول من نهار ... يظلُّ بلحظ حُسادى مَشوبا

مأخوذ من قول امرئ القيس :

فقلت لـه لما تَمطَّى بصُلْبه ... وأردف أعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى ... بصبح ، وما إلا صباح منك بأمثل[1]

ولو لم يكن لأبى الطيب إلا هذه الأبيات ، لاستحق أن يتقدم بها على كل من تكلم بقافية ، ومنها[2] :

---

(١) تناول الشعراء وصف الليل بالطول ، ونوهوا بتزايد الهموم فيه فقال امرؤ القيس :

وليـل كموج البحر أرخى سدوله ... عـلى بأنواع الهموم ليبتلى

فقلت له . . .
ألا أيها الليل . . .

وقال النابغة الذبيانى :

كلينى لهم يا أميمة ناصب ... وليـل أقاسيه بطىء الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقض ... وليس الذى يرعى النجوم بآئب
وصدر أراح الليل عازب همـه ... تضاعف فيه الحزن من كل جانب

وقال المجنون :

يضم إلى الليل أطفـال حبكم ... كما ضم أزرار القميص البنائق

وقال ابن الدمينة :

أظـل نهـارى فيكم متعللا ... ويجمعنى والهم بالليـل جامع

فالشعراء على هذا المعنى متفقون ، والمبتدى بالإحسان فيه هو امرؤ القيس فإنه كره أن يقول إن الهم فى حبه يخف عنه فى نهاره ويزيد فى ليله فجعل الليل والنهار سواء عليه فى قلقه وهمه وجزعه وغمه ، فأحسن فى هذا المعنى الذى ذهب إليه وإن كان الواقع يخالفه وقد فطن إلى تدارك هذا بعض من جاء بعده فقال :

ألا أيها الليل الذى طال أصبح ... بيم وما الإصباح فيك بأروح
بلى إن للعينين فى الصبح راحـة ... لطـرحهما طرفيهما كل مطرح

فكان فى استدراكه بالبيت الثانى ما فات امرأ القيس محسناً مبيناً عن الفرق بين ليله ونهاره بياناً يطابق الحقيقة والواقع .

والمتنبى فى رأينا زاد فى المبالغة على امرئ القيس لأنه جعل نهاره أطول من ليله .

(٢) ساقطة من سائر النسخ .

أبا من عاد روحُ المجدِ فيه وعاد زمانُه[١] البالى قشيبا
تَيَمَّمَنى وكيلُك مادحًا لى وأنشدنى من الشعــر الغريبا

الأديب الذى مدح المتنبى

قال أبو الحسن على بن أحمد : سمعت الشيخ أبا المجد كريم بن الفضل قال : سمعت والدى أبا بشر قاضى القضاة قال : أنشدنى أبو الحسن الشامى الملقب بالمشوف المعلم قال : كنت عند المتنبى[٢] فجاء هذا الوكيل[٢] ، فأنشده[٣] هذه لأبيات وهى :

فــؤادى قد انصــدع وضِرسى قــد انقلع
وعَقْلِلِى لِلَيْلَتى قد انهوى وما رجــع
يا حبَّ ظــبى غَنَجٍ كالبــدر لما أن طلع
رأيتــه فى بيتــه من كُوَّة قد اطّلــعْ
فقلت تهْ تهْ وتــه فقال لى مُرّ يا لُكَع
هات قِطَعْ ثم قِطع ثم قِطَعْ ثم قِطَــعْ
وضع بكَفِّى ففى حتى أدعكك يضع فَتَضَعْ[٤]

فهذا الذى عناه بقوله ، وأنشدنى من الشعر الغريبا ، ثم قال المتنبى :

فآجــرك الإلــهُ على عليلٍ بعثتَ إلى المسيح به طبيبــا
ولستُ بمنكــر منك الهدايا ولكــن زدتَنى فيهــا أديبا
فلا زالت ديارك مشرقــات ولا دانيت يا شمس الغروبا

تلميح آخر

ومما يندرج فى هذا الباب . ما ذُكِر فى بعض كتب الآداب ، وملخصه أن

---

(١) الضمير فى « زمانه » يعود إلى المجد .
(٢ – ٢) ساقط من ج ، د ، ه .
(٣) سائر النسخ : فأنشد .
(٤) رواية هذا الشعر الضعيف عن الواحدى فى شرح ديوان المتنبى ٣٩٦ طبعة برلين وهو فى الأصول وفى المراجع مضطرب أشد اضطراب . وقد أصلحنا بعض مواضعه ليستقيم وزنه وقد وردت الكلمة الأخيرة فيه فى الواحدى (بضعضع) متصلة الحروف .
ومعنى التلميح أن يشير الشاعر فى فحوى كلامه إلى قصة أو شعر أو مثل سائر والمؤلف يشير بالشعر الذى رواه عن بعض معاصريه إلى شعر المتنبى فى وكيل ابن سيار فى قصيدته التى مطلعها
« ضروب الناس عشاق ضروبا »

بعض الشعراء ألجأته الضرورةُ ، فقصد نادى بعضِ الوزراء ، وحملتْه دقة حاله على أن تقاضاه فى الطلب ، واشتكى فى زمانه كسادَ سوق العلم والأدب ، وأنشده لأبى تمام :

أكابرَنا عطفــا علينا فإننا بنا ظمأ برْحٌ وأنتمْ مناهلُ

فأعرض عنه ، ولم تُجْدِه الوسائل ، ثم قال له من القائل ؟

الحبُّ ما منع الكلامَ الألسنا وألذُّ شكوى عاشق ما أعلنا

فقال : هو للذى يقول :

بِنَّا فلو حلَّيْتَنَا لم تَدْرِ ما ألوانُنــا مما امتُقِعن تلوّنا[1]

والبيت الذى أنشده الوزير مطلع قصيدة لأبى الطيب المتنبى[2] ، ومراده التلميح إلى قوله فى أثناء هذه القصيدة :

وانْهَ المشير عليك فىَّ بِضَلَّة فالحُرُّ ممتحَنٌ بأولاد الزِّنا

فلما علم ما قصده الوزيرُ ذلك الشاعرُ[3] أجابه بالبيت الثالث من القصيدة ، ومراده التلميح إلى بيت ثالث من مقصده ، وهو :

ومكايدُ السفهــاءِ واقعةٌ بهم وعداوةُ الشعراء بئس المُقْتَنَى

وكان الوزيرُ مُغرما بابنة السلطانِ ، وقد بدا من شأنهما ما نقلته الرُّكبان ، فتوسل ذلك الشاعرُ إلى أن أوقف[4] أباها على جلية الخبر واستفهم عنه ، فإذا هو أظهرُ من القمر ، وكان أجَلُ ذلك الوزيرِ قد دنا ، فقتل ، « وعداوة الشعراء بئس المقتنى » .

---

(١) بنا : افترقنا . حلية الشخص : هيئته وما يتميز به ، أى لو أردت أن تبين هيئتنا وصفتنا لم تعرف ما هى لتغير ألواننا من الحزن .

(٢) فى مدح بدر بن عمار .

(٣) كذا فى جميع النسخ وكان الأوضح أن يقول : فلما علم ذلك الشاعر ما قصده الوزير .

(٤) كذا فى الأصل والصواب إسقاط الهمزة والفعل ثلاثى أو رباعى بتشديد العين فقط كما فى التاج واللسان .

ما ينقل عن المتنبى ولا صحة له

ومن التلميحات الخفية ما يحكى عن رجل من المناقذة[١] أصحاب حصن شَيْزَر ، وهو أولهم الذى استنقذهم ، وكان قبل ملكه إياه فى خدمة محمود بن صالح صاحب حلَب ، وكان إذ ذاك يلقب سديدَ المُلك ، فبينا هو فى[٢] مكانه إذ حدثت له حادثة أوجبت أن هرب ، ومضى إلى مدينة طرابلس فى زمن بنى عمار أصحاب البلد ، فأرسل إليه ابن صالح ، واستعطفه ليعود إليه ، فخافه ، ولم يعد[٣] ، فأحضر ابنُ صالح رجلاً من أهل البلد صديقاً لابن منقذ وبينهما لحمة مودة أكيدة ، فأجلسه بين يديه ، وأمره أن يكتب إليه كتاباً عن نفسه يُوَثّقه من جهة ابنِ صالح ، ليعود ، فما وسعه إلا أن يكتب[٤] ، وهو يعلم أن باطن الأمر خلافُ ظاهره ، وأنه متى عاد ابنُ مُنقذ إلى حلبَ ، هلك ، فأفكر وهو يكتب الكتاب فى إشارة عمياء لا تُفهم ، ليضعَها فيه ، يحذر[٥] بها ابنَ مُنقذ ، فأدار فكره إلى أن كتب فى آخر الكتاب عند انتهائه ، إنّ شاء الله تعالى ، وشدد إنّ وكسرها ، وضبطها ، ليعلمَ منه الفطنُ الذكى أنه ليس عن سهو ، ثم سلم الكتاب إلى ابن صالح ، فوقف عليه ، وأرسله إلى ابن منقذ ، فلما صار فى يده ، وعلم ما فيه ، قال : هذا كتاب صديقى ، وما يَغُشّنى ، ولولا أنه علم صفاء قلب ابن صالح ما كتب إلىّ ، ولا غرّنى ، ثم عزم على العوْد ، وكان عنده ولدُه ، فأخذ الكتاب ، وكرّر نظره فيه ، ثم قال : مكانك ، فإن صديقك قد حذّرك ، وقال : لا تعد ، فقال : وكيف ذاك ؟ قال : إنه كتب إن شاء الله تعالى فى آخر الكتاب ، وشدد إنّ ، وكسرها وضبطها ضبطاً صحيحاً لا يصدر مثله عن سهو ، ومعنى ذلك أنه يقول : إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ، وإن شككت فى ذلك فأرسلْ إلى صديقك فاسأله ، فأرسل إليه ، وسأله ، فقال :

---

(١) مر الحديث عن أحدهم وهو أسامة بن منقذ أما أول من ملك قلعة شيزر فهو أبو الحسن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى الملقب سديد الملك ، وله ترجمة فى وفيات الأعيان فى حرف العين ذكرت فيها قصته مع محمود بن صالح بن مرداس .

(٢) « فبينا هو فى » كذا فى مطبوعه دمشق وجميع النسخ محرفة .

(٣) ساقطة من سائر النسخ .

(٤) جميع النسخ : أن لا يكتب والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٥) سائر النسخ : فيها .

هو ما قال ولدك ، فأقام ، ولم يَعُدْ إلى حلب . وهذه الحكايةُ ينسبها من لا اطلاع له على الأخبار إلى أبي الطيب المتنبي ، ويقول : إنه أرسل إلى صاحب حَلَب كتاباً يقول فيه : إنه يعود إليه، وكتب في آخره إن شاء الله تعالى، وشدد إن وزاد نونها ألفاً صغيرة ، فلما ورد الكتاب ، وسمع به صديقه، توهم أنه ما فهم إشارته ، فساءه ذلك ، ثم تأمل الكتاب ، فرأى في آخره إنا[١] شاء الله تعالى بزيادة ألف في نونها،فعلم أنه فهم، وأنه يقول : إنا لن ندخلها، وهذه موضوعة[٢].

ومما اشتهر بين الطَّغام[٣]الذين هم كالأنعام أن أبا الطيب يَمَّم المغربَ بجماعة كثيرة ، وآلا ت خطيرة ، ونُصبتْ خيامُه على باب مدينةِ حاكِمها ، فارتجتْ له دعائم معالمها ، واستكشفَ خبرَه ، فإذا هو شاعر أتاه ، وعلم أنه يَعجز عن رضاه ، فقال شاعره وهو ابن هانى الأندلسى : عليَّ ردُّه[٤] قبل أن تراه ، ثم تزيّاً بزى غث ، وتجلبب بجلباب رث ، وعمَد إلى شيء من الحنطة والشعير ، ووضعهما على أحد[٥] الحمير ، ثم مر بالمتنبي ، وهو ينظر إلى الماء وتجعيده بيد الهواء وهو يكرر هذ الشطر (نَسَجَ الريح على الماء زَرَدَ) .

فقال ابن هانئ : [ياله درعٌ منيعٌ لو جَمَدْ] ، فسأله أبو الطيب عن خبره ، فأخبره أنه شاعر تلك البقاع ، فاستنشده ، فأنشده من مدائحه فى مخدومه ما تسكر منه الأسماع .

ضحكَ الزمانُ وكان[٦] قدْ ماعابسا	لما فتحتَ بسيف عزمك قابسا
أنكحتها بكـــراً وما أمهرتهـــا	إلا قنًا وقواضبـــاً وفوارسا
من كانت البيضُ الصوارمُ مهرَه	جُلبتْ له بيضُ الحصون عرائسا
الله أكبر ما اجتنيت ثمارهـــا	إلاّ وكان أبوك قبلك غارساً[٧]

---

(١) سائر النسخ : إن بدون ألف .

(٢) لأنابن صالح كان معاصراً لأبي العلاء وأبو العلاء متأخر عن المتنبي بقرن من الزمان تقريباً.

(٣) الطغام : كسحاب أو غاد الناس .

(٤) ا ، ب : على برده .

(٥) حـ ، د ، هـ : بعض .

(٦) فى ا : فكان ولم نزوجها الفناء .

(٧) هذه الأبيات ساقطة من سائر النسخ :

فقال : ما حباك على هذه القوافى الجليلة ؟ فأشار إلى ما على حماره ، وقال هذه الجائزة الجزيلة ، فقوض عن المغرب خيامَه ، وجعل المشرقَ أمامه ، وبعد برهة من الزمان قصد ابنُ هانئٍ سيفَ الدولة بن حمدان ، والمتنبى إذ ذاك شاعره ، ونديمه ، وصاحبه ، وحميمه ، وكان اطلع على تلك المكيدة ، وصمم على أن يكيده ، فتلقاه تلقى كُثَيِّر لعزةَ ، وأحله داره وأعزه ، واستطلع رأيه فى مدح سيف الدولة ، وسأله عن أسلوبه ، ليتبع قوله ، فأرشده ، فنظم على ذلك الأسلوب ما تسجد له جباهُ الأفهام ، ولما مَثَلَ[1] لينشده[2] ، رآه مباينا لذلك المقام :

سارتْ مُشرقةً وسرت[3] مغربا شتان بين مُشرق ومُغرب

ولما أنشده[4] ما أبدعه فلم يطرب ، علم أن واحدةً بواحدة جزاء ، فعدل عن ذلك الأسلوب ، وأعمل قريحته ، وشحذ فكرته ، ونظم قصيدته التى أولها : «فُتِقَت لكم ريحُ الجلاد بعَنْبر» ، وأنشدها على ريق لم يَبلَعْه ، ونَفَس لم يقطعْه ، فأعجب به سيف الدولة إعجاب ابن المعتصم بحبيب[5] ، وحظى فى ذلك الوقت من الجوائز بأوفر نصيب ، فحسدته الشعراء ، وغَبَطَتْه الأدباء ، فقال المتنبى : لا يُحسد الميت على النزاع ، ولا يُغبط من عَدم بحياته الانتفاع ، وسئل عن معنى ذلك فقال : رأيتُه[6] قد صوَّح تحت أقدامه أخضر النبات ، وحُمّ ذلك المسكين لوقته ، ثم مات . وهذه الحكايةُ الموضوعةُ والغريبة المصنوعة[7] ، تُروى على وجوه مختلفة ، وأنحاء غير مؤتلفة ، وهى مأخوذة من خبرين لأبى تمام : أحدهما

(١) جميع النسخ : تمثل ولم نر لها وجهاً فى كتب اللغة التى بأيدينا .

(٢) كذا فى ا ، ب . سائر النسخ : لينشد .

(٣) حـ ، د ، هـ : صارت مشرقة وصرت . . .

(٤) « ولما أنشده ما أبدعه . . . » هذه العبارة جاءت محرفة فى ا ، ب تحريفاً لا يستحق الذكر

(٥) ابن المعتصم : أحمد بن المعتصم . حبيب : أبو تمام ويشير بذلك إلى مدح أبى تمام أحمد ابن المعتصم بسينيته التى مطلعها :

* ما فى وقوفك ساعة من باس * وأمر هذا الموقف مشهور .

(٦) « رأيت » كذا فى الأصول ولعل الصواب « رأيته »

(٧) وجه الصنعة أن المتنبى وابن هانى وإن كانا متعاصرين إلا أنه لم يعرف أن الأول زار المغرب وأن الثانى زار المشرق .

أنه قصد البصرةَ ، وبها عبدُ الصمد بن المُعذَّل[١] الشاعر ، فلما سمع بوصوله ، خاف أن يميل الناسُ إليه ، ويُعرِضوا عنه[٢] ، فكتب إليه[٣] قبل وصوله البلد :

أنت بين اثنتين تبرز للنا ... س وتلقاهُمُ بوجه مُذال[٤]

لست تنفك راجيا لوصال ... من حبيب أو راغبًا فى نَوال

أى ماء يبقى لوجهك هذا[٥] ... بين ذل الهوى وذل السؤال

فلما وقف على الأبيات أضرب عن مقصده ، ورجع ، وقال : قد شغل هذا ما يليه ، فلا حاجة لنا فيه ، والثانية ما قيل إن أبا تمام امتدح أحمد بن المعتصم بقصيدته التى أولها :

ما فى وقوفك ساعةً من باس ... نَقضى ذمام الأربُع الأدراس[٦]

فلعلَّ عينَك أن تُعين بمائها ... والدمعُ منه خاذلٌ ومواسى

لا يُسعدُ المشتاقَ وسنانُ الهوى ... يَبَس ُ المدامع باردُ الأنفاس[٧]

إن المنازلَ ساورتها فُرقةٌ ... أخلتْ من الآرام كل كِناس[٨]

من كل ضاحكة الشمائل أرهفتْ ... إرهاف خُوط البانة الميَّاس[٩]

بدر أطاعتْ فيك بادرةَ النوى ... ولَعًا[١٠] وشمس أولعت بشماس

وإذا مشتْ تركتْ بقلبك ضعف ما ... بحُليها من كثرة الوسواس

قالت وقد حُمَّ الفراقُ فكأسه ... قد خولط الساقى بها والحاسى

---

(١) عبد الصمد بن المعذل من شعراء العصر العباسى ولد ونشأ بالبصرة وتوفى سنة ٢٤٠ هـ وله قصيدة فى وصف الحمى قد أحسن فيها وأجاد « اقرأ الوساطة ص ١١٧ ، ١١٨ طبعة عيسى الحلبى » .

(٢) ويعرضوا عنه : ساقطة من سائر النسخ .

(٣) سائر النسخ : فقبل دخول البلد كتب إليه .

(٤) مذال : مهان .

(٥) كذا فى ا ، ب . سائر النسخ : أى ماء لحر وجهك يبقى . . .

(٦) الذمام : العهد . الأربع الأدراس : الديار الممحوة .

(٧) ساقط من سائر النسخ .

(٨) ساورتها : واثبتها . . . الآرام : الغزلان . الكناس : بيت الغزال .

(٩) من كل ضاحكة الشمائل . . . كذا فى جميع النسخ

وفى هامش ا عن نسخة : من كل واضحة الترائب والترائب : عظام الصدر .

الإرهاف : الدقة والرقة . الخوط : الغصن .

(١٠) كذا فى جميع النسخ . وفى الديوان : خطأ وفى بعض نسخه : ولعاً . كما أثبتنا .

لا تنسيَنْ تلك العهــودَ فإنما ... سُمِّيتَ إنسانا لأنك ناسي
إن الذي خلق الخــلائق قاتها ... أقواتهـــا لتصرُّف الأحراس
فالأرض معروفُ السماء[١] قِرًى لها ... وبنو الرجــاء لهم بنو العباس
والحمد بُرْدُ جمال اختالت به ... غُرَرُ الفَعال وليس بُردَ لباس
نَوْر العَرَارة نورُه ونسيمــه ... نشر الخُزامى في اخضرار الآس[٢]

فلما انتهى إلى قوله :

إقدام عمرو[٣] في سماحة حاتم ... في حلم أحنف في ذكاء إياس

قال الكِندىّ يعقوبُ الفيلسوفُ[٤] وكان حاضراً : الأمير فوق من وصفت ، فأطرق قليلا ، ثم رفع رأسه وأنشد :

لا تنكروا ضربي لــه مَنْ دونه ... مثلا شَرُوداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقلَّ لنــوره ... مثلا من المشكاة والنبراس[٥]

فعجبوا من سرعته وفطنته .

وما ذُكر من أنه أنشد القصيدةَ للخليفة وأن الوزير قال[٦] : أي شيء طلبه فأعطه ، فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يومًا ، لأنه قد ظهر في عينيه الدم من شدة الفكرة[٧] ، وصاحب هذا لا يعيش إلا هذا المقدار . فقال له الخليفة : ما تشتهي ؟ فقال : أريد المَوْصِل ، [فولاه إياها[٨]] ، وتوجه إليها ، وبقي هذه المدة ، ومات ، فشيء لا صحة له أصلا . والصحيح[٩] ما نقله ابن بَسَّام في الذخيرة ،

(١) معروف السماء : المطر .
(٢) النور : الزهر . العرارة : واحدة العرار من نبات البادية ذو رائحة طيبة ويسمى البهار أيضاً
(٣) عمرو : هو عمرو بن معد يكرب الزبيدي . حاتم : الطائي المشهور بالكرم . الأحنف بن قيس سيد بني تميم . إياس بن معاوية : كان قاضياً بالبصرة .
(٤) الكندي يعقوب : هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي أول فيلسوف في الإسلام ولد في أواخر القرن الثاني للهجرة .
(٥) إشارة إلى قوله تعالى : مثل نوره كمشكاة فيها مصباح .
(٦) حـ ، د ، هـ : قال له .
(٧) سائر النسخ : الفكر .
(٨) زيادة عن مطبوعة دمشق .
(٩ — ٩) ساقط من سائر النسخ ففيها : والصحيح أن الحسن بن وهب . . .

قال : وقد قيل إن الكندى لما خرج ، قال هذا الفتى يموت شابا ، لأن ذكاءه ينحت عمرَه كما يأكل السيفُ الصقيلُ غمدَه، فكان كذَلك[٩] ، فإن الحسن ابن وهب اعتنى به ، وولاه بَريد الموصل ، فأقام بها أقل من سنتين ، وتوفى ، وتمام القصيدة :

إن تحو فضل السبق[١] فى أنف الصبا يابن الخليفة يا أبا العباس
فلرب نار منكم قد أنتجتْ[٢] بالليل من قبس من الأقباس
غلب السرور على همومى بالذى أظهرتَ من برّى ومن إيناسى[٣]
أثر المطالب فى الفؤاد وإنما أثر السنينَ ووَسمُها فى الراس
فالآن حين غرستُ فى كرم الثرى تلك المنى وبنيت فوق أساس[٤]

قصيدة ابن هانىء المشهورة

وهذه قصيدة أبى القاسم محمد بن هانئ الأندلسى ، المزعومُ أنها فى سيف الدولة بن حَمدان ، وهى فى أبى الفرج الشيْبانى[٥] :

فُتقتْ لكم ريحُ الجلاد بعنبر وأمدّكمْ فلَقُ الصباح المُسفرِ[٦]
وجنيتمُ ثمرَ الوقائع يانعا بالنصر من وَرَق الحديد[٧] الأخضر

---

(١) سائر النسخ : خصل السبق . الديوان : خصل المجد . وخصل بفتح أوله وسكون ثانيه . وحوى خصل المجد : أى غلب .

(٢) ب : أنجمت . غيرها : أنجحت . الديوان كما أثبتنا .

(٣) ساقط من سائر النسخ .

(٤) ما أورده البديعى من أبيات هذه القصيدة على الاختيار لا على الاستقصاء كما يعلم من الاطلاع على الديوان طبع بيروت سنة ١٨٨٩ م .

(٥) الصواب أن هذه القصيدة لم يمدح بها الشيبانى المذكور وإن كان ابن هانئ قد مدحه بقصيدتين أخريين مذكورتين فى ديوانه وإنما الممدوح بها جعفر بن على بن حمدون عقد له المنصور بالله ثالث خلفاء الفاطميين على المسيلة والزاب من بلاد المغرب وكان جعفر سمحا كثير العطاء مؤثراً لأهل العلم ، ولأبى القاسم محمد بن هانئ فيه من المدائح الفائقة ما يجاوز حسنها حد الوصف وهو القائل فيه :

المدنفان من البرية كلها جسمى وطرف بابلى أحور
والمشرقات النيرات ثلاثة الشمس والقمر المنير وجعفر

وقد رجعنا فى ضبط هذه القصيدة إلى ديوان ابن هانئ : تبيين المعانى .

(٦) فتق المسك بغيره : استخرج رائحته بشىء يدخله عليه . الريح : الرائحة . الجلاد : الحرب الفلق : الصبح . والبيت كناية عن شجاعتهم وحبهم للحرب واهتدائهم فيها .

(٧) ورق الحديد : يريد به السيوف .

وضربتُمُ هامَ الكُماة ورُعتُمُ ... بيضَ الخدورِ بكل ليثٍ مُخدِرِ[1]
أبنى العوالى السَّمهريَّةِ والسيو ... فِ المَشْرفيَّةِ والعديد الأكثرِ
مَنْ منكمُ الملكُ المطاعُ كأنه ... تحت السوابغِ تُبَّعٌ فى حِمْيَرِ[2]
القائدُ الخيلِ العتاق شوازبًا ... خُزْرًا إلى لحظ السنان الأخزرِ[3]
شعثَ النواصى حَشْرةً آذانُها ... قُبَّ الأياطل ظامياتِ الأنسُرِ[4]
تَنبُو سنابكُهُنَّ عن عَفَرِ الثَّرى ... فيطأْنَ فى خدِّ العزيز الأصعرِ
جيشٌ تَقَدَّمهُ الليوثُ وفوقَها ... كالغيل من قصب الوشيج الأسمرِ[5]
فكأنما سَلَب القشاعمَ ريشَها ... مما يَشُقُّ من العَجاج الأكدرِ[6]
وكأنما اشتملت قَناه ببارقٍ ... مُتَألِّقٍ أو عارضٍ مُثْعَنْجِرِ[7]
تمتد ألسنة الصواعق فوقه ... عن ظُلَّتَىْ مُزْنٍ عليه كَنَهْوَرِ[8]
ويقودُه الليثُ الغضنفرُ مُعْلِمًا ... فى كل شثْن اللبدتين غضنفرِ[9]
نحَرَ القبولَ من الدَّبور وسار فى ... جمع الهرَقْل وعزمةِ الإسكندرِ[10]

---

(١) بيض الخدور: النساء وتخويف النساء كناية عن قتل أزواجهن وأقاربهن. المخدر من الأسود الذى اتخذ الأجمة خدرا .

(٢) بعده فى الديوان :

كل الملوك من السروج سواقط ... إلا المملك فوق ظهر الأشقر

(٣) شوازب : ضوامر . خزرا : جمع خزراء وأخزر من الخزر ، وهو أن ينظر الإنسان بمؤخر عينه تحديدا للحظ .

(٤) جميع النسخ : داميات . الحشر : ما لطف من الآذان ويطلق على الواحد والاثنين والجمع . القب جمع أقب وهو الدقيق الخصر الضامر البطن . الأياطل : جمع أيطل وهو الخاصرة . ظاميات : صلاب لا رهل فيها . الأنسر : جمع نسر وهو لحمة صلبة فى باطن حافر الفرس من أعلاه كأنها حصاة أو نواة .

(٥) الغيل: الأجمة . القصب : كل نبات ذى أنابيب وكعوب . الوشيج : اسم للرماح لتداخل بعضها فى بعض يقال تطاعنوا بالوشيج — جميع النسخ : وفوقه .

(٦) الديوان: وكأنما . . . . المعنى : يصف ارتفاع الغبار فى الحرب حتى منع النسور من الطيران فكأن الجيش سلبها ريشها .

(٧) العارض : السحاب . مثعنجر : سائل من ماء أودم . حـ ، د ، هـ: متفجر .

(٨) الظلة : كل ما أظلك من شجر أوغيره . الكنهور : من السحاب المتراكم الثقيل ، شبه ألسنة الرماح بألسنة الصواعق والجيش الكثيف بالسحاب المتراكم .

(٩) الشثن : الغليظ

(١٠) القبول : ريح الصبا (الشرقية) والدبور : الريح الغربية . نحر فلانا : إذا قابله ومنه قولهم : ديارهم تنحر الطريق : أى تقابلها يقول: إن الممدوح يقابل الصعب من الأمور غير عابئ به كما يقابل الريح الشرقية من جهة الغرب على صعوبة هذا .

في فتية صَدَأُ الـدروع عَبيرُهم وخَلوقُهُم علَقٌ النجيع الأحمر (١)
لا يأكلُ السِّرحانُ شِلْوَ طعينهم مما عليه من القنا المتكسر (٢)
أنسوا بهجران الأنيس كأنهم في عبقريّ البيد جِنَّةُ عَبْقَر (٣)
يغشون بالبيد القفار وإنما تَلِد السَّبَنْتي في اليباب المُقْفِر (٤)
فروايةُ الصِّنديد تُخبر عنهم وأسامةُ الصدِّيقُ أصدق مخبر (٥)
قد جاوروا أجَمَ الضَّواري حولهم فإذا همُ زأروا بها لم تزأر
ومشَوْا على قِطع النفوس كأنما تمشي سنابكُ خيلهم في مَرْمَر (٦)
قوم يبيت على الحشايا غيرُهم ومَبيتُهُم فوقَ الجياد الضُّمَّر
وتظلُّ تسبحُ في الدماء قِبابهُم فكأنهن سفائنٌ في أبحر
فحياضهم من كل مهجة خالع وخيامُهم من كل لِبدة قَسْوَر (٧)
من كل أهرتَ كالح ذي لِبدة أو كل أبيضَ واضحٍ ذي مِغْفَر (٨)
حيٌّ من الأعراب إلا أنهم يَرِدُون ماءَ الأمن غيرَ مُكَدَّر
راحوا إلى أم الرئال عشيةً وغدوا إلى ظبي الكثيب الأعفر (٩)

---

(١) العبير والخلوق : كلاهما بمعنى الطيب . العلق : المتجمد من الدم . النجيع : الدم الأحمر .

(٢) السرحان : الذئب . شلو : عضو . طعينهم : مطعونهم والمعنى : لم يمت طعينهم لشجاعته حتى تحطم عليه من الرماح ما غطى جسمه فلا يستطيع السرحان الوصول إليه ولو كان الطعين من أعدائهم لكان البيت هجوا لأنه يكون وصفاً لهم بالضعف والتكاثر على واحد ويروى عقيرهم بدل طعينهم .

(٣) ا : لهجران . جميع النسخ : النفيس مكان الأنيس .

(٤) ورد الشطر الثاني محرفاً في جميع النسخ .

السبنتى : الجرئ والمقدم من كل شيء والأصل فيه النمر لجرأته ، والمعنى أنهم يقضون ليلهم بالمفازات الخالية كالوحوش ألا ترى أن النمر لا تلد إلا في اليباب من الأرض .

(٥) تبيين المعاني : فأسامة في موضع « فروا ية » .

(٦) أراد بالنفوس : الأجسام . ويحتمل أن تكون القنوس جمع قنس بكسر أوله وهو أعلى الرأس وأراد بالقنوس الجماجم وشبه قطعها بالمرمر لما فيها من البياض والصلابة . وهذا أجود

(٧) الخالع : من خلع العهد ونقض العهد . القسور والقسورة : الأسد .

(٨) أهرت : واسع الشدقين . كالح : عابس . المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة والبيت بيان لما قبله ؛ قوم يبيت على الحشايا إلخ

(٩) الرئال : جمع رأل وهو ولد النعام . الأعفر من الظباء ما يعلو بياضه حمرة يريد أنهم =

طردوا الأوابدَ فى الفَدافِدِ طرّدهم ... للأعْوجِيَّــةِ فى مجال العِثْيَر (١)
ركبــوا إليهــا يوم لهوٍ قنيصهم ... فى زيهم يوم الخميس المُصْحر (٢)
إنا لتجمعنــا وهــذا الحىَّ من ... بكــر أذمَّــةُ سالف لم تُخْفَر
أحْلافُنــا فكأننــا من نسبــة ... ولداتنــا فكأننــا من عنصــر
اللابسين من الجــلاد الهَبْوَ ما ... أغنــاهمُ عن لأمــة وسَنَوّر (٣)
لى منهــمُ سيف إذا جــردتُه ... يوما ضربتُ به رقابَ الأعْصُر
وفتكتُ بالــزمن المدجج فتكة الـ ... براض يوم هجائن ابن المنــذر (٤)
صعب إذا نوب الزمان استُصعبت ... مُتَنَمِّــرٌ للحــادث المتنمــر
فأذا عفــا لم تلــقَ غــير مُملَّك ... وإذا سطــا لم تلــق غير مُعَفَّرِ
وكفاه (٥) من حب السماحة أنهــا ... منــه بموضــع مُقلة من مَحْجِر
فغمــامُه من رحمــة وعراصه ُ(٦) ... من جنــة ويمينــه من كوثــر

تلميح آخر

وحُكى عن(٧) بعض علماء القاهرة المعزية قال : كنت فى حرم البيت الشريف ، فدعانى إلى بعض الأماكن الشريف بن الشريف(٨) وسمع بتلك الدعوة أحد بنى عمه الكرام ، فسارع إلينا مسارعة القطر من الغمام ، واتفق أن سقط (٩)

= جريثون يطرقون ما لا يطرق من الأماكن .

(١) الأوابد : الوحوش . الفدافد : جمع فدفد وهو الفلاة — الأعوجية : الخيل المنسوبة إلى فرس يسمى أعوج تنسب إليه كرام الخيل . العثير : العجاج الساطع .

(٢) القنيص : الصيد . الخميس المصحر : الجيش البارز فى الصحراء لايواريه شىء .

(٣) الهبو : الغبار أى أن غبار حربهم يقوم مقام الدروع فلا حاجة لهم بها . جميع النسخ : الهبر بضم أوله وهى مشاقة الكتان . اللأمة : الدرع . السنور : لبوس من قِدّ يلبس فى الحرب أو كل سلاح من حديد .

(٤) البراض : هو ابن قيس بن رافع الكنانى وهو الذى حسد عروة بن عتبة الكلابى على إجازة لطيمة ابن المنذر وهى إبله فقتله فى طريقه واستاق عير ابن المنذر إلى خيبر فقامت لهذا السبب حرب من حروب الفجار فى الجاهلية .

(٥) جميع النسخ : وكفاك .

(٦) عراص جمع عرصة وهى فناء الدار

(٧) « عن » ساقطه من ا ، هـ .

(٨) الجملة : « فدعانى إلى بعض الأماكن الشريف بن الشريف » ساقطة من ح ، د ، هـ .

(٩) ح ، د ، هـ أنه .

من يده الكريمة خاتم به(١) حَجَرٌ ثمينُ القيمة ، فقال له ابن الشريف(٢) : لم لم تقف على طلب ذلك الخاتم الثمين ؟ فقال له ألستُ من أبناء أمير المؤمنين . .

ومراد ابن الشريف قول أبي الطيب :

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمُهْ

ومراد ابن عمه قول المتنبي :

كذا الفاطميون النـدى فى بنانهم أعزُّ امّحاءً من خُطوطِ الرواجِبِ(٣)

سبب مدح المتنبى طاهر بن الحسين

وهذا البيت من قصيدة كثيرةِ العيون، يمدح بها طاهر بن الحسين العَلَوىّ؛ حدّث أبو عمرو عبد العزيز بن الحسين (٤) السلمى(٥) قال : سألت محمد بن القاسم المعروفَ بابن الصوفى : كيف كان سبب امتداح أبي الطيب لأبي القاسم طاهر بن الحسين العلوى ؟ فحدثنى أن الأمير أبا محمد(٦) لم يزل يسأل أبا الطيب فى كل ليلة من شهر رمضان ، إذا اجتمعنا عند الإفطار أن يخص أبا القاسم طاهرا بقصيدة من شعره ، يمدحه بها ، وذكر أنه اشتهى ذلك ، ولم يزل أبو الطيب يمتنع ويقول : ما قصدت غير الأمير ، وما أمتدح أحداً سواه ، فقال له أبو محمد : قد كنتُ عزمتُ أن أسألك قصيدة أخرى فىّ فاجعلها فى أبي القاسم ، وضمن له عنه مائة دينار(٧) فأجابه إلى ذلك .

قال محمد بن القاسم الصوفى : فمضيت أنا والمطلبي برسالة طاهر لوعد

---

(١) ساقطة من ا .

(٢) حـ ، د ، هـ : ابن شريف : تحريف

(٣) الرواجب : مفاصل الأصابع أى أن الكرم مخلوق فيهم راسخ فى أكفهم حتى إن هذه الخطوط يمكن أن تمحى منها وهو لا يمحى .

(٤) «أبو عمرو عبد العزيز بن الحسين» كذا فى ا ، ب ، حـ . د ، هـ : أبو عمرو بن عبد العزيز ابن الحسين .

فى الديوان لعزام : أبو عمر عبد العزيز بن الحسن، وفى العرف : قال عبد العزيز بن الحسن .

(٥) ساقطة من سائر النسخ .

(٦) يريد به أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج أمير الرملة من قبل الإخشيد اتصل به المتنبى سنة ٣٣٥ هـ وكان طاهر بن الحسين العلوى من المقربين عند هذا الأمير وقد رغب فى أن يمدحه المتنبى فتوسط له الأمير فى ذلك .

(٧) كذا فى سائر النسخ .

أبى الطيب، فركب معنا ابو الطيب، حتى دخلنا عليه، وعنده جماعة من أهل بيته أشراف وكتاب ، فلما أقبل أبو الطيب نزل أبو القاسم طاهرٌ عن سريره ، وتلقاه بعيداً من مكانه فسلم عليه ، ثم أخذ بيده فأجلسه فى المرتبة التى كان فيها قاعدا ، وجلس بين يديه ، فتحدث معه طويلا ، ثم أنشده .

جلوس طاهر ابن الحسين ممدوح المتنبى بين يديه

قال عبد العزيز : وحدثنى أبو على بن القاسم الكاتب ، قال : كنتُ حاضراً لهذا المجلس ، وهو كما حدثك به أبو بكر الصوفى ، ثم قال لى : اعلم أنى ما رأيتُ ولا سمعتُ فى خبر شاعر جلس الممدوح بين يديه مستمعًا لمدحه غير أبى الطيب ، فإنى رأيت طاهراً تلقاه ، ثم أجلسه مجلسه ، وجلس بين يديه ، وأنشده :

أعيدوا صباحى فهْو عند الكواعب ... ورُدُّوا رُقادى فهو لحظُ الحبائب
فإن نهـارى ليلـةٌ ملهمـة ... على مقلة من فقدكم فى غياهب
بعيدةُ ما بين الجفـون كأنمـا ... عقدتم أعالى كلّ هُدب بحاجب

هذا كقول بشار :

جفت عينى عن التغميض حتى ... كأن جفونَها عنهـا قصار

ومنهـا :

وأحسب أنى لو هَويت فراقكم ... لفارقتُه والدهر أخبثُ صاحب

هذا كقول العباس بن الأحنف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا ... وتسكبُ عيناى الدموعَ لتجمدا

وفيه نقد من جهة المعنى (١) :

وقد أخذه الباخرزى ، فسلم منه ، وأجاد حيث قال :

ولطالما اخترتُ الفراق مُغالطا ... واحتلتُ فى استثمار غرس ودادى

---

(١) قال علماء البلاغة إن فى بيت العباس بن الأحنف تعقيدا معنوياً حيث كنى بجمود العين عن السرور مع أن الجمود يكنى به عن البخل بالدمع وقت البكاء كما قالت الخنساء :

أعينىّ جـودا ولا تجمـدا ... ألا تبكيـان لصخر الندى ؟

وظمِعتُ منها بالوصـــال لأنها ... تبنِى الأمور على خلاف مرادى

ومنها :

فياليتَ ما بينى وبين أحبتى ... من البُعد ما بينى وبين المصائب

أراكِ ظننتِ السلكَ جسمى فَعُقْتِه ... عليك بِدُرٍّ عن لقــاء الترائب[١]

ولو قلمٌ أُلقيتُ فى شقِ رأسِه ... من السقم ماغيرتُ من خط كاتب[٢]

ومنها فى المديح :

كأن رحيلى كان من كفّ طاهر ... فأثبتُّ كُورى فى ظهور المواهب[٣]

فلم يبــق خلقٌ لم يَرِدن فِنــاءه ... وهُنَّ له شِربٌ وُرودَ المشارب[٤]

ومنهـــا :

وأبهــرُ آياتِ التِّهــامِىّ أنــه ... أبوك وإحدى ما لكم من مناقب[٥]

وإحدى ترُوى بالحاء والجيم . وروى ابن فُورَجّه[٦] « وأكبر آيات التهامى آية »[٧]

ومنهـــا :

وما قرُبت أشبــاهُ قوم أباعِد ... ولا بَعُدتْ أشباه قوم أقارب[٨]

---

(١) السلك : خيط النظام . الترائب : عظام أعلى الصدر . يقول : كأنك توهمت السلك الذى فى قلادتك جسمى لمشابهته إياه فى الرقة فحلت بينه وبين ترائبك بالدر المنظوم فيه لئلا يمس صدرك يشير إلى شدة مجافاتها له حتى صارت تنفر من كل ما يشاكله .

(٢) مر حديث عن هذا البيت .

(٣) الكور : الرحل . يقول إن مواهب الممدوح لم تدع مكاناً إلا أتته كذلك أنا لم أترك مكاناً إلا أتيته فكأنى امتطيت مواهبه وهذا من أحسن مخالصه .

(٤) الضمير فى « يردن » يعود على المواهب . وورود المشارب : مفعول مطلق ليردن . الشرب : حظ الوارد من الماء، والمعنى : لم يبق أحد لم ترد مواهب الممدوح منزله كما ترد الناس المشارب، ومع أن مواهبه شرب للناس فكان حقها أن تورد لكنها ترد هى الشاربين على خلاف العادة .

(٥) التهامى : نسبة إلى تهامة وهى مكة يريد به النبى صلى الله عليه وسلم وفى هذا البيت كلام كثير يرجع فى تفصيله إلى التبيان جـ ١ ص ١٥٤ طبعة الحلبى .

(٦) تقدم التعريف به .

(٧) آية فى هذه الرواية منصوبة على التمييز . وأبوك خبر المبتدأ ويريد به على بن أبى طالب جد الممدوح بهذه القصيدة .

(٨) يريد الشاعر أن قرب الشبه بين متباعدين فى النسب لا يوجب قرب النسب، وقربه بين الأقارب فى النسب يؤكد النسب على أن الواقع لا يؤيد نظرية الشاعر فقد يتشابه المتباعدون ويختلف المتقاربون .

ومنهـــا :

يرى أن ما مابان منك[1] لِضارب ... بأقتلَ ممــا بان منــكَ لِعائب
ألا أيهـــا المــالُ الذى قد أباده ... تَعَزَّ فهــذا فعلهُ فى الكتائب
حملتُ إليــه من لسانى حديقةً ... سقاها الحجى سقىَ الرياضَ السحائبِ
فَحُيِّيتَ خير ابنٍ لخير أب بها ... لأشرفِ بيت فى لُؤَىِّ بن غالب

ارتجال المتنبى القصيدة

حدّث أبو عمرو عبد العزيز بن الحسن السلمى[2] ، قال : حدثنى محمد ابن القاسم المعروف بالصوفى ، قال : أرسلنى الأمير أبو محمد إلى أبى الطيب ، فصعدت إليه فى دار[3] يسكنها ، فسلّمتُ عليه ، وعرفته رسالة الأمير أبى محمد، وأنه منتظر له ، فامتنع علىّ وقال : أعلم أنه يطلبُ شعراً ، وما قلت شيئًا ، فقلت له : ليس نفترق[4] فقال لى : اقعد إذن ، ثم دخل إلى بيت فى الحجرة ، ورد الباب عليه فلبث فيه مقدار كَتْبِ القصيدة ، ثم خرج إلىّ ، وهى لم تجف ، فقلت : أنشدنيها ، فامتنع ، وقال الساعةَ تسمعها ، ثم ركب ، وسرنا ، فدخل على الأمير ، وعين الأمير ممدودة إلى الباب ، منتظراً لورودنا ، فسأل عن سبب الإبطاء ، فأخبرته الخبر ، فسلم عليه ، ورفعه أرفع مجلس ، وأنشده القصيدة التى أولها :

أنا لائمى إن كنتُ وقتَ اللــوائم ... علمتُ بما بى بــين تلك المعالم[5]

تلميح آخر

حدث بعضُ المغاربة ، قال : كنا عند ملك المغرب ، فورد عليه مكتوب من بعض ثغوره يتضمن أن أعداء المسلمين خرجوا من البحر وفتكوا بعساكر ذلك

---

(١) جميع النسخ : منه . وما الأولى نافيه بمعنى ليس وما الثانية بمعنى الذى واسم أن ضمير الشأن محذوف يريد أن ما ظهر من الإنسان لضرب السيف كالعنق ونحوه ليس بأقتل له مما ظهر لطعن العائب أى أن العيب أشد من القتل وهذا من قول أبى تمام :

فتى لا يرى أن الفريصة مقتــل ... ولكن يرى أن العيــوب مقاتل

(٢) هذا هو الذى مر ص ٣٢٩ رقم ٤ باسم : أبو عمرو عبد العزيز بن الحسين السلمى
(٣) ا ، ب : إلى دار .
(٤) فى ذكرى أبى الطيب الدكتور عبد الوهاب عزام : نفترق وهو الصواب وفى : ا ، ب : فقلت له ليس يعرف
(٥) يذكر وقوفه فى ديار الأحبة وما أدركه من الدهش والوجد لفرقتهم ثم يقول إن كنت حين لامتنى اللوائم على فرط جزعى و بكائى علمت بما أصابنى من ذلك فأنا لائم نفسى على استسلامها للوجد والعبرة .

الثغر ، حتى لم يبق منهم من ينقل السلاح ، وصارت القتلى كالآكام على تلك البطاح ، وكان ببادية ذلك الثغر أمير تهابه الحتوفُ، وتتفرّق من ملاقاته الألوف ، فسار إليه أعداء الدين بجمع لا يبلغ عشر من قتلوا ، وأرسل يأمرهم أن يذهبوا من حيث أتوا ، فما قبلوا ، فتلقاهم بالبيض المَشرْفية والسمر الخطية، فانهزمت أرواحُهم إلى النار ، وثبتت أجسامهم كالأحجار ، وعمد إلى سفُنهم ، فأغرقها ، وإلى أشلائهم فأحرقها ، فلما تمت قراءة الكتاب : قال : رحم الله أبا الطيب المتنبى ، ومراده قوله * فليس يأكل إلاالميتَ الضَّبُع *[١] وهذا الشطر من قصيدة لأبى الطيب، يمدح بها سيف الدولة، وقد مر فى غزاة السَّنَبوس[٢] بسَمَنْدُو وعبر آلِس ، وهو نهر عظيم ونزل ، على صارخةَ وخَرْشَنَة[٣] ، فأحرق رُبُضَهما وكنائسهما ، وقفل غانمًا ، فلما صار على آلسَ راجعًا وافاه الدُّمُسْتُقُ ، فصافَّه الحرب ، فهزمه ، وأسر من بطارقته ، وقتل ، ثم سار ، فواقعه فى موضع آخر ، فهزمه أيضا ، ثم واقعه على نهر آخر ، وقد مل أصحابُه السفر ، وكلوا من القتال ، واجتاز أبو الطيب ليلا بقطعة من الجيش نيام بين قتلى الروم ، فقال يذكر الحال، وما جرى فى الدرب من الخيانة وهى :

غيرى بأكثرِ هذا الناس ينخدعِ … إن قاتلوا جَبُنوا أوحدَّثوا شَجُعوا

أهـلُ الحفيظـة إلا أن تجرّبَهم … وفى التجارب بعد الغى ما يَزَع

وما الحياةُ ونفسى بعد ما علمت … أن الحياة كما لا تُشتهى طَبَع[٤]

ليس الجمالُ لوجـه صح مارنُه[٥] … أنفُ العزيز بقَطع العز يُجتْدع

أأطرح المجدَ عن كتـفى وأطلبُه … وأترك الغيث فى غمدى وأنتجع ؟

والمشرفيـة ما زالت[٦] مُشَرفـة … دواء كلَّ كـريم أو هى الوَجَع

---

(١) صدر البيت : (لا تحسبوا من أسرتم كان ذا رمق) .

(٢) فى تاج العروس: سنبوس بتحريك النون موضع بالروم نقله الصاغانى يقال هو دون سمندو وآلس كصاحب نهر ببلاد الروم على يوم من طرسوس قريب من البحر ، من الثغور الجزرية .

(٣) صارخة وخرشنة : بلدان بالروم

(٤) الطبع : اللؤم والدناءة قال الشاعر :

لا خير فى طمع يدنى إلى طبع … وغفة من قوام العيش تكفينى

(٥) المارن : مالان من طرف الأنف

(٦) الديوان : لا زالت . . .

وفارسُ الخيل من خفَّتْ فوقرهــا … فى الدرب والدم فى أعطافها دُفَعُ[١]

يريد بفارس الخيل سيف الدولة ، ومنها :

وَأَوْحَدَتْه ومــا فى قلبه قلقٌ … وأغضبَتْه وما فى لفظــه قَذَع[٢]
بالجيش تمتنــعُ الســاداتُ كلهم … والجيش بابن أبى الهيجاء يمتنــع
قاد المقــانب أقصى شُربِها نَهَلٌ … على الشكيم وأدنى سيرِهــا سَرَع[٣]
لا يعتــقى بلدٌ مسراهُ عن بلــد … كالموت ليس له رِىٌّ ولا شِبَع[٤]
حــتى أقام على أرباض خَرْشَنَةٍ … تشقى به الرومُ والصُّلبان والبِيَع

خرشنة : معروفة فى بلاد الروم ، والأرباض : ما حول المدينة . ومنها :

للسَّبْى ما نكحــوا والقتلِ ما ولدوا … والنهبِ ما جمعوا والنارِ ما زرعوا
مُخْلًّى له المــرجُ منصوبا بصارخةٍ … له المنــابرُ مشهوداً بهــا الجمُع[٥]

صارخة : مدينة بالروم . ومنها :

يُطمِّعُ الطيرَ فيهم طولُ أكلهــم … حــتى تكادَ على أحيائهم تقع
ولــو رآه حــواريوهُمُ لَبَنَوْا … على محبته الشَّرع الذى شرعوا[٦]
ذمَّ الدمستقُ عينيــه وقد طلعت … سودُ الغمام فظنــوا أنها قَزَعُ[٧]

---

(١) خفت : أسرعت فى الهزيمة . وقرها : سكنها وثبّتها . الدفع: أن يدفع شىء بعد شىء . وأراد بفارس الخيل سيف الدولة كما يقول المؤلف لأن خيله أرادت الهزيمة فثبّتها فى مضيق من مضايق الروم .

(٢) القذع : الهجر والقبيح من الكلام .
الديوان : فأوحدته . والضمير راجع إلى الخيل، والضمير الآخر لسيف الدولة .

(٣) المقانب : جمع مقنب كنبر وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل . الشكيم : الحديدة المعترضة فى فم الفرس . السرع: الإسراع والمعنى أنه قاد الخيل حتى كأن غاية شربها مرة واحدة وهى ملجمة وأقل سيرها الإسراع .

(٤) يعتق : يعتاق أى لا يعوقه بلد عن السير إلى آخر بلد من بلاد الأعداء

(٥) مخلى ومنصوباً حالان من ضمير أقام فى البيت السابق . المرج: مكان. مشهودا : حال من صارخة أى أنه بلغ الغاية فى قهرهم حتى نصبت المنابر فى صارخة وشهد فيه المسلمون صلوات الجمعة .

(٦) الحواريون : أصحاب عيسى عليه السلام ونسبهم إلى الروم لأنهم من أهل دعوتهم .

(٧) سودالغمام : يريد بها كتائب سيف الدولة

القزع : قطع السحاب المتفرقة الواحدة قزعة . ومنها :

فيهـا الكماة التى مفطومُها رجلٌ على الجياد التى حَوْليُّها جَذَعَ

فيها : أى فى سود الغمائم . والجذع : التى أتى عليها حولان . ومنها :

تُذرى اللقانُ غبـارا فى مناخرها وفى حناجرها من آلسٍ جُرَعَ [(١)]

كأنهـا تتلقـاهمْ لتسلـكَهمْ فالطعن يفتح فى الأجواف ماتسع [(٢)]

ومنهـا :

وما نجا من شِفارِ البيض مُنْفلتٌ نجـا ومنهن فى أحشائه فزع

يباشـر الأمنَ دهراً وهو مُختَبَلٌ ويشربُ الخمرحولا وهو مُمْتَقَعُ [(٣)]

كم من حُشاشةِ بِطْريق تضمَّنها للباتـرات أمـينٌ مالَهُ وَرَعُ [(٤)]

يقاتل الخطـوَ عنـه حين يطلبه ويطرد النومَ عنه حين يضطجع [(٥)]

تغـدو المنـايا فلا تنفك واقفـةً حتى يقـول لهـا عودى فتندفع

قُل لِلدمستق إن المُسلَمين [(٦)] لكم خانوا الأمير فجازاهم بمـا صنعوا

وجـدتموهمْ نيـامًا فى دمائكمُ كأن قتلاكمُ إياهمُ فجعـوا [(٧)]

ضَعْفَى تَعِفُ الأعادى عن مثالهمُ من الأعادى وإن هَمُّوا بهم نزعوا

لا تحسبوا من أسرتم كان ذا رمق فليس تأكـل إلا الميتة الضبع

---

(١) اللقان : موضع . آلس : نهر على يوم من طرسوس . أى لسرعة هذه الخيل تشرب من آلس وتبلغ اللقان قبل أن تستتم ابتلاع الماء الذى شربته .

(٢) كأن خيله تتلقى الروم لتدخل فى أجسادهم وتسلكها فإن الطعن يفتح فى أجوافهم جراحات واسعة تسع الفرس أن تدخل فيها .

(٣) أى يصير إلى مأمنه فيعيش دهراً فيه وهو فاسد العقل لشدة ما راعه من الخوف ويشرب الخمر سنة وهو متغير اللون لاستيلاء الصفرة عليه .

(٤) يريد بالأمين : القيد أى كم فارس لم يبق منه إلا رمقه قد قيد وأسر فهو فى ضمان القيد السيف إذا دعت الحاجة إلى قتله . البطريق : الفارس من الروم .

(٥) الضمير فى : يقاتل يعود على القيد .

(٦) المسلمين : الذين أسلمهم سيف الدولة للعدو لتخاذلهم عنه .

(٧) يقول : وجدتم هؤلاء الذين ظفرتم بهم نياماً فى قتلاكم كأنهم مفجوعون بهم وقد تلطخوا بدمائهم.

ا : كأن أمواتكم ، وسائر النسخ : كأن أمواتهم ، ورواية الديوان : كأن قتلاكم .

ومنها :

وإنمــا عرّض الله الجنودَ بكم ... لكى يكونوا بلا فَسْل إذا رجعوا[١]

فكــل غـــزو إليكم بعــد ذا فلَـه ... وكل ٌ غـــازٍ لسيف الدولة التَّبعُ

يمشى الكـــرامُ على آ ثـــار غيرهم ... وأنت تخلُـــق ما تأتى وتبتدعُ

وهل يَشينك وقتٌ كنـــت فارسَه* ... وكان غيرَك فيه العـــاجز الضَّرَع

من كان فوقَ مَحلّ الشمس موضعُه ... فليس يرفعُـــه شىءٌ ولا يضع

لم يُسلم الكرُّ فى الأعقاب مهجتَه ... إن كان أسلمها الأصحابُ والشيع

ومنهـــا :

الدهـــر معتـــذرٌ والسيفُ منتظرٌ ... وأرضُهم لك مُصطافٌ ومرتبـــع

وما الجبالُ لِنصْران بحـــاميـــة ... ولو تنصر فيها الأعصمُ الصَّدَعُ

الأعصم : الوَعل . والصدع : ما بين السمين والمهزول . ثم قال :

وما حَمدتكَ فى هول ثبتَّ له ... حتى بلوتُك والأبطال تَمتَصع[٢]

فقد يُظَنّ شجاعامن به خَرَقٌ ... وقد يُظَنّ جبانا من به زَمَع[٣]

إن السلاح جميعُ الناس تحملُه ... وليس كلٌ ذوات المِخْلب السبعُ

وقيل : إن رجلا جلس على جسر بغداد ، فأقبلت امرأةٌ بارعةُ الجمال من ناحية الرُّصافة إلى الجانب الغربى ، فاستقبلها شاب ، وقال لها : رحم الله علىَّ ابن الجهم ، فقالت المرأة : رحم الله أبا العلاء المعرى ، وما وقفا ، بل سارا مشْرقا ومغْربا . قال الرجل : فتبعتُ المرأة ، وقلت : لئن لم تخبريني بما أراد بابن الجهم ، وأردت بأبى العلاء لأفعلنّ[٤] بك ، فضحكتْ ، وقالت[٥] : أراد بعلى بن الجهم قولَه فى أول قصيدته :

تلميح آخر

---

(١) عرض الله الجنود بكم : ابتلاهم بكم . الفسل : الرذل الذى لا مروءة له .

* الديوان : أنت فارسه .

(٢) تمتصع : تذهب فى الأرض هاربة .

(٣) الخرق : الخفة والطيش . الزمع : الارتعاد

(٤) ساقطة من ا .

(٥) ا : فقالت .

عيون المهابينَ الرُّصافةِ (١) والجسر   جلبْنَ الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأردت بأبى العلاء قوله :

فيادارَها بالخَيْف (٢) إن مزارها   قريبٌ ولكن دون ذلك أهـوال

من قصائده التى جمع فيها بين الغث والسمين

ومن قصيدة لأبى الطيب جمع فيها بين الغثّ والسَّمين ، وهى التى أولها :

قد علَّم البينُ منا البينَ أجفانا   تدمَى وألف فى ذا القلب أحزانا (٣)

أمّلتُ ساعة سار وا كشفَ معصمها   ليلبثَ الحىُّ دون السير حيْرانا

ولو بدت لأتاهتْهم فحجَّبها   صونٌ عقولَهم من لحظها صانا (٤)

بالواخدات وحاديها وبى قمرٌ   يظلُّ من وخدها فى الخِدر حشْيانا (٥)

وحَشْيان بالحاء المهملة من الغريب الوحشى الذى لا يأنس به السمع ، ولا يقبله القلب ، يقال : حشى الرجل يحشى حشى ، فهو حشيان ، إذا اخذه البُهْر . يقول : إذا وخدت الإبل تحت هذا القمر ، أخذه البهر (٦) لترفه . ومن المؤدبين من يروى خشيان بالخاء المعجمة من الخشية .

ثم قال ، وأحسن ، ولَطفَ ، وظرف (٧) :

قد كنتُ أشفق من دمعى على بصرى   فاليوم كلُّ عزيز بعدكم هانا (٨)

ثم أراد أن يزيدَ على الشعراء فى وصف المطايا فأتى كما قاله الصاحب بأخزى الخزايا ، فقال :

لو استطعتُ ركبت الناس كلهمُ   إلى سعيد بن عبدالله بعرانا

---

(١) الرصافة : محلة ببغداد .
(٢) الخيف : مكان .
(٣) مضى الكلام عن هذا البيت .
(٤) يريد أنها صانت نفسها عن الظهور فكان فى ذلك صون عقولهم عن أن تصاب بلحظها فتفتن .
(٥) الواخدات : الإبل والمعنى أنه والواخدات وحاديها فداء لقمر يظل من سير الإبل حشيان لترفه ولأنه لم يتعود السير ولا ركوب الإبل .
(٦) البهر : انقطاع النفس من الإعياء .
(٧) ضبطت الكلمتان : لطف وظرف بالتشديد فى ا .
(٨) تقدم الكلام عن هذا البيت .

قال الصاحب : ومن الناس أمه فهل ينشط لركوبها ؟ والممدوح لعل له عصبة لا يريد ن يُرْكبوا إليه ، فهل فى الأرض أفحش من هذا التسحب ، وأوضع من هذا التبسط [١] ؟ ثم أراد أن يستدرك هذه الطّامة بقوله :

فالعيسُ أعقلُ من قوم رأيتهمُ ... عما يراه من الإحسان عُميانا

ثم قال وأجاد فى مدح أولية الممدوح :

إن كوتبوا أو لُقُوا أو حوربوا وُجدوا ... فى الخط واللفظ والهيجاء فُرسانا

كأن ألسنهم فى النطق قد جُعلتْ ... على رماحهمُ فى الطعن خرُصانا [٢]

كأنهم يَرِدون الموتَ من ظمإ ... أو يَنْشَقون من الخطىّ ريحانا [٣]

ثم قال :

خلائق لو حواها الزّنج لانقلبوا ... ظُمْىَ الشِفاه جِعاد الشَّعْرغُرّانا [٤]

قال الصاحب : الزنجي لا يوجد إلا جَعد الشعر ، فكيف ينقلبون عن الجعودة إلى الجعودة وقد احتج عنه [٥] أصحاب المعانى بما يطول ذكره . والعجب كل العجب من خاطر يقدح بمثل قوله فى قصيدة :

وملمومةٌ زَرَدٌ ثوبُها ... ولكنه بالقنا مُخْملُ

---

(١) هذا نقد المتحيز فإن الشاعر إذا ذكر الناس فإنه يخرج من جملتهم كثيراً من الناس كما قال السرى :

ألا إن خير الناس حياً وميتا ... أسير ثقيف عندهم فى السلاسل

فالسرى لم يفضل أحداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا البيت وإن كان قد أكد بقوله حياً وميتاً وكذلك أبو الطيب قد خصص فى البيت الثانى (راجع العكبرى والواحدى فى نقض هذا النقد) .

(٢) الخرصان : جمع خرص وهو هنا السنان يقول : ألسنتهم ماضية نافذة كأنها أسنتهم .

(٣) ينشق : يشم وهو من قول البحترى :

يتزاحمون على القتال لدى الوغى ... كتزاحم الإبل العطاش بمورد

(٤) جميع النسخ : خلائق لوحدتها . . .

ظمى الشفاه : دقاقها مع سمرة . غران : جمع أغر وهو الأبيض .

(٥) كذا فى ا ومعناها دافع ووجه الدفاع أن الشاعر يريد أن يقول لو أن أخلاق الممدوحين كانت فى الزنج لحسنوا مع جعودة شعرهم وغلظ شفاههم .

سائر النسخ : احتج عليه .

يفاجئ جيشا بها حَيْنُهُ وُينذر جيشا بها القَسْطلُ[١]

ثم يتصرف فى هذا الكلام الغث الرثّ ، فيتبعه به ، حيث يقول :

جعلتُكَ بالقلب لى عُدَّةً لأنك باليد لا تُجعل

ولو قاله بعضُ صبيان المكاتب لاستُحِيَ له منه .

وهذه القصيدة قالها فى سيف الدولة ، وهو بميا فارقين ، وقد ضُرِبتْ له خَيمةٌ كبيرة ، وأشاع الناس أن مُقامه يتصل أياما ، فهبت ريح شديدة ، فسقطت الخيمة ، وتكلم الناس عند سقوطها ، فقال أبو الطيب :

أيقدحُ[٢] فى الخيمة العُذَّلُ وتَشمل مَن دهرَها يشمل

وتعلو الذى زُحَلٌ تحته مُحَال لعمرُك ما تُسأل

فلمْ لا تلوم الذى لامها وما فصُّ خاتمه يَذْبُل

يقول فلِمَ لا تلوم الخيمةُ لائمَها على سقوطها ، والرئيس الذى أعجزها الاشتمال عليه يقصر يَذْبلُ مع عِظمه عن فصّ خاتمه ، والضمير فى خاتمه راجع إلى سيف الدولة . وقيل معناه : فلم لا تقول الخيمةُ[٣] للائمها ما فصُّ خاتمك يذبل ، فإن قال اللائم : يذبل جبل ، وكيف يصح أن يُتختّم به ؟ قالت له الخيمة : وكيف يصح أن تثبت خيمة ، وتشتمل على من شمل دهرَها ؟ وقيل المعنى : فلم لا تلوم الخيمةُ لائمها على أن ليس فصُّ خاتمه يذبلَ ؟ فكما أن لومَ الإنسانِ على ذلك مستحيل لأنه ليس فى الطاقة فكذلك لوم الخيمة ، وقال[٤] :

تضيقُ بشخصك أرجاؤها وَيركُض فى الواحد الجَحفل

وتقصر ما كنتَ فى جوفها وتُركز فيها القنا الذّبل[٥]

وكيف تقوم على راحة كانّ البحارَ لها أنمُل

فليت وَقارَك فرّقته وحمّلتَ أرضَك ما تحمل

---

(١) الململمة : المجموعة ويريد بها الكتيبة من الجيش . المخمل : ما جعل له خمل . الزرد : حلق الدروع . يقول : هذه الكتيبة لباس فرسانها الدروع وكأن الرماح خمل لذلك اللباس . القسطل : الغبار .

(٢) جميع النسخ : أينفع .

(٣) ساقطةمن حـ ، د ، هـ .

(٤) ساقطة من ب . حـ ، هـ : ثم قال . د : قال .

(٥) الديوان ، هـ : وتركز فيها . والضمير يعود إلى الخيمة. سائر النسخ : فيه ، تحريف .

أى لو فرقته لخص الخيمة َ ما يُوقرها ويُثبِّتها عن السقوط :

فصار الأنــامُ بــه ســادةً وسُدْتهمُ بالــذى يَفضُل
رأتْ لون نُورِك فى لونهــا كلــون الغــزالة لا يُغسل

أى اكتسبت من نورك ما صارت به كالشمس التى لا يزول نورُها .

وأن لهــا شرفا باذخــا وأن الخيامَ بها تخجَلُ
فلا تنكرنَّ لهــا صَرْعةً فمن فرح النفس ما يقتل
ولو بلغ الناسُ ما بُلِّغتْ لخانتهمُ حولك الأرجل
ولمــا أمرت بتَطْنيبها أشيع بــأنك لاترحل
فما اعتمد اللهُ تقويضها ولكن أشار بما تفعل[1]
وعرّف أنك من همّــه وأنك فى نصره ترفُل[2]

وعرف أنك من همه : أى من إرادته .

استكراه اللفظ وتعقيد المعنى

ومما يُشان على أبى الطيب المتنبى استكراهُ اللفظ وتعقيدُ المعنى ، وهو أحد مراكبه الخشنة التى يتسنَّمها ، ويأخذ عليها فى الطرق الوعرة ، فيَضِل ، ويُضِل ، ويَتعب ، ويُتعب ، ولا ينجح ، إذ يقول فى وصف الناقة :

شِيَمُ الليالى أن تُشكك ناقتى صدرى بها أفضى أم البيداء[3]
فتبيت تُسئد مُسئدا فى نَيِّها إسْآدها فى المَهْمَه الإنضاءُ

الإسآد : إسراع السير ، والنَّى : الشحم والسمن ، والإنضاء : مصدر أنضاه يُنضيه إذا هزله ، ومسئدا : حال من الناقة ، وهو اسم فاعل وفاعله الإنضاء . يقول : تبيت ناقتى تسير سائراً فى جسدها الهزال سيرَها فى المهمه . وهما من قصيدة يمدح بها أبا على هارون بن عبد العزيز الأوارجى الكاتب وأولها :

---

(١) اعتمد الأمر : قصده . أشار : من المشورة لا من الإشارة أى لم يقصد الله هدم الخيمة وإنما أراد بإسقاطها أن يشير عليك بما ينبغى أن تفعل من معاجلة النهوض والمسير للغزو ليكون رحيلك عن أمره .

(٢) ساقط من حـ ، د ، هـ .

(٣) فى هذا البيت كلام كثير مضطرب لا يتسع له المقام فارجع إليه فى التبيان

أمِنَ ازديارَكِ فى الدجى الرقباءُ إذ حيث كنتِ من الظلام ضياءُ

أخذه من قول على بن جبلة[1] :

بأبى من زارنى مُكتتما حَذِراً من كل واش جذِعا
طارقٌ نَمَّ عليه نورُه كيف يُخفى الليل بدرا طلعا ؟
رصد الخلوةَ حتى أمكنتْ ورعى السامرَ حتى هجعا
كابد الأهوالَ فى زورته ثم ما سلم حتى ودّعا

قال :

قلقُ المليحة وهى مِسكٌ هتكُها ومسيرها فى الليل وهى ذُكاء[2]

كأنه من قول امرئ القيس :

ألم تريانى كلما جئتُ طارقا وجدت بها طيبًا وإن لم تَطَيَّبِ

وقول الآخر

دُرّة كيفما أديرتْ أضاءت ومَشَمٌّ من حيث ماشُمَّ فاحا

ومن هذا قول بشار :

وتَوَقَ الطيبَ ليلتنا إنه واش إذا سطعا

ومن هذا المعنى قول الآخر :

وأخفَوْا على تلك المطايا مسيرَهم فنَمَّ عليهم فى الظلام التنسمُ

---

(١) ومن قول أبى نواس :

ترى حيثما كانت من البيت مشرقاً وما لم تكن فيه من البيت مغرباً

ويروى بيت المتنبى : إذ حيث أنت من الظلام ضياء ، ولا إشكال فيه على هذه الرواية من الإعراب أما الرواية المشهورة وهى كما جاءت فى الصبح وفى الديوان ، فأسهل أوجه الإعراب أن يكون ضياء مبتدأ ، والخبر محذوف تقديره ضياء هناك ، وكان فى البيت لا تحتاج إلى خبر لأنها فى معنى حصلت ووقعت . انظر العكبرى ص ١٠ ج ١ المطبعة الشرفية سنة ١٣٠٨ هجرية.

(٢) يقول : إن المليحة مسك فتى تحركت انهتك سترها بسطوع رائحتها وكذلك هى شمس فتى سارت بالليل رآها الناس .

وقال أبو عبادة البحترى :

وحاولن كتمانَ الترحل فى الدجى　　فنمّ بهن المسكُ حين تضوّعا

وقال أيضًا :

وكان العبيرُ بهـا واشيـاً　　وجَرْسُ الحُلِىّ عليها رقيبـا

وزاد أبو المطاع بن ناصر الدولة على الجميع بقوله :

[ثلاثةٌ منعتْها من زيارتنـا　　وقد دجا الليلُ خوفَ الكاشح الحنِق] (١)

ضوء الجبين ووَسواسُ الحُلِىّ وما　　يفوح من عَرَق كالعنبر العَبِق

هَبِ الجبينَ بفَضْل الكُمّ تستره　　والحَلْىَ تنزعه (٢) ما الشأن فى العرق ؟

ومنها :

بينى وبـين أبى عـلى مثلُه　　شمُّ الجبـال ومثلُهن رجاءُ

وعِقابُ لُبنان وكيف بِقطعهـا　　وهْو الشتاء وصيفُهن شتـاء

لَبَسَ الثلوجُ بها علىّ مسالكى　　فكأنهـا ببياضهـا سـوداءُ

وكذا الكريم إذا أقام ببلدة　　سال النضار بها وقام المـاءُ

وفى هذا البيت نقد (٣) قد يظهر بالتأمل .

ومنهـا :

فى خطه من كل قلب شهوةٌ　　حتى كأن مـدادَه الأهواء

ولكـل عـين قُرةٌ فى قربه　　حتى كأن مغيبـَه الأقذاء

من يهتدى فى الفعل ما لا يهتدى　　فى القـول حتى يفعل الشعراء

ومنهـا (٤) :

من يظلم اللؤمـاءَ فى تكليفهم　　أن يُصبحوا وهمُ له أكفاء

(١) ساقط من جميع النسخ .

(٢) « ما » ساقطة من ا ، ب .

(٣) ووجه النقد على ما يظهر أن المطابقة بين سال وقام غير دقيقة .

(٤) ساقطة من سائر النسخ وقد انفردت ا بذكر : « ومنها » مع أن الأبيات فى هذه القصيدة وفى التى قبلها متتالية ولم يكن من داع لذكرها .

ونَذيمهم[١] وبهم عرفنا فضلَه … وبضدها تتبين الأشياء

[وقد أكثر الشعر فى هذا المعنى : فقال أبو تمام :

وليس يَعرف طيبَ الوصل صاحبُه … حتى يُصاب بنأى أو بِهجران[٢]

وقال أيضًا :

والحادثات وإن أصابك بؤسُها … فهو الذى أنباك كيف نعيمُها

وقال أيضًا :

سمُجت ونبهنا على استسماجها … ما حولها من نَضْرة وجمال

فلذاك لم تُفْرِطْ كآبة عاطلٍ … حتى يجاورها الزمان بحالى[٣]

وقد مَلُح بشارٌ فى قوله :

وكُنَّ جوارى الحىّ ما دمت فيهمُ … قِباحًا فلما غبت صرنَ مِلاحا

وقال البحترى :

وقد زادها إفراط حسن جِوارها … خلائق أصفار من المجد خُيَّب

وحسنُ درارىّ الكواكب أن تُرى … طوالع فى داج من الليل غيهب

ومنها[٤] :

مَن نفعُه فى أن يُهاج وضره … فى تركه لو تَفطن الأعداء

فالسلم يكسر من جناحى ماله … بنواله ما تجبرُ الهيجاء[٥]

ومنها :

يا أيها المجُدَى عليه روحُه … إذ ليس يأتيه لها استجداء[٥]

---

(١) نذيمهم : من ذامه أى ذمه وعابه .

(٢) الديوان : وليس يعرف كنه الوصل صاحبه … حتى يغادى بنأى أو بهجران

(٣) البيتان من قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر أخذ بابك الخرمى وقبلهما :

فلا ذربيجان اختيال بعدما … كانت معرس عبرة ونكال

أطلقتها من كيده وكأنما … كانت له معقولة بعقال

(٤) أى من قصيدة المتنبى .

(٥) المعنى أن روحه موهوبة له من العفاة لأنهم لم يطلبوها منه . ولو طلبوها لجاد بها لشدة كرمه وهذا من قول أبى تمام :

ولو لم يكن فى كفه غير روحه … لجاد بها فليتق الله سائله

احْمدْ عُفاتَكَ لافجعتبفقدهم   فلَتركَ ما لم يأخذوا إعطــاء[١]
لاتَكثُر الأمواتُ كثْرةَ قِلّة   إلا إذا شقيتْ بك الأحيــاء[٢]
والقلب لا ينشقّ عمـا تحتــه   حــتّى تحل به لك الشحناء

ومنهــا :

أبدأتَ شيئًا منك يُعرف بدؤه   وأعدتَ حتّى أنكر الإبداء[٣]
فالفخر عن تقصيره بك ناكب   والمجد من أن تستزاد براء
فإذا سئلت فلا لأنك محوجٌ   وإذا كُتِمت وشت بك الآلاء
وإذا مُدحت فلا لتكسب رِفعة   للشاكــرين على الإله ثناء
وإذا مُطرت فلا لأنك مُجدِب   يُسقى الخصيبُ وتمُطر الدأماء[٥]
لم تحك نائلَكَ السحابُ وإنما   حمت به فصبيبها الرُّحضاء[٦]
لم تلقَ هذا الوجهَ شمسُ نهارنا   إلا بوجه ليس فيــه حياء

وآخرها :

لولم تكنمن ذا الورىاللذ منك هُو   عُقِمتْ بمولــد نسلها حوّاء

اللذ : لغة فى الذى . يقول : لو لم تكن من هذا الورى الذى كأنه منك لأنك جماله وشرفه وأفضله ، لكانت حواء فى حكم العقيم التى لم تلد ، ولكن بك صار لها ولد ، وهذا البيت مما اعتل لفظه ، ولم يصح معناه[٧] فإذا قرع السمع ، لم يصل إلىالقلب إلا بعد إتعاب الفكر ، وكدًّا الخاطر ، ثم إن ظفر به بعد العناء والمشقة فقلما يحصل على طائل .

---

(١) ا : احمد عفاتك لا فجعت بحمدهم أى لا قطع الله شكرهم عنك .

(٢) أى لا يكثر الأموات كثرة تقل بها الأحياء إلا إذا بليت بحربك

(٣) المعنى أنك أحدثت من الكرم ما لا يعرف له بدء من قبلك لعظمته ، ثم كررته بما هو أعظم حتى نسى ذلك البدء ، وصار كأنه لم يكن شيئاً معروفاً

(٤) قد وصلت فى الفخر والمجد إلى غايتهما .

(٥) الدأماء : البحر

(٦) الرحضاء : عرق الحمى .

(٧) قال بعض النقدة : إن هذا البيت نصفه بهى النظم ونصفه رديئه .

ومما يشان على أبى الطيب قولُه فى المدح :

أنى يكون أبا البرايا[١] آدم وأبوك والثقلان أنت محمد

وتقديره : أنى يكون آدم أبا البرايا ، وأبوك محمد ، وأنت الثقلان .

وقال من نسيب قصيدة :

إذا عذلوا فيها أجبتُ بأنّةٍ حُبَيِّبتا قلبى فؤادى هيا جُمْلُ[٢]

أراد يا حبيبتى ، أبدل الياء من حبيبتى ألفا تخفيفاً ، وقلبى منصوبٌ لأنه بدل من حبيبتا ، وفؤادى بدل من قلبى ، وهذا كقولك أخى ، سيدى ، مولاى ، نداء بعد نداء ، ويقال فى النداء : يا زيد ، وأيا زيد ، وهيا زيد . وأشباه هذه الأبيات كثيرة فى شعره ، كقوله :

لســانى وعيــنى والفؤادُ وهمّتى أوُدُّ اللواتى ذا اسمها منكَ والشطر[٣]

ومما يُنعى على أبى الطيب التعسف فى اللغة والإعراب ، وهو مما يسبق إلى القلوب إنكارُه ، وإن كان عند المحتجين عنه ، اعتذار له ، ومناضلة دونه ، كقوله :

فِدًى مَنْ على الغبراء أولهم أنا لهذا الأبىّ الماجِدِ الجائدِ القَرْمِ[٤]

ولم يُحك عن العرب الجائد ، وإنما المحكى رجل جواد ، وفرس جواد ، ومطر جواد ، وهذا من قصيدة يمدح بها الحسين بن إسحاق التنوخى وأولها :

---

(١) الديوان : البرية .

(٢) ويروى : قلبا فؤادا بقلب الياء ألفا . والبيت من قصيدة فى مدح شجاع بن محمد الطائى المنبجى مطلعها :

عزيز أساً من داؤه الحدق النجل عياء به مات المحبون من قبل

(٣) أود : جمع ود بتثليث الواو بمعنى ودود والمعنى أن هذه المذكورات منى تود أمثالها منك فلسانى يود لسانك وعينى تود عينك . . . وكل شطر منى يود شطراً منك قال الواحدى والغرض من هذا البيت التعمية فقط وإلا فما الفائدة منه مع ما فيه من الاضطراب . والخطاب فيه للممدوح وهو من قصيدة يمدح بها على بن أحمد بن عامر الأنطاكى أولها :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر وحيداً وما قولى كذا ومعى الصبر

(٤) القرم : السيد . فدى : يقصر إذا فتحت الفاء ويقصر ويمد إذا كسرتها .

ملامُ[١] النوى فى ظُلمها غايةُ الظلم لعل بها مثل الذى بى من السقم
فلو لم تَغَرْ لم تـَزْوِ عنى لقاءكم ولو لم تُـرِدكُمْ لم تكن فيكمُ خَصمى

وقال محمد بن وهيب فى هذا المعنى :

وحاربنى فيه ريب[٢] الزمان كأن الزمان له عاشق

وقال البحترى :

قـد بيّن البـينُ المفرقُ بيننا عشقَ النوى لربيب ذاك الرَّبرب

منهـا[٣] :

أمنعِمةٌ بالعـودة الظبيةُ التى بغير ولِىّ كان نائلَها الوسمى[٤]

أصل هذا المعنى مع كثرة تداوله لبشار ، حيث قال :

قد زرتنى زورةً فى الدهر واحدةً ثنّى ولا تجعليها بيضة الديك

وقبل البيت الذى فيه لفظة الحائد :

أذاق الغوانى حسنُه ما أذَقْنَنِى وعفَّ فجازاهن عنى على الصُّرْمِ

ومعنى هذا البيت ظاهر ، ولكن عيب عليه قافيته فإنها وإن كانت فى أصل اللغة بمعنى القطع ، لكنْ غيرتها العامةُ وجعلتها دالة على ما يقبح ذكره ، وهذه الكلمة وما يجرى مجراها ، لا يُعاب البدوىّ على استعمالها ، لأن الألفاظ لم تتغيرْ فى زمنه كقول أبى صخر الهذلى :

---

(١) فى العرف : ملامى. لم تزو : من زواه إذا نحاه وأبعده . الخصم : المخاصم وهو للجمع والواحد والمؤنث بمعنى

(٢) روى : صرف ،وابن وهيب هو أبو جعفر محمد بن وهيب الحميرى البصرى شاعر مطبوع مكثر مدح المأمون والمعتصم وهو القائل :

وإنى لأرجـو الله حتى كأننى أرى بجميل الظن ما الله صانع

(٣) أى من قصيدة المتنبى

(٤) الولى : المطر الثانى . الوسمى : المطر الأول ، ويريد به الوصال . يقول : إنها بدأت بالوصال ثم لم تعد إليه فهل ننعم به مرة أخرى ؟

قد كان صَرم فى الحياة لنــا   فعَجلْتَ قبل الموت بالصرم

فإنه لا يعاب عليه كما عيب على المتنبى ، وكقوله :

فأرحامُ شعــر يتصلْن لدنّه   وأرحامُ مالٍ لا تنى تتقطع [١]

وتشديد النون من لدنْ غير معروفه فى لغة العرب . قال ابن جنى لدنّه فيه قبح وبشاعة ، إذ لم يكن بعد النون نون ، وروى يتصلن بجوده ، وبعــد هذا البيت :

فتى ألفُ جزء رأيُه فى زمانه   أقلُّ جُزَىءٍ بعضُه الرأىُ أجمع

ألف جزء خبر مبتدأ، وهو رأيه ، وأقل مبتدأ ، بعضه الرأى خبره [٢] ، وهذان البيتان من قصيدة أولها :

حُشاشةنفس ودعتْ يوم وَدّعوا   فلم أدر أىّ الظاعنين أشيع

أشاروا بتسليم فجــدنا بأنفس   تَسيل من الآماق والسِّمُ أدمُع [٣]

حشاى على جمر ذكىّ من الهوى   وعيناى فى روض من الحسن ترتع

إلى أن قال فى أثنائها فى وصف القلم :

فى وصف القلم المتنبى

خبتْ نارُ حرب لم تهجها بنــانُه   وأسمرُ عُريانٌ من القِشر أصلَعُ

جعل القلم أصلع للينه ، وملاسته كالرأس الأصلع

نحيف الشوى يعدو على أم رأسه   ويَحفىَ فيقوى عدوُه حين يقطع

يقول : هذا القلم رقيق الأطراف ، يريد رقة جِلْفَته [٤] ، وأم رأسه : وسطه ، ويحفى : أى يكل عن المشى ، فيقوى عَدْوُه إذا قُطّ :

يَمُجّ ظــلامًا فى نهارٍ لسانُه   ويُفهِم عمن قال ما ليس يُسْمع

---

(١) أى فى التدليل على التعسف فى اللغة والإعراب .

(٢) ركب الشاعر فى هذا البيت من التقديم والتأخير والحذف والإبهام مالإيباح مثله فى أساليب الكلام حتى إنك إذا حللت تركيبه النحوى وجدته باقياً على غموضه لا يظهر لك الغرض منه إلا بعد إطالة النظر وإعنات الروية .

(٣) السم : مخففة لغة فى الاسم .

(٤) جلفة القلم : ما بين مبراه إلى سنته .

ذُبابُ حُسام منه أنجى ضريبةً ... وأعصى لمولاه وذا منه أطوعُ (١)
بكف جوادٍ لو حكتها سحابةٌ ... لما فاتها فى الشرق والغرب موضع (٢)

وقال أبو تمام فيه من قصيدة أولها :

متى أنتَ عن ذهلية الحىّ ذاهلُ ... وقلبُكَ منها (٣) مدةَ الدهر آهل

لأبى تمام فى وصف القلم

إلى أن قال مخاطبًا لأبى جعفر محمد بن عبد الملك الزيات :

لك القلمُ الأعلى الذى بشَباتهِ ... تُصابُ من الأمر الكُلَى والمفاصل (٤)
لك الخلوات اللاء لولا نجيها ... لما احتفلتْ للملك تلك المحافل (٥)
لعابُ الأفاعى القاتلات لعابُه ... وأرْىُ الجنى اشتارته أيد عواسل (٦)
لـه ريقَةٌ طَلٌّ ولكنّ وقعَها ... بآثاره فى الشرق والغرب وابل (٧)
فصيح إذا استنطقتَه وهو راكب ... وأعجمُ إن خاطبته وهو راجل (٨)
إذا ما امتطَى الخمسَ اللطافَ وأفرغتْ ... عليه شِعاب الفكرِ وهْى حوافل
أطاعته أطرافُ القَنا وتَقَوَّضَتْ ... لنَجْواه تقويضَ الخيام الجحافلُ
إذا استغزر الذهنَ الذكىّ وأقبلت ... أعاليه فى القرطاس وهى أسافل (٩)
وقد رَفَدَتْه الخِنصران وسَدَّدَتْ ... ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأنامل

---

(١) يقول : إن القلم أفعل من السيف لأن المضروب بالسيف قد ينجو أما المضروب بالقلم فلا ينجو إذا كتب بالقلم قتله . وهو من قول ابن الرومى :

لعمرك ما السيف سيف الكمى ... بأنفذ من قلم الكاتب

(٢) ومثله قول ابن الرومى :

خرق يعم ولا يخص بفضله ... كالغيث فى الإطباق كل مكان

(٣) فى الأصل : صدرك عنها تحريف

(٤) الشباة : سن الرمح واستعارها لسن القلم يريد أنه موفق إلى الحكة والإصابة حتى لا يقع رأيه فى تدبير الأمور إلا فى الصميم .

(٥) هذا البيت سابق لما قبله فى رواية الديوان وليس فى وصف القلم

(٦) الأرى : عسل النحل . اشتارته : استخرجته من شمعه . يريد أنه إذا غضب كان قوله كسم الأفاعى وإذا رضى كان فى حلاوة الشهد استخرجته أيد خبيرة باستخراجه

(٧) الريقة : الريق .

(٨) يريد بركوبه : حمل الأنامل إياه . وراجلا أى حين يلقى .

(٩) فى الأصل : *الدهر الجلى*

رأيتَ جليــلا شأنهُ وهــو مُرهف ضنّى وسميناً خطبُه وهو ناحــل

وقال بعض مُداح العلامة المخدوم بهذا الكتاب من قصيدة أولها :

غفر القربُ ما جنــاه البعادُ وأكنّتــه فى الهوى الأكبادُ

إلى أن قال فى وصف القلم :

ذو يَرَاعٍ إذا مشى يُنبتُ الدُّرَّ بأرض القرطاس منه المدادُ
أسمرٌ ليس مثله يُحْسِنُ الأبْـيض فعــلاً والأسمر المُنْآد[١]
عَلَمٌ فى العلوم يمشى على بَيْـداء نورٍ فيظهــرُ الإرشاد
ذو بيــان لولاهُ أخفى مرور الدهــر ما شادَه قديما زياد[٢]
كل علم يُرامُ منــه إذا ما شَدَخُوا رأسَــه به يُستفادُ
وإذا أعجم الكلامَ فقد أعرب ما يَستبــين منــه السَّدادُ
مَقصد الكاتبين حتى إذا ما قصدُوه لم يُدركوا ما أرادوا
وتراه يجرى على الرأسِ فى خدمــة باريه إن دعــاه مُراد
أخرسٌ غــير أنه ربمــا ينْـطق فصلَ الخطاب وهْو جماد
رقّ جسما وسحَّ دمعًا إلى أن خِلتَه مُدْنَفًا جفتْه سُعادُ

ما توارد فيه أبو تمام والمتنبى فى الرثاء

قال أبو تمام[٣] يرثى ابنين كانا لعبد الله بن طاهر صغيرين ماتا فى يوم واحد بقصيدة أولها :

ما زالتِ الأيــامُ تُخبر سائلاً أنْ سوف تَفجَع مُسْهِلا أو عاقلا[٤]

إلى أن قال فى أثنائها :

مجدٌ تأوّب[٥] طــارقًا حتى إذا قلنا أقامَ الدهرَ أصبح راحلاَ

---

(١) يريد بالأبيض السيف وبالأسمر الرمح .

(٢) فى الأصل : أخفت ولا وجه لتأنيث الفعل ، ويريد بزياد زيادبن أبيه ، ويشير إلى ما كان لخطبه من أثر فى توطيد الأمن فى العراق وما كان لهمن مبادئ فى سياسة الحكم .

(٣) الموازنات الآتية من المثل السائر الموصلى .

(٤) المسهل : السائر فى السهل . العاقل : القار فى بيته من عقل البعير . والمعنى أن المنية لاتترك إنساناً من غير أن تفجعه .

(٥) تأوب : أتى ليلا .

نجمان شاء اللهُ ألا يطلُعــا ... إلا ارتدادَ الطرفِ حتى يأفلا
إن الفجيعةَ بالريــاض نواضرًا ... لأجَلُّ منا بالرياض ذَوابلا
لهفى على تلك الشواهد فيهما ... لو أمهلتْ حتى تكونَ شمائلا[1]
إن الهلالَ إذا رأيت نمــوَّه ... أيقنتَ أنْ سيكونُ بدراً كاملا
قل للأمــير وإن لقيت مُوَقَّراً ... منه بِرَيبُ الحادثات حُلاحلا[2]
إن تُرْزَ فى طرَفَى نهار واحد ... رَزأين هاجا لَوْعةَ وَبلابلا[3]
فالثقل ليس مضاعَفًا لمطيَّة ... إلا إذا ما كان وهما بازلا[4]
لا غَرْوَ إن فَنَنان من عَيْدانه ... لَقِيــا حِمامًا للبرية آكلا[5]
إن الأشاء إذا أصاب مُشذّب ... منه تَمْهَلَّ ذرًا وأَثَّ أسافلا[6]
شمخَتْ خلالُك أن يُواسيك امرُؤ ... أو أن تُذكرَ ناسيا أو غافلا
إلا مواعظَ قادها لك سَمْحةً ... إسْجاحُ لُبك سامعًا أو قائلا
هل[7] تُكلِفُ الأيدى بِهَزِّ مُهند ... إلا إذا كان الحسامَ الفاصلا

وقال أبو الطيب المتنبى فى مرثية[8] بولد صغير لسيف الدولة ، أولها :

بنا منكَ فوق الرَّمل ما بكَ فى الرمل ... وهذا الذى يُضْنِى كذاك الذى يُبلى[9]
كأنك أبصرتَ الذى بى وخِفْتَه[10] ... إذا عشتَ فاخترت الحِمام على الثُّكل
تركت خدود الغانيات وفوقها ... دموعٌ تُذيب الحسنَ فى الأعين[11] النجْل

---

(١) روى : سيصير .
(٢) موقرا : رزينا . يريب يشكك . حلاحلا : سيدا شجاعاً .
(٣) ترز : تصاب أصلها ترزأ حذفت همزتها . البلابل : الوساوس .
(٤) الوهم : الجمل الذلول فى ضخامة وقوة . البازل : ما اكتملت قوته من الإبل .
(٥) عيدانه : جمع عيدانة وهى النخلة إذا عيدنت وروى : عيدانة .
(٦) الأشاء : النخل الصغير . المشذب : مصلح الشجر . تمهل : ارتفع . أث : كثر . فى الأصل : أطال مكان تمهل .
(٧) فى الأصل : لا .
(٨) اعتمدنا فى تصحيح هذه القصيدة على الديوان : العرف .
(٩) فى الأصل : يسلى والمرثى بها أبو الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة توفى بميافارقين فى سنة ٣٣٨هـ.
(١٠) الأصل : فخفته .
(١١) الأصل : فى الحدق .

تبُلُّ الثرى سُودا من المِسْك وحده[١] | وقد قَطَرَتْ حُمراً على الشَّعَر الجَثْل
فإن تَكُ في قبر فإنك في الحَشَا | وإن تك طفلا فالأسى ليس بالطفل
ومثلك لا يُبكَى على قدْر سِنّه | ولكن على قدر المَخِيلة[٢] والأصْل
ألستَ من القوم الألى من رِماحهم | نَداهم ومن قتلاهمُ مُهْجةُ البخل[٣]
بمولودهم صمتُ اللسان كغيره | ولكنّ في أعطافه مَنْطِقَ الفضل[٤]
تسليهمُ عَلياؤهمْ عن مُصابهمْ | ويَشغلهمْ كسبُ الثناء عن الشغل
أقلُّ بلاءً بالرزايا من القنَا | وأقدمُ بين الجَحْفَلين من النَّبْل[٥]
عزاءَك[٦] سيفَ الدولة المقتدَى به | فإنك نصلٌ والشدائدُ للنصل
مُقيم من الهيجاء في كل منزل | كأنكَ من كل الصوارم في أهل
ولم أر أعصى منك للحُزن عبرةً | وأثبتَ عقلا والقلوبُ بلا عقل
تخون المنايا عَهْدَه في سليله | وتنصرُه بين الفوارس والرَّجْل
ويَبقى على مرّ الحوادث صبرُه | ويبدو كما يبدو الفِرِنْدُ على[٧] الصَّقْل
ومن كان ذا نفس كنفسك حُرةٍ | ففيه لها مُغْنٍ وفيها له مُسْلى
وما الموتُ إلا سارقٌ دقّ شخصُه | يصولُ بلا كفّ ويسعَى بلا رِجْل
يرد أبو الشبلِ الخميسَ عن ابنه | ويُسلِمُه عند الولادة للنمل[٨]
بنفسي وليدٌ عاد من بعد حَمْله | إلى بطن أم لا تُطَرِّقُ بالحَمل[٩]

---

(١) الجثل : الكثيف
(٢) في هامش الأصل عن نسخة : الفراسة .
(٣) في رواية : الذى مكان الألى . وفي الأصل : الذين رماحهم.
(٤) في رواية : الفصل بالصاد المهملة .
(٥) البلاء : المبالاة . قال له ابن جنى : كان ينبغى أن تقول : أشد إقداماً ، لأن الفعل أقدم يقدم ، فقال المتنبى : إنما أخذته من قدم يقدم ، وليس الجواب سديدا .
(٦) الأصل : عزاؤك .
(٧) الأصل : من .
(٨) أبو الشبل : الأسد والبيت مثل : يقال إن النمل إذا اجتمع على ولد الأسد يأكله ويهلكه فالمعنى أن الأسد يدفع الجيش عن شبله ولا يقدر أن يدفع النمل عنه مع ضعفه أراد أن سيف الدولة مع بطشه بالجيوش والممالك لم يستطع أن يدفع الموت عن ولده مع كون الموت على ما وصفه لا جيش له ولاسلاح.
(٩) التطريق : عسر الولادة أى أن الأرض أم الخلائق لكنها لا تلد ولادة حقيقية ، فلا تصاب بعسر الولادة .

بَدَا وَلَهُ وعــدُ السَّحَابة بالرَّوَى وصَدٌّ وفينــا غُلَّةُ البلدِ المحل
وربعَ له جيشُ العــدو وما مشى وجاشت لهالحربُ الضروسُ وماتَغْلى
وقد مدّت الخيــلُ العتاقُ عيونَها إلى وقت تبديل الركاب من النعل

فانظر إلى ما صنع هذان الشاعران فى هذا المقصدِ الواحدِ ، وكيف هام كل واحد منهما فى واد منه مع اتفاقهما فى بعض معانيه ، وسأبين ما اتفقا فيه ، وما اختلفا ، وأذكر الفاضل من المفضول ، فأقول :

أما الذى اتفقا فيه ، فإن أبا تمام قال :

لهفى على تلك الشواهــدِ فيهما لو أُمْهلَتْ حتى تكون شمائلا

وقال أبو الطيب :

بمولودهم صمتُ اللسان كغيره ولكنّ فى أعطافه منطق الفصل

فأتى بالمعنى الذى أتى به أبو تمام ، وزاد عليه بالصناعة اللفظية ، وهو المطابقة فى قوله :

صمت اللسان ، ومنطق الفصل . وقال أبو تمام :

نجمــان شاء اللهُ ألا يطلعا إلا ارتــدادَ الطَّرف حتى يأفلا

وقال أبو الطيب :

بَدَا وَلَهُ وعــد السحابة بالرَّوَى وصدٌّ وفينا غُلة البلد المحل

فوافقه فى المعنى ،وزاد عليه بقوله : وفينا غلة البلد المحل . أما ما اختلفا فيه ، فإن أبا الطيب أشعر فيه من أبى تمام أيضًا ، وذلك أن معناه أمتن من معناه ،ومَبناه أحكمْ من مبناه . فإن أبا الطيب المتنبى قال :

عزاءَكَ سيفَ الدولة المقتدَى به فإنك نصلٌ والشدائدُ للنصل

وهذا البيت بمفرده خير من بيتى أبى تمام اللذين هما :

إن تُرْزَ فى طرفى نهار واحد رُزْأين هاجــا لوعةً وبلابِلاَ
فالثقــل ليس مضاعَفًا لمطية إلا إذا ما كان وَهْما بازلا

فإن قول أبي الطيب : « والشدائد للنصل » أكرم لفظا ومعنى ، من قول أبي تمام : إن الثقل إنما يضاعف للبازل من المطايا .

وقال أيضًا :

تخون المنـــايا عهدَه في سليله   وتنصرُه بين الفوارس والرَّجْل

وهذا أشرف من بيتَي أبي تمام اللذين هما :

لا غـَرْو إن فـَننـَان من عـَيْدانه   لقيـــا حـِمامًا للبرِّية آكلا

إن الأشاء إذا أصاب مـُشذِّبٌ   منه اتـْمـَهـَلَّ ذُرًا وأثَّ أسافلا

وكذلك قال أبو الطيب :

ألستَ من القوم الألى من رماحهم   نـَداهم ومن قتلاهمُ مهجةُ البخل

تُسَليهمُ عـَلياؤهمْ عن مصابهم   ويشغلُهم كسبُ الثناء عن الشغل

وهذان البيتان خير من بيتَي أبي تمام اللذين هما :

شـَمـَخـَتْ خلالك أن يؤاسيـَك امرؤ   أو أن تذكرَ ناسيا أو غافـــلا

إلا مـَواعـَظ قادهـــا لك سـَمْحـــةٌ   إسجاحُ لبـــك سامعـــا أو قائلا

ومن تأمل هاتين القصيدتين لهذين الشاعرين المفلقين ، علم فضل أبي الطيب على أبي تمام ، ورأى قولى ما قالت حذام .

ومما توارد عليه[1] أبو عـُبادة البُحترىّ وأبو الطيب المتنبي وصفُ الأسد ، ومبارزته ، فحُكم لأبي الطيب بالتقدم على البحترىّ ، وذلك أن بشر[2] بن عـَوانة

---

(١) نص العبارة في الأصل :

ومما توارد أبو عبادة البحترى وأبو الطيب المتنبي على وصف الأسد ومبارزته . . . فزدنا [عليه] وحذفنا (على) ليستقيم الكلام ونص العبارة في المثل السائر :

ومما ينتظم بهذا النوع ما توارد عليه أبو عبادة البحترى وأبو الطيب المتنبى في وصف الأسد ومبارزته . ص ٤٠٥ مطبعه مصطفى البابى الحلبى .

(٢) بشر بن عوانة : كان صعلوكا ومن حديثه أنه أرسل إلى عمه يخطب ابنته فقال له عمه : إنى آليت ألا أزوج ابنتى إلا من يسوق إليها ألف ناقة مهراً ولا أرضاها إلا من نوق خزاعة ، وهذا احتيال من عمه للخلاص منه ، فقد كان في الطريق إلى خزاعة أسد وحية ندر من يفلت منهما فلما سلك بشر تلك الطريق لقى الأسد وقمص مهره فنزل وعقره ثم اخترط سيفه واعترضه وقطه ثم كتب بدم الأسد على قميصه

العبدىّ سبقهما إلى هذه الطريقة فى قصيدته الرائية ، وهى من النمط العالى الذى لم يُنسج على منواله ، وكل الشعراء لم تَسْمُ قرائحهُم إلى استخراج معنى ليس بمذكور فيها :

قصيدة بشر بن عوانة فى وصف الأسد

أفاطمُ لو شهدتِ ببطن خَبْتٍ ... وقد لاقَى الهزبرُ أخاكِ بشْرا
إذاً لرأيتِ ليثاً أمَّ ليثاً ... هزبْراً أغلبًا لاقَى هزبرا[1]
تقدّم ثم أحجم عنه مهرى ... محاذَرةً فقلتُ : عُقِرتَ مهرا[2]
أنِلْ قدمىّ ظهرَ الأرض إنى ... وجدتُ[3] الأرضَ أثبتَ منكَ ظهرا
وقلتُ له وقد أبدى نِصالا ... مُحدَّدة ووَجْهًا مكفهِرّا
يُدِلُّ بمخلَبٍ وبحدّ ناب ... وباللحظات تحسِبهنّ جَمْرا[4]
وفى يُمناىَ مضى الحدّ أبقى ... بمَضْربه قِراعُ الحرب أُثْرا[5]
ألم يبلغك ما فعلتْ ظُباهُ ... بكاظِمة غَداةَ لقيتُ عمرا[6]
وقلبى مثلُ قلبك ليس يخشَى ... مُصاولةً فكيف يخاف ذُعرا ؟
وأنت ترومُ للأشبال قُوتا ... وأطلب لابنة الأعمام مَهْرا
ففيمَ تسومُ مثلى أن يُولِّى ... ويجعلَ فى يديك النفسَ قَسْرا[7]
نصحتُك فالتمِسْ ياليثُ غيرى ... طعاما إن لحمِىَ كان مُرّا

=إلى ابنة عمه هذه القصيدة . وقد نسب بعض الرواة هذه الأبيات لعمرو بن معد يكرب كتب بها إلى أخته كبشة وكان اسم ابنة عمه لميس والصحيح أن الواقعتين مختلفتان قد وقع بينهما الاشتباه وخلطت إحداها بالأخرى وقد حدث توارد الخواطر بين الشاعرين فى بعض الأبيات وقد ضمن بديع الزمان الهمذانى المقامة البشرية هذه القصيدة جميعها .

(١) الأغلب : الغليظ العنق .

(٢) ويروى : تهنس إذ تقاعس . . .

(٣) فى رواية : رأيت.

(٤) قبل هذا البيت فى المقامات :

يكفكف غيلة إحدى يديه ... ويبسط للوثوب على أخرى

وسيأتى .

(٥) الأثر : بضم أوله الجرح بعد البرء سمى به تلك الندوب فى السيف .

(٦) كاظمة : اسم لموضعين المعروف منهما الذى على ساحل بحر فارس بينه وبين البصرة مرحلتان لقاصد البحرين .

(٧) فى الأصل : قهراً .

فلما ظن أن الغِش نصحى وخالفنى كأنى قلتُ هُجرا

مشى ومشيتُ من أسَدَين راما مَراما كان إذ طلباه وَعْرا

يُكفكف غِيلةً إحدى يديه ويبسُط للوُثوب علىَّ أخرى

هززتُ له الُحسامَ فخلت أنى شققتُ[١] به لدى الظلماء فَجرا

وجُــدتُ له بجائشة[٢] أرتْهُ بأنْ كذَبتْه ما منَّته غَدْرا

وأطلقتُ المهنَّدَ من[٣] يمينى فقدَّ له من الأضلاعِ عشرا

فخر مُضرَّجــا بدم[٤] كأنى هدمــتُ به بناء مُشْمَخِرا

وقلت له يَعــز عــلى أنى قتَلتُ مناسبى جَلَداً وفخرا[٥]

ولكنْ رمتَ شيئــا لم يرمْهُ سواك فلم أطق ياليثُ صبرا[٦]

فإن تَكُ قد قُتلتَ فليس عاراً فقــد لاقيتَ ذا طرَفين حرّا

وقال أبو عُبادة البحترىّ فى قصيدته الّتى أولها :

أسدية البحترى

* أجِدَّك لا ينفكّ يسرى لزينبا[٧] . *

وفى أثنائها تعرّض لذكر الأسد ، ومبارزة الفتح بن خاقانَ[٨] له . قال :

وما نَقِمَ الحسادُ إلا أصالة لديكَ وفعلا[٩] أرْيَحِياًّ مهذَّبا

وقد جربوا بالأمس منك عزيمةً فَضَلْتَ بها السيفَ الُحسامَ المجرَّبا

غداةَ لقيتَ الليثَ والليثُ مُخْدر يُحَدِّد نابــا للقــاء ومخلَبا

---

(١) روى : سللت .

(٢) فى الأصل : بجانبية .

(٣) فى الأصل : فى يمينى .

(٤) كذا فى المقامات وفى هامش الأصل . وفى الأصل : فخر مجندلا يدى . . .

(٥) فى الأصل : قتلت مناسبى جارا وقسرا . تحريف .

(٦) بعده : فى المقامات تحاول أن تعلمنى فرارا لعمر أبيك قد حاولت نكرا

(٧) تمامه : خيال إذا آب الظلام تأوبا

ومعنى : أجدك أبجد هذا منك ونصبه على نزع الخافض .

(٨) وزير المتوكل ومن ممدوحى البحترى .

(٩) فى الأصل : وعزماً .

إذا شاء غادَى عانةً أو غدا على ... عقائل سِرب أو تقنص رَبربا[١]
شهدتُ لقد أنصفتَه حين تنبرِى ... له مُصْلِتاً عَضْباً من البيض مِقْضَبا
فلم أر ضِرغامَين أصدق منكما ... عِراكاً إذا الهيابةُ النِكس كذَّبا

وانتقُد على البحترىّ هذا البيت ؛ فإن قوله « الهيابة النكس كذبا » تفريط فى المدح ، وكان ينبغى أن يقول إذا البطل كَذَّب ، وإلا فأى مدح فى إقدام المُقْدِم فى الموضع الذى يَفرّ فيه الجبان ؟ وهلا قال كما قال أبو تمام :

فتى كلما ارتاد الشجاعُ من الرَّدَى ... مَفَرًّا غداة المَأزِق ارتادَ مَصْرَعا

ومنهـــا :

هزبرٌ مشى يبغى هِـــزبراً وأغلبٌ ... من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا
أدل بِشَغْب ثم هالتـــه صـــولةٌ ... رآك لها أمضى جَنانا وأشغَبا[٢]
فأحجم لـــا لم يجـــد فيك مَطْمعا ... وأقدم لما لم يجـــدْ عنـــك مَهربا
فلم يغنـــه أن[٣] كرَّ نحوك مُقبلا ... ولم يُنجه أن حـــاد عنك مُنَكِّبا
حملتَ عليه السيفَ لا عزمك انثنى ... ولا يَدُك ارتدت ولا حَدُّه نَبا

لما انتهت النوبة إلى أبى الطيب المتنبى ، قال يمدح بدر بن عمار[٤] ، وقد خرج إلى أسد ، فهاجه عن بقرة افترسها[٥] فوثب على كَفَلَ فرسه ، وأعجله عن استلال سيفه ، فضربه بسوطه ، فزلّ عن كفل فرسه ، ودار به الجيش ، فقُتل ، وخرج إلى أسد آخر ، فكرّ عليه ، فهرب الأسدُ منه ، بقصيدة أولها :

فى الخد أن عزم الخليطُ رحيلا ... مطرٌ تزيد به الخدودُ مُحولا

---

(١) فى الأصل : أوعدا بالعين المهملة ، إن تقنص والأخير تحريف العانة : الأتان والقطيع من حمر الوحش . السرب : القطيع من الظباء . الربرب : القطيع من حمر الوحش .
(٢) فى الأصل : أدل « بسغب » بالسين المهملة ، « أسغبا » ولا معنى لهما . والشغب : تهييج الشر .
(٣) فى الأصل : إذ .
(٤) كان يلى طبرية (من مدن الشام) من قبل ابن رائق والى الشام من قبل الخليفة العباسى . والمتنبى فيه مدائح كثيرة .
(٥) فى الأصل : « فرسه » فى موضع « بقرة افترسها » والتصويب من الديوان . العكبرى ٢٣٧ ج ٣ طبعة الحلبى

إلى أن قال :

أمُعَفّرَ الليث الهزبرِ بسوطه ... لمن ادخرتَ الصارمَ المصقولا ؟
وقَعَتْ على الأرْدُنّ منه بَليّةٌ ... نَضَدَتْ بها هامُ الرفاقِ تُلُولا[١]
وَرْدٌ إذا ورد البحيرة شاربا ... ورد الفراتَ زئيرُه والنيلا[٢]
متخضّبٌ بدم الفوارس لابسٌ ... فى غيله من لِبدتيه غيلا
ما قوبلتْ عيناه إلا ظُنّتا ... تحت الدُّجى نارَ الفريقِ حُلُولا[٣]
فى وحدة الرّهبان إلا أنه ... لا يعرف التحريمَ والتحليلا
يطأ الثرى مترَفّقا من تيهِهِ ... فكأنه آسٍ يَجُسّ عليلا
ويَردُّ غُفْرته إلى يافوخه ... حتى تصيرَ لرأسه إكليلا[٤]
وتظنه مما يُزَمْجِرُ نفسُهُ ... عنها لِشدة[٥] غيظه مَشْغولا
قَصُرَتْ مخافتُه الخُطا فكأنما ... ركب الكَمِىُّ جوادَه مَشْكولا
ألقى فريستَهُ وَبربَرَ دونها ... وقَرُبْتَ قُربا خاله تَطفيلا[٦]
فتشابه الخُلُقان فى إقدامه ... وتخالفا فى بَذْلك المأكولا
أسد يرى عضويه فيك كليهما[٧] ... مَتْنًا أزلَّ وساعدًا مفتولا
نيالةِ الطَّلِبات لولا أنها ... تُعطى مكان لجامها ما نِيلا[٨]
فى سرج ظامئةِ الفصوصِ طِمِرَّةٍ ... يأبى تفرُّدُها لها التمثيلا[٩]

---

(١) يقول : إن الأسد كان بلية وقعت على هذا النهر فقد فتك بكثير من الناس حتى اجتمعت رءوسهم هناك مثل التلول .

(٢) ورد : يضرب لونه إلى الحمرة . البحيرة : بحيرة طبرية .

(٣) الفريق : الجماعة . حلولا : حالين نازلين .

(٤) الغفرة : شعر القفا إذا غضب الأسد ردها إلى يافوخه فانتصب كالإكليل .

(٥) فى الأصل : بشدة .

(٦) بربر : صاح فى غضب وهو من قول البحترى :

شاركته فى البأس ثم فضلته ... بالجود محفوفاً بذاك زعيما

(٧) فى الأصل : كلاهما . الأزل : القليل اللحم .

(٨) الطلبات : جمع طلبة وهى المطلوب. مكان لجامها: كناية عن الرأس أى أنها شديدة=

(٩) ظامئة الفصوص : دقيقة المفاصل . الطمرة : الوثابة . فى سرج ... حال من التاء فى « قربت » والبيت وصف لفرس ابن عمار التى لاقى عليها الأسد .

تندَى سوالفُها إذا استحضرْتها ... وتظن عقْدَ عِنانها محلولا[١]
ما زال يجمع نفسه فى زَوْره[٢] ... حتى حسبت العَرْضَ منه الطولا
ويَدُق بالصدر الحجار كأنه[٣] ... يبغى إلى ما فى الحضيض سبيلا
وكأنه غرّته عين فادّنى ... لا يُبصر الخطب الجليل جليلا
أنفُ الكريم من الدنيئة تاركٌ[٤] ... فى عينه العددَ الكثير قليلا
والعارُ مَضّاضٌ وليس بخائف ... من حتفه مَنْ خاف مما قيلا
سبق التقاءَ كَه يوثبة هاجم ... لو لم تصادمه لجازك ميلا
خذلتْه قوتُه وقد كافحتَه ... فاستنصر التسليم والتجديلا[٥]
قبضتْ منيتُه يديه وعُنْقَه ... فكأنما صادفتَه مغلولا
سمع ابنُ عمته به وبحاله ... فنجا يُهرول منك أمس مَهُولا
وأمرّ مما فر منه فِرارُه ... وكقتله ألا يموت قتيلا
تَلَفُ الذى اتخذ الجراءة خُلة ... وَعَظَ الذى اتخذ الفِرار خليلا

والذى يشهد به الحقُّ ، أن معانىَ أبى الطيب أكثرُ عدداً ، وأسدُّ مقصداً ، ألا ترى أن البحترىّ قد قَصَر مجموعَ قصيدته على وصف شجاعة الممدوح ، فى تشبيهه بالأسد مرة ، وتفضيله عليه أخرى ، ولم يأت بشىء سوى ذلك ؛ وأما أبو الطيب فإنه أتى بذلك فى بيت واحد وهو قوله :

أمعفرَ الليثِ الهِزبْر بسوطِه ... لمن ادّخرتَ الصارمَ المصقُولا

ثم إنه تفنن[١] فى ذكر الأسد: فوصف صورته، وهيئته ، ووصف أحواله ،

=العدو حتى إذا طلبت عدواً أو وحشاً نالته وهى طويلة العنق لولا أنها تحط رأسها اللجام لم ينله فارسها لارتفاعه .

(١) السوالف : جمع سالفة وهى جانب العنق . استحضرتها : ركضتها يقول : إذا حثثتها على الركض جدت حتى يعرق عنقها وما حوله فإذا جذبت عنانها طاوعت وانثنت حتى تظن أن عقد عنانها محلول .

(٢) الزور : عظم الصدر

(٣) الأصل : كأنما .

(٤) فى الأصل : جاعل وبهامشه كما أثبتنا .

(٥) التجديل : من قولهم جدله إذا صرعه أى أوقعه على الجدالة وهى الأرض .

فى انفراده فى خيلائه ، وفى هيئة مشيه . واختياله مع شجاعته⁽¹⁾ ، وشبه الممدوح به فى الشجاعة ، وفضله عليه بالسخاء ، ثم ذكر الأنَفة ، والحمية التى بعثت الأسد على قتل نفسه بلقاء الممدوح ، وأخرج ذلك فى أحسن مُخرج ، وأبرزه فى أحسن معنى ، ولفطانة أبى الطيب لم يتعرض لما ذَكَرَ بِشرٌ فى أبياته التى ذكرناها ، لعلمه أن بشراً قد ملك رقاب تلك المعانى ، واستحوذ عليها ، ولم يترك لغيره شيئاً يقوله ، ولم يقع فيما وقع فيه البحترى من الانسحاب على ذيل[2] بشر ، لانه قَصَّر عنه تقصيراً كثيراً ، ولما كان الأمر كذلك ، عدل أبو الطيب عن سلوك تلك الطريقة ، وسلك غيرها ، فجاء فيما أورده مبرِّزاً ، فإن بشراً قال :

إذاً لرأيتِ ليثـا أمَّ ليثـا ... هِزَبْرًا أغلبـًا لاقى هِزَبْرَا
مشى ومشيتُ من أسدَين راما ... مَرامًا كان إذ طلباه وعْرا

وقال البحترى :

فلم أر ضِرغامَين أصدق منكما ... عِراكا إذا الهيَّابه النِّكْس كَذَّبا
هزبر مشى يبغى هزبرا وأغلبٌ ... من القوم يَغشَى باسلَ الوجهِ أغلبا

وقال بشر :

وقلتُ له وقد أبـدى نِصالا ... محددةً ووجهـا مكفهـرًّا
يُدِلُّ بمِخلَب وبحدِّ ناب ... وباللحظـاتِ تحسَبهن جَمرا

وقال البحترى :

غداة لقيتَ الليثَ والليثُ مُخْدِر ... يحـدد نابًا للقـاءِ ومِخْلَبا

سيفية المتنبى

ومما توارد عليـه أبو الطيب وأبو عبادة البحترى[3] وصف السيف : قال أبو الطيب[4] :

(١ – ١) هذه العبارة مضطربة فى الأصل ونصها :
فى خليـه وفى هيئة مشيه واختياله ووصف خلق بخلق مع شجاعته .
(٢) إن صح الرأى القائل بأن القصيدة المنسوبة إلى بشر من خيال البديع ونظمه لم يكن هناك محل للطعن على البحترى لأن البحترى سابق فى الزمن على البديع .
(٣) الأصل : فى وصف وزيادة : « فى » تفسد الأسلوب
(٤) يمدح أبا بكر على بن صالح الروذ بارى الكاتب بدمشق .

كفرندى فرندُ سيفِ الجُـراز ... لذةُ العين عُدّةٌ للبراز (١)

تحسب الماء خطّ فى لهب النا ... ر أدقَّ الخطوطِ فى الأحراز (٢)

كلما رُمتَ لونَه منع النا ... ظرَ موجٌ كأنه منك هازِى

ودقيقٌ قَذَى الهباءِ أنيقٌ ... مُتوالٍ فى مستوٍ هزْهازِ (٣)

وردَ الماءَ فالجوانبُ قدْراً ... شربتْ والتى تليها جَوازِى (٤)

حمَلَتْه حمائلُ الدهر حتى ... هى محتاجة إلى خرّازِ (٥)

وهو لا تلحقُ الدماءُ غِرارَيْـ ... ـه ولا عِرضَ مُنتضيه المخازى (٦)

يا مُزيلَ الظلام عنى وروضى ... يوم شُربى ومَعْقِلى فى البَراز (٧)

واليمانى الذى لو اسْطعتُ كانت ... مقلتى غمدَه من الإعزاز

إنّ برقى إذا برقتَ فعالى ... وصليلى إذا صلَلْتَ ارتجازى

لم أحملْكَ مُعلَماً هكذا إلا ... لِضَرْب الرقاب والأجواز (٨)

ولِقطعى بك الحديدَ عليها ... فكلانا لجنسه اليوم غازِى (٩)

---

(١) الفرند: جوهر السيف. الجراز: القاطع. البراز: مبارزة الأقران فى الحرب والمعنى سيفى يشبهنى فى جوهر الفرند وقوة المضاء وهو لذة للناظر وعدة لمبارزة الأعداء.

(٢) الأحراز: جمع حرز وهو العوذة تكتب فيها الرقى. شبه بريق سيفه باللهب وما يتخلله من آثار الفرند بخطوط الماء دقيقة كخطوط الأحراز.

(٣) الهباء: ما تراه فى الشمس إذا دخلت من موضع ضيق. قدى: من قولهم قيد رمح أو قدى رمح أى مقداره أى ويمنع الناظر من لونه فرند دقيق كأنه الهباء فى الشكل والصورة وهذا الفرند حسن متتابع الخطوط فى سطح مستو كثير الاضطراب.

(٤) قدرا: مفعول شربت مقدم. جوازى: جمع جازية من قولهم جزأت الإبل بالخضرة إذا قنعت بها عن الماء يقول إن هذا السيف سقى الماء عند طبعه فشربت جوانبه مقدارا منه والمواضع التى تليها من المتن لم تشرب لأن السيف لا يسقى كله وإنما تسقى شفرتاه ويترك باقيه ليكون أثبت عند الضرب فلا ينقصف.

(٥) المراد أنه سيف قديم الصنعة قد أخلق طول الدهر حمائله.

(٦) غراريه: ما بين متنه وحده.

(٧) البراز: بفتح الباء الفضاء الواسع لاسترة به. ينادى السيف فيقول أنت تزيل الظلام عنى إذا اشتد سواد الغبار، وعنى بيوم الشرب يوم الحرب يشرب فيه دم الأعداء ولذلك جعل السيف روضه فى ذلك اليوم لما فيه من الخضرة المكتسبة بالصنعة وهى مستحبة فى السيوف وإذا تضايق فى فضاء تحصن ودفع به عن نفسه.

(٨) الأجواز: الأوساط جمع جوز وهو الوسط يريد أوساط الرجال.

(٩) عليها: الضمير يعود على الأوساط والرقاب والجار والمجرور: حال من الحديد يقول: =

سَلَّه الركض بعدَ وهْنٍ بنجد   فتصدى للغيث أهلُ الحجاز (١)
وتمنيتُ مثلَه فكأنى   طالبٌ لابن صالح من يُوازى (٢)

ومن قصيدته الأسدية (٣) :

وكأن برقا فى متون غمامة   هنديّه فى كفه مسلُولا (٤)
ومحلُّ قائمه يسيل مواهبًا   لو كُنَّ سيلا ما وَجَدْنَ مَسيلا (٥)
رقت مضاربه فهن كأنما   يُبدين من عِشق الرقاب نُحولا

ومن قصيدته النَّورُوزيَّة :

قلَّدتنى يمينُه بحسام   أعقَبَتْ منه واحدًا أجدادُه (٦)
كلما استُلَّ ضاحكته إياةٌ   تزعمُ الشمسُ أنها أرْآدُه (٧)

لم أحملك إلا لأقطع بك الحديد الذى على الرقاب والأوساط . (الدروع والمغافر) فكلانا يغزو جنسه .

(١) الوهن : نحو من نصف الليل يقول : لما ركضت الخيل بعد وهن خرج من الغمد فرأى أهل الحجاز بريقه فارتقبوا المطر . وروى : سله الركب .

(٢) هذا من أحسن المخالص التى للمتنبى ومثله له :

نودعهم والبين فينا كأنه   قنا ابن أبى الهيجاء فى قلب فيلق

(٣) أى من القصيدة السابقة التى مدح فيها بدر بن عمار ووصف مبارزته للأسد .

(٤) الأصل : هندية بتاء مربوطة . تحريف والضمير فى هنديه يعود على الممدوح والهندى : السيف المصنوع من حديد الهند وفى البيت تشبيه مقلوب أراد به المبالغة فى بريق السيف ولمعانه .

(٥) قائم السيف : مقبضه . وفى : محل قائمه كناية عن راحة الممدوح أى أن كفه تسيل نعماً لو كانت مطرا لم تجد مكاناً يكفى لمجراها .

(٦) هى التى مدح بها ابن العميد وهنأه بعيد النيروز ومطلعها :

جاء نيروزنا وأنت مراده   وورت بالذى أراد زناده

وفيها يصف سيفا قلده إياه وفرساً حمله عليه وجائزة وصلها بها وقد كان ابن العميد عاب القصيدة الرائية التى مدحه بها المتنبى ومطلعها : * باد هواك صبرت أم لم تصبرا *

وقد مضى كلام لنا عن هاتين القصيدتين الرائيه والنوروزية .

الحسام : القاطع . أعقب الرجل : ترك عقباً أى ولدا وأراد بأجداده : معادن الحديد التى استخرج منها السيف والمعنى أنه وحيد لا مثيل له .

(٧) الإياة : ضوء الشمس وحسنها . أرآده : جمع رأد وهو ارتفاع الضحا ورونقه أى كلما جرد هذا السيف من غمده لمعت فى صفحته إياة من الشمس كأنها تضاحكه ولشدة لمعان تلك الإياة تنخدع الشمس عند رؤيتها فتظن السيف شمساً أخرى مثلها قد لمعت هذه الإياة من أشعتها .

مثَّلوه فى جفنه خشيةَ الفقد فى مثل أثْره إغمادُه[1]
مُنْعَلٌ لا من الحفا ذهبا يحْملُ بحرًا فِرندُه إزْبادُه[2]
يقسمُ الفارسَ المدججَ لا نسلم من شفرتيه إلا بدادُه[3]
جمعَ الدهر حدَّه ويديه وثنائى فاستجمعتْ آحاده[4]
وتقلدتُ شامةً فى نداه جلدُها مُنْفساتُه وعتادُه[5]

سيفية البحترى قال البحترىّ من قصيدة أولها :

« أهلا بذلكُم الخيالِ المُقبلِ[6] »

قد جُدْتَ بالطرف الجواد فثنِّه لأخيك من أدَدٍ أبيك بمُنصُلِ[7]
يتناول الروحَ البعيدَ مناله عفواً ويفتح فى القضاء المقفل
بإنارة فى كل حتْف[8] مظلم وهداية فى كل أرض تَجْهل
ماض وإن لم تمضه يدُ فارس بطلٍ ومصقولٌ وإن لم يصْقَل
يغْشَى الوغىَ فالتّرْس ليس بجنَّةٍ من حده والدّرعُ ليس بمعقل
مصغ إلى حكم الردَى فإذا[9] مضى لم يلتفت وإذا قضى لم يعدل

---

(١) مثلوه : عملوا مثله . الأثر : الفرند وهو جوهر السيف يريد أنهم نسجوا على غمده صورته من الفضة حتى لا تفقده الأعين إذا أغمد بل تكون كأنها ناظرة إليه وذلك لحسنه حتى إن مالكه لا يشتهى أن يفقد منظره بإغماده .

(٢) يقول إن هذا الجفن جعل له نعلا من ذهب وليس ذلك بسبب الحفا وهو يحمل من هذا السيف بحرا لكثرة مائه وفرنده زبده

(٣) البدادان : جانبا السرج .

(٤) يقول إن الدهر جمع حد هذا السيف ويدى الممدوح وشعرى فى الثناء عليه فاجتمعت أفراد الدهر التى لا نظير لها .

(٥) شبه السيف الذى قلده إياه بالشامة، وسائر هباته بالجلد الذى تكون فيه الشامة . يريد أن ذلك السيف على نفاسته وكرمه لا يعد فى جملة عطاياه إلا شيئاً قليلا كالشامة فى الجلد .

(٦) تمامه : « فعل الذى نهواه أو لم يفعل » والقصيدة فى مدح محمد بن حميد الطوسى وقد قابلناها بمخطوط الديوان ١٥٣١ أدب بدار الكتب .

(٧) أدد : أبو اليمن وهو ابن قحطان يطلب منه سيفا بعد أن جاد عليه بحصان .

(٨) الأصل : فج .

(٩) فى الأصل : وإذا .

متوقــدٌ يَفْرى(١) بأول ضربــة ... ما أدركت ولو انهــا(٢) فى يَذْبل
وإذا أصاب فكــل شيء مَقْتَلٌ ... وإذا أصيب فــاله مِن مَقْتَل
وكأنمــا ســودُ النمال وحمرُها ... دَبت بأيد فى قَــراه وأرجل(٣)
وكأن شاهــرَه إذا استعصى بــه ... فى الرَّوع يَعْصَى بالسماك الأعزل(٤)
حَمَلَتْ حَمائلَه القــديمة َبقْلةٌ ... مــذ عهد عاد غَضَّةٌ لم تَذْبل(٥)

* * *

وما ينعى عليه

ومن تعسفات أبي الطيب قوله :

شديدُ البعد من شرب الشَّمول ... تُرُنْجُ الهنــدأو طَلْعُ النخيل(٦)

والمعروف عند العرب الأُترُجّ ، والتّرنْج مما يغلط فيه العامة .

قال الصاحب : لاأدرى ألاستهلال حسن ؟ أم المعنى أبدع ؟ أم قوله : ترنج أفصح ؟ وكقوله :

---

(١) الأصل : يبرى.
(٢) الأصل : لو أنها .
(٣) قراه : ظهره .
(٤) هذا البيت محرف فى الأصل . استعصى به . ضرب . يعصى : يحتمى .
(٥) الأصل : من عهد . . . البقل : كل نبت اخضرت له الأرض . والمعنى : أن السيف أخضر اللون وأن اخضراره قديم من يوم طبعه صانعه وقد أخذ البحترى هذا المعنى من قول القائل :

مهنــد كأنمــا طباعه ... أشربه فى الهند مــاء المندبا

والمندبا : بقلة وقد نظر المتنبى إلى قول البحترى فى قوله :

حملته حمائل الدهــر حتى ... هى محتاجة إلى خــراز

وقد سبق شرحه ص ٢٢١

(٦) حضر أبو الطيب مجلس سيف الدولة وبين يديه أترج وطلع وهو يمتحن الفرسان وعنده ابن حبش شيخ المصيصة بتشديدالصاد الأولى (المصيصة اسم لثغر من ثغور الشام ولقرية قرب دمشق) فقال سيف الدولة لابن حبش لا تتوهم أن هذا للشرب فقال أبو الطيب :

شديد البعد ....

أى أن هذا الثمر بعيد أن تشرب عليه الخمر وإنما استحضارك لهما ولما يشاكلهما من الرياحين للاستمتاع بهما وبعد هذا البيت :

ولكن كل شيء فيه طيب ... لديك من الدقيق إلى الجليل

بيضاءُ يَمنعها تَكَلّمَ دَلُّها تيهاً ، ويمنعها الحياءُ تَميسَا[١]

فنصب تميس مع حذف أن ، وهو ضعيف عند أكثر النحويين[٢] .

وكقوله :

وتكرمت رُكَبَاتها عن مَبْرَكٍ تقعان فيه وليس مِسكا أذ فرا

فجمع الرّكَبات ، ثم انتقل إلى التثنية ، فقال تقعان ، وهو ضعيف ، وغير سديد فى صناعة الإعراب[٣] .

وكقوله :

ليس إلاكَ يا على همامُ سيفه دون عِرضه مَسْلول

وقوله :

لم تر مَنْ نادمتَ إلاكا لا لسوى وُدك لى ذاكا

فوصل الضمير بإلا ، وحقه[٤] أن ينفصل عنه ، كما قال الله تعالى : ضل من تدعون إلا إياه) .

وكقوله :

ابْعَدْ بَعِدْتَ بياضا لا بياض له لأنت أسْودُ فى عينى من الظلم[٥]

= وميدان الفصاحة والقوافى وممتحن الفوارس والخيول

قيل إن ابن خالويه أنكر على أبى الطيب « ترنج » وقال : المعروف أترج فاستشهد أبو الطيب أن أبا زيد روى « ترنج وترنجة » وذكره ابن السكيت فى أدب الكاتب .

(١) يروى « التكلم » بدل تكلم .

(٢) نصب تميس ونصب تكلم أيضاً وهو مضارع حذفت منه إحدى التاءين فالنقد يوجه لنصب الفعلين مع حذف الناصب وقد أجازه الكوفيون وأنشدوا قول طرفة :

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

والبصريون يروونه على الرفع .

(٣) سبق توجيه كلام المتنبى .

(٤) هذا هو الظاهر فى قياس النحو والمشهور عن العرب وقد روى الفراء بيتا عن العرب احتج به أبو الطيب واحتذى عليه :

فما نبالى إذا ما كنت جارتنا ألا يجاورنا إلاك ديار

والإنصاف يقتضى ألا يطالب الشاعر بأكثر من إسناد قوله إلى شعر عربى منقول عن ثقة وناهيك بالفراء .

(٥) يخرج على أن الكوفيين قالوا : ما أسود شعره وما أبيضه أو أن المتنبى يرد التفضيل وإنما

وألف التعجب لا تدخل على ألف أفعل ، إنما يقال أشد سوادا ، وحمرة ، وخضرة .

وكقوله :

جَلَلاً كما بى فَلْيَكُ التبّريحُ   أغِذَاءُ ذا الرَّشَإِ الأغَنِّ الشِّيحِ ؟

وحذف النون من يكن إذا استقبلها الألف واللام خطأ عند النحويين ، لأنها تتحرك إلى الكسر ، وإنما تحذف استخفافًا إذا سكنت[1] .

وكقوله :

أمِطْ عنك تشبيهى بما وكأنه   فما أحدٌ فوقى وما أحدٌ مثلى

والتشبيه بما محال[2] .

وكقوله :

لَعظمْتَ حتى لو تكونُ أمانةً   ما كان مؤتمنا بها جبرينُ

قال الصاحب : وقلبُ هذه اللام إلى النون أبغض من وجه المنون ، ولا أحسب

أراد الوصف بأفعل الذى مؤنثه فعلاء ويكون معناه: لأنت أسود فى عينى وتم الكلام ثم ابتدأ « من الظلم » كما تقول : هو كريم من أحرار ، سرى من أشراف.

(١) قال المحتج عن أبى الطيب إن ضرورة الشعر تجيز حذف النون مع الألف واللام وقد حكاه أبو زيد عن العرب ، والشعر فيه لحسيل بن عرفطة :

لم يك الحق سوى أن هاجه   رسم دار قد تعفى بالسرر

وأبو زيد ثقة ، والرواية عن العرب حجة .

(٢) قال الواحدى : سمعت أبا الفضل العروضى يقول : « ما » وإن لم يكن للتشبيه فإنه يقال ما هو إلا الأسد فيكون أبلغ من قولهم كأنه الأسد . يقول المتنبى . لا تقل ما هو إلا كذا أو كأنه كذا لأنه ليس فوقى أحد ولا مثلى أحد فتشبهنى به . وهذا قول صاحب الوساطة حكاه عن أبى الطيب فيقول : ما : يأتى لتحقيق التشبيه تقول : ما عبد الله إلا الأسد كما قال لبيد

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه   يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

وليس ينكر أن ينسب التشبيه إلى « ما » إذا كان له هذا الأثر ،وفى الوساطة والعكبرى كلام طويل عن هذا البيت وقد أتينا بأقرب ما فيهما .

جبريل عليه السلام يرضى منه بهذا المجون [١] ، هذا على ما فى معنى البيت من الفساد والقبح [٢].

وكقوله :

خروجه عن الوزن

حملت إليـــه من ثنـــائى حديقة سقاها الحجَى سقىَ الرياضَ السحائبِ

أى سقى السحائب الرياض [٣].

ومنهـــا [٤] :

تَفَكره عِلم ومَنطقـــه حُكمُ وباطنه دينٌ وظاهره ظَـرْفُ

وقد خرج فيه عن الوزن ، لأنه لم يجئ عن العرب مفاعيلُنْ فى عروض الطويل غير مصرَّع ؛ وإنما جاء مفاعلن . قال الصاحب : ونحن نحاكمه إلى كل شعر للقدماء والمحدثين على بحر الطويل فما نجد له على خطئه مساعداً . قال القاضى أبو الحسن ، وقد عيب أيضًا بقوله :

إنما بَدْرُ بنُ عَمـــار سحاب هَطِلٌ فيـــه ثوابٌ وعِقابُ .

لأنه أخرج الرَّملَ على (فاعلاتن) ، وأجرى جميع القصيده على ذلك فى الأبيات غير المصرَّعة ، وإنما جاء الشعر على (فاعلن) وإن كان أصله فى الدائرة فاعلاتن .

استعماله الغريب الوحشى

ومنها : استعماله الغريب الوحشىّ ، وإذا كان المتنبى من المحدثين بل من العصريين ، وجرى على رُسومهم فى اختيار الألفاظ المعتادة المألوفة بينهم ، بل

---

(١) فى الأصل : المجان ولم نر لها وجهاً .

(٢) وجه القبح الإفراط وتجاوز الحد اللذان يدلان على رقة الدين وسخافة العقل بل يدلان على زندقة وكفر . أما جبرين فلغة بنى أسد .

(٣) هو من شواذ الاستعمال فى رأى البصريين وهو من قصيدة فى مدح طاهر بن الحسين العلوى أولها : « أعيدوا صباحى فهو عند الكواعب » . الديوان : حملت إليه من لسانى حديقة . .

(٤) « ومنها » أى من تعسفاته .

ربما انحط عنهم بالرّكاكة والسفسفة ، ثم تعاطى الغريب الوحشيّ ، والشاذّ البدويّ ، بل ربما زاد فى ذلك على أقحاح المتقدمين ، حصل كلامه بين طرَفى نقيض ، وتعرض لاعتراض الطاعنين .

فمن ذلك الفن الذى ينادى على نفسه ويَقْلَق موقعهُ فى شعره وشعر غيره من أبناء عصره ، قوله :

وما أرضَى لمقْلتـِـه بحُـلمٍ إذا انتبهت تَوَهـَّمهُ ابتشاكا

والابتشاك : الكذب ، ولم أسمع فيه شعراً قديمًا ولا محدثا سوى هذا البيت .

وقوله فى وصف الغيث :

لِساحيه على الأجداث حَفْش كأيدى الخيل أبصرَت المَخالى[1]

الساحى : القاشر . ومنه سميت المسحاة، لأنها تَقشِر الأرضَ ، والحفش : مصدر حفَش السيلُ حفشا : إذا جمع الماء من كل جانب إلى مستنقع .

وقوله فى وصف السيف :

ودقيقٌ قِـدَى الهباءِ أنيقٌ متوال فى مستو هزْهاز[2]

قِدَى : بمعنى مقدار . يقال بينهما قِيدُ رمح ، وقادُ رمح وقِدى[3] .

وقوله :

أركائبَ الأحبــاب إن الأدمعا تَطِسُ الخدود كما تَطِسْن اليرْمعا[4]

تطس : أى تدُقّ . واليرمع : الحجارة البيض الرخوة .

---

(١) النقد صحيح فكلمة : حفش غريبة وعاب عليه قوم قوله : كأيدى الخيل . . . وقالوا هو من الكلام البارد، والبيت من قصيدة يرثى بها والدة سيف الدولة أولها :

نعــد المشرفية والعــوالى وتقتلنــا المنون بلا قتال

وقبله : سقى مثواك غاد فى الغوادى نظير نوال كفك فى النوال

(٢) تقدم تفسيره رقم ٣ ص ٣٦٠ .

(٣) أى قدى رمح

(٤) البيت مطلع قصيدة يمدح بها عبد الواحد بن العباس بن أبى الإصبع الكاتب .

وقوله :

وإلى حَصَى أرض أقام بها   بالناس من تقبيله يَلَلُ (١)

اليلل : إقبال الأسنان ، وانعطافها على باطن الفم . ولم يُسْمع فى شعره غيره .

وقوله :

* الشمسَ تَشْرُق والسحابَ كَنَهْوَرَا (٢)

الكنهور : القطعة العظيمة من السحاب .

وقوله :

* وقد غَمَرْتَ نوالا أيها النال(٣) *

والنال : المُعطِى .

وقوله :

* أسائلها عن المُتَدَيرِيها (٤)

قال الصاحب : لفظة « المتديريها » لو وقعت فى بحر صاف لكدرته ، ولو

(١) البيت من قصيدة فى مدح عضد الدولة أولها :

اثلث فإنا أيها الطلل   نبكى وترزم تحتنا الإبل

وقبله :

يشتاق من يده إلى سبل   شوقاً إليه ينبت الأسل

سبل تطول المكرمات به   والمجد لا الحوذان والنفل

فالجار والمجرور فى هذه البيت الذى ذكره المؤلف : وإلى حصى ... معطوف على قوله : إلى سبل والمعنى : ويشتاق إلى حصى أرضه الذى كثر تقبيل الناس له حتى برى أسنانهم فقصرت .

(٢) صدره : «وترى الفضيلة لا ترد فضيلة»فالشمس بالنصب على البدل من « الفضيلة » . وهو من قصيدة فى مدح ابن العميد مطلعها :

* باد هواك صبرت أم لم تصبرا *

وتقدم كلام عن هذا البيت

(٣) صدره : « وكيف أكفر ما أوليت من حسن » وهو من قصيدة مطلعها :

* لا خيل عندك تهديها ولا مال *

(٤) من قصيدة فى مدح على بن إبراهيم التنوخى مطلعها :

ملث القطر أعطشها ربوعا   وإلا فاسقها السم النقيعا

أسائلها . . . .   فلا تدرى ولا تذرى دموعا

ألتي ثقلها على جبل سام لهدّه ، وليس للمقت فيها نهاية ، ولا للبرْد معها غاية ؛ والمتديروها : المتخذوها دارا ، قال الصاحب : ومن أطمّ ما يتعاطاه : التفاصح بالألفاظ النافرة ، والكلمات الشاذة ، حتّى كأنه وليد خباء وغذّى لبن ، ولم يطأ الحضَر ، ولم يعرف المَدَر .

فمن ذلك قوله :

أيفْطِمُه التَّوْرابُ قبل فِطامه ويأكلُه قبل البلوغ إلى الأكل [(١)]

وليس ذلك سائغاً لمثله وهو وليد قرية ، ومعلم صبية .

ومن الجموع الغريبة التي يوردها قولُه في جمع الأرض :

أروض الناس من تُرب وخوف وأرض أبي شجاع [(٢)] من أمان

وقوله في جمع اللغة : عليم بأسرار الديانات واللُّغى [(٣)] . وفي جمع الدنيا : أعز مكان في الدُّنا سرج سابح [(٤)] وقوله في جمع الأخ :

كل آخائه كرام بني الدنيا . قال الصاحب : لو وقع الآخاء في رائية الشماخ [(٥)] لاستثقل ، فكيف مع أبيات منها :

قد سمعنا ما قلتَ في الأحلامِ وأنلناك بـدرةً في المَنَام [(٦)]

---

(١) البيت من قصيدة يرثي بها أبا الهيجاء بن سيف الدولة الذى مات حدثاً والتوارب لغة في التراب والمعنى يعجب من موت الطفل وأكل التراب له قبل أن تفطمه أمه ويبلغ سن الأكل .

(٢) يريد به عضد الدولة والبيت من قصيدته :

* مغـانى الشعب طيبا في المغانى *

(٣) تمام البيت : له خطرات تفضح الناس والكتبا

(٤) تمامه : وخير جليس في الزمان كتاب

* نظير هذا الجمع آباء جمع أب . والبيت بتمامه :

كل آخائـه كرام بني الدنـ ـيا ولـكنه كريم الـكرام

(٥) الشماخ : اسمه معقل بن ضرار من غطفان جاهلي إسلامي رجاز اشتهر بوصف القوس والفرس شهد له الحطيئة والرجاز مندوحة في استعمال الغريب وهذا ما يشير إليه الصاحب ولعله يريد رائيته التي مطلعها

* عفت ذروة من أهلها فحفيرها *

(ديوانه ص ٣٧ — ٤٣) طبعة القاهرة .

(٦) أرسل شاعر إلى الأمير أبياتاً يذكر فيها فقره ويزعم أنه رآها في النوم فقال أبو الطيب : قد سمعنا . . . =

والكلام إذا لم يتناسب زَيفتْه جهابذتُه وَبهرَجته نقادُه .

ومنها الركاكة والسفسفة بألفاظ العامة والسوقة ومعانيهم كقوله :

رمانى خساسُ الناسِ من صائب استه   وآخرُ قطنٌ من يديـــه الجنادلُ

وقوله :

ما وقع فى شعره من الركاكة والسفسفة بألفاظ العامة والسوقة ومعانيهم

وإن ما رأيتنى فاركب حصانا   ومثّله تخرّ له صَريعا[1]

وقوله :

إن كان لا يُدْعَى الفتى إلا كذا   رجلا فسم الناس طُرًّا إصبعا

وقوله :

قسا فالأسْدُ تفزع من يديه   ورَقَّ فنحن تفزع أن يذوبا

وقوله :

تألَّمُ درزَه والدّرْزُلينٌ   كما تتألم العضْبَ الصنيعـــا[2]

وعلى ذكر الدَّرزِ ، فقد حكى الصاحب فى كتاب الروزنامَجة[3] من حديثِ لحظةَ الطولونيةِ المغنية ما يشبهُ معنى هذا البيت ، وهو أنه قال : سمعتها

= وبعده :

وانتبهنـــا كما انتبهت بلا شى ء فكان النوال قدر الكلا م

(١) من قصيدة :

* ملث القطر أعطشها ربوعا *

وتقدم حديث عنها . ص١٦٨

(٢) الدرز : موضع الخياطة المكفوفة من الثوب . العضب الصنيع : السيف المحكم الصنعة والضمير فى تألم يعود إلى المرأة فى بيتين سابقين هما :

ترفـــع ثوبهـــا الأرداف عنها   فيبقى من وشاحيهـــا شسوعا

إذا ماست رأيت لها ارتجاجاً   له لولا سواعدهـــا نزوعا

والمعنى أنها رقيقة ناعمة حتى إن درز القميص يوجعها كما يوجعها السيف لرقة بشرتها فإذا نال جسمها موضع الخياطة آلمها وأوجعها .

(٣) الروزنامجة ويقال الروزنامة لفظ فارسى مركب من كلمتين : روز أى يوم ونامه أى كتاب وهى أوراق منضدة بترتيب تتضمن معرفة الأيام والأشهر على مدار السنة وهى أشبه بما نسميه التقويم (انظر تفسير الألفاظ الدخيلة فى العربية للقس طوبيا العنيسى الحلبى اللبنانى ص ٣١) .

تقول : يا جارية علىّ بالقميص المعمول[١] فى النسيج ؛ فقد آذانى ثقل الدروز .

وقوله :

لِسَرِىٍّ لباسُه خَشِنُ القطن ومروىٌّ مروَ لِبس القرود[٢]

وقوله :

ما أنصف القوم ضَبّهْ وأمّـــه الطُّرْطُبّـــهْ
رمَوْا بـــرأس أبيـــه وباكـــوا الأمَّ غُلُبّهْ[٣]

وقوله :

* ولفظ در يُريك الدر مَخْشَلبا[٤] *

وقوله :

إنِ كان مثلُكَ كان أو هو كائنٌ فَبَرِئتُ حينـــئذ من الإسلام

قال الصاحب : « حينئذ » هاهنا أنفر من عَيْر مُنفلِت .

قال ومن ركيك صنعته فى وصف شعره ، والزِّراية على غيره قولُه :

إن بعضًا من القريض هُذَاء ليس شيئًا وبعضه أحكامُ[٥]

---

(١) الذى لا خياطة فيه . (٢) البيت من قصيدة قالها فى صباه ، مطلعها :

كم قتيل كما قتلت شهيد . . .

وقبله : ولعلى مؤمل بعض ما أبـ لغ بالطف من عزيز حميد

لسرى . . . يعنى نفسه . مروى مر : ثياب رقاق تنسب لمرو وهى بلد بفارس .

(٣) باك الحمار الأتان : نزا عليها . ولهذه الأبيات قصة سبقت .

(٤) كذا فى الأصل . الديوان : « ودر لفظ يريك الدر مخشلبا » . وصدر البيت :

* بياض وجه يريك الشمس حالكة *

والمخشلب كلمة نبطية ومعناها الخرز من حجارة البحر وليس بدر ، جاء فى الوساطة ما مجمله :

قالوا : « مخشلباً » ليس من كلام العرب وقال أبو الطيب هى كلمة عربية فصيحة وقد ذكرها العجاج ولست أعرفها من شعر العجاج ولا أحفظها محكية عن العرب غير أنى أرى استعمالها وأمثالها غير محظوظ لأنى أجد العرب تستعمل كثيراً من ألفاظ العجم إذا احتاجت لإقامة الوزن وإتمام القافيـــة وقد تتجاوز ذلك إلى استعماله مع الاستغناء عنه وساق لذلك أمثلة كثيرة » .

وقد استعملها شوقى فى العصر الحديث فقال :

خلوا الأكاليـــل للتاريخ إن له يداً تؤلفهـــا درا ومخشلبا

ومما يشفع أحياناً لاستعمال كلمة غريبة أن توضع فى موضع يسهل فهمها وكانت بجرسها موحيـــة بمعناها فإن الجمع بين الدر والمخشلب يوحى بأن الثانية تعنى شيئاً حقيراً .

(٥) أحكام : جمع حكم بضم أوله أى حكمة .

منه ما يجلُبُ البراعةُ والفضـ ... ـلُ ومنه ما يجلبُ البرسامُ[١]

قال : وها هنا بيت نرضى باتباعه فيه ، وما ظنكَ بمحكَّم مُناوِيه ، ثقة بظهورِ حقه ، وإيراء زَنده ؛ وإن لم يكن التحكيم بعد أبى موسى من موجَب العزم ، ومقتضى الحزم . وهو :

أطعناك طوع الدهر يابنَ ابنِ يوسف ... بشهوتنا[٢] والحاسدو لك بالرَّغْمِ

وقوله :

تَقْضَمُ الجمرَ والحديدَ الأعادى ... دونه قضمَ سُكَّرِ الأهواز[٣]

وقوله :

فكأنمـــا حسب الأسنة حلوة ... أو ظنها البَرْنِىَّ والآزاذا[٤]

قال الصاحب : إذا جُمع السكرُ إلى البرنىّ والأزاذ ، تم الأمر .

قال : وكانت الشعراء تصف المآزر تنزيهاً لألفاظها عما يُستشنَعُ ذِكرُه حتى تخطى هذا الشاعرُ المطبوع إلى التصريح الذى لم يهتدِ إليه غيرُه فقال :

إنى على شغفى بمـــا فى خُمْرها ... لأَعفُّ عما فى سراويلاتها[٥]

وكثير من العَهر أحسن من هذا العفاف .

قال القاضى[٦] ومن أمثاله العامية قوله :

وكل مكان أتـــاه الفـــتى ... على قدر الرِّجل فيه الخُطا

---

(١) الأصل : « فيه » مكان منه ، « النهن » مكان الفضل . البرسام : علة يهذى فيها .

(٢) الديوان : لشهوتنا .

(٣) القضم : أكل الشىء اليابس . الأهواز : كور بين البصرة وفارس أى أن أعداءه تقضم الجمر والحديد من شدة حنقها عليه وقصورها دونه كما يقضم السكر ، والبيت من قصيدة يمدح بها أبا بكر على بن صالح الروذبارى الكاتب .

مطلعها : كفرندى فرند سيفى الجراز . وقد تقدم كلام كثير عن أبيات هذه القصيدة ص ٣٦٠

(٤) البرنى والأزاذ : ضربان من التمر والمشهور فى الأزاذ القصر ، لكنه مد لإقامة الوزن .

(٥) تقدم حديث عنه .

(٦) يريد به القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى .

ومنها إبعاد الاستعارة ، والخروج بها عن حدها ، كقوله :

مَسَرّةٌ فى قلوب الطيب مَفرِقُها ... وحسرةٌ فى قلوب البَيْضِ[1] واليَلَب

وقوله :

تجمّعتْ فى فؤادِه هِمَمٌ ... ملءُ فؤادِ الزمانِ إحداها

وقوله :

لم تَحْكِ نائلَك السحابُ وإنما ... حُمّتْ به فصبيبُها الرُّحَضاءُ

وقوله :

إلاّ يَشِبْ فلقد شابتْ له كَبِدٌ ... شَيْباً إذا خضّبْته سَلْوةٌ نصَلا

وقوله :

وقد ذقتُ حلْواءَ البنينَ على الصبا ... فلا تحسَبَنِى قلتُ ما قلتُ عن جهل

فجعل للطيب والبيض واليلب قلوبًا ، وللسحاب حمّى ، وللزمان فؤادا ، وللكبد شيبا ، وهذه استعارات لم تَجْرِ على شَبَه قريب ولا بعيد ، وإنما تصح الاستعارة وتحسُنُ على وجه من الوجوه المناسبة ، وطُرُق من الشَّبَهِ والمقاربة .

قال الصاحب : وما زلنا نعجب من قول أبى تمام وهو :

« لا تسقنى ماء المَلاَم »[2] فخف علينا « بحلواء البنين »[3] .

---

(١) البيض : جمع بيضة وهى الخوذة من حديد . اليلب : أمثال البيض كانت تتخذ من جلود الإبل واحدها يلبه .

والبيت من قصيدة فى رثاء أخت سيف الدولة أولها :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب ... كناية بهما عن أشرف النسب

وقد سبق حديث عن هذا المطلع .

(٢) بيت أبى تمام :

لا تسقنى ماء الملام فإننى ... صب قد استعذبت ماء بكائى

وهو موضع مؤاخذة لإضافة الماء إلى الملام والتشبيه فيه غير مستساغ .

(٣) يشير إلى بيته السابق :

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا ... فلا تحسبنى قلت ما قلت عن جهل

الاستكثار من ذا

ومنها الاستكثار من قول « ذا » .

قال القاضي : وهي ضعيفةٌ في صنعة الشعر ، دالّةٌ على التكلف ، وربما وافقت موضعًا تليق به ، فاكتسبت قبولا ، فأما في مثل قوله :

قــد بلغتَ الذي أردت من البِرّ ... ومن حقّ ذا الشريفِ عليكا
وإذا لم تَسِرْ إلى الدار في وقـ ... ـتِك ذا خفتُ أن تسيرَ إليكا(١)

وقوله :

لولم تكن مِن ذا الورى الّلذْ منكَ هُو ... عقِمَتْ بِمَوْلد نسلها حــوّاء(٢)

وقوله :

عن ذا الــذي حُرم الليوثُ كمالَه ... يُنسِي الفــريسة خوفَه بجماله(٣)

وقوله :

وإن جـزِعنــا لــه فلا عجبٌ ... ذا الجزْرُ في البحر غيرُ معهود(٤)

وقوله :

أفي كلّ يوم ذا الدُّمُسْتُقُ مُقْدِمٌ ... قَفاه على الإقــدام للوجه لائم(٥)

---

(١) البيتان في الأمير أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج .

(٢) مر له ذكر بالقصيدة التي أولها : * أمن ازديارك في الدجى الرقباء *

(٣) من قصيدة في مدح سيف الدولة أولها : « لا الحلم جاد به ولا بمثاله »

ومعنى البيت أنه يصف ممدوحه بأنه حاز من الكمال ما لم تحزه الأسود وأنه جميل حتى إن الفريسة تنسى الخوف منه لاشتغالها بالنظر إلى جماله .

وقبله :

وشركت دولة هــاشم في سيفها ... وشققت خيس الملك عن رئباله

(٤) من قصيدة أولها :

ما سدكت علــة بمــولود ... أكرم من تغلب بن داود

يمدح سيف الدولة ويرثي أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان .

ومعنى البيت أنه شبهه بالبحر وشبه موته بالجزر فإن جزعنا لموته فلا عجب فإن مثل هذا الجزر لم يعهد في البحر فالمعهود في البحر إذا جزر أن يتراجع ماؤه ولم يعهد فيه أن يجزر حتى يجف . والشطر الأول محرف في الأصل .

(٥) من قصيدته التي أولها :

وقوله :

أبا المسكِ ذا الوجهُ الذى كنت تائقا إليه وذا الوقتُ الذى كنتُ راجيا (١)

وقوله :

أغالبُ فيك الشوقَ والشوق أغلبُ وأعجبُ من ذا الهجرِ والوصل أعجب (٢)

وقوله :

أريــد من زمنى ذا أنْ يُبلّغنى ما ليس يَبلُغــه من نفسه الزمن (٣)

وقوله :

يُضاحك فى ذا اليومِ كلٌّ حبيبــه (٤)

فهو كما تراه سخافةٌ وضعفٌ ، ولو تصفحتَ شعرَه لوجدتَ فيه أضعاف ما ذكرناه من هذه الإشارة ، وأنت لا تجد منها فى عدةِ دواوينَ جاهلية حرفا ، والمحدثون أكثر استعانة بها ، لكن فى الفَرْطِ والندرةِ ، أو على سبيل الغلط والفلْتة.

الإفراط فى المبالغة :

الإفــراط فى المبالغة

ومنها الإفراط فى المبالغة ، والخروجُ فيه إلى الإحالة كقوله :

ونالوا ما اشتهوْا بالحزم هَوْنا وصاد الوحشَ نملُهمُ دبيبًا

وقوله :

وضاقت الأرضُ حتى كان هاربُهم إذا رأى غيرَ شىء ظنــه رجلا (٥)

= * على قدر أهل العزم تأتى العـزائم *

فى مدح سيف الدولة .

(١) فى مدح كافور ومطلعها :

* كفى بك داء أن ترى الموت شافيا *

(٢) مطلع قصيدة فى مدح كافور .

(٣) من قصيده مطامها :

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

قالها وهو عند كافور لما بلغه أن قوماً نعوه فى مجلس سيف الدولة .

(٤) عجز البيت : حذائى وأبكى من أحب وأندب ، وهو من قصيدة يمدح بها كافورا مطلعها :

* أغالب فيك الشوق والشوق أغلب *

(٥) قال الخوارزمى : رأى فى هذا البيت ليست من رؤية العين وإنما هى من رؤية القلب يريد=

فبعـــدَه وإلى ذا اليوم لو ركضتْ   بالخيل فى لَهوَاتِ الطفل ما سَعَلا(١)

وقوله :

وأعجب منك كيف قَدَرْتَ تَنْشَا   وقد أعطِيت فى المهـد الكمالا
وأُقسِمُ لو صَلَحْتَ يمينَ شىءٍ   لما صلَح العبـادُ له شِمالا(٢)

وقوله :

بمن أضرب الأمثال أم من أقيسه   إليك وأهل الدهر دونك والدهرُ(٣)

وقوله :

ولـو قلم أُلقِيتُ فى شق رأسه   من السقمِ ما غيرتُ من خط كاتب(٤)

وقوله :

كأن أول يوم الحشر آخـرُهُ   من بعد ما كان ليلِى لا صباح له(٥)

فهو مما لا يُستهجن فى صنعة الشعر ، على أن كثيراً من النَّقَدة لا يرتضون هذا الإفراط(٦) .

= به التوهم ، وغير الشىء يجوز أن يتوهم .

وقال ابن القطاع : قد أوخذ فى هذا البيت فقيل : كيف يرى غير شىء ؟ وغير شىء معدوم والمعدوم لا يرى . وليس الأمر كما قالوا بل أراد غير شىء يعبأ به .

(١) يصف أعداء الممدوح بالقلة والضعف حتى لو ركضوا بخيلهم فى لهاة الطفل ما شعر بهم ولا سعل . وهذا البيت والذى قبله من قصيدة فى مدح سعيد بن عبد الله الكلابى المنبجى أولها :

* أحيـا وأيسر ما قاسيت ما قتلا *

(٢) هذا البيت سابق لما قبله فى الديوان وهما من قصيدة فى مدح بدر بن عمار مطلعها :

* بقائى شاء ليس هم ارتحالا *

(٣) من قصيدة فى مدح عبد الله بن يحيى البحترى أولها :

* بكيت يا ربع حتى كدت أبكيكا *

(٤) من القصيدة التى أولها :

* أعيدوا صباحى فهو عنه الكواعب *

(٥) من قصيدة فى جعفر بن كيغلغ أولها :

حاشى الرقيب فخانتى ضمائــره   وغيض الدمع فانهلت بوادره

(٦) والرأى فى هذه الأبيات التى ساقها المؤلف أمثلة للمبالغة الخارجة إلى الإحالة أنها عيب مشترك وذنب مقتسم وقع فيه القدامى والمحدثون فإن احتمل فللكل وإن رد فعلى الجميع وحظ المتنبى منه كحظ غيره من الشعراء « الوساطة » .

ما تكرر من ألفاظ فى أبياته

ومنها : تكرير اللفظ فى البيت الواحد من غير تحسين ، كقوله :

ومِنْ جاهل بى وهو يَجهل جهلَه ‏ ‏ ‏ ويجهل علمى أنه بى جاهل

وقوله فى هذه القصيدة :

فقَلْقَلْتُ بالهَم الذى قلقلَ الحشَا ‏ ‏ ‏ قلاقلَ عيس كلهن قلاقلُ[١]

قال الصاحب : وما زال الناس يستبشعون قول مسلم :

سُلَّتْ وسَلَّتْ ثم سَلَّ سليلها ‏ ‏ ‏ فأتى سليلُ سليلِها مَسْلولا

حتى جاء هذا المبدع ، فقال :

وأفجعُ من فقَدْنا مَنْ وَجَدنا ‏ ‏ ‏ قُبيلَ الفقد مفقودَ المِثال

وأظن المصيبة فى الراثى أعظم منها فى المرثى .

وقوله :

عظُمتَ فلما لم تُكلَم مَهابةً ‏ ‏ ‏ تواضعتَ وهْو العظمُ عُظما عن العُظم

قال الصاحب : وما أحسن ما قال الأصمعىّ لمن أنشده :

فما للنَّوى جُذَّ النَّوى قُطع النوَى ‏ ‏ ‏ كذاك النَّوى قطّاعةٌ لوصال

« لو سلط الله على هذا البيت شاة لأكلت هذا النوى كله » وقوله :

ولا الضّعفَ حتى يتبع الضعفَ ضِعْفُه ‏ ‏ ‏ ولا ضِعفَ ضعفِ الضّعفِ بل مثلَه ألفُ[٢]

وقوله :

ولم أر مثل جيرانى ومثلى ‏ ‏ ‏ لمثلىَ عند مِثلهمُ مقامُ

---

(١) البيتان من قصيدة قالها فى صباه أولها :

* قفا تريا ودق فهاتا المخايل *

قلقله : حركه . قلاقل العيس : خفاف الإبل .

(٢) البيت من قصيدة فى مدح أبى الفرج أحمد بن الحسين القاضى المالكى أولها :

لجنية أم غادة رفع السجف ‏ ‏ ‏ لوحشية لا ما لوحشية شنف

وقوله :

العارضُ الهَتِنُ ابنُ العارضِ الهَتِنِ ابـْـــنِ العارضِ الهَتِنِ ابنِ العارضِ الهَتِنِ[1]

وقوله :

وإنى وإن كان الـدفينُ حبيبه حبيبٌ إلى قلبي حبيبُ حبيبي

وقوله :

لكَ الخيرُ غيرى رامَ من غيرك الغنى وغيرى بغـير اللاذقية لاحق[2]

وقوله :

ملولةٌ ما يدومُ[3] ليس لهـا من مَلَلٍ دائم بها ملـلُ

وقوله :

قَبيلٌ أنتَ أنتَ وأنتَ منهم وجَدُّك بشرٌ الملكُ الهمامُ

وقوله :

وكلكمُ أتى مـأتى أبيـه فكل فِعالِ كلِكمُ عُجابُ

وقوله :

وما أنا وحدى قلتُ ذا الشعرَ كلَّه ولكنّ شعرى فيك من نفسه شعر

وقوله :

إنما الناس حيث أنت وما النا س بناس فى موضع منك خالى

وقوله :

ولولا تولى النفسِ حمل حلمه عن الأرض لانهدت وناء بها الحِمل

---

(١) من قصيدة فى مدح أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبى القاضى بأنطاكية أولهـا * أفاضل الناس أغراض لذا الزمن *

ولابن القطاع نقد خلاصته أن المتنبى قد غلط بأن صاغ الهتّن على فعل من هتن بهتّن والصواب هاتن ولم يقل أحد من العلماء ولا جاء عن أحد من العرب هتن كفرح .

(٢) فى مدح الحسين بن إسحق التنوخى من قصيدة مطلعها :

هو البين حتى ما تأنى الحزائق

(٣) فى الأصل : ما تدوم .

وقوله :

وَنَهْبُ نفوسِ أهل النهبِ أولى ... بأهل النَّهب من نَهْب القُماش

وقوله :

وطعن كأن الطعن لا طعنَ عنده ... وضرب كأن النارَ من حره برد

وقوله :

أراه صغيرا قَدْرُها عُظْمُ قَدْرِه ... فما لعظيمٍ قَدْرُهُ عندَه قَدْرُ[1]

وقوله :

جوابُ مسائلى ألَهُ نظيرٌ ... ولا لك فى سؤالك لا ألاَ لاَ

قال الصاحب : ما قدرتُ أن مثلَ هذا البيت يَلجُ سَمْعًا ، وقد سمعت بالفأفاء ، ولم أسمع باللَّالاء حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف الذى لا يقف حيث يعرف .

إساءة الأدب

ومنها : إساءة الأدب بالأدب كقوله :

فغدَا أسيرًا قد بَلَلْتُ ثيابه ... بدم وبَلَّ ببولِه الأفخاذا

وقوله :

وما بين كاذَتِى المُستغير ... كما بينَ كاذَتِى البائل[2]

وقوله :

خَفِ اللهَ واسْتُرْ ذا الجمالَ ببرقُع ... فإن لُحْتَ حاضت فى الخدور العواتق[3]

---

(١) الضمير فى « قدرها » يعود على الدنيا فى بيت سابق .

(٢) الكاذة : لحم الفخذ . المستغير : طالب الغارة . أى أن المستغير من هذه الخيل كان يتفحج لشدة العدو كما يتفحج البائل لئلا يصيبه البول . والبيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة مطلعها :

« إلام طماعيـــة العاذل »

(٣) تقدم حديث عنه .

ويقال : لما أُنكرتْ عليه «حاضت» غيَّره ، فجعله « ذابت» . وذكر البول والحيض مما لا يحسن وقوعه فى مخاطبة الملوك والرؤساء ، وأقبح موقعاً من ذلك قوله فى قصيدة يرثى بها أخت سيف الدولة ، ويعزيه عنها ، حيث قال :

وهل سَمِعتِ سلاماً لى ألم بها ... فقدأطلتُ وما سلمتُ عن كَثَبِ [١]

وما باله يُسلم على حُرَم الملوك ، ويذكر منهن ما يذكره المتغزل فى قوله :

يَعْلَمْنَ حين تُحَيَّا حسن مَبسمِها ... وليس يعلم إلا اللهُ بالشنَبِ [٢]

وكان أبو بكر الخُوارزمىّ يقول : لو عزانى إنسان عن حُرمة لى بمثل هذا لألحقته بها ، وضربتُ عنقَه على قبرها ، قال الصاحب : ولقد مررت على مرثية فى أم سيف الدولة ، تدل مع فساد الحس على سوء أدب النفس ، وما ظنك بمن يخاطب ملكا فى أمه بقوله :

بعيشكِ هل سَلَوتِ فإن قلبى ... وإن جانبتُ أرضَكِ غيرُ سالِ

---

(١) الديوان : من كثب ، البيت من قصيدة يرثى بها أخت سيف الدولة الكبرى التى أولها :
يا أخت خير أخ . . .

والخطاب فى : « سمعت » للأرض ومعنى البيت : هل سمعتنى أيتها الأرض أسلم عليها وحسدتنى على قربها وقد أطلت اليوم من السلام عليها ولم أسلم من قرب .
ولإيضاح المعنى نذكر البيتين السابقين لهذا البيت :

قد كان كل حجاب دون رؤيتها ... فما قنعت لها يا أرض بالحجب
ولا رأيت عيون الإنس تدركها ... فهل حسدت عليها أعين الشهب

(٢) النون من يعلمن عائدة على أترابها فى البيت السابق لهذا وهو :

وهمها فى العلا والمجد ناشئة ... وهم أترابها فى اللهو واللعب

ولابن جنى دفاع عن النقد الموجه لهذا البيت ننقله بنصه : وكان أبو الطيب يتجاسر فى ألفاظه جداً ألا تراه يقول لفاتك يمدحه :

وقد يلقبه المجنون حاسده . . .

أفلا ترى كيف ذكر لقبه على قبحه وتلقاه وسلم أحسن سلامة ولولا جودة طبعه وصحة صنعته ما تعرض لمثل هذا . وكذلك ذكره مبسمها وحسنه وشنبه ومفرقها فى البيت الذى يتلوه

مسرة فى قلوب الطيب مفرقها ... وحسرة فى قلوب البيض واليلب

ومن ذا الذى كان يجسر على تلقى سيف الدولة بذكر مثل هذا من أخته وآل حمدان أهل الأنفة والإباء وذوو الحمية والامتعاض وأكثر شعره يجرى مجرى هذا المجرى من إقدامه وتعاطيه فإذا تفطنت له وجدته على ما ذكرته لك ومن أجل هذا ونحوه ما قال :

لا تحسن الفصحاء تنشدها هنا ... بيتاً ولكنى الهزبر الباسل .

فيتشوق إليها ، ويخطئ خطأ لم يُسبق إليه ؛ وإنما يقول مثل ذلك من يرثى بعض أهله ، فأما استعماله إياه فى هذا الموضع ، فإنه دالٌّ على ضعف البصر بمواقع الكلام .

وفى هذه القصيدة :

رِواق العز فوقك مُسبطِرٌ ومُلْكُ علىٍّ ابنك فى كمال

ولعل لفظةَ الاسبطرارِ فى مَراثى النساء من الخذلان الرقيق الصفيق المبين * .

قال ولما أبدع فى هذه القصيدة ، واخترع ، قال :

صلاةُ الله خالِقنا حَنُوطٌ على الوجْه المُكَفَّن بالجمال

فلا أدرى هذه الاستعارة أحسن أم وصفه وجه والدة ملك يرثيها بالجمال ، أم قوله فى وصف قرابتها وجواريها :

أتتهن المصيبةُ غافلات فدمعُ الحزنِ فى دمع الدّلال[1]

الإيضاح عن ضعف العقيدة

الإيضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين على أن الديانة ليست عِياراً على الشعراء ، ولا سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر ، ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذى لا يَسُوغ الإخلال به قولا وفعلا ، ونظمًا ونثراً ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به فى مواضع استحقاقه ، فقد باء بغضب من الله تعالى، وتعرض لمقته فى وقته ، وكثيراً ما قرع المتنبى هذا الباب بمثل قوله :

يترشفْنَ من فمى رَشفات هن فيه أحلى من التوحيد[2]

---

* النسخ « المنير » ، وقد استظهرنا أن تكون « المبين » كما أثبتنا ويؤيد هذا الاستظهار قول العكبرى جـ٢ ص ٢٤ طبعة سنة ١٣٠٨ هـ « البين » وفيه دفاع جميل عن المتنبى .

(١) هذا الكلام يوهم أن البيت معيب مع أن هذا من أبدع المعانى كما يقول العكبرى فى شرحه .

(٢) قد يقال إن أفعل التفضيل هنا ليس على بابه ،وأن المراد أن هذه الرشفات حلوة كحلاوة التوحيـــد .

وقوله :

ونُصفِي الذى يُكنَى أبا الحسن الهوى ونُرضى الذى يُسمى الإلهَ ولا يُكنَى [١]

وقوله من قصيدة مدح بها العلوى :

وأبهــر آيات التهامىّ أنــه أبوكم وإحدى ما لكم من مناقب [٢]

وقوله :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثلُ الذى الأفلاك فيه والدُّنا [٣]

وقد أفرط جدًّا ، لأن الذى الأفلاك فيه والدنا ، هو علم الله عز وجل .

وقوله :

النــاس كالعابدين آلهــةً وعبــدُه كالموحــد اللاهَا [٤]

وقوله لفنَّاخُسْرو :

لو كان علمُك فى الإله مقسما فى الناس ما بعث الإله رسولا
أو كان لفظك فيهمُ ما أنزل التـ وراة والفُرقان والإنجيلا [٥]

وقوله :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيــه لما أتى الظلمات صرن شموسا

---

(١) المراد بأبى الحسن « سيف الدولة على الحمدانى » ولا نقد على هذا البيت كما فى العكبرى .

(٢) النقد فى هذا البيت فيه نظر وتفصيله فى كلام أبى الفضل العروضى (انظر شرح العكبرى ١ : ١٥٤ ، ١٥٥ طبع الحلبى) ورواية البيت « أجدى بالجيم وقد يروى (إحدى) بالحاء كما فى ص ٣٣١

(٣) البيت من قصيدة فى مدح بدر بن عمار أولها :

* الحب ما منع الكلام الألسنا *

(٤) هذا آخر بيت من قصيدة له فى مدح عضد الدولة عند قدومه عليه بشيراز مطلعها :

أوه بديل من قولتى واهــا لمن نأت والبديل ذكراهــا

ومعناه : أن الناس فى خدمتهم لغيره كمن يعبد آلهة من دون الله لأنه هو الملك على الحقيقة ، وغيره من الملوك زور وأنا فى اقتصارى على خدمته دون غيره كمن يوحد الله ولا يشرك به .

(٥) الديوان : أو كان لفظك فيهم ما أنزل الـ فرقان والتوراة والإنجيلا

وهما من قصيدة فى مدح بدر بن عمار مطلعها :

* فى الخــد أن عزم الخليط رحيلا *

أو كان صادف رأس عازر سيفه — في يوم معركة لأعيا عيسى

عازر : اسم الرجل الذى أحياه المسيح عليه الصلاة والسلام بإذن الله عز وجل .

وقوله :

أو كان لُجُّ البحر مثلَ يمينه — ما انشق حتى جاز فيه مُوسى[1]

وكأن المعانى أعيته ، حتى التجأ إلى استصغار أمور الأنبياء .

وفى هذه القصيدة :

يا من نلوذ من الزمان بظله — أبدًا ونطرد باسمه إبليسا[2]

وقوله وقد جاوز حد الإساءة :

أىَّ مَحَلٍّ أرتقى — أىَّ عظيم أتقى ؟
وكل ما قد خلق الله وما لم يَخْلُقِ
محتقر فى همتى — كشَعْرة فى مَفْرِقى

وقبيح بمن أوله نُطفة مَذِرَة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو بينهما حامل بَول وعَذِرة ، أن يقول مثل هذا الكلام الذى لا تسعه مَعْذرة[3]

الغلط بوضع الكلام غير موضعه

ومنها الغلط بوضع الكلام غير موضعه كقوله :

أغار من الزجاجة وهى تجرى — على شفة الأمير أبى الحُسَين

وهذه الغيرة إنما تكون بين المحب ومحبوبه ، كما قال أبو الفتح كُشاجم[4] وأحسن :

أغار إذا دنَتْ من فيه كأسٌ — على دُرٍّ يُقَبِّله زُجاجُ[5]]

---

(١) الأبيات الثلاثة من قصيدة فى مدح محمد بن زريق الطرسوسى مطلعها :
هذى برزت لنا فهجت رسيسا — ثم انثنيت وما شفيت نسيسا

(٢) قالوا إنما يطرد الشيطان بذكر الله ورسوله .

(٣) الأصل : مقذرة .

(٤) من شعراء الشام فى القرن الرابع ومن وصاف الطبيعة .

(٥) ما بين المعقوفين من ص ٣٤٣ إلى هنا ساقط من سائر النسخ .

فأما الأمراءُ والملوك فلا معنى للغَيرة على شِفاهها .

وكقوله :

وغرّ الدُّمُسْتُقَ قولُ الوشاة إن عليـًّا ثقيل وَصِبْ

فجعل الأمراء يُوشى بهم ، وإنما الوشاية : السعاية ونحوها . ومن شأن المملوح أن يُفضَّل على عدوه ، ويُجرى العدو مجرى بعض أصحابه ، وليس بسائغ فى اللغة أن يقال وَشى فلان بالسلطان إلى بعض رعيته[١] .

وكقوله فى وصف الُحمَّى المُعرِّقة[٢] .

إذا ما فارقتنى غسَّلتْنى كأنا عاكفان على حرام[٣]

وليس الحرام أخص بالاغتسال منه من الحلال .

وكقوله فى وصف مُهره :

* وزاد فى الأذن على الخَرانق[٤] *

وأذُن الفرس يستحب فيها الدقة والانتصاب ، وتشبه بطرف القَلَم ، وأذن الأرنب على الضِد من هذا الوصف .

امتثاله ألفاظ المتصوفة واستعمال كلماتهم المعقدة

ومنها : امتثال ألفاظ المتصوفة ، واستعمال كلماتهم المعقَّدة ، ومعانيهم المغْلَقة ، فى مثل قوله فى وصف فرس :

سَبُوح لها منها عليها شواهد[٥]

وقوله :

إذا ما الكأس أرعشَتِ اليدينِ صَحوْتُ فلم تَحُلْ بينى وبينى[٦]

(١) زادت الوساطة بعد هذا : « ولو قيل ذلك فى أميرين لكان قصر بالموشى به لا محالة وإنما المعروف الصحيح أن يوشى بالأصغر إلى الأكبر فإن توسع فى ذلك فبالنظير » .

(٢) « الحمى » زيادة من ب ، وسائر النسخ : المحرقة .

(٣) البيت من أبيات فى وصف الحمى أولها :

وزائرتى كأن بها حياء فليس تزور إلا فى الظلام

وقد تقدم حديث عنها .

(٤) هو من أرجوزة أولها : ما لمروج الخضر والحدائق .

(٥) صدره : « وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة » .

(٦) هذا مطلع قصيدة قالها ، وقد دخل على على بن إبراهيم التنوخى فعرض عليه كأساً بيده فيها شراب

وقوله :

أفيكُمْ فتًى حىٌّ يُخَبِّرنى عنى ... بما شَرِبتْ مشروبةُ الراحِ من ذهنى

وقوله :

نال الذى نلتُ منه منِّى ... لله ما تصنَعُ الخمور [1]

وقوله :

كَـبُرَ العِيـــان علىَّ حتى إنه ... صار اليقين من العيان تَوَهُّما [2]

وقوله :

وبه يُضن على البرِّية لا بِها ... وعليه منها لا عليها يُوسَى [3]

وقوله :

ولولا أننى فى غـــير نـــوم ... لكنت أظننى منى خَيَـــالا

قال الصاحب : ولو وقع قوله :

نحن مَن ضايق الزمانُ له فيـ ... ـكَ وخانته قربَكَ الأيـــام [4]

= أسود فقال ارتجالا :

إذا ما الكأس . . .

ومعناه : إذا كان غيرى يشرب الخمر حتى تضطرب يداه من السكر فإنى أبقى على صحوى لأنى لا أشربها فلا تحول بينى وبين حواسى .

(١) مضى الكلام عن هذا البيت وعن سابقه .

(٢) هذا البيت تأكيد لبيت سابق عليه هو :

أنا مبصر وأظن أنى نائم ... من كان يحلم بالإله فأحلما

ومعناه : قد عظم على ما أراه منك حتى شككت فيما رأيته وصار المعاين عيان اليقين كالمتوهم الذى لا يدرك بالعيان .

وهو وما قبله من قصيدة قالها وهو فى المكتب يمدح رجلا وأراد أن يستكشفه عن مذهبه أولهـــا :

كفى أرانى ويك لـــومك ألوما ... هم أقـــام على فؤاد أنجما

(٣) يوسى : من الأسى وهو الحزن وسهلت للقافية لأن أصلها الهمز .

(٤) اللام فى « له » زائدة والضمير راجع إلى الزمان أى من ضايقهم الزمان فيك لنفسه ، ليستأثر بك دونهم ، وإلحاق اللام بالمفعول قبيح جداً .

فى عبارات الجُنَيد والشِبْلى [1] لتنازعته المتصوفة دهرا بعيدا .

ومن أشد ما قاله فى هذا المعنى :

ولكنكَ الدنيـا إلىّ حبيبةٌ   فما عنك لى إلا إليك ذَهابُ

خروجه عن رسم الشعر إلى الفلسفة

ومنها الخروج عن رسمِ الشعراءِ إلى الفلسفة كقوله :

ولَجُدْتَ حتى كدتَ تبخل حائلا   لِلمُنتهى [2] ومن السرور بُكاء

وقوله :

والأسى قبل فرقة الروح عجز   والأسى لا يكون بعد الفراق

وقوله :

إلف هـذا الهواء أوقع فى الأنْـ   فُسِ أن الحِمام مُرّ المذاقِ [3]

وكقوله :

تخالف الناسُ حتى لا اتفاقَ لهم   إلا على شَجَبٍ والخُلْفُ فى الشجب [4]

فقيل تَخلُصُ نفسُ المرءِ سالمـةً   وقيل تَشْرَكُ جسمَ المرءِ فى العَطَبِ

وقوله :

خلفتْ صفاتك فى العيون كلامه   كالخطّ يملأ مسمعىْ من أبصرا [5]

---

(١) الجنيد هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه بالعراق توفى ببغداد ٢٩٧ هـ والشبلى هو أبو بكر دلف بن جحدر وقيل جعفر بن يونس الصالح الخراسانى الأصل البغدادى المولد والمنشأ توفى ٣٣٤هـ ببغداد .

(٢) المنتهى أى من أجل المنتهى وهو مصدر كالانتهاء . والمعنى : قد بلغت فى الجود أقصى غايته وطلبت شيئاً آخر وراءه فلم تجد فكدت تحول أى ترجع عن آخره لما انتهيت فيه إذ ليس من شأنك أن تقف فى الكرم عند غاية وأكد المعنى بقوله : ومن السرور بكاء

(٣) ورد هذا البيت فى الديوان قبل سابقه .

(٤) الشجب : الهلاك .

(٥) الضمير فى « كلامه » يعود إلى « خالقك » فى البيت السابق وهو :

فدعاك حسدك الرئيس وأمسكوا   ودعاك خالقك الرئيس الأكبرا

وهما فى مدح ابن العميد .

وقوله :

تمتعْ من سُهـــاد أو رُقاد ولا تأمُلْ كرًى تحت الرِّجام

فإن لثالث الحـــالين معـــنىً سوى معنى انتباهِك والمنـــامِ

قال ابنُ جِنّيّ : أرجو ألا يكون أراد بذلك أن نومة القبر لا انتباه لها .

مخالصه المتــكرهة

ومنها استكراه التخلص ، قال القاضى : لعلك لا تجد فى شعره تخلصا مستكرها إلا قوله :

أحبكَ أو يقولـــوا جَرَّ نملٌ ثَبيرًا وابنُ إبراهـــيم رِيعا

فهذا تخلصٌ ليس عليه شىء من الجمال ، وههنا يكون الاقتضاب أحسنَ من التخلص ، فينبغى لسالك هذا الطريق أن ينظر إلى ما يصوغه ، فإن أتاه التخلص حَسَنًا أتى به ، وإلا فَلْيَدعْه .

وكذلك قال فى قصيدته التى أولها :

أحيا وأيسرُ ما قاسيتُ ما قتـــلا والبينُ جارَ على ضَعْفى وماعَدَلا[1]

« علَّ الأميرَ يرى ذُلّى فيشفعَ لى إلى التى صيرتنى فى الهوى مثلا[2] »

والإضراب عن مثل هذا التخلص خير من ذكره ، وما ألقاه فى هذه الهُوّة[3] إلا أبو نواس حيث قال :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد هواى[4] لعـــل الفضلَ يجمع بيننا

على أن أبا نواس أخذ ذلك من قيس بن ذَرِيح[5]، لكنه أفسده، ولم يأت به كما أتى به قيس .

---

(١) الشطر الثانى ساقط من سائر النسخ .

(٢) كذا فى ب .

(٣) كذا فى ا ، ب . سائر النسخ : المفوة .

(٤) كذا فى ا ، ب . سائر النسخ هواك .

(٥) قيس بن ذريح ، شاعر عذرى فى العصر الإسلامى ، رضيع الحسين بن على ، عشق لبنى =

ولذلك حكاية : وهو أنه لما هام بِلُبْنَى فى كل واد ، وجُنَّ بها ، رقَّ له[1] الناس ورَحِموه ، فسعى ابنُ أبى عتيق[2] إلى أن طَلَّقها من زَوجها ، وأعادها إلى قيس وزوَّجَها إياه ، فقال عند ذلك :

جَزَى الرحمنُ أفضلَ ما يُجازى على الإحسان خيرًا من صَديقِ
وقدْ جرَّبتُ إخوانى جميعًا فما ألفيتُ كابن أبى عتيق
سعى فى جمع شَمْلى بعدصدْع ورَأى حِدْتُ فيه عن طريق[3]
وأطفأ لوعةً كانتْ بقلبى أغصَّتْنى حرارتُها بريقى

وأما قوله :

فأفنى وما أفْنَتْه نفسى كأنما أبو الفرَج القاضى له دُونَها كَهْفُ[4]

وقوله :

لو استطعت ركبتُ الناسَ كلهم إلى سعيد بنِ عبد الله بُعْرانا

وقوله :

أعزُّ مكان فى الدُّنا سرجُ سابح وخيرُ جليس فى الزمان كتابُ
وبحر أبى المسك الخِضَمُّ الذى له على كل بحر زَخْرةٌ وعُباب

فهى ، وإن لم تكن مستحسنة ، فليست بالمستهجَن الساقط .

= بنت الحباب الكعبية ، وقال فيها شعراً غزلياً رائعاً . (ذريح بفتح الذال) : الأغانى ج ٩ طبعة الدار .

(١) ساقط من ا .

(٢) ابن أبى عتيق شاعر حجازى إسلامى من أهل الظرف والمجون ، كانت له حوادث بين الشعراء الغزلين ومحبوباتهن .

(٣) كذا فى ا ، ب . سائر النسخ : الطريق .

(٤) قبل هذا البيت :

ضنى فى الهوى كالسم فى الشهد كامنا لذذت به جهلا وفى اللذة الحتف

وفاعل أفنى : ضمير يعود على الضنى فى البيت المذكور ، والمعنى أن الضنى أفنى نفسى وما أفنته لأن الممدوح ملجأ له دونها .

قبح المقاطع

ومنها قبح المقاطع [١] : كقوله بعد أبيات أحسنَ فيها غاية الإحسان ، وترَقى فيها [٢] الدرجةَ العالية ، وهى :

وللهِ سِرٌّ فى عُــلاك وإنمــا ... كلام العِدا ضربٌ من الهَذَيان
أيلتمسُ الأعداءُ بعد الذى رأتْ ... قيامَ دليــل أو وُضوح بَيان
رأتْ كلَّ من يَنوِى لكَ الغَدْرَ يُبتلى ... بغدرِ حياة أو بغــدرِ زمان

ومنها [٣] :

قَضَى اللهُ يا كافورُ أنك واحدٌ ... وليس بقاض أن يُرَى لك ثانى
فما لك تختــارُ القِسِىَّ وإنما ... عن السعد يرمى دُونَكَ الثَّقلان
وما لك تُعْنَى بالأسنــة والقَنا ... وجَدُّك طَعانٌ بغــير سِنان
ولِمْ تحملُ السيفَ الطويلَ نِجادُه ... وأنت غنىٌّ عنــه بالحَدَثان
أرِدْ لى جميلاً جُدْتَ أو لم تجُد به ... فإنكَ ما أحببتَ فىَّ أتانى

هذا البيت الذى هو عُوذَتُها [٤] :

لو الفلكَ الدَّوارَ أبغضتَ سعيَه ... لعوَّقــه شىء عن الدَّوران [٥]

وكقوله فى قصيدة منها :

فى خَطِّــهِ من كل قلب شهوةٌ ... حتى كأن مِــدادَه الأهواءُ
ولكل عــين قُرةٌ فى قُربه ... حــتى كأن مَغيبَه الأقذاءُ

هذا البيت الذى جعله المقطع :

لو لم تكن من ذا الورى اللَّذْ منك هُوْ ... عقِمتْ بمولــد نسلها حوَّاءُ

---

(١) المقاطع : نهايات القصائد .
(٢) ساقطة من ا .
(٣) ساقطة من جميع النسخ ، والأبيات غير متصلة .
(٤) العوذة : ما يعوذ به الصبى والمريض ونحوهما .
(٥) فى الوساطة : وهذا البيت من قلائده إلا أنك تعلم ما فى قوله : « شىء » من الضعف الذى يجتنبه الفحول ، ولا يرضاه النقاد إلى ما فيه من مبالغة مفرطة غير مقبولة .

وكقوله فى آخر قصيدة :

خَلَتِ البلادُ من الغزالةِ ليلَها   فأعاضَهاكَ اللهُ كَىْ لا تَحزنَا

وما يعاب عليه ولوعه بالتصغير

ومن ولوع أبى الطيب بالتصغير قوله : * أذم إلى هذا الزمان أهَيْلَهُ [١] *

وقوله :

مَنْ لى بفهم أهَيْلِ عصر يدّعى   أن يَحْسُبَ الهندىَّ فيهم باقِلُ [٢]

وقوله : * حُبَيِّبَتا قلبي فؤادى هَيَا جُمْلُ [٣] *

وقوله : * ونام الخُويلدم عن لَيْلِنَا [٤] * .

وقوله : * أفى كل يوم تحت ضِبْنى شُوَيعِرٌ [٥] *

[٦] فقد كان مولعاً بالتصغير لا يقنع من ذلك بخُلسة المغير ، ولا ملامة عليه ، إنما هى عادة صارت كالطبع ، فما حسن منها مأنوس الربع ، ولكنها تغتفر مع المحاسن . هكذا قال المعرى فى رسالة الغُفرَان [٦] .

---

(١) تمامه : « فأعلمهم فدم وأحزمهم وغد » وهو من قصيدته التى مطلعها : « أقل فعالى بله أكثره مجد » يمدح بها على بن محمد بن سيار بن مكرم التميمى الواحدى طبع أوربا ص ٢٩٦ .

(٢) البيت من لاميته فى مدح القاضى أبى الفضل الأنطاكى ومطلعها :

لك يا منازل فى القلوب منازل   أقفرت أنت وهن منك أواهل

و باقل الذى ضرب به المثل فى العى كان قد اشترى ظبياً بأحد عشر درهما ، فمر بقوم فسألوه بكم اشتريت فعجز عن الجواب وفتح يديه وفرق أصابعهما ، وأخرج لسانه يريد أن يقول « أحد عشر » فأفلت الظبى منه . وقوله « الهندى » يريد الحساب الهندى ومعنى البيت : يتمنى لو فهم أهل هذا العصر الذين لا يميزون بين الحق والباطل ، ولا يفرقون بين العالم والجاهل حتى لو ادعى باقل بينهم معرفة حساب الهند لم يجد منهم من يكذب دعواه (اقرأ حكايته فى شرح العكبرى على الديوان ج ٣ : ٢٦٠ طبع الحلبى)

(٣) تقدم تمامه ومطلع قصيدته وموضوعها فى ص ٣٤٥ .

(٤) تمامه : « وقد نام قبل عمى لا كرى » وهو من قصيدته التى مطلعها :

« ألا كل ما شية الخيزلى » يصف فيها خروجه من مصر ويهجو كافورا . الديوان ١ : ٣٦ ، طبعة الحلبى .

(٥) تمامه : « ضعيف يقاوينى قصير يطاول » وهو من قصيدة لامية مدح بها سيف الدولة عند دخول رسول الروم فى صفر سنة ٣٤٣ هـ مطلعها :

دروع لملك الروم هذى الرسائل   يرد بها عن نفسه ويشاغل

الديوان (٣ : ١١٢) طبع الحلبى

(٦ — ٦) الكلام على ولوعه بالتصغير ساقط من الأصول ما عدا نسخة ا . انظر رسالة الغفران =

نبذة من ابتداءاته الحسان

نبذة من محاسنه وروائعه وغرائبه وقلائده وفرائده التي زاد فيها على مَن تقدم وسبق بها جميع مَن تأخر :

فمنها حسن المطلع كقوله :

فديناك من ربع وإن زدتنا كَرْبا ... فإنك كنت الشرقَ للشمس والغَرْبا
نزلنا عن الأكوار نَمشي كَرامة ... لمن بان عنه أن نُلِمَّ به رَكْبا

وقوله :

الرأيُ قبل شجاعةِ الشجعانِ ... هُوَ أولٌ وهْي المَحلُّ الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفس مرة[1] ... بلغت من العلياء كل مكان

وقوله :

إذا كان مدحٌ فالنسيب المقدَّمُ ... أكل فصيح قال شعرا مُتَيَّمُ ؟
لَحُبُّ ابنِ عبدِ الله أولى فإنه ... به يُبدأ الذكرُ الجميلُ ويُختَم

وقوله :

أعلَى الممالكِ ما يُبنى على الأسَلِ ... والطَّعْنُ عند مُحِبيهن كالقُبَلِ

وقوله في الشكاية :

فؤاد ما تسليه المُدام ... وعُمرٌ مثل ماتَهَبُ اللئامُ

=طبعة دار المعارف (٣٤٦ ، ٣٤٧) .

(تنبيه) جملة القول فيما ذكره المؤلف تحت عنوان : « ما ينعى على أبي الطيب من معايب شعره ومقابحه » من أمثال : قبح المطالع ، والتفاوت في شعره بالجمع بين البديع النادر ، والضعيف الساقط ، وتعويص اللفظ ، وتعقيد المعنى ، إلى المبالغة في التكلف ، والزيادة في التعمق ، والخروج إلى الإفراط والإحالة ، أو السفسفة والركاكة ، وما إلى ذلك — جملة القول في هذا وأشباهه ، كما يقول صاحب الوساطة : « إن هذه المعايب وأشباهها لو وفى فيها التهذيب حقه ، ولم يبخس التثقيف شرطه ، لانقطعت عنها ألسن العيب ، وانسدت دونها طرق الطعن ، لكنا لم نجد شاعراً أشمل للإحسان والإصابة ، والتنقيح والإجادة في شعره أجمع ، بل قلما نجد ذلك في القصيدة الواحدة ، والخطبة الفردة ، ولا بد لكل صانع من فترة ، والخواطر لا تستمر بها الأوقات على حال .

(١) مرة : بضم الميم : قوية شديدة .

وقوله أيضًا :

أفاضلُ الناس أغراضٌ لذا الــزمنِ ... يخلُومن الهمِّ أخلاهُمْ من الفِطَنِ

وقوله :

اليــومَ عهدكمُ فأين الموْعِـدُ ... هيهاتَ ليس ليوم عهدكُمُ غَدُ

الموتُ أقربُ مِخْلبا من بَينكُمْ ... والعيشُ أبعــدُ منكمُ لا تَبعَدُوا

وقوله فى التهنئة بزوال المرض :

المجدُ عُوفِىَ إذ عُوفيتَ والكــرمُ ... وزال عنكَ إلى أعدَائكَ الألمُ

ومن ابتداءاته التى تُسكر العقول ، وتفعل فِعلَ الشَّمول ، قوله فى[١] قصيدة يمدح بها كافوراً ، ويذكر الصلح بينه وبين ابن سيِّده ، وكانت جرت بينهما وَحْشة[٢] ، فبدأ قصيدته بذكر الغرض المقصود ، فقال :

حَسَمَ الصلحُ ما اشتهته الأعادى ... وأذاعتــه ألسنُ الُحسَّادِ

وأرادتــه أنفُسٌ حــال تدبيـ ... ـرُك ما بينها وبين المــرادِ

صار ما أوضــع المخبون[٣] فيه ... مِنْ عِتاب زيادةً فى الوِدادِ

وكلامُ الوُشاةِ ليس على الأحـ ... ـباب سلطانُه عــلى الأضداد

إنمــا تنجح المقــالةُ فى المر ... ء إذا وافقتْ هوًى فى الفؤادِ

وكذلك قوله فى أول قصيدة مدح بها سيف الدولة ، وكان البِطريقُ[٤] أقسم

---

(١) كذا فى ا ، هـ . سائر النسخ : من .

(٢) جاء فى الديوان (طبع لجنة التأليف) فى التقديم لهذه القصيدة : واتصل قوم من الغلمان بالصبى (الأمير أبى القاسم أونوجور) مولى الأسود فأنكر ذلك عليهم وطالبه بتسليمهم إليه فجرت بينهم وحشة أياماً ، ثم سلمهم إليه فأتلفهم ، واصطلحا ، فقال أبو الطيب فى ذلك : حسم الصلح . . .

(٣) كذا فى ا ، ب ، والديوان .

(٤) كذا فى ا ، ب . ويريد به بطريق الروم ، وفى القصيدة يقول المتنبى مشيراً إليه :

آلى الفتى ابن شمشقيق فأحنثــه ... فتى من الضرب تنسى عنده الــكلم

ويقال إن هذه القصيدة : عقبى اليمين . . . آخر قصيدة قالها المتنبى لسيف الدولة . قال ابن جنى : قلت لأبى الطيب وقت قراءة هذه القصيدة عليه إنه ليس فى جميع شعرك أعلى كلاما من هذه القصيدة فاعترف بذلك وقال : كانت وداعا .

برأس مَلِكه أنه يُعارض سيفَ الدولة فى الدَّرْب، ويجتهد فى لقائه، وَيثْبُتَنَّ[١] له، وسأل مَلِكَه إمداده، وإنجاده ببطارقته، وعُدَده، ففعل ذلك، فخيب الله ظنه، وأتعس جده، وولى هاربًا، فافتتح أبو الطيب قصيدته بفحوى الأمر، فقال :

عُقْبَى اليمين على عُقْبَى الوَغَى نَدَم ماذا يَزيدُك فى إقدامك القَسَمُ
وفى اليمين على ما أنت واعده ما دل أنك فى الميعاد مُتَّهمُ

وقوله وقد فارق سيف الدولة، وسار إلى مصر :

فِراقٌ ومَنْ فارقتُ غيرُ مُذمَّم وأَمٌّ ومن يَمَّمْتُ خيرُ مُيَمَّمِ

وقوله فى الغزل :

أريقُكِ أم ماء الغمامةِ أم خمرُ بِفِىَّ بَرودٌ وهْو فى كبدى جَمْرُ

وقوله أيضا :

حُشاشةُ نفس ودّعتْ يوم وّدعو فلم أدْرِ أىَّ الظاعنَيْن أشيعُ ؟

ولأبى تمام ابتداءات غريبة :

نبذة من ابتداءات أبى تمام

منها لما حاصر المعتصم عَمُّورِيَّةَ زعم أهلُ النجامة أنها لا تفتح فى ذلك الوقت، وأفاضوا فى هذا، حتى شاع وصار أحدوثة بين الناس، فلما يَسَّر الله فَتْحَها على يد المعتصم، مدحه أبو تمام بقصيدة عديمةِ النظير، وبنى مطلعها على هذا المعنى، فقال :

السيفُ أصدقُ إنباءً من الكُتُبِ فى حَدِّه الحدُّ بين الجِد واللَّعبِ
والعِلمُ فى شُهُبِ الأرْماح لامعةً بين الخَميسينِ لا فى السَّبْعَة الشهُبِ
أين الروايةُ أمْ أين النجومُ وما صاغوه من زُخرف فيها ومن كذب ؟
تخرصًا وأحاديثًا ملفقة ليست بنبع[٢] إذا عُدَّتْ ولاغَرَب

---

(١) لا وجه لتوكيد الفعل هنا لأنه أجاب القسم بأن.

(٢) كذا فى ا، ب. النبع : شجر تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام الواحدة نبعة. الغرب : بفتحتين نبت ضعيف قال المتنبى لسيف الدولة : =

وهذا من أحسن ما يأتى فى هذا الباب .

وكذلك قوله فى أول قصيدة يمدح بها المعتصمَ ، ويذكرُ خروج بَابَكَ الخُرَّمىّ عليه ، وظَفَرَه به :

الحــق أبلَجُ والسيــوفُ عوارِى فحَذَارِ من أسدِ العَرِين حَذَارِ

وقوله متغزلا :

عسى وطنٌ يدنو بهم ولعَلّما وأن تُعْتِبَ الأيامُ فيهمْ فربما

من ابتداءات البحترى الحسان

ومن ابتداءات أبى عُبادة البحترى قولُه ، وهو غاية فى بابه :

بِوُدِىَ لو يَهوَى العذولُ ويعشقُ فيعلمَ أسبابَ الهوى كيف تَعْلَقُ

وأحسن ابتداءات المتقدمين قول امرئ القيس :

خليلىَّ مُرا بى على أمّ جُندَب نُقَضِّ لُبانات الفؤادِ المُعَذَّبِ

وقول النابغة :

كلينى لِهَمٍّ يا أميمةَ[1] ناصب وليل أقاسيه بطىءِ الكواكب

قدمه ابنُ المعتز وغيرُه لسلامته على قول امرئ القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزلِ بسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُول فحَوْمَلِ

لما فيه من عدم التناسب ، فإنه وقف ، واستوقف ، وبكى ، واستبكى ، وذكر الحبيب والمنزل فى نصف بيت عذب اللفظ سهل السبك ، [2]ولم يتفق له مثل ذلك فى النصف الثانى بل أتى فيه بمعان قليلة فى ألفاظ غريبة ، فباين الأول بخلاف بيت النابغة ، فإنه لا تفاوت بين قسميه .

= فلا تنلك الليالى إن أيديها إذا ضربن كسرن النبع بالغرب

حـ ، هـ : ليست بشرق إذا عدت ولا غرب تحريف . د : بياض مكان « نبع »

(١) الرواية بالفتح والقياس ضمها ولهم فى ذلك أوجه منها : أن من النحويين من يبنى المنادى المفرد على الفتح لأنها تشابه حركة إعرابه — اقرأ الخزانة . جـ ١ ص ٢٧٠ .

(٢) الواو فى « ولم » ساقطة من ا ، ب .

ومن أحسن [١] ابتداءات المُوَلَّدين قول أبى نواس :

خليليّ هــذا موقفٌ من مُتَيَّمٍ فعوجــا قليلا وانظراه يُسَلِّمِ

وقول إسحاق الموصلى :

هل إلى أن تنــام عينى سبيلُ إنّ عهدى بالنوم عهدٌ طويل

ومن محاسن الابتداءات ما ذكره المبرّد فى الروضة[٢]، قال : إن الرشيد غزا غزوةً فى بلاد الروم ، وإن نَقَفور ملكَ الروم خضع له ، وبذل الجزية ، فلما عاد عنه ، واستقر بمدينة الرَّقة ، وسقط الثلج ، نقض نقفورُ العهد ، ولم يَجْسُرْ أحد على إعلام الرشيد لمكان هيبته فى صدور الناس، وبذل يحيى بن خالد للشعراء الأموال على أن يقولوا أشعارا فى إعلامه ، فأشفقوا من لقائه بمثل ذلك إلا شاعراً من أهل جُدَّة يكنى أبا محمد ، فنظم قصيدة ، وأنشدها الرشيدَ ، أولها :

نقض الذى أعطيتَه نقفورُ فعليه دائرة البَوار [٣] تدور

أبشرْ أمير المؤمنين فإنه فتح أتاك به الإلهُ كبيرُ [٤]

فلما أنهى الأبيات ، قال الرشيد أو قد فعل ؟ ثم غزاه فى بقية الثلج ، وحصل له الفتح .

ومن لطيف الابتداءات قول مهيار [٥] :

أمَا وهواهــا حِلْفَةً وتَنَصُّلا لقد نقل الواشى إليها فأمحلا *

فإنه أبرز الاعتذار فى هيئة الغزل ، وأخرجه فى معرض التشبيب ، وكان وُشِيَ به إلى الممدوح ، فافتتح قصيدته بهذا المعنى . [٦] ومن ذلك قول بعض العراقيين :

وراءك أقوال الــوشاةِ الفواجر ودونك أحوالُ الغــرام المخامِر

---

(١) « أحسن » ساقطة من سائر النسخ .

(٢) « الروضة » اسم كتاب للمبرد فى الأدب لم ينشر بعد .

(٣) ج ، د : العذاب . البيت ساقط من هـ .

(٤) ج ، د ، هـ : « فتح أتاك من الإله كبير » .

(٥) كذا فى د ، هـ . وفى ا ، ب : المهيار تحريف .

* الديوان : عذرة مكان حلفة .

(٦ — ٦) ما بين القوسين ساقط من سائر النسخ .

ولولا وَلُوعٌ منك بالصدِّ ماسعَوا ولولا الهوى لم أنتدبْ للمعاذر

فسلك مسلك مهيار ، وزاد عليه فى المعاتبة على الإصغاء إلى قول الوشاة والاستماع منهم ، وذلك من أغرب ما قيل فى هذا المعنى [٦].

ومن الابتداءات الحسنة قول الشاهينى [١] حرسه الله تعالى من قصيدة يمدح بها من تقصر عن أدنى فضائله ألسنة الأقلام يحيى أفندى شيخَ مشايخ الإسلام متع الله ببقائه الأنام [المفتى الآن بدار السلطنة العثمانية حرسها الله تعالى إلى يوم القيامة] [٢].

لا يَسلْنى عن الـــزمان سؤولُ إن عتبى على الزمان يطـــول

وكذلك قوله أدامه الله تعالى ، وأبقى معاليَه :

كم أدارى ولستُ ممن يُدارى ليت قلبى فى عشقه [٣] بالخيار

ومن الابتداءات الحسنة قولُ شيخِنا عالم [٤] حلَب الشهباء [٥] إحدى العواصم ، بدرِ فلَك الفضل ، وشمس سماء المكارم ، نجم الدين أفندى الأنصارى لازال ملاحظًا بعين عناية البارى :

أترى الزمانَ يُعيد لى إيناسِى ويرَقُّ لى ذاك الحبيبُ القاسى

واعلم أن حسن الابتداء يجرى فى النثر كما يجرى فى الشعر من ذلك ما قيل لكاتب : اكتب إلى الأمير ، وعرّفه أن بقرةً ولدت حيوانًا على شكل إنسان ، فكتب بعد البسملة : أما بعد حمدِ الله الذى خلق الأنام ، فى بطون الأنعام .

ومن ذلك ما كتب أبو إسحاق الصابى عن الخليفة الطائع لله إلى الأطراف عند عوده إلى كرسىّ ملكه ، وزوال ما نزل به من الأتراك ، فقال : الحمد لله ناظم

---

(١) سائر النسخ : قول أحمد أفندى الشاهينى .

(٢) ساقط من ا .

(٣) سائر النسخ : حبه

(٤) كذا فى ا . ب : حالم . تحريف . سائر النسخ : حاكم

(٥) ساقطة من جميع النسخ . والعواصم وتسمى الثغور هى المدن التى يرابط فيها العرب لحماية البلاد من أعدائها المتاخمين لها .

الشَّمْل بعد شتاته ، وواصل الحبْل بعد بتَاته ، وجابر الوهن إذا ثُلِم*، وكاشف الخطب إذا أظلم ، والقاضى للمسلمين بما يَضُم نَشَرَهم**، ويشد أزرهم ، ويصلح ذاتَ بَيْنهِم ، ويحفظ الألفة عليهم وإن شابت ذلك فى الأحيان شوائب من الحدثان ، فلن يتجاوزَ بهم الحدَّ الذى يوقظ غافلَهم ، ويُنَبّه ذاهلهم ، ثم إنهم عائدون إلى أفضل(١) ما أولاهم الله ، وعوّدهم ووثق لهم ووعدهم من إيمان سِرْبِهم ، وإعذاب شِرْبهم وإعزاز جانبهم ، وإذلال مُجانبهم ، وإظهار دينهم على الدين كله ولو كره المشركون .

وإذا نظرت إلى فواتح السور رأيتَ من البلاغة والتفنّن ما تقصر عن كُنْه وصفه(٢) العبارة كالتحميدات المفتتح بها أوائلُ السور ، وكذا الابتداء بالنداء كقوله فى مفتتح سورة النساء : يأيها الناسُ اتَّقوا رَبَّكُمُ الذى خَلَقَكُم مِنْ نَفْس واحِدة . وفى سورة(٣) الحج : يأيها الناسُ اتقوا ربكُمْ إن زَلزلةَ الساعة شىء عظِيم ، فإن مثلَ هذا الابتداء مما يوقظ السامعين للإصغاء إليه ، وكذا فى الابتداء بالحروف نحو الم ، حم ، مما(٤) يبعث على الاستماع والتطلع نحوه ، لأنه يقْرعُ السمعَ شىء غريب ليس بمثله عادة .

نبذة من مخالصه

ومن بدائع أبى الطيب حسنُ الخروج والتخلص كقوله :

مرّتْ بنا بين تِرْبيها فقلت لها ... من أين جانس هذا الشادنُ العرَبا

فاستَضْحكت ثم قالت كالمُغيث يُرَى ... ليثَ الشَّرَى وهو من عِجْلٍ إذا انتسبا(٥)

---

* كذا فى ا ، ب . سائر النسخ : أثلم تحريف .

** النشر بفتحتين : المنتشر .

(١) حـ ، د ، هـ : فضل بدون همزة .

(٢) كذا فى ا ، ب . سائر النسخ : وصف كنهه . . .

(٣) ساقطة من ا .

(٤) حـ ، د ، هـ : ما .

(٥) البيتان من قصيدة يمدح بها المغيث بن على بن بشر العجلى ومعناهما : أنت من الغزلان و ترباك اللتان تماشيهما من العرب فكيف اتفقت هذه المجانسة بينك وبينهما؟ فقالت لا تعجب من مجانستى العرب وأنا ظبية فإنى كالمغيث تراه من الأسود وهو مع ذلك من بنى عجل .

وقوله أيضًا :

وخَرْقٍ مكانُ العيس منه[١] مكانُنا ... من العيس فيه واسُطَ الكُورِ والظهرُ
ويــوم وصــلناه بِليل كأنمـــا ... على أفقه من بَرْقِه حُلَلٌ حُمْرُ
وليــل وصلنــاه بيــوم كأنمــا ... على متنه من دَجْنه حُلَلٌ خُضر
وغيث ظننـــا تحتــه أن عامــرا ... علا لَمْ يمت أو فى السحاب له قبرُ
أو ابنَ ابنِه البـــاقى علىَّ بنَ أحمد ... يجود به لو لم أجُزْ ويدى صِفر[٢]

وقوله :

إذا صلتُ لم أترك مَصالا لفاتك ... وإن قلتُ لم أترك مقالا لعالم
وإلا فخانتْنى القـــوافى وعاقنى ... عن ابن عُبيد الله ضعفُ العزائم

وقوله :

حدق ُالحسان من الغوانى هِجْن لى ... يومَ الفراق صبابةً وغليلا
حدقٌ يُذِمُّ من القواتل غيرَها ... بدرُ بنُ عمارِ بنِ إسماعيلا[٣]

وقوله :

ولـــو كنتُ فى أسر غيرِ الهوى ... ضَمنتُ ضمانَ أبى وائـــل
فَدَى نفسَه بضمان النضارِ ... وأعطى صدورَ القنا الذبل[٤]

---

(١) كذا فى الديوان . جميع النسخ : فيه .

(٢) هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها على بن أحمد بن عامر الأنطاكى أولها :

* أطاعن خيلا من فوارسها الدهر *

وفى هذه الأبيات يصف فلاة ويوماً وليلا وغيثاً ثم يخلص إلى المدح خير مخلص .

(٣) يذم : من الذمام أى يجير . بدر : فاعل يذم والمعنى : أنه يجير من كل ما يقتل إلا من حدق الحسان فإنه لا يستطيع الإجارة منه .

(٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان العدوى من أسر الخارجى ، وكان أبو وائل قد ضمن لهم وهو فى الأسر خيلا طلبوها منه ، وما لا اشترطوه عليه ، فأقاموا ينتظرون وصول الخيل والمال ، فصبحهم جيش سيف الدولة وأبادهم ، وقتل الخارجى . وحسن التخلص باد فى قوله : « ضمنت ضمان أبى وائل » .

ومما جاء من التخلصات الحسنة قوله :

وأوردت نفسى والمهنَّدُ فى يدى ... مواردَ لا يُصْدِرن من لا يُجالدُ[(١)]

ولكن إذا لم يحمل القلبُ كفَّه ... على حالة لم تحملِ القلبَ ساعدُ[(٢)]

خليلىَّ إنى لا أرى غير شاعر ... فلِمْ منهمُ الدعْوَى ومنى القصائد

فلا تعجبا ، إن السيوف كثيرةٌ ... ولكنَّ سيفَ الدولة اليوم واحدُ

هذا هو[(٣)] الكلام الآخذ بعضُه برقاب بعض ألا ترى أن الخروج إلى مدح الممدوح فى هذه الأبيات ، كأنه أفْرِغ فى قالبٍ واحد ، وهو من بدائعه المشهورة.

وكذلك قوله أيضا ، وهو من أحسن ما يأتى به من التخلصات ، وهو فى قصيدته التائية[(٤)] التى أولها :

سرب محاسنه عَدِمتُ ذواتِها ... دانى الصفات بعيدُ موصوفاتها[(٥)]

فقال فى أثنائها :

ومطالبٍ فيها الهلاكُ أتيتُها ... ثَبْتَ الجَنانِ كأننى لم آتها

ومقانبٍ بمقانب غادرتُها ... أقواتَ وحش كُنَّ من أقواتها[(٦)]

أقبلتُها غُرَرَ الجيادِ كأنما ... أيدى بنى عِمرانَ فى جَبَهاتها[(٧)]

الثابتين فروسةً كجلودها ... فى ظهرها والطعنُ فى لَبَّاتها[(٨)]

---

(١) المعنى : أنه يورد نفسه موارد فى الحرب لا يسلم منها إلا الشجاع المجالد .

(٢) أى أن قوة الضرب إنما تكون بالقلب لا بالكف ، فإذا لم تقو الكف بقوة القلب لم تقو بقوة الساعد . وحسن التخلص واضح فى البيت الرابع .

(٣) ضمير الفصل زيادة عن « ا » .

(٤) كذا فى ا ، ب . وفى سائر النسخ : الهائية .

(٥) عدمت : كذا فى جميع النسخ وفى هامش « ا » إشارة إلى رواية عن نسخة : « حرمت » وهى رواية العكبرى وقد انفردت « ا » بإيراد بيت المطلع كله .

(٦) المقانب : جمع مقنب كنبر وهو الطائفة من الخيل . والمعنى : رب جيش من الفرسان لقيته بمثله من أصحابى فتركته موتاً للوحوش التى كانت قوتاً له .

(٧) أقبلته الشىء : جعلته قبالته أى مواجهاً له . يشبه بياض غرر خيله بنعم الممدوحين . وفى جميع النسخ « عمار » فى موضع عمران وهو تحريف . لأن القصيدة فى مدح أبى أيوب أحمد بن عمران كما فى شرح التبيان . ويؤيده رواية فى هامش « ا » . وقوله : « جبهاتها » كذا فى معظم الأصول وفى « ا » حياتها وفى « ب » حباتها ، ولا معنى لهما .

(٨) ا ، ب والديوان : كجلودها . بقية النسخ كجيادها تحريف .

ومنهـــا :

تلك النفوسُ الغالباتُ على العلا والمجدُ يَغلبها على شهواتهـــا
سُقِيَتْ منابتها التي سَقَتِ الورى بيَدَىْ أبي أيوب خيرِ نباتها [١]

فانظر إلى هذين التخلصين البديعين ، فالأول خرج به إلى مديح الممدوح ، والثاني خرج به إلى نفس الممدوح . وكلاهما قد أغرب فيه كل الإغراب .

وقوله :

نودعهـــم والبـــين فينا كأنه قَنا ابنِ أبي الهيجاء في قلب فيلق

وهذا النوع مهم من مهمات البلاغة ، وحقيقته : أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني ، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره ، وجعل الأول سبباً إليه ، فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض من غير أن ينقطع كلامه ، ويستأنف كلاماً آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً ، وذلك مما يدل على حذق الشاعر ، وقوة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه ، ويكون متبعاً للوزن والقافية ؛ فلا تواتيه الألفاظ على حسب إرادته .

وأما الناثر فإنه مطلق العنان يمضي [٢] حيث شاء ، فلذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر مما [٣] يشق على الناثر .

من مخالص أبي تمام

ومن بديع ما أتى في هذا الباب ونادره قول أبي تمام :

يقول في قُومَسٍ صحبي وقد أخذتْ منا السُّرَى وخُطا المهْرِيَّةِ القُودِ
أمطلـــعَ الشمس تبغي أن تَؤُمَّ بنا فقلت كلا ولكن مَطلعَ الجودِ [٤]

---

(١) يروى : بندى بدل : بيدى . والمعنى : أن آباء الممدوحين الذين أحيوا الناس بجودهم قد حيي مجدهم بجود هذا الممدوح وهو خير أبنائهم .

(٢) د : يمضى به .

(٣) جميع النسخ : ما يشق والتفضيل يقتضى : مما .

(٤) فى «ا» ، «ب» والديوان والصولى فى أخبار أبى تمام يقول «فى قومس صحبى» وفى غيرها تحريف وليس فى الديوان من القصيدة غير هذين البيتين . وهما فى مدح عبد الله بن طاهر وقد خرج إليه الشاعر =

وقوله أيضا في وصف أيام الربيع :

خُلُقٌ أطَلَّ من الربيع كأنه ... خُلُقُ الإمام وهديُه المتيسر[١]

في الأرض من عدل الإمام وجوده ... ومن النبات الغض سُرْجٌ تُزْهِر[٢]

تُنْسى الرياض وما يُروِّض جودُه ... أبداً على مرّ الليالي يُذْكر[٣]

وهذا من ألطف التخلصات وأحسنها .

وكذلك قوله في قصيدته التي أولها :

* أما الرسوم فقد أذكرن ما سلفا[٤] *

غيداءُ جاد وَليُّ الحسن سُنَّتَها ... فصاغَها بيديه روضةً أنُفا[٥]

يُضْحي العذولُ على تأنيبه كَلِفا ... بعذرِ مَن كان مشغوفا بها كَلِفا[٦]

يجاهد الشوقَ طورا ثم يجذبُه ... جهادُه للقوافي في أبي دُلَفا[٧]

وهذا أحسن من الذي قبله ، وأدخلُ في باب الصناعة ، وكذلك[٨] جاء قوله :

= وقومس : صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل . والمهرية : الإبل الكريمة منسوبة إلى بلاد مهرة بن حيدان من اليمن . والقود : الطويلات الأعناق .

(١) « أطل » بالطاء المهملة كذا في « ا » وفي سائر النسخ : أظل . والروايتان في الديوان شرح التبريزي . « المتيسر » كذا في جميع النسخ .

(٢) « سرج » : جمع سراج وأصله بضم الراء وخفف الشعر .

(٣) « وما يروض جوده » في جميع النسخ وروى : « وما يروض فعله » والأبيات من قصيدة يمدح بها المعتصم أولها :

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر ... وغدا الثرى في حليه يتكسر

(٤) هو مطلع قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي وعجزه :

* فلا تكفن عن شأنيك أو يكفا *

(٥) غيداء : ناعمة . الولي : المطر الثاني الذي يلي الأول وهو الوسمي . السنة : الوجه والصورة . روضة أنفا : لم ترعها الدواب من قبل .

(٦) « مشغوفا » كذا في ا ، ب وفي سائرها : مشغولا وفي الديوان : مشغوفا .

(٧) كذا في الأصول . وروى البيت أيضاً هكذا :

يجاهد الشوق طورا ثم ترجمه ... مجاهدات القوافي في أبي دلفا

وفي هبة الأيام للمؤلف ص ١٠٦ روى هذا البيت والذي بعده على هذا النحو :

يجاهد الشوق طورا ثم يجذبه ... إلى جهاد القوافي في أبي دلفا

بجوده انصاعت الأيام لابسة ... شرخ الشباب وكانت جلة شرفا

وقال في شرحهما : هذا من محاسن مخالصه المشهورة . يقول : يجاهد الشوق ثم يجذبه إلى جهاد القوافي في الذي رجعت الأيام شابة بجوده ، وكانت مسنة . والشرف : جمع شارف ، وهي المسان من الإبل .

(٨) وكذلك : كذا في ا ، ب ، جـ . وفي د ، هـ : ولذلك ، ولا معنى للام هنا .

زعمت هـــواك عفـــا الغداةَ كما عفا منهـــا طُلول باللّوى ورسومُ(١)
لا والــذى هو عالم أن النـــوى صَبِرٌ وأن أبا الحسين كريمُ(٢)
ما حُلْتُ عن سَنَن الودادِ ولاغـَدَتْ نفسى عـــلى إلف سِواك تحومُ(٣)

وهذا خروج من غزل إلى مديح أغزلَ منه .

ومن البديع فى هذا الباب قول أبى نواس من جملة قصيدته المشهورة التى أولهـــا :

* أجارةَ بَيْتَيْنا أبوكِ غيورُ (٤)*

فقال عند الخروج إلى ذِكر الممدوح :

تقولالتى فى بيتها خَفَّ مَركَبى عزيزٌ علينـــا أن نراك تســير
أمَا دُونَ مصرٍ للغنَى مُتَطَلَبٌ بلى إن أسباب الغنى لكثيرُ
فقلتُ لها واستَعْجَلَتْها بوادرٌ جرت فجرى فى إثرهن عبيرُ
ذرينى أكثّر حاسديك برحلة إلى بلد فيها الخصيبُ أميرُ(٥)

والشعراء متفاوتون فى هذا الباب ، وقد يُقصر عنه الشاعر المُفْلِق المشهور بالإجادة فى إيراد الألفاظ ، واختيار المعانى ، كالبحترى ، فإن مكانه من الشعر لا يُجهل ، وشعرُه السهلُ الممتَنعُ الذى تراه كالشمس : قريبًا ضوءُها بعيداً مكانُها ، وكالقناة لينًا مَسّها خَشِنًا سِنانُها ، وهو على الحقيقة قينة الشعراء فى الإطراب ، وعَنْقاؤهم فى الإغراب ، ومع هذا ، فإنه لم يُوَفق فى التخلص إلى

---

(١) كما عفا : كذا فى جميع الأصول وفى الديوان : عفت .
(٢) صبر : كذا فى ا ، ب ، د ، هوفى حـ ، بين السطور فى د : مر .
(٣) وهذه الأبيات من قصيدة يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة وأولها :
أسقى طلولهـــم أجش هزيم وغـــدت عليهم نضرة ونعيم
(٤) بيتينا : كذا فى ب ، د ، هـ والديوان والبيت مطلع قصيدة يمدح فيها الخصيب ، وكان والى مصر من قبل الرشيد وعجزه :
* وميسور ما يرجى لديك عسير *
(٥) إلى بلد فيها : كذا فى ا ، ب . وسائر النسخ : فيه ، والتذكير أغلب . ورواية الديوان طبع الحميدية المصرية ١٣٢٢ هـ : عن بيتها ، فى جرجين ، بلد فيه بدل (فيها) كما فى ا ، ب .

المديح ، بل اقتضبه اقتضاباً ، وليس له من ذلك إلا اليسير ، كقوله فى قافية الباء من قصيدة :

من خالص البحترى

وكَفانِى إذا الحوادثُ أظلمْـ ـنَ شِهابا بِغُرَّةِ ابن شِهاب [1]

وكقوله :

قَصَدتْ لنجرانِ العراقِ ركابُنـا فطلبْنَ أرحبهـا مَحِلَّة ماجد [2]

آليتُ لا يَلقَيْن جَسْـداً صاعداً فى مطلَب حتى تُنَاخَ بِصاعدِ [3]

وكقوله فى قصيدته التى أولها :

* حلفت لها بالله يوم التفرق [4] *

فإنه تشوق فيها إلى العراق [5] من الشام ، فوصف العراق ومنازله ورياضه ، فأحسن فى ذلك كله ، ثم خرج إلى مدح الفتح بن خاقان فقال :

رِباعٌ من الفتح بن خاقان لم تزل غِنىً لفقير ، أو فكَـاكـاً لِمُوثَق [6]

---

(١) بغرة : كذا فى ح وهو الصواب ، وفى سائر النسخ بعزة .
والبيت من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن إسماعيل بن شهاب وأولها :

ما على الركب من وقوف الركاب فى مغانى الصبا ورسم التصابى

(٢) هذا البيت ساقط من النسخ ما عدا ا ، ب وفيهما ركبانا فى موضع : ركابنا . ومالك فى موضع : ماجد : تحريف وهو من قصيدة يمدح فيها صاعد بن مخلد وأولها :

قل للخيال إذا أردت فعاود تدنى المسافة من هوى متباعد

(٣) هذا البيت متصل بما قبله فى القصيدة وهو موضع الشاهد — وهما فى مدح صاعد بن مخلد أحد ممدوحى البحترى . ورواية الديوان طبع هندية : لا يلقَين ، حتّى ينخن .

(٤) تمامه : « وبالوجد من قلبى بها المتعلق » والقصيدة فى مدح الفتح بن خاقان كما فى الديوان طبعة هندية ١٩١١ م ص ١٢٢ ج ٢ وفى المثل السائر (١ : ٣٠٨) طبعة الحلبى نقد لهذا المطلع لما فيه من تقديم وتأخير فراجعه .

(٥) « إلى العراق » كذا فى ا ، ب وسائر النسخ : العراق .

(٦) فى الديوان : (غنى لعديم أو فكاكا لمرهق) .

ثم أخذ فى مدحه بعد ذلك بضروب من المعانى ، وكذلك ورد قوله فى قصيدته التى أولها :

* ميلوا إلى الدار من ليلى نحييها [١] *

فإنه وصف البركة فأبدع ، ثم خرج منها إلى مدح المتوكل ، فقال :

كأنها حين لجت فى تدفقها ... يدُ الخليفة لما سال واديها

وأحسنُ ما وجد له وهو ما تلطف فيه كلَّ التلطف قوله فى قصيدته التى يمدح بها ابن بِسطام ومطلعها :

* نصيب عينيك من سَحّ وتَسجام [٢] *

فقال عند تخلصه :

* هل الشباب مُلِمٌّ بى فراجعةٌ [٣] *

لو أنه نائل غمرٌ يُجادُ به ... إذاً تطلبْته عند ابن بسطام [٤]

وله مواضع أخر [٥] يسيرة بالنسبة إلى كثرة شعره .

أبيات عجيبة فى بابها

ومما استُظْرِف فى هذا النوع قول ابن [٦] الزَّمكدم الموصلىّ :

وليل كوجه البَرْقَعيدىّ [٧] ظُلْمةً ... وبردِ أغانيه وطولِ قُرونِه

سريتُ ونومى عن جفونى [٨] مُشَرَّدٌ ... كعقل سليمان بن فَهد ودِينِه

---

(١) تمامه : نعم ونسألها عن بعض أهليها (الديوان : ٢ — ٣١٨)

(٢) تمامه كما فى المخطوطة رقم ١٥٣١ أدب بدار الكتب المصرية « وحظ قلبك من بث وتهيام »

(٣) تمامه كما فى النسخة المشار إليها آنفاً : أيامه لى فى أعقاب أيام

(٤) لو أنه نائل غمر يجاد به ... لقد تطلبته عند ابن بسطام

كذا فى المخطوطة المشار إليها وفى جميع النسخ تحريف فى الشطر الأول.

(٥) « وله مواضع أخرى » كذا فى ا ، ب وفى سائر النسخ « مواضع أخر »

(٦) « ابن الزمكدم » كذا فى جمع النسخ ونهاية الأرب (٧ : ١١٩) وديوان المعانى (١ : ١٩٥) إلا « د » ففيها الدمكدم بالدال المهملة وهو تحريف .

(٧) البرقعيدى منسوب إلى برقعيد وهى بليدة فى طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين .

(٨) فى نهاية الأرب جـ ٧ ص ١٢٠ : ونومى فيه نوم ...

عــلى أوْلَق فيــه التفــاتٌ كأنه   أبو جــابر فى خبطــه وجنونه[١]
إلى أن بــدا ضوءُ الصباح كأنه   سنا وجــه قِرواش وضوءُ جبينه

وهذه الأبيات لها حكاية ، وذاك أن شرف الدولـَة قِرواش[٢] صاحبَ المَوْصل كان جالسا مع ندمائه فى ليلة من ليالى الشتاء فى جملة هؤلاء الذين هجاهم الشاعر ، وكان البرقعيدى مُغنيًا ، وسليمانُ بن فهد وزيرًا ، وأبو جابر حاجبًا ، فالتمس شرفُ الدولة من هذا الشاعر أن يهجوَ المذكورين ويمدحه ، فذكر هذه الأبيات ارتجالا ، وهى غريبة فى بابها ، لم يسمع بمثلها ، ولم يَرض قائلها بصناعة التخلص وحدها ، حتى رقى فى معانيه المقصودة[٣] إلى أعلى منزلة ، فابتدأ البيت الأول بهجو البرقعيدى ، فهجاه فى ضمن مراده ، وذكر أوصاف ليالى الشتاء جميعَها ، وهى الظلمة ، والبرودة ، والطول ، وكذلك البيت الثانى والثالث ، ثم خرج إلى المديح بألطف وجه ، وأدق صنعة ، وهذا يسمى الاستطراد .

ومما يجرى على هذا الأسلوب ما ورد لابن حجاج[٤] البغدادى :

ألا يا ماء دِجلَة لستَ تَدرى   بأنى حاسدٌ لك طول عمرى
ولو أنى استطعت سَكَرْتُ سَكْرًا   عليك فلم تكن يا ماء تجرى[٥]

---

(١) الأولق : الجنون ، يريد على فرس ذى أولق . وفيه التفات : معناه يكثر التلفت فى سيره يمنة ويسرة ، فلا يستقيم فى وجهة واحدة ، بل يخبط فى سيره .

(٢) « قراوش » هو قراوش بن مقلد أمير بنى عقيل فى حلب ، وقد جاء فى النسخ ممنوعاً من الصرف ولا وجه له .

(٣) « المقصورة » كذا فى ا . وفى سائر النسخ المخصوصة .

(٤) ابن حجاج البغدادى : هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج ، أحد كبار شعراء الدولة العباسية ، امتاز بفنون المجون والدعابة والملح مما فشا فى بغداد فى القرن الرابع الهجرى حين بلغت الدولة غاية التحضر ، واستكملت فنون الترف ، فكان شعره فكاهة أصحاب المجالس ، وطرفة أهل الجد والهزل ، وراج رواجاً عظيماً على ما به من إسفاف وسخف ، وبعد عن مناهج أهل الحشمة والوقار . توفى ببلد يقال له النيل سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ، وكان من كبار شعراء الشيعة . (انظر ترجمته فى يتيمة الدهر للثعالبى (٢ — ٢١١) ، وفى ابن خلكان طبعة الميمنية (١ : ١٥٥) وفى كتاب الكنى والألقاب لعباس بن محمد القمى (١ : ٢٤٥) .

(٥) سكرت سكراً : يعنى أقمت سدا يعترض مجراك .

فقال الماءُ ما هذا عجيب ... بِمَ استوجبتَه ياليت شعرى[١]
فقلت له لأنك كل يوم ... تمر على أبى الفضل بن بشر
تراه ولا أراه وذاك شىءٌ ... يضيق عن احتمال فيه صدرى

ولا يُظَنَّنْ أن هذا الشىء انفرد به المحدثونَ لما عندهم من الرقة واللطافة ، وفات مَن تقدمهم من العرب لما عندهم من قَشَف العيش ، وغلظ الطبع ، بل قد سبق أولئك[٢] إلى هذا الأسلوب ، وإن أقلوا منه وأكثر المحدَثون ، وأى حسن من محاسن البلاغة والفصاحة لم يسبقوا إليه ؟ وكيف لا وهم أهله ، ومنهم علُم ، وعنهم فُهم ، فمما جاء للفرزدق قوله :

وركبٍ كأن الريحَ تطلبُ عندهم ... لهاترةً من جَذْبها بالعصائب
سَرَوْا يَخبِطون الليل وهى تَلُفُّهم ... إلى شُعَب الأكوارِ من كل جانب
إذا آنسوا نارًا يقولون ليتها ... وقد خَصِرتْ أيديهُم نارُ غالب[٣]

فانظر إلى هذا الاستطراد ، ما أفحله وأفخمه ![٤] .

* * *

---

(١) ما هذا عجيب : بتقدير همزة الاستفهام قبله .

(٢) أولئك : إشارة إلى العرب .

(٣) خصرت : بردت . وفى جميع النسخ : حصرت بالحاء المهملة — تحريف ، ولأبيات الفرزدق هذه قصة فى كتب الأدب . قال ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (طبعة بريل بليدن سنة ١٩٠٢ ص ٢٤٢ — ٢٤٣) : دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ، وسليمان ولى عهد ، ونصيب عنده فقال سليمان : أنشدنا يا أبا فراس ، وأراد أن ينشده بعض ما امتدحه به فأنشده : وركب . . . إلى آخر الأبيات الثلاثة . فغضب سليمان ، فأقبل على نصيب فقال : أنشد مولاك يا نصيب ، فأنشده :

أقول لركب قافلين لقيتهم ... قفا ذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبرونى عن سليمان إننى ... لمعروفه من آل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فقال له سليمان : أحسنت ، وأمر له بصلة ، ولم يصل الفرزدق ، فخرج الفرزدق وهو يقول :

وخير الشعر أكرمه رجالا ... وشر الشعر ما قال العبيد

(٤) الكلام الذى أورده المؤلف فى التخلص هنا منقول معظمه من المثل السائر لابن الأثير فى التخلص والاقتضاب .

تشبيبه بالأعرابيات

ومن بدائع أبى الطيب التشبيب بالأعرابيات ، كقوله :

مَن الجآذر فى زِى الأعاريب ... حُمْرَ الحُلَى والمطايا والجلابيب[١]

إن كنتَ تسأل شكا فى معارفها ... فمن بلاكَ بتسهيد وتعذيب

سوائرٌ ربما سارت هوادجُها ... منيعةٌ بين مطعون ومضروب

أىْ لشدة الرغبة فيهن ، وكثرة الذب عنهن ، والمحاربة دونهن .

وربما وَخَدَت أيدى المطى بهَا ... على نجيع من الفُرسان مصبوب

كم زورةٍ لك فى الأعراب خافيةٍ ... أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لى ... وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

قد وافقوا الوحشَ فى سكنى مراتعها ... وخالفوها بتقويض وتطنيب

فؤادُ كلِ مُحِب فى بيوتهمُ ... ومالُ كلِّ أخيذ المال محروب[٢]

ما أوجهُ الحَضَرِ المستحسناتُ به ... كأوجه البَدَوِيَّات الرعابيب[٣]

حسنُ الحضارة مجلوبٌ بتطرية ... وفى البداوة حسنٌ غير مجلوب

أفْدِى ظباءَ فلاة ما عرَفْنَ بها ... مَضْغ الكلام ولا صبغَ الحواجيب[٤]

ولا برزن من الحمام ماثلة ... أوراكُهُنَّ صقيلاتِ العراقيب

ومن هوى كلِّ من ليستْ مُمَوَّهة ... تركتُ لونَ مشيبى غيرَ مخضوب

ومن هوى الصدق فى قولى وعادته ... رَغِبتُ عن شَعَر فى الوجه مكذوب[٥]

وناهيك بهذه الأبيات جزالةً وحلاوةً . وله طريقة فى وصف البدويات ، وقد تَفرد بحسنها فأجاد ما شاء فيها ، فمنها قوله :

هام الفؤادُ بأعرابية سكنتْ ... بيتا من القلب لم تَمْدُدْ له طُنُبا

مظلومةُ القَدّ فى تشبيهه غُصُنا ... مظلومةُ الريق فى تشبيهه ضَرَبا

---

(١) حمر الحلى : كناية عن كون حليها ذهباً . والحمرة لون ملابس الأشراف عند العرب يعنى أنهن من نساء الملوك .

(٢) نساؤهم جميلات يأسرن القلوب ، ورجالهم شجعان ينهبون الأموال . والمحروب : من أخذ ماله .

(٣) الرعابيب : جمع رعبوبة ، وهى الطويلة الممتلئة .

(٤) مضغ الكلام : ترك إبانته تخنثاً كعادة الحضريات .

(٥) ومعنى البيت أنه لحبه الصدق فى كل شىء ترك الشعر المكذوب فى وجهه ، أى أنه ترك الخضاب .

وقوله أيضا :

إن الذين وقفتَ واحتملوا أيامُهم لديارهم دُوَل[1]
الحسنُ يرحل كلما رحلوا معهم وينزل كلما نزلوا
فى مقلتَىْ رشأ تديرهما بدوية فُتِنتْ بها الحِلل[2]
تشكو المطاعمُ طول هجرتها وصدودها فمن الذى تصل

يصفها بقلة الأكل وهو محمود فيهن جدًّا .

ما أسأرتْ فى القَعْب من لبن تركَتْه وهو المسكُ والعسلُ[3]

قالت : ألا تصحو فقلت لها أعلَمْتِنى أن الهوى ثملُ

وقوله :

ديار اللواتى دارُهن عزيزةٌ بطول القنا يُحفَظْن لا بالتمائم
حِسانُ التثنى ينقش الوشىُ مثلَه إذا مِسْنَ فى أجسامهن النواعم[4]
ويَبْسِمْن عن دُرٍّ تقلدنَ مثلَه كأن التراقى وُشِحَتْ بالمباسم

حسن تصرف المتنبى فى سائر أنواع الغزل

ومنها حسن التصرف فى سائر أنواع الغزل ، كقوله :

قد كان يمنعنى الحياءُ من البكا فاليوم يمنعه البكا أن يمنعا[5]

---

(١) ا ، ب والديوان : أيامهم لديارهم .

(٢) الحلل : بكسر الحاء جمع حلة وهى جماعة البيوت المتدانية ، ويريد أهلها .

(٣) يريد عذوبة ريقها ، وطيب رائحة فمها ، وفيه نظر إلى قول جميل :

فلو تفلت فى البحر والبحر مالح لعاد أجاج البحر من ريقها عذبا

(٤) شبيه بهذا البيت قول الآخر :

منعمة بيضاء لو دب محول على جلدها بضت مداوجه دما

والمحول : الصغير من النمل .

(٥) (البكا) كذا فى الديوان . جميع النسخ (الحيا) فى موضع البكا . يقول : كان حيائى يغلب بكائى ، فاليوم يغلب بكائى حيائى . أى أن الحياء كان غالبا على البكاء ، واليوم قد غلب البكاء على الحياء .

حـتى كأن لكل عـَظْم رَنـةً ... فى جلده ولكل عرق مَدْمعا[١]

سَفَرت وبَرْقَعها الحياءُ بصفرة ... سترتْ محاسنَها ولم تك بُرْقعا

فكأنها والدمعُ يقطُرُ فوقـها ... ذهبُ بِسِمْطَىْ لؤلؤ قد رصعا[٢]

كشفت ثلاثَ ذوائب من شعرها ... فى ليـلة فأرت ليالىَ أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها ... فأرتنى القمرين فى وقت معـا

وهى مما يُتغنى بها فى المجالس لرشاقتها ، وبلاغتها كل مبلغ ، من حسن اللفظ ، وجودة المعنى ، واستحكام الصنعة : وقوله :

كأنمـا قَدُّهـا إذا انفتلتْ ... سكرانُ من خمرطَرْفها ثمِلُ[٣]

يجذبها تحت خصرها عَجُزٌ ... كأنـه من فراقهـا وجِلُ

وقوله أيضا :

كأن العِيسَ كانت فوق جفنى ... مُناخاتٍ فلما سِرْن سـالا

لبِسْنَ الوشىَ لا مُتجملات ... ولكن كى يَصُنَّ به الجمالا

وضفَّرْن الغـدائرَ لا لِحسُنٍ ... ولكن خِفنَ فى الشَّعر الضلالا

وهذا من إحسانه المشهور الذى لا يشق غباره فيه[٤].

ما قاله ابن الأثير

قال ابن الأثير الجَزَرىّ : اعلم أنى وجدتُ الأئمة من علماء العربية يقفون مع تقدم الزمان فى تفضيل الشعراء ، ويتركون النظر فى فضيلة أشعارهم فى هذا بين أمرين : إما أنهم لم يحققوا معرفة علم البيان من الفصاحة والبلاغة ، ولا نقّبوا عن أسرارهما اللفظية والمعنوية ، وإما أنهم رأوا أن الفضيلة للزمن ، ونسُوا قول النبى صلى الله

---

(١) ا ، ب والديوان : « لكل عرق مدمعا » وفى حـ ، د « ولكل عظم » .

(٢) « فوقها » أى فوق الصفرة فى البيت السابق كما فى الديوان .

(٣) انفتلت : مشت . الثمل : السكران .

(٤) « فيه » زيادة عن ا ، ب وهى فى اليتيمة . والحق أن المتنبى كان كثير الغزل ، ولكن غزله صناعى على الرغم من جودته ، وقد صرح فى بعض المواطن أنه لم يقصد الغزل ، وإنما يكنى به عن غيره كقوله :

محب كنى بالبيض عن مرهفاته ... وبالحسن فى أجسامهن عن الصقل

عليه وسلم: نحن الآخرون السابقون . أى نحن الآخرون زمانا السابقون فضلا ، وهذا الحُكمُ يقع فى كل من تأخر زمانه وتقدم ، ولذلك أقول : إن فى الشعراء من المتأخرين مَن فاق الأولين ، والذى أدّانى إليه نظرُ الاجتهاد دون التقليد : أن جريراً والفرزدقَ والأخطلَ أشعرُ ممن تقدم من شعراء الجاهلية ، وبينهم وبين أولئك فرقٌ بعيد ، وإذا استُفْتيتُ قلت : إن أبا تمام والبحترىَّ والمتنبىَّ أشعرُ من الثلاثة المذكورين ، وليس عندى أشعر منهم فى جاهلية ولا إسلام [١] فإن أبا تمام وأبا الطيب قد غاصا على المعانى فعمّقا ، ودققا ، وأتيا بكل غريبة ، وأما البحترىّ فإنه أتى بديباجة السبك التى ليست لغيره ، فإن أولئك قالوا ما قالوه فى غير تنقيب ، ولا تنقير ، ولا حفظ ، ولا درس ، فشذّ عنهم الشىءُ الكثير من المعانى الدقيقة ، وأما الألفاظ فإنهم أتوا بمحاسنها ولم يفتهم شىءٌ منها ، لكنها توجد متفرقةً فى أشعارِهم ، وخلطوها[٢] بما قبُح من الألفاظ ، والمتأخرون حصلوا على القسمين معًا ، لأنهم نقبوا ، وحفظوا ، ودرسوا ، وأتقنوا ، فترى الشاعر منهم قد حَوى شعرُه ما تفرق فى أشعار كثيرة من شعراء العرب ، وإذا أنصف الناظرُ ، وترك التحامل ، ثم ترك التقليد ، علم أن حرفى الميم وحرف اللام من شعر أبى الطيب المتنبى[٣] قد تضمنا من الجيد النادر ما لم يتضمنه شعر أحد الفحول من شعراء العرب ، وكأنى بسامع قولى هذا ، وقد ربا غيظا ، ودارت عيناه ، (وليس ذلك إلاّ محْضَ تقليد وجهل بمعرفة أسرارِ الألفاظ والمعانى) ثم قال[٤] : كيف[٥] يُشبَّه المتنبى بامرىء القَيْس ، أو مَن كان فى طبقته ؟ فأقول : إنْ كان لأحدهم رأسان ، أو لسانان ، أو كان له أربعة أرجل ، أو كان النظر إنما هو فى تقدم الزمان ، فلا شك أن أولئك أشعر ، وإن كان النظر إنما هو فى الألفاظ والمعانى فلو عاش امرؤ القيس ، ثم مات ، ثم عاش ، لما أداه فكرُه إلى تدقيق النظر فى هذا المعنى الذى أورده المتنبى فى قوله :

---

(١) « فى جاهلية ولا إسلام » : كذا فى ا ، ب وفى بقية النسخ : فى الجاهلية ولا الإسلام .

(٢) فى جميع النسخ : و يخلطوها ولعلها محرفة عن : يخلطونها أو عن خلطوها .

(٣) قد استغرقت هاتان القافيتان أكثر من ثلث الديوان .

(٤) « ثم قال » : أى سامع قوله المعترض عليه وهو معطوف على قوله : ربا غيظا ودارت عيناه .

(٥) « كيف » عن « ا » وحدها ولهذه الزيادة قيمتها فى فهم النص .

لو قلتَ للدَّنِفِ المشُوقِ فديتُهُ ... ممـا به لأغرتَه بفِـدائه[1]

ولا أن يقول فى مرثيَـة امرأة[2] :

قد كان كلُّ حجاب دون رؤيتها ... فما قَنِعْتِ لها يا أرضُ بالُحجُبِ

ولا رأيتِ عيونَ الإنس تُدركُها ... فهل حَسَدْتِ عليها أعينَ الشُّهُبِ

ولا أن يقول فى مرثية امرأة أيضًا[3] :

وما التأنيث لاسمِ الشمس عيبٌ ... ولا التذكـيرُ فخرٌ للهلالِ

ولو كان النساء كَمَنْ فقدنا ... لَفُضلَتِ النساءُ على الرجالِ

على أنى ما تركت ديوان فحل من فحول الشعراء حتى طالعتُه ، وحفظت منه شيئًا ، فلم أجد لأحد منهم فى مراثى الناس ما يقرب من هذه الأبيات التى للمتنبى وكذلك يجرى الُحكْمُ فى المُحدَثين ، فإنهم لم يأتوا بمثلها ولا ما يقرب منها ، ومن أين لامرىء القيس لطافَة خاطر ، يستخرج منها مثل قول المتنبى فى السيوف والخوف منها[4] :

واستعـار الحديدُ لونًا وألقى ... لونه فى ذوائبِ الأطفـال[5]

فإن الشعراء كلهم قد كرروا هذا المعنى ، إلا أنهم لم يخرجوا عن أن الخوف

---

(١) الدنف : الشديد المرض والمعنى أنك لو قلت للدنف ليت ما بك من برح الصبابة والهوى بى لغار من ذلك . وفى ا ، ب : الحزين وفى سائر النسخ والديوان : المشوق .

(٢) قيلت فى رثاء أخت سيف الدولة ومطلعها :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب ... كنايـة بهما عن أشرف النسب

وقد تقدم الكلام على هذا المطلع .

(٣) فى رثاء والدة سيف الدولة ومطلعها :

نعـد المشرفية والعوالى ... وتقتلنا المنون بلا قتـال

(٤) من قوله : ومن أين لامرئ القيس إلى هنا : ساقط من النسخ غير « ا »

(٥) هذا البيت من قصيدة يمدح بها عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكى ، ومطلعها :

* صلة الهجر لى وهجر الوصال *

ومعناه أن السيوف والرماح لما باشرت القتل اكتست الدم فصارت سوداء ، فكأنها استعارت لونًا غير ألوانها ، وألقت ألوانها وهى البياض فى ذوائب الأطفال لأنهم يشيبون من شدة ما ينالهم من الفزع والمعنى مأخوذ من الآية الكريمة : « فكيف تتقون إن كفرتم يومًا يجعل الولدان شيبًا » .

يُشيب ، وإذا بالغوا قالوا : إنه يشيب[1] الطفل ، والمتنبى لم يقل كما قالوا ، وإنما تلطف فى هذا المعنى فابرزه فى صورة عجيبة كما ترى ، وكذلك لا يستطيع الشاعر العربى أن يصف الجيش فيقول :

صدمتَهم بخميس أنتَ غُرّتُه ... وسَمْهرِيتُه فى وجهه غَممُ[2]
فكان أثبتَ ما فيهم جسومُهمُ ... يسقطْن حولك والأرواحُ تنهزمُ

ولو لم يكن للمتنبى سوى هذين البيتين لاستحق بهما فضيلةَ التقدم على الشعراء ، ولذلك قال فى هذه القصيدة ، وقد حلف ابنُ الدمستق والبطارقُ أن يَلْقَوْا سيفَ الدولة :

أين البطاريقُ والحَلْفُ الذى حَلَفُوا ... بمَفْرِقِ الملْك والزعمُ الذى زعموا[3]
وَلّى صوارمه إكذابَ قولهمُ ... فهن ألسنةٌ أفواهُها القِممُ[4]
نواطقٌ مخبراتٌ فى جماجمهمْ ... عنه بما جهلوا منه وما علموا

وقد غربلتُ الأشعار قديمَها ومُحْدَثَها ، وتأملتُها تأمل المنتقد ، فما وجدت لشاعر ما لأبى تمام ولأبى الطيب فى باب المعانى ولا ما لأبى عُبادة البحترىّ فى باب الألفاظ فمن قلدنى فى ذلك فقد أصاب ، وطرح عن نفسه ثِقَل التنقيب والتنقير ، ومَنْ خالفنى عن علم ومعرفة فليتأمل من الأشعار ما تأملته حتى يعلم ما علمته ، وإن كان جاهلا بهذا الفن فليَدْرُجْ فى عُشه ، فليس منه ولا إليه ، ومن الناس من يزعم أنه ليس لأبى تمام ولا للمتنبى من الغزل شىء يروق ولا يحسن ، وهذا القول

---

(١) هذه العبارة محرفة فى حـ ، د ، هـ

(٢) الغمم : كثرة الشعر وإسباله على الوجه . والمعنى : أنه جعل الرماح فى هذا الجيش كالغمم فى وجه الإنسان .

(٣) هذه الأبيات من القصيدة التى مطلعها : عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم .
والحلف بفتح الحاء وسكون اللام مخفف الحلف بكسرها . والمعنى : أين ذهبوا وأين يمينهم وقد حلفوا برأس ملكهم أن يعارضوا سيف الدولة وأين يثبتوا على قتاله .

(٤) القمم : الرءوس . يقول : ولى سيوفه أن تكذب ما وعدوا به من الإيقاع بسيف الدولة ، فكذبتهم بقطع رءوسهم . وكما استعار لها التكذيب جعل لها ألسنة ، وجعل الرءوس أفواهاً لها لأنها تقطعها وتدخل فى جوفها فكأنها تنطق بتكذيبهم .

لا يصدر إلا عن تعصب أو جهل ، وأىُّ غزل أحلى وأعذب وأرقّ من قول أبى تمام :

آبيات ألطف من الهواء

أنت فى حِلٍ فزدنى سقَماَ ... أَفْنِ جسمى واجعل الدمع دما[1]

وارضَ لِى الموتَ بهَجْرِيكَ فإن ... ألِمتْ نفسى فزدها ألما

محنة العاشق ذلٌّ فى الهوى ... فإذا استُودِع سرًّا كتما

ليس منا من شكا علته ... من شكا ظُلْمَ حبيب ظلما[2]

وهل لكثير من المتقدمين أو لابن الدمينة[3] أرق من هذه الأبيات ؟ وكذلك ورد قولُه فى طيف الخيال :

استزارتْه فكرتى فى المنام ... فأتانى فى خُفيةٍ[4] واكتتام

الليالى أحنَى[5] بقلبى إذا ما ... جرحته النوى من الأيام

يا لها لذةً[6] تنزهت الأر ... واح فيها سرًّا من الأجسام

مجلس لم يكن لنا فيه عيب ... غير أنا فى دعوة الأحلام

وهذه الأبيات لم يُؤتَ فى الطيف بأدق منها ولا أسلس[7] . وكذلك قوله أيضًا :

---

(١) فى الديوان : صبرى بدل جسمى .

(٢) فى الديوان : حب بدل ظلم .

(٣) اسمه عبد الله من بنى عامر ، والدمينة أمه ، وهو شاعر إسلامى مجيد ، ومن غزله الرقيق قوله :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد ... لقد زادنى مسراك وجدا على وجد

ومنها :

وقد زعموا أن المحب إذا دنا ... يمل وأن النأى يشفى من الوجد

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ... على ذاك قرب الدار خير من البعد

على أن قرب الدار ليس بنافع ... إذا كان من تهواه ليس بذى عهد

(٤) « خفية » جميع النسخ . وفى ديوان أبى تمام طبع بيروت ص ٤١٠ : حيفة .

(٥) أحنى : بالحاء كذا فى « ا » وفى سائر النسخ والديوان : أخنى بالخاء المعجمة وهى تحريف « جرحته » كذا فى جميع النسخ وفى الديوان : جرعته .

(٦) فى الديوان « يالها ليلة »

(٧) مطبوعة دمشق : بأرق . « ولا أسلس » كذا فى « ا » وهى ساقطة مما عداها .

شبيـــه الخـــد بالتفا ح والريقـــة بالخمر
بديع الحسن قـــد أُلِّـ ف من شمس ومن بدرِ
له وجـــه إذا أبصرْ تَه ناجاك عن عُذر

وكذلك قوله :

يا لابساً ثوبَ الملاحـــة أبْلِهِ فَلأَنْتَ أولى لابسيه بلُبْسه [١]
لم يعطك الله الذى أعطاكـــه حتّى أضر بيـــدره وبشَمسه [٢]
مولاك يا مولاى صاحبُ لوعةٍ فى يومه وصَبابةٍ فى أمسه
دَنِفٌ يجـــود بنفسه حتّى لقدْ أمسى ضعيفاً أن يَجُود بنفسه

وهذه الأبيات أرق من كل شعر رقيق .

وله من الغزل فى مبادى القصائد شىء كثير ، كقوله فى مطلع قصيدتـــه اللاميـــة :

أجَلْ أيها الربعُ الذى خفَّ آهلُه لقد أدركتْ فيك النوى ما تحاولهْ
وقفتُ وأحشائى منـــازلُ للأسى به وهْو قَفْرٌ قد تعفَّتْ منازلهْ
أسائـــلكم ما بالُـــه حكَمَ البِلى عليه وإلا فاتركـــونى أسائله
دعا شوقه يا ناصرَ الشـــوقِ دعوةً فلَبَّاه طَلُّ الدمعِ يجرى ووابلُهْ
بيوم يريك المـــوتَ فى صورة النوى أواخـــرُه من حسرةٍ وأوائلُهْ

وكذلك قوله فى مطلع قصيدته الّتى أولها :

إن عهداً لو تعلمين ذميما [٣] .

إلى أن قال :

قد مررنا بالدار وهى خَلاءٌ فبكينا أطـــلالَها والرسوما [٤]

---

(١) « يالابسا » كذا فى « ا » وهو الصواب .
(٢) فى الديوان : استخف فى موضع أضر .
(٣) وتمامه : « أن تناما عن ليلتى أو تنيما » وهو يقتضى أن يكون الصدر :
« إن عهدا لو تعلمان ذميما » الديوان ص ٢٥٨
(٤) « خلاء » كذا فى « ا » والديوان وفى سائر النسخ : خلاة .

وسألنـــا ربوعها فانصرفنـــا بشفـــاء[١] ومـــا سألنا حكيما
كنت أرعى البدور حتّى إذا ما فارقونى أمسيت أرعى النجوما[٢]

وكذلك قوله من قصيدة :

يا موسمَ اللذاتِ غالتْـك النوَى بعدى فربعُك للصبابة موسمُ[٣]
ولقد أراكَ من الكواعب كاسيا فاليوم أنت من الكواعب مُحْرِم
لحظتْ بَشاشتَكَ الحوادثُ لحظةً ما زلتُ أعلم أنهـــا لا تسلم
أين التى كانت إذا شاءت جرى من مقلتَى دمعى يُعصفره دم
بيضاء تسرى فى الظلام فيكتسى نوراً وتبدو* فى الضياء فيُظلم

ولو أتيت بما لَـهُ من الأغزال لأطلت .

وهكذ يجرى الحكم فيما للمتنبى من الغزل الرقيق كقوله فى قصيدته التى مطلعها :

القلب أعــــلم يا عذولُ بدائه وأحـــق منك بجفنه وبمائهِ
أ أحبه وأحب فيـــه ملامـــةً إن الملامـــة فيـــه من أعدائه
مهلا فإن العذْل من أسقامـــه وترفُّقًا فالسمعُ من أعضائه
لا تعذُل المشتاقَ فى أشواقه حتى يكون حشاك فى أحشائه[٤]
إن المحبَّ مُضَرَّجًا بدمـــوعه مثلُ القتيل مضرجا بدمائه[٥]

وكذلك قوله وهو مما لا يؤتى فى الغزل بمثله :

---

(١) كذا فى الديوان، وفى ابن الأثير : بسقام

(٢) الأبيات فى الديوان على هذا الترتيب : (٣ ثم ١ ثم ٢)

(٣) « عالتك » كذا فى ا، ب . وفى حـ، د والديوان : غالتك وهو الصواب، والبيت وما بعده ساقطان من (هـ) *الديوان : وتسرب

(٤) لا تعذل : كذا فى النسخة : ب ، د ، هـ وفى الديوان طبع الحلبى : لا تعذر .

« حتى تكون » كذا فى ا ، ب . وفى حـ ، د والديوان : حتى يكون .

(٥) « إن المحب » كذا فى جميع النسخ . وفى الديوان : القتيل ويروى المشوق . والمتنبى فى البيت الثانى يناقض أبا الشيص إذ يقول :

أجد الملامة فى هواك لـذيذة حبا لذكرك فليلمنى اللوم

والبيت الرابع من قول البحترى :

إذا شئت ألا تعذل الدهر عاشقا على كمد من لوعة البين فاعشق

ليس القِيابُ على الركاب وإنما هن الحيـاةُ ترَحّلَتْ بسلام
أرواحنا انهملت وعشنا بعدها من بعد ما قَطرت على الأقدام
لو كُنَّ يوم جرَيْن كُنَّ كصبرنا يوم الرحيل لكُنَّ غير سِجام

ما له من حسن التشبيه من غير أداة

ومن بدائعه حسن التشبيه بغير أداة كقوله :

بدت قمرًا ومالت غصنَ بان[1] وفاحت عنبرًا ورنت غـزالا

وقوله :

ترنو إلىَّ بعين الظبي مُجْهِشَةً وتمسح الطَّلَّ فوق الورد بالعَنَمِ

وقوله :

قمرا ترى وسحابتين بموضـع من وجهه ويمينـه وشمالـه

وقوله :

أعارنى سُقْمَ عينيـه وحمَّلنى من الهوى ثِقْلَ ما تحوى مآزرهُ

وقوله :

عرفتُ نوائبَ الحِدْثانِ حتى لو انتسبتْ لكنتُ لها نقيبا

وقوله :

وأتيتَ معتزمًا ولا أسـدٌ ومضيتَ منهزما ولا وَعِلُ[2]

وقوله :

خرجن من النَّقْع فى عارض ومن عرق الركْض فى وابـل

وقوله :

وجيادٍ يدخلن فى الحرب أعرا ءً ويخرجن من دم فى جلالِ
واستعار الحـديدُ لونا وألقى لونَه فى ذوائب الأطفـال

---

(١) « غصن بان » : كذا فى ا ، ب وفى سائر النسخ والديوان : « خوط بان »
(٢) أى أقدمت على الحرب ولا أسد يقدم إقدامك ، ثم انهزمت عنها ولا وعل ينهزم انهزامك .

إبداعه فى سائر التشبيهات

ومنها الإبداع فى سائر التشبيهات والتمثيلات كقوله فى السهر :

وإن نهارى ليلةٌ مدلَهِمَّةٌ على مقلة من فقدكم فى غياهب
بعيدةِ ما بين الجفون كأنما عقدتمْ أعالى كل هُدب بحاجب

قال ابن جنى : هذا من قول بشار :

جفت عينى عن التغميض حتى كأن جفونَها عنها قصار

وذكر القاضى (١) أنه مأخوذ من قول الطرمى فى رطاناته (٢) :

ورأسىَ مرفوعٌ إلى النجم كَنَّما (٣) قفاى إلى صُلبى بخيط مُخيَّط

وقوله :

كأن سهادَ الليل يعشَق مُقلتى فبينهما فى كل هجر لنا وصلُ

وقوله :

رأيت الُحميَّا فى الزجاج بكفه فشبهتها بالشمس والبدر فى البحر

وقوله فى الحمىّ :

وزائرتى كأن بها حياءً فليس تزور إلا فى الظلام
بذلتُ لها المطارفَ والحشايا فعافتها وباتت فى عظامى
يضيق الجلدُ عن نفَسى وعنها فتُوسعُه بأنواع السَّقام
إذا ما فارقتْنى غسَّلتْنى كأنا عاكفان على حرام
كأن الصبح يطردها فتجرى مدامعها بأربعة سجام

---

(١) القاضى : يريد به صاحب الوساطة على بن عبد العزيز الجرجانى كما سيأتى قريباً التصريح باسمه وبكتابه .

(٢) رطاناته كذا فى جميع النسخ والواحدى ٣٥٧ واليتيمة . والرطانة الكلام بالأعجمى وفى الوساطة للجرجانى ص ٣٨٣ طبعة عيسى الحلبى سنة ١٩٥١ : رطازاته والرطز محركة : الضعيف من الشعر وغيره . والرطازات مخففة : الخرافات (قاموس) . والطرمى شاعر محدث ، وقد حرف اسمه فى بعض النسخ « الطرماح » .

(٣) كذا فى « ا » وفى سائر النسخ : ورأسى مرفوع لنجم كأنما . . . ولا شاهد فيه .

أراقب وقتَها من غير شوق ... مراقبةَ المَشُوق المستهام
ويَصدق وعدُها والصدق شرٌّ ... إذا ألقاك فى الكُرَب العظام
أبِنْتَ الدهر عندى كل بنتٍ ... فكيف خَلَصْتِ أنتِ من الزحام[١]
جرحتِ مُجَرَّحاً لم يبق فيه ... مكانٌ للسيوف ولا السهام
ألا يا ليت شعرَ يدى أتمسى ... تَصَرَّفُ فى عنان أو زمام[٢]
وهل أرمى هواى براقصاتٍ ... مُحلاَّة المقاود باللُّغام[٣]
وربّتما شفيتُ غليل صدرىَ ... بسير أو قناة أو حُسام
وضاقت خُطة فخلصت منها ... خَلاص الخمر من نسج الفدام[٤]

وهذا أحسن ما قيل فى وصف محنة[٥] نهَكتْ صاحبَها واشتدت به ، ثم عاد إلى حال السلامة وقد هذبته تلك الحال ، وزادته صفاء وسهولة .

وفارقت الحبيب بلا وَداع ... وودعتُ البلاد بلا سلام
يقول لى الطبيب أكلتَ شيئاً ... وداؤك فى شرابك والطعام
وما فى طبه أنى جوادٌ ... أضرَّ بجسمه طولُ الجمام
تعوّد أن يُغبِّرَ فى السرايا ... ويدخل من قَتام فى قتام
فأُمسِكَ لا يُطال له فيرعى ... ولا هو فى العليق ولا اللجام
فإن أمرَض فما مرض اصطبارى ... وإن أُحْمَمْ فما حُمَّ اعتزامى
وإن أسْلَمْ فما أبقى ولكن ... سلمْتُ من الحمام إلى الحمام

وقوله وهو مما لم يسبق إليه :

كريم نفضتُ الناس لما لَقيتُه ... كأنهمُ ما جَفَّ من زاد قادم

---

(١) بنات الدهر : نوائبه .

(٢) البيت ساقط من النسخ غير ا ، ب .

(٣) الراقصات : الإبل ، والرقص : ضرب من الخبب ، واللغام : الزبد على فم البعير . يقول : هل أقصد ما أهواه من المطالب ، بل قد جمد الزبد على مقاودها فصار عليها مثل الحلى الفضية ، وهذا البيت مرتبط بما قبله وهو : ألا يا ليت شعر يدى أتمسى . . .

وهو فى هذين البيتين يتمنى أن يعافى من الحمى فيسافر على الإبل والخيل لتحقيق غاياته .

(٤) الفدام : ما يجعل على فم الإبريق ليصفى به ما فيه .

(٥) كذا فى ا ، ب . وفى ح ، د : علة .

وكاد سروري لا يفي بندامتي　　على تركه في عمريَ المتقادم

ومن بدائع أبي الطيب قوله في وصف الظبي :

أغناه حسنُ الجيدِ عن لُبس الحُلى　　وعادةُ العُرْى عن التَّفَضُّل[1]

كأنه مُضَمَّخٌ بصَنْدَلِ

وقوله :

رضُوا بك كالرضا بالشَّيْب قسراً　　وقد وَخَطَ النواصيَ والفُروعا[2]

وقوله في وصف الشِّعر :

إذا خلعتَ على عرض له حُلَلا　　وجدتها منه في أبهى من الحلل[3]

بذى الغباوة من إنشادها ضررٌ　　كما تَضُرُّ رياحُ الوردِ بالْجُعَلِ[4]

قيل إن أبا الطيب لما أنشد سيف الدولة قصيدته :　　قف

أجاب دمعي وما الداعي سوى طللِ　　دعا فلبَّاه قبل الركب والإبل

وناوله نسختها وخرج ، فنظر سيفُ الدولة فيها حتى انتهى إلى قوله :

يأيها المحسنُ المشكورُ من جهتى　　والشكرُ من قبل الإحسان لا قبلى

أقلْ أنلْ أقْطع احْملْ عَلِّ سلِّ أعدْ

زِدْهَشِّ بَشِّ تفضلْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ

---

(١) من قصيدة في مدح أبي محمد الحسن بن عبد الله بن طغج . والتفضل : لبس المفضل بكسر الميم وهو ثوب العمل في المنزل .

(٢) البيت في مدح على بن إبراهيم التنوخي من قصيدة مطلعها :

ملث القطر أعطشها ربوعا . . .

ومعناه : أنهم رضوا بك كارهين كما يرضى الإنسان عن الشيب إذا ظهر في رأسه ولا يقدر على دفعه .

(٣) هذا من قول أبي تمام :

ولم أمدحك تفخيماً لشعرى　　ولكنى مدحت بك المديحا

(٤) الجعل : دويبة تأوى في النجاسات فإذا طرح عليه الورد غشى عليه والبيتان من قصيدة في مدح سيف الدولة مطلعها :

* أعلى الممالك ما يبنى على الأسل *

فوقع[١] تحت أقل : أقلناك ، وتحت أنل : يُحمل إليه من الدراهم كذا ، وتحت أقطع : أقطعناك الضيعة الفلانية — ضيعةٌ بباب حلب — وتحت احمل : يقاد إليه الفرس الفلانى ، وتحت عل : قد فعلنا ، وتحت سَلِّ : قد فعلنا فاسلُ وتحت أعد : أعدناك إلى حالك من حسن رأينا ، وتحت زد : يُزاد كذا ، وتحت تفضل : قد فعلنا ، وتحت أدن : قد أدنيناك ، وتحت سُرَّ : قد سررناك[٢] . قال ابن جنى : قد بلغنى عن المتنبى أنه قال : إنما أردت سَرِّ من السُّرِّية[٣] فأمر له بجارية ، وتحت صِلْ : قد فعلنا . قال : وحكى لى بعضُ إخواننا أن المَعْقلىَّ كان حاضراً بحضرته ، وهو شيخ ظريف ، قال له وقد حسد المتنبى على ما أمر له به : يا مولانا قد فعلتَ فى كل شىء سألكه ، فهلا قلت له[٤] لما قال : هشٍّ بشٍّ هَهَ هَهَ هَهْ يَحْكى الضحك ، فضحك سيف الدولة ، وقال له : ولك أيضا ما تحب ، وأمر له بصلة . قال القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز فى كتاب الوساطة إن أبا الطيب المتنبى نسج على منوال ديك الجن حيث قال :

احْلُ وامْرُرْ وضُرَّ وانْفَعْ ولِنْ واخْ شُنْ وَرِشْ وابْرِ وانْتَدِب للمعالى[٥]

ومن هذه القصيدة قولُه :

بالشرق والغرب أقوام نحبهمُ فطالعاهم وكونا أبْلغَ الرُّسُل
وعرفاهم بأنى فى مكارمـــه أقلب الطَّرْفَ بين الخيل والخَوَل[٦]

وشتان بين حالته هذه وبين الحال التى قال فيها حين كان يتجشم أسفاراً أبعد من آماله ، ويمشى فى مناكب الأرض ، يطوى المراحل والمناهل ، ويضرب

---

(١) قوله : فوقع : حقه حذف الفاء لأنه جواب « لما » فى الكلام السابق .
(٢) ا ، ب : سررناك .
(٣) السرية : الجارية من الرقيق والفعل تسرر ، وتسرى ، أى اتخذ سرية .
(٤) « له » ساقطة من سائر النسخ .
(٥) ابر : أمر من برى أى منع والتصحيح من ديوان الشاعر (مطابع الفجر الحديثة — حمص)
(٦) الخول : جمع خائل وهو الخادم . والضمير فى : طالعاهم وعرفاهم : يعود لجد سيف الدولة وشعر المتنبى فى البيت السابق لهذين البيتين وهو :

ناديت مجدك فى شعرى وقد صدرا يا غـير منتحل فى غير منتحل

الجراب على صفحة المحراب ، ولا مطية له إلا الخُفّ والنعل .

لا ناقتي تقبل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان أجهدها[١]
شراكُها كُورها ومشفرُها زمامها والشسوعُ مقودُها[٢]

وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي نواس :

إليك أبا العباس من بين من مشى عليها امتطينا الحضْرميَّ المُلَسَّنا
قلائص َلم تعرف حنينًا على طَلاً ولم تَدْرِ ماقَرْعُ الفَنيق ولاالهِنا[٣]

وكما قال فى شكوى الدهر ، ووصف الخوف :

أظمتْنيَ الدنيا فلما جئتها مُستسقيا مَطَرَتْ على مصائبا
وحُبيتُ منخوُص الركاب بأسود من دارشٍ فغدوتُ أمشى راكبا[٤]

وكما قال فى الاعتداد بالراحلة والقدرة على الرِّجلة[٥] :

ومَهْمَه جُبْتُه على قدمى تعجزُ عنه العرامسُ الذُّلُلُ[٦]
إذا صديقٌ نكرْتُ جانبَه لم تُعيِنى فى فراقه الحِيَلُ
فى سَعة الخافقَيْن مُضْطَرَبٌ وفى بلاد من أختها بَدَلُ

---

(١) الرديف : ما يرتدف خلف الراكب ، والناقة هنا نعله .

(٢) جعل شراك نعله بمنزلة الكور (الرحل) للناقة . والمشفر ما يقع على ظهر الرحل من مقدم الشراك ، جعل ذلك بمنزلة الزمام للناقة . والشسوع التى تكون فى الأصابع بمنزلة المقود للناقة . وهذا من شعره فى صباه يمدح به محمد بن عبد الله العلوى وأول القصيدة :

أهلا بدار سباك أغيدها أبعد ما بان عنك خردها

(٣) الحضرمى الملسن : النعل ذو الشسوع التى تشبه الألسنة . القلوص : الناقة الفتية . الطلا : ولد الناقة . الفنيق : الفحل المكرم لا يركب ولا يعمل . الهنا : مقصور الهناء ما تداوى به الجرب من قطران ونحوه ، يريد أن قلائصه ليست إبلا حقيقية .

(٤) الخوص : جمع خوصاء وهى الناقة الغائرة العينين من الجهد والإعياء . الركاب : الإبل الواحدة راحلة . دارش : ضرب من الجلود . يقول بدلت من خوص الركاب خفا أسود من ردىء الجلود ، فأنا ماش راكب وهو وصف لحاله الأولى التى يمتطى فيها نعله لفقره .

(٥) « الرجله » كذا فى ا وهى السير على الرجل ، وفى سائر النسخ الرحله .

(٦) العرامس : جمع عرمس ، وهى الناقة الصلبة

وكان قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح البعيد والقريب ، ويصطاد ما بين الكُرْكيّ إلى العندليب[١] .

ويُحكى أن على بن منصور الحاجب لم يُجزْهُ على قصيدته التى أولها :

بأبى الشموسُ الجانحات غواربا اللابساتُ من الحرير جلابيا

ومنها :

يستصغر الخطر الكبير لوَفْده ويظنُّ دجلةَ ليس تكفى شاربا

إلا ديناراً واحدا ، فسميت الدينارية .

ولما انخرط فى سلك سيف الدولة ، ودَرَّتْ له أخلافُ الدنيا على يده،[٢] كان من قوله فيه :

تركت السُّرى خلفى لمن قلّ ماله وأنعلتُ أفراسى بنُعماك عسجدا

وقيدت نفسى فى ذَراك محبــةً ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

ومن بدائع أبى الطيب قوله :

وإنمـــا نحن فى جيل سواسية شرٌّ على الحر من سُقْم على بدن

حولى بكل مكان منهم خِلَقٌ تُخطِىءإذا جئتَ فى استفهامها بمَن

مَنْ إنما يُستفهم بها عمن يعقل : يقول هؤلاء كالبهائم ، فقولى[٣] لهم مَنْ أنتم خطأ ، إنما ينبغى أن يقال . لهم: ما أنتم ؟ لأنّ موضع « ما » لما لا يعقل[٤].

ويُحكى أن جريراً لما قال :

يا حبذا جبلُ الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

قال له الفرزدق ، ولو كان ساكنه قروداً ، فقال له[٥] جرير لو أردت هذا

---

(١) الكركى والعندليب : طائران يضرب بالأول المثل للحقير وبالثانى للعظيم .

(٢) « درت له أخلاف الدنيا على يده » : كذا فى ا ، ب .

(٣) « فقولى لهم » : كذا فى ا ، ب .

(٤) « لأن موضع ما لما لا يعقل » كذا فى « ا » .

(٥) « له » فى « ا » وحدها .

التمثيل بما هو من صنعته

لقلت: ما كان ، ولم أقل : مَنْ كان[١] .

ومن بدائع المتنبي[٢] التمثيلُ بما هو من جنس صناعته ، كقوله[٣] :

نِتاج رأيك في وقت على عجلٍ   كلفظ حرف وعاه سامعٌ فَهِم

وقوله :

من اقتضى بسوى الهنديّ حاجته   أجاب كلّ سؤال عن هَل بِلَم

وقوله :

أمضى إرادتَه فسوف له قَدٌ   واستقرب الأقصى فثمّ له هنا

سوف للاستقبال ، وقد موضوعة للمضي ، ومقاربة الحال ، يقول : إذا نوى أمراً فكأنما يسابق نيته .

وقوله :

دون التعانق ناحلين كَشَكْلتَيْ   نصب أدقَّهما وضَمّ الشاكِل

وقوله :

ولولا كونُكمْ في الناس كانوا   هُرَاءً كالكلام بلا معانِ

وقوله :

قُشَيرٌ وبَلْعَجْلانِ فيها خفيةٌ   كراءَين في ألفاظ ألثغ ناطق[٤]

(١) كذا في ا ، حـ ، د ، وفي غيرها تحريف

(٢) في حـ ، د : أبي الطيب .

(٣) « كقوله » كذا في جـ ، د وساقطة من ا ، ب .

(٤) البيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر إيقاعه بقبائل العرب مطلعها :

تذكرت ما بين العذيب وبارق   مجر عوالينا ومجرى السوابق

والضمير في « فيها » يعود إلى « قبائل » التي ذكرت في البيت قبله ، خفية منصوبة على الحال وقشير مرفوع خبر لمبتدإ محذوف ويجوز فيه النصب على البدل من قبائل والجر على البدل من (غير) في البيت ومعنى البيت أن هاتين القبيلتين خفيتا وقلتا في جموع القبائل التي هربت من سيف الدولة كخفاء راءين في لفظ ألثغ إذا كررها .

وقوله :

إذا كان ما تنويه فعلا مضارعًا   مضى قبل أن تُلقى عليه الجوازمُ

يقول إذا[1] نويت فعلا أوقعته قبل فوته ، وقبل أن يقال لم يفعل ، وإن يَفعل .

مدح الموجه

ومن بدائع أبي الطيب : المدحُ الموجَّهُ ، كالثوب له وجهان ، ما منهما إلا حَسَنٌ ، كقوله :

نهبتَ من الأعمار ما لوحويتَه   لهُنئتِ الدنيـا بأنك خالدُ

قال ابن جنى : لو لم يمدح أبو الطيب سيف الدولة إلا بهذا البيت وحده لكان قد بقى فيه ما لا يُخلقه الزمان ، وهذا هو المدح الموجه ، لأنه بنى البيت على ذكر كثرة ما استباحه من أعمار أعدائه ، ثم تلقاه من آخر البيت بذكر سرور الدنيا ببقائه ، واتصال أيامه .

وكقوله :

عمْرُ العدوّ إذا لاقاه فى رَهَجٍ   أقلُّ من عمر ما يحوى إذا وهبا
مالٌ كأن غرابَ البيـن يرقُبُه   فكلما قيـل هذا مُجْتَد نَعَبا

وقوله :

تشرق تيجانُه بغـرته   إشراق ألفاظه بمعناها

وقوله :

تشرق أعراضُهم وأوجُهُهُم   كأنها فى نفوسهم شيَمُ[2]

وقولـه :

إلى كم تَرُدُّ الرسْلَ عما أتوْا له   كأنهمُ فيما وهبتَ ملامُ[3]

---

(١) « اذا » عن « ا » وحدها . سائر النسخ « إن » .

(٢) أى أن أعراضهم وأوجههم مشرقة نقية مثل خلائقهم .

(٣) يقول : إنك تردهم عما يطلبون من الهدنة ردك لوم اللائمين لك فى العطاء ، وهذا البيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة وقد ورد عليه رسول الروم يطلب الهدنة .

وقوله :

يخيَّل لى أن البـلاد مسامعى   وأنىَ فيها ما تقول العواذل[١]

وقوله :

كأن ألسنهم فى النطق قد جُعلتْ   على رماحهم فى الطّعْن خرْصانا[٢]

حسن تصرفه فى مدح سيف الدولة

ومن بدائع أبى الطيب حسنُ التصرف فى مدح سيف الدولة ، فإنه أخرجه فى مخارجَ لطيفة كقولِه :

لقد رفع الله من دولـة   لها منك ياسيفَها مُنْصُل

وقولِه :

لولا سَمِيُّ سيـوفِه ومضاؤه   لما سُلِلْنَ لَكُنَّ كالأجفان[٣]

وقولِه :

عزاءَك سيفَ الدولة المقتدى به   فإنك نصل والشدائد للنصل

وقولِه :

يُسْمى الحسامَ وليست من مُشَابهةٍ   وكيف يشتبه المخدوم والخدم[٤]

وقولِه :

كلُّ السيوف إذا طال الضراب بها   يمسها (غيرَ سيف الدولة) السَّأمُ[٥]

وقوله :

تُهابُ سيوفُ الهند وهى حدائدٌ   فكيف إذا كانت نِزَارِيَّةً عُرُبا

---

(١) ما أشبه حالى فى انتقالى من بلد إلى بلد وعدم استقرارى فى مكان واحد بكلام العواذل لا يستقر فى أذن وإنما يدخل فى أذن ويخرج من أخرى .

(٢) تقدم الكلام عليه ص ٣٣٨ .

(٣) سمى سيوفه : يعنى سيف الدولة والمعنى لولا سيف الدولة ومضاء عزمه لم تغن السيوف من الحديد شيئاً . وهذا شبيه بقول عمرو بن معد يكرب الزبيدى وقد أعطى سيفه الصمصامة لرجل فلم يعمل به شيئاً فقال إنما يفعل الساعد لا السيف .

(٤) هذا البيت من قصيدة مطلعها : « المجد عوفى مذ عوفيت والكرم » .

(٥) هذا البيت من قصيدة مطلعها : « عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم » .

وقولِه :

تحيّر فى سيف ربيعةُ أصلُه ... وطابِعه الرحمنُ والمجدُ صاقلُ

وقولِه :

قلّد اللهُ دولــةَ سيفها أ ... ت حُساماً بالمكرمات مُحَلّى

فإذا اهتز للنــدى كان بحرا ... وإذا اهتز للعِدا كان نصلا

وقولِه :

وأنت حُسام الملك والله ضاربٌ ... وأنتَ لِواءُ الدين والله عاقدُ

وقولِه :

لقد سل سيفُ الدولة المجد مُعْلما ... فلا المجدُ مُخفيه ولا الضرب ثالمه

على عاتق المَلكِ الأغرّ نِجادُه ... وفى يد جبار السموات قائمــه

وإن الذى سمى عليا لمنصفٌ ... وإن الذى سماهُ سيفا لَظالمه

وما كل سيف يقطع الهام حدُّه ... وتقطع لَزْباتِ الزمان مكارمُه[1]

وقولِه :

إن الخليفة لم يُسمِّكَ سيفَه ... حتى بلاك فكنتَ عينَ الصارم

وإذا تتَوجَ كنت دُرةَ تاجِه ... وإذا تختّم كنتَ فص الخاتَم[2]

وقوله :

مَن للسيوف بان تكونَ سميَّها ... فى أصــله وفِرِنده ووفائه

طبع الحديد فكان من أجناسه ... وعــلىٌّ المطبــوعُ من آبائه

وقولِه :

عيب عليك تُرى بسيف واحد ... ما يصنع الصَّمصامُ بالصَّمصام

---

(١) لزبات الزمان : شدائده .

(٢) « بسيف واحد » كذا فى الأصول والرواية المشهورة « بسيف فى الوغى » .

وقولـه :

اتحسب بيضُ الهند أصلَكَ أصلهَا　　وأنك منهـا سـاء ما تَتَوهمُ
إذا نحن سميناك خِلنا سيوفَنا　　من التيه فى أغمادها تتبسمُ

بدائعه فى سائر مدائحه

ومن بدائعه فى سائر مدائحه قولُه :

ملكٌ سنان قنـاته وبنـانهُ　　يتباريان دماً وعرْفا ساكبا
كالبدر من حيث التفتَّ رأيته　　يُهدى إلى عينيك نورا ثاقبا
كالشمس فى كبد السماء وضوءُها　　يَغشَى البلادَ مشارقا ومغاربا
كالبحر يقذف للقريب جواهرا　　جُوداً ويبعث للبعيد سحائبا[١]

وقولُه أيضا :

ليس التعجبُ من مواهب ماله　　بل من سلامتها إلى أوقاتها
عجبا له حِفظُ العنان بأنمل　　ما حفظُها الأشياءَ من عاداتها
لو مرَّ يركضُ فى سطور كتابةٍ　　أحصى بحافر مُهره ميماتِها[٢]
كرمٌ تَبيَّن فى كلامك ماثـلاً　　وَيبين عتِق الخيل فى أصواتها
أعيازَوالُلكَ عن محـل نلتَه　　لا تخرج الأقمار من هالاتها
ذُكر الأنام لنـا فكان قصيدةً　　كنتَ البديعَ الفردَ من أبياتها

وقولُه :

وما زلتُ حتى قادنى الشوق نحوَه　　يسايرنى فى كل ركب له ذكرُ
وأستكبر الأخبارَ قبل لِقائه　　فلما التقينا صغرَ الخَبَرَ الخُبْرُ[٣]

(١) هذا البيت فى الديوان قبل سابقه .

(٢) يصفه بالفروسية ، وأن مهره يطاوعه فى جميع حركاته ، فلا يضع حافره إلا حيث يشاء ، وخص الميم لأنها أشبه بالحافر فى الاستدارة من سائر الحروف .

(٣) وهذا من قوله عليه السلام لزيد الخيل الطائى وقد وفد عليه : ما وصف لى أحد إلا رأيته دون الوصف سواك ، فإنك فوق ما وصفت لى .

ومثله قول الآخر :

كانت محادثة الركبان تخبرنى　　عن أحمد بن على أطيب الخبر
ثم التقينا فلا واللہ ما سمعت　　أذنى بأحسن مما قـد رأى بصرى

هذا ضد قولهم تسمع بالمعيدى لا أن تراه .

ومنها :

أزالت بك الأيام عَتْبى كأنما ... بَنوها لها ذنبٌ وأنت لها عذرُ

وقولُه :

ألا أيها المالُ الذى قد أباده ... تَعَزَّ فهذا فعلُه بالكتائبِ

لعلك فى وقت شَغَلتَ فؤاده ... عن الجود أو كثَّرتَ جيشَ مُحاربِ

وقولُه :

بعثوا الرعبَ فى قلوب الأعادى ... فكأنَّ القتال قبلَ التلاقى

وتكاد الظُّبا لما عودوها ... تَنْتضى نفسَها إلى الأعناق

كل ذِمْرٍ يزيدُ فى الموت حُسْنًا ... كبدور تمامُها فى المحاق[1]

كرمٌ خَشَّن الجوانب منهم ... وهو كالماء فى الشفار الرِّقاق[2]

ومَعَالٍ إذا ادَّعاها سواهم ... لزمته جِنايَةُ السُّرّاقِ

وقولُه أيضا :

قومٌ بلوغ الغلام عندهمُ ... طعنُ نُحُورِ الكُماةِ لا الحُلُمُ

كأنما يولد الندى معهم ... لا صِغَرٌ عاذِرٌ ولا هَرَمُ

إذا تولَّوا عداوةً كشفوا ... وإن تولَّوا صنيعة كتموا

تظن من فَقْدك اعتدادَهمُ ... أنهمو أنعموا وما علموا

إن بَرَقوا فالحُتُوفُ حاضرةٌ ... أو نَطَقوا فالصواب والحِكَمُ

أو شهدوا الحربَ لاقحا أخذوا ... من مُهج الدارعين ما احتكموا

أو حَلَفوا بالغَمُوسِ واجتهدوا ... فقولهم خاب سائلى ــ القَسَمُ[3]

أو ركبوا الخيل غيرَ مُسرجةٍ ... فإن أفخاذهم لها حُزُمُ

---

(١) الذمر : الرجل الشجاع .

(٢) يقول إن لهم كرما خشن جوانبهم على الأعداء وهم إذا سيموا الخسف أبى كرمهم قبوله ثم شبه ذلك الكرم بالماء ، فإنه مع لينه إذا سقيته السيوف زادها صلابة ومضاء .

(٣) الغموس : اليمين التى يحلف صاحبها وهو ينوى الحنث فيها فهى تغمسه فى الإثم . والمعنى إذا حلفوا اليمين يخافون الإثم فيها بالحنث ، حلفوا بخيبة سائلهم لأنها أعظم شىء عليهم .

تُشرق أعراضهم وأوجههم كأنها في نفوسهم شِيَمُ
أُعيذكمُ من صروف دهركمُ فإنه في الكرام مُتَّهَمُ

وقولُه :

فلما رأوه وحده دون جيشه دَرَوْا أن كل العالمين فُضولُ
وأوردهم صدرَ الحِصانِ وسيفَهُ فتًى بأسُه مثلُ العطاء جزيلُ
جوادٌ على العِلاتِ بالمال كلِه ولكنه بالدارعين بخيل

وقولُه :

أرى كلَّ ذي مُلْكٍ إليك مصيرُه كأنك بحرٌ والملوك جداول
إذا مطرتْ منهم ومنك سحابة فوابلُهُم طَلٌ وطلُك وابلُ

وقولُه :

ودانت له الدنيا فأصبح جالسا وأيامُه فيما يريد قِيامُ
وكلٌّ أناس يتْبعون إمامَهم وأنت لأهل المكرمات إمام
ورُبَّ جواب عن كتاب بعثتَه وعنوانُه للناظرين قَتَامُ

وقولُه :

هُمُ المحسنون الكرَّ في حومة الوغى وأحسن منه كرهم في المكارم
ولولا احتقار الأسد شبهتها بهم ولكنها معدودةٌ في البهائم

وقولُه :

أغَرُّ أعداؤه إذا سلموا بالهرب استكثَروا الذي فعلوا
إنك من معشر إذا وَهبوا ما دون أعمارهم فقد بَخلوا
كتيبةٌ لستَ رَبَّها نَفَل وبلدةٌ لست حَلْيَها عُطُل

وقولُه :

لو كفر العالَمون نعمتَه لما عَدَتْ نفسُه سجاياها
كالشمس لا تبتغي بما صنعت منفعةً عندهم ولا جاها

مخاطبته الممدوح من الملوك مخاطبته المحبوب

ومن بدائع أبى الطيب المتنبى مخاطبة الممدوح من الملوك بمثل مخاطبة المحبوب والصديق مع الإحسان والإبداع ، وهو مذهب له ، تفرد به ، واستكثر من سلوكه اقتداراً منه وتبحراً فى الألفاظ والمعانى ، ورفعا لنفسه عن درجة الشعراء ، وتدريجاً لها إلى مماثلة الملوك ، كقوله لكافور :

وما أنا بالباغى على الحبِّ رِشوةً ... ضعيفُ هَوًى يُبْغَى عليه ثوابُ
وما شئتُ إلا إن أُذِلَّ عواذلى ... على أن رأيى فى هواكَ صواب
وأعلم قوما خالفونى وشرقوا ... وغربت إنى قد ظفرت وخابوا
إذا نلتُ منك الود فالمال هين ... وكلٌّ الذى فوق التراب تراب

وقوله فيه :

ولولم تكن فى مصر ماسرتُ نحوها ... بقلب المشوق المستهام المعذب

وقولُه لابن العميد :

تفضلت الأيام بالجمعِ بيننا ... فلما حَمِدْنا لم تُدِمْنا على الحمد
فَجُدْ لى بقلب إن رحلتُ فإننى ... مُخَلِّفُ قلبى عندمَنْ فضله عندى

وقولُه لسيف الدولة :

مالى أكتم حبّاً قد برى جسدى ... وتدَّعى حبَّ سيف الدولة الأممُ
إن كان يجمعنا حبٌّ لِغُرَّتِه ... فليتَ أنا بقدرِ الحبِّ نقتسم
يا أعدل الناس إلا فى معاملتى ... فيك الخصامُ وأنت الخَصْمُ والحَكَمُ
إذا رأيتَ نُيوب الليث بارزةً ... فلا تَظُنَّنَّ أن الليثَ يبتسم
يا مَن يعزُّ علينا أن نفارقَهم ... وجدانُنا كلَّ شىء بعدكم عَدَمُ
ما كان أخْلَقَنا منكم بتَكْرِمة ... لو ان أمركُمْ من أمرنا أَمَمُ
إن كان سرَّكمُ ما قال حاسدُنا ... فما لجرح إذا أرضاكُمُ ألَمُ
وبيننا لو رعيتُم ذاك معرفة ... إن المعارفَ فى أهل النهى ذِمَمُ
كم تطلبونَ لنا عيباً فيعجزكم ... والله يكره ما تأتون والكرمُ
ليتَ الغمامَ الذى عندى صواعقُه ... يُزيلهن إلى من عنده الدِّيَمُ

أرى النَّوى تقتضيــنى كلَّ مرحلة لا تستقل بهــا الوخَّادةُ الرُّسُمُ
لــئن تركــن ضُمَيرا عن ميامننا ليَحْدُثَنَّ لمــنْ ودعتُهم نَدَمُ[1]
إذا ترحلتَ عن قوم وقــد قدروا ألَّا تفــارقَهم فالراحلون هُمُ
شر البــلاد بــلادٌ لا صديق بها وشر ما يكْسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ
وشر ما قنصتــه راحــتى قَنَصٌ شُهْبُ البُزَاةِ سواء فيه والرَّخَمُ[2]

استعماله ألفاظ الغزل فى أوصاف الحرب

ومن بدائع أبى الطيب استعمالُه ألفاظ الغزل والنسيب فى أوصاف الحرب والجد ، وهو أيضا مما لم يسبق إليه ، وتفرد به ، فأظهر فيه الحِذق بحسن النقل ، وأعرب عن جودة التصرف والتلعب بالكلام كقوله :

أعلى الممالك ما يُبْنى على الأسَلِ والطعن عند مُحِبيهن كالقُبَلِ[3]

وقولِه وهو من فرائده :

شجاع كأن الحربَ معشوقةٌ لــه إذا زارها فَدَّتْه بالخيل والرَّجْلِ

وقولِه :

وكم رجال بلا أرض لــكثرتهم تركتَ جمعهمُ أرضا بلا رَجُلِ
ما زال طِرْفك يجرى فى دمائهِم حتى مشى بك مشى الشارب الثَّمِلِ

وقولِه :

والطعْنُ شَزْرٌ والأرض راجفةٌ كأنمــا فى فؤادها وَهَلُ[4]
قد صَبغتْ خدَّها الدماءُ كما يَصبغُ خدَّ الخريدة الخَجَلُ

---

(١) ضمير : اسم جبل على يمين قاصد مصر من الشام .

(٢) قال صاحب اليتيمة : والقصيدة على براعتها واستقلال أكثر أبياتها بأنفسها ، تكاد تدخل فى باب إساءة الأدب بالأدب ويوضح ذلك : « يا أعدل الناس إلا فى معاملتى » فقد وصفه بأقبح الجور . وقوله :

« كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم »

ففيه تعنيف واضح لسيف الدولة على إصغائه إلى الطاعنين على المتنبى ثم يقول له إن الله يكره ذلك ، ويأباه الكرم .

(٣) محبيهن : الضمير يعود على الممالك .

(٤) الوهل : الفزع . الديوان : الأرض واجفة .

والخيلُ تبكى جلودُها عـرقا   بأدمـع مـا تَسُحها مُقَلُ

وقوله :

تعوّد ألّا تَقْضَمَ الحبَّ خيلُه   إذا الهامُ لم ترفع جُنوبَ العلائق [١]

ولا تَرِدَ الغُدرانَ إلا وماؤها   من الدّم كالريحان تحت الشقائق

وقوله :

فأتتْك داميةَ الأظَلّ كأنما   حُذِيتْ قوائمها العقيقَ الأحمَرا [٢]

وإذا الحمائلُ ما يَخِدْنَ بِنَفْنَفٍ   إلا شَقَقْنَ عليه بُرُداً أخضرا [٣]

وقوله :

قد سَوّدتْ شجرَ الجبال شعورهم   فكأنّ فيه مُسِفَّةَ الغربان [٤]

وقوله :

وجرى على الورق النَّجيعُ القانى   فكأنه النارَنْجُ فى الأغصانِ

وقوله :

حمى أطرافَ فارس شمّرىٌّ   يحض على التباقى بالتفانى [٥]

---

(١) حكى ابن جنى عن أبى الطيب قال : الفرس إذا علقت عليها المخلاة طلبت لها موضعاً مرتفعاً تجعلها عليه ثم تأكل ، فخيله أبداً إذا أعطيت عليقها رفعت، على هام الرجال الذين قتلهم لكثرة من هناك من القتلى .

(٢) الأظل : باطن خف البعير . حذيت : ألبست حذاء . يقول : جاءتك وقد دميت أخفافها لطول السير ، ووعورة الطريق حتى كأنها انتعلت العقيق الأحمر . والخطاب لابن العميد .

(٣) الحمائل : الإبل . النفنف : المفازة . ورواية الديوان : ثوبا بدل بردا . يقول : كثر الخصب أمامهم فلا تقطع ركابهم موضعا إلا وقد كسته الخضرة فتبدو آثار سيرها فيه كالشق فى الثوب الأخضر

(٤) يمدح سيف الدولة ، ويصف هزيمة الروم ، الضمير من (فيه) يعود على الشجر . والمسفة من قولهم أسف الطائر فى طيرانه إذا دنا من الأرض والمعنى : ما تطاير من شعورهم تعلق بشجر الجبال فسودها كأنه غربان حطت عليها .

(٥) شمرى : كثير التشمير : يقول لأصحابه : أفنوا أنفسكم ليبقى ذكركم . والبيت من قصيدة يمدح بها عضد الدولة . مطلعها : مغانى الشعب طيبا فى المغانى

بضرب هاج أطرابَ المنـــايا — سوى ضربِ المثالثِ والمثانى[١]
كأن دم الجمـــاجم فى العناصى — كسا البلْدانَ ريشَ الحيْقُطان[٢]
فلو طرحت قلوبُ العشق فيها — لما خافت من الحدَقِ الحسان[٣]

وقولـه :

* كَرَعْنَ بِسِبْتٍ فى إناءٍ من الوردِ *[٤]

ومن بدائعه حسن التقسيم :

بدائعه فى حسن التقسيم

حكى[٥] أبو القاسم الآمدىّ فى كتاب الموازنة بين شعرى الطائيين ، قال : سَمِعَ بعضُ الشيوخ من نَقَدَةِ الشعر قولَ العباس بنِ الأحنف :

وصالكمُ هجرٌ وحبكمُ قِلًى — وعطفكمُ صدٌّ وسلمكمُ حربُ
وأنتم بحمد الله فيكم فظاظـــةٌ — وكلُّ ذَلول من مراكبكم صعبُ

فقال : هذا والله أحسن من تقسيمات إقليدس[٦] وقول أبى الطيب فى هذا

---

(١) بضرب متعلق بالفعل (حمى) فى البيت قبله . المثانى والمثالث : من أوتار العود والمعنى أن عضد الدولة حمى فارس بضرب شوق المنايا إلى قبض الأرواح لشدته وكثرة الفتك فيه ، وهذا الضرب غير ضرب أوتار العود الذى من عادته أن يهيج الشوق والطرب .

(٢) العناصى : جمع عنصوة كترقوه وهى الشعر المتفرق فى الرأس ، الحيقطان : ذكر الدراج يكون ملون الريش . يقول إن جماجم الأعداء كانت تطير ، وشعورها المتلطخة بالدماء تنتثر على وجه البلدان فكأن دماءهم قد كست البلدان ريش هذا الطائر .

(٣) المعنى أن الأمن عم تلك البلدان حتى لو ألقيت فيها قلوب العشاق لما خافت سهام الأحداق .

(٤) هذا عجز بيت صدره : « إذا ما استحين الماء يعرض نفسه » وهو من قصيدة يودع بها ابن العميد وهو فى طريقه إلى عضد الدولة ، أولها :

* نسيت وما أنسى عتابا على الصدر *

السبت : الجلد المدبوغ شبه به هنا مشافر الإبل . يقول : إذا مرت هذه الإبل بماء الغدران فصار لكثرته كأنه يعرض نفسه عليها فأجابته الإبل ، وأقبلت عليه لتشرب ، كرعت منه بمشافر لينة كالسبت وقد أحدق الزهر بذلك الماء فصار كأنه إناء له . وليس أبو الطيب مبتدعا فى استعمال ألفاظ الغزل فى أوصاف الحرب فقد سبقه عنترة بقوله :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل — منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لأنها — لمعت كبارق ثغـرك المتبسم

(٥) كذا فى اليتيمة وهو المناسب للسياق وفى سائر الأصول : قال وفيه تكرار مع ما بعده .

(٦) إقليدس : هو عالم يونانى عاش قبل الميلاد بنحو ٣٠٠ سنة . واشتهر بالرياضيات وخاصة=

الفن أولى بهذا الوصف وهو :

ضاق الزمانُ ووجهُ الأرض عن ملكٍ ... ملءِ الزمان وملءِ السهل والجبلِ
فنحن فى جذَلٍ والرومُ فى وَجَلٍ ... والبرُّ فى شُغُلٍ والبحرُ فى خجَلِ

وقولُه :

الدهرُ معتذرٌ والسيفُ منتظرٌ ... وأرضُهم لكَ مصطافٌ ومرْتَبَعُ
للسبى ما نكحوا والقتلِ ما ولدوا ... والنهبِ ما جمعوا والنارِ ما زرعوا

وقولُه :

فلم يخلُ من نصر له مَنْ له يد ... ولم يخل من شكر له من له فم
ولم يخلُ من أسمائه عودُ منبرٍ ... ولم يخلُ دينارٌ ولم يخل درهم[1]

وقولُه :

يَجِلُّ عن التشبيه لا الكفُّ لجةٌ ... ولا هو ضرغامٌ ولا الرأىُ مِخذَمُ
ولا جُرحُه يُوسَى ولا غَوْرُه يُرَى ... ولا حدُّه ينْبُو ولا يتثلَّمُ

ومنها :

مَحلُّكَ مقصودٌ وشانيكَ مُفْحَمٌ ... ومثلُكَ مفقودٌ ونَيلُكَ خِضْرِمُ

ومن هذه القصيدة البيت المشهور وهو :

فلو ضَرَّ مرْءاً قبلَه ما يَسُرُّه ... لأثَّر فيه بأسُه والتكرمُ[2]

ضر : فعل ، وفاعله : ما يسره ، ومرأ ، مفعول ، والضمير فى قبله للممدوح ،

= الهندسة ، وله فى الرياضيات عدة تآليف أشهرها كتابه « أصول إقليدس » . وقد استدعاه بطليموس فيلاديفوس ، فقدم الإسكندرية ، وفتح بها مدرسة لتعليم الرياضيات لم تلبث أن صارت أول مدرسة فى مصر .

(١) هذان البيتان : من قصيدة يمدح بها سيف الدولة مطلعها :
« إذا كان مدح فالنسيب المقدم » .

(٢) الأبيات الأربعة الأخيرة : من قصيدة فى مدح عمر بن سليمان الشرابى ، وهو يومئذ يتولى الفداء بين العرب والروم مطلعها : « نرى عظما بالبين والصد أعظم » .

وفى يسر للمرء وفى فيه وبأسه للمملوح . يقول : لو ضر الذى يسر أحداً قبل هذا الممدوح لضر هذا الممدوحَ باسُه وتكرُّمه ، لانه يسرُّ بهما .

وقوله :

قليلٌ عائـدِى سَقِمٌ فؤادى ... كثيرٌ حاسِدى صعبٌ مَرامى
عليلُ الجسم ممتنـعُ القيامِ ... شديدُ السكرِ من غير المُدام

وقوله :

بمصرَ ملـوكٌ لهـم مَالُهُ ... ولكنهـم مالَهـم هَمُّهُ
فأجـود من جـودهم بخلُه ... وأحمدُ من حمـدهم ذَمُّـه
وأشرفُ من عيشهـم مـوتُه ... وأنفعُ من وُجدهم عُدْمُه[1]

وقوله :

لم نفتقد بك من مُزْنٍ سوى لَثَقٍ ... ولا من البحر غيرَ الريح والسفُن[2]
ولا من الليث إلا قبحَ منظَرِه ... ومن سواه سوى ما ليس بالحسَن

وقوله :

أذم إلى هذا الزمان أهَيْلَهُ ... فأعلمهم فَدْمٌ وأحزَمُهم وغْدُ[3]
وأكرَمُهم كلبٌ وأبصرهم عَمٍ ... وأسهدُهم فهـدٌ وأشجعهم قِردُ

وقوله :

وغناك مسألةٌ وطَيْشك نفخةٌ ... ورضاك فيشلةٌ وربك درهم[4]

---

(١) الوجد : الغنى ، والأبيات من قصيدة فى ذكرى فاتك أولها :

* يذكرنى فاتكا حلمه *

(٢) اللثق : الطين الذى يصير من تراب الأرض بماء السحاب . يريد أنه سحاب وبحر ولكن منفعته خالصة عن المشقة والتنغيص . والبيت والذى بعده : من قصيدة فى ملح أبى عبيد الله محمد بن عبد الله القاضى الأنطاكى ، مطلعها :

* أفاضل الناس أغراض لذا الزمن *

(٣) الفدم : العيى . الوغد : اللئيم الدنىء .

(٤) البيت من قصيدة فى هجاء إسحاق بن إبراهيم بن كيغلغ . يقول : غناك فى مسألة الناس=

وقوله :

عـــربىٌّ لسانُه ، فلسفىٌّ رأيهُ ، فارسيَّةٌ أعيادُه

وقوله :

سقَتْنى بها القُطْرُبُّلِىَّ مليحةٌ على كاذب من وعدها ضوءِ صادق
سهادٌ لأجفان وشمسٌ لناظر وسقْمٌ لأبدان ومِسكٌ لناشقِ
وأغيدُ يهوَى نفسَه كلُّ عاقل عفيف ويهوَى جسمَه كلُّ فاسقِ
أديبٌ إذا ما جسَّ أوتار مِزْهَر بَلا كلَّ سمع عن سواه بعائق[1]
يُحَدِّثُ عما بين عاد وبينه وصُدغاه فى خدَّىْ غلام مراهِق

ومنها حسن سياقه الأعداد[2]

كقوله :

على ذا مضى الناسُ اجتماعٌ وفُرقةٌ وميْتٌ ومولـــودٌ وقالٍ ووامــق

وقوله :

ألا أيها السيفُ الذى ليس مُغمَدًا ولا فيه مُرتاب ولا منه عاصمُ
هنيئا لضربِ الهامِ والمجدِ والعلا وراجيك والإسلامِ أنكَ سالمُ

وقولـه :

ورب جواب عن كتاب بعثتَهُ وعنـــوانُه للناظرين قَتَامُ
حروفُ هجاءِ الناسِ فيه ثلاثةٌ جوادٌ ورمحٌ ذابلٌ وحُسام

لما سمى الجيش جواباً جعل حروفَه جواداً ورمحاً وحُساماً، اقتداراً واتساعاً فى الصنعـــة .

= وليس وراء طيشك حقيقة، إنما هو نفخة فيك ، ورضاك أن ترى فيشلة (ذكرا) ، وربك الغنى تعبده درهم .

(١) القطربلى : خمر منسوبة إلى قطربل وهو موضع بالعراق والضمير فى « بها » يعود على (بلاد) فى بيت سابق . ومعنى : أديب إذا ما جس : إذا ضرب بالعود شغل كل سمع عن سواه . الديوان : عن سواها .
يحدث . . . إلخ . معناه أنه عليم بالتاريخ مع حداثة سنه .

(٢) المراد بسياقة الأعداد سرد الأشياء فى نسق حسن .

وقوله :

ومرهف سِرتُ بين الجَحْفلين به ... حتى ضربتُ وموجُ الموت يلتطمُ
فالخيل والليل والبيــداء تعرفني ... والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ (١)

قال ابن جني : قد سبق الناس إلى ذكر ما جمعه فى هذا البيت ، ولكن (٢) لم يجتمع مثله فى بيت ، وقد قال البحترى :

اطلبـا ثالثًا ســواى فإنى ... رابعُ العيسِ والدُّجى والبيدِ

وهذا لفظ عذب ، ولكن ليس فيه ما فى بيت المتنبي .

وقولهُ :

أنت الجوادُ بلا مَنٍّ ولا كَدَرٍ ... ولا مِطال ولا وَعْد ولا مَذَلِ (٣)

وقوله :

بى حرُّ شوق إلى تَرَشُّفها ... ينفصل الصبرُ حين يتصلُ
الثغــرُ والنحرُ والمُخلخَلُ والمِعْـ ... ـصَمُ دائى والفاحمُ الرَّجِلُ (٤)

وكقوله :

ولكنَّ بالفسطاط بحراً أزَرْتُه ... حياتى ونصحى والهوى والقوافيا (٥)

---

(١) يروى أن المتنبي فكر فى الهرب حين هاجمه فاتك وجماعته فقال له غلامه : كيف تفروأنت القائل « فالخيل والليل . . . البيت فقال المتنبى : قتلتنى قتلك الله ، ودافع عن نفسه حتى قتل .

(٢) كذا فى الأصول واليتيمة ولو حذفت « لكن » لكان الأسلوب أجود .

(٣) المذل : الضجر ويروى « ملل » .

(٤) المخلخل : موضع الخلخال من الرجل . والرجل : الشعر المرسل السبط .

(٥) البيت من قصيدة يمدح بها كافورا ، مطلعها : « كفى بك داء » وأزرته : الهمزة فى أوله لتعديه الفعل زار إلى المفعول الثانى والمعنى أن بالفسطاط بحرا (كافورا) قد هون عليه فراق إلفه ، فزاره بحياته ، أى لقضاء باقى أيامه عنده ، وحمل إليه نصحه ومودته وشعره ، والبيت مرتبط بالبيت السابق له وهــو :

خلقت ألوفا لو رجعت إلى الصبا ... لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

وقوله من قصيدة أخرى :

أمَيْنًا وإخْلافًا وغَدْرًا وخسةً وجُبْنًا أشخصًا لُحْتَ لى أم مَخازيا ؟[1]

إرسال الأمثال فى أنصاف الأبيات

ومن بدائعه إرسال الأمثال فى أنصاف الأبيات[2] كقوله :

[بذا قضت الأيام ما بين أهلها] مصائبُ قوم عند قوم فوائد

[قواصدَ كافور توارِكَ غيره] ومن قصد البحر استقلَّ السواقيا

[أعزُّ مكان فى الدُّنَا سرجُ سابح] وخيرُ جليس فى الزمان كتابُ

[وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة] إن المعارف فى أهلِ النهى ذِممُ

[لعل عتْبَكَ محمودٌ عواقبُه] وَربما صحت الأجسامُ بالعلل

[ولو لم تُبْقِ لم تَعِش البقايا] وفى الماضى لمن بَقِىَ اعتبارُ

[يُراد من القلب نسيانُكمْ] ويأبى الطباعُ على الناقلِ

[سبقتَ إليهم مناياهمُ] ومنفعة الغوث قبل العطب

[لِيَزِدْ بنو الحسن الشِّرافُ تواضعا] هيهات تكتم فى الظلام مشاعل

[أعاذك اللهُ من سهامهم] ومُخطىءٌ مَنْ رَمِيُّهُ القمرُ[3]

[ولكنِّى حُسِدتُ على حياتى] وما خيرُ الحياة بلا سرورِ

[يُفَدِّى بنيك عبيدَ الله حاسدُهم] بجبهةِ العَيْرِ يُفدَى حافر الفرسِ

[إلامَ طماعيَةُ العاذل] ولا رأىَ فى الحب للعاقل

[وكل يرى طُرْق الشجاعة والندى] ولكنَّ طبعَ النفس للنفس قائدُ

[لا تحسبوا مَنْ أسَرْتُم كان ذا رمق] وليس تأكل إلا الميِّتَ الضَّبُعُ

[ما لنا فى الندى عليك اختيارُ] كل ما يمْنح الشريفُ شريفُ

[غيرَ اختيار قبلتُ بِرَّك بى] والجوع يُرضى الأسودَ بالجيفِ

[فلا تُنكِرَنَّ لها صَرْعةً] ومن فرحِ النفس ما يقتل

[وقد يَتَزيَّا بالهوى غيرُ أهله] ويَستصحبُ الإنسانُ من لا يلائمُه

(١) من قصيدة يهجو بها كافورا أولها : « أريك الرضا لو أخفت النفس خافياً » .

(٢) وردت فى الكتاب هذه الأمثال وعددها ٣٨ مثلا ، مكتوبة بعضها وراء بعض ، كما يكتب النثر وقد كتبناها كما يكتب الشعر بعد أن كتبنا النصف الثانى من كل بيت موضوعا بين معقوفين .

(٣) هذا المثل زيادة فى (ح) .

[وهكـــذا كنتُ فى أهلى وفى وطنى] إن النفيس[1] غريبٌ حيثما كانا

[أنت الوحيدُ إذا ركبتَ طريقةً] ومَن الرديفُ وقد ركبتَ غضنفرا ؟

[وحيـــدٌ من الخُلاّن فى كل بلدة] إذا عظم المطلوبُ قلّ المساعــد

[وما ثناكَ كلامُ الناس عن كرم] ومن يَسُدُّ طريق العارض الهَطِلِ

[لهم حــقٌ بشِرْكِكَ فى نزار] وأدنى الشّرْكِ فى نسب جِوارُ

[وأصبح شِعــرى منهما فى مكانه] وفى عنق الحسناء يُستحسن العِقدُ

[أعيــا زوالُكَ عن محلٍّ نلتَه] لا تخرج الأقمــارُ عن هالاتها

إن النفوس عُدَدُ[2] الآجــال [سقْيا لِدَشْت[3] الأرزن الطوال]

[وما ذاك بُخلاً بالنفوس على القنا] ولكن صَدْمُ الشرِّ بالشرِّ أحزمُ

[والهجــر أقتلُ لى مما أراقــبُهُ] أنا الغــريق فما خوفى من البَلَل

[ولم يسلهــا إلاّ المنــايا وإنما] أشد من السقم الذى أذهب السُّقْما

[ترفــق أيهـــا المولى عليهــم] فإن الرفــق بالجـانى عتابُ

[وقَنِعتَ باللقْيـــا وأول نظرة] إن القليـــل من الحبيب كثير

[وما التيــهُ طبىّ فيهم غير أننى] بغيضٌ إلىّ الجاهــل المتعاقل

[إن السلاح جميعُ الناس تحمله] وليس كلٌّ ذوات المِخْلَبِ السبُعِ

[القاتلُ السيفَ فى جسم القتيل به] وللسيــوف كمـــا للناس آجالُ

[خذْ ما تراه ودعْ شيئاً سمعت به] فى طلعة الشمس مايُغنيكَ عن زُحَلِ

[لعــلّ بنيهم لبنيك جندٌ] فأول قُرَّحِ الخيــل المِهــارُ

[الموتُ أعذرُ لى والصبر أجملُ بى] والبرُّ أوسع والدنيا لمـــن غلبــا

[لأن حلْمك حلمٌ لا تكلّفُهُ] ليس التكحلُ فى العينين كالكَحَل

[كــرمٌ تبيّن فى كلامك ماثلا] ويَبينُ عِتْقُ الخيل فى أصواتها

---

(١) فى النسخ كلها « الذليل » والتصحيح من الديوان .

(٢) عدد : بفتح العين وضمها ويروى (غرض) .

(٣) دشت الأرزن : موضع بشيراز ومعنى الدشت الصحراء والأرزن شجر صلب تتخذ منه العصى . والطوال وصف مبالغة فى الطويل وهو نعت للأرزن والبيت من قصيدة فى مدح عضد الدولة وذكر خروجه للصيد بهذا الموضع .

إرسال المثلين فى مصراعى البيت الواحد

ومنها إرسال المثلين فى مصراعى البيت الواحد كقوله :

وكلُّ امرئٍ يُولِى الجميلَ محبَّبٌ وكلُّ مكان يُنْبِتُ العزَّ طيب

وقوله :

فى سَعة الخافِقَيْن مُضطربٌ وفى بلادٍ من أختهـا بدلُ

وقوله :

الحبُّ ما منعَ الكلامَ الألسُنا وألَذُّ شكوى عاشق ما أعلنا

وقوله :

ذُلٌّ من يَغْبِطُ الذليلَ بعيش رُبَّ عيش أخَفُّ منه الحمام

وقوله :

مَن يَهُن يسهلِ الهَوَانُ عليه ما لِجُرح بميت إيلامُ

وقوله :

كَفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسبُ المنايا أن يكُنَّ أمانيا

وقوله :

أفاضل الناسِ أغراض لذا الزمنِ يخلو من الهَمِّ أخلاهم من الفِطَنِ

وقوله :

وأتعب مَن ناداك من لاتُجيبه وأغيظ مَن عاداك من لاتشاكل

وقوله :

لا تشترِ العبدَ إلا والعصا معـه إن العبيد لأنجَاسٌ مَنَاكيدُ

وقوله :

إذا أنتَ أكرمتَ الكـريم ملكتَهُ وإن أنتَ أكرمتَ اللئـيم تمردا

ووضعُ الندى فى موضع السيف بالعُلا مُضِرٌّ كوضع السيفِ فى موضع الندى

وما قتل الأحرارَ كالعفو عنهمُ ومَن لك بالحر الذى يحفظ اليدا ؟
وقيدتُ نفسى فى ذَرَاك محبـةً ومن وجد الإحسانَ قيداً تقيـدا

إرسال الأمثال مع التصرف فى الحكمة والموعظة وشكوى الدهر والدنيا وما يجرى هذا المجرى

ومنها إرسال المثل والاستملاءُ على لسان التجربة فى البيت والبيتين فصاعداً ، وحسنُ التصرف فى الحكمة والموعظةِ وشكوى الدهر ، والدنيا ، والناس ، وما يجرى مجراها كقولِه :

وما الجمعُ بين الماءِ والنارِ فى يدى بأصعبَ من أن أجمع الجَدَّ والفهما

وقوله :

يُخفى العداوةَ وهْىَ غيرُ خفيّةٍ نظرُ العدوّ بما أسَرَّ يبُوحُ

وقوله :

والأمـرُ لله رُبَّ مجتهـدٍ ما خـاب إلا لأنه جاهِدْ

وقوله :

إليكَ فإنى لستُ ممن إذا اتـقى عِضاضَ الأفاعى نام فوق العقاربِ

وقوله :

خيرُ الطيور على القصور وشرُّها يأوى الخرابَ ويسكن النَّاوُوسا[1]

وقوله :

ليس الجمالُ لوَجْهٍ صحَّ مارِنُه أنفُ العزيز بِقطع العزِّ يُجْتَدع[2]

وقولِه :

وليس يَصحُّ فى الأفهامِ شىءٌ إذا احتاج النهارُ إلى دليـل

قال ابن جنى : هذا كما قال أهلُ الجدل ، مَن شكَّ فى المشاهدات فليس بكامل العقل .

---

(١) الناووس : القبر .

(٢) مارن الأنف : مالان منه . ويجتدع : يقطع .

وقوله :

وقد يتزيا بالهوى غيرُ أهلِه ... ويستصحبُ الإنسانُ من لا يلائمه

وقوله :

وما تنفع الخيلُ الكرامُ ولا القنا ... إذا لم يكن فوق الكرام كرامُ[1]

وقوله :

وأحسِبُ أنى لو هوِيتُ فِراقكم ... لفارقتكُمْ والدهر أخبث صاحبِ

وقوله :

من خصّ بالذمّ الفراقَ فإننى ... من لا يرى فى الدهر شيئاً يُحمَدُ

وقوله :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدوًّا له ما من صداقته بُدُّ

وقوله :

وإذا كانت النفوسُ كِبارا ... تعبتْ فى مُرادها الأجسامُ

وقوله :

تلَفَ الذى اتخذ الشجاعة خُلّةً ... وعظ الذى اتخذ الفرار خليلا[2]

وقوله :

فإن يكنِ الفعلُ الذى ساء واحدا ... فأفعاله اللائى سَرَرْنَ ألوفُ

وقوله :

وإذا خفيتُ على الغبىّ فعاذرٌ ... أن لا ترانى مقلةٌ عمياء

وقوله :

إن كنت ترضى بأن يُعطوا الجِزَى بذلوا ... منها رضاك ومن لِلْعُور بالحَوَلِ

---

(١) بعد هذا البيت فى اليتيمة بيت هو :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

(٢) خلة : خليلة وصديقة . تلف مبتدأ خبره جملة وعظ . . .

وقولِه :

فآجـرَكَ الإلـهُ على مريض ... بعثْتَ إلى المسيح به طبيبا[1]

وقولِه

إذا أتت الإساءةُ من وضيع ... ولم أَلُمِ المسىءَ فمَنْ أَلومُ ؟

وقولِه :

وإذا أتتك مذمّتى من ناقص ... فهى الشهـادة لى بأنى فاضلُ

وقولِه :

إذا ما قـدرتُ على نَطْقَة ... إنى على تركهـا أقْدرُ[2]

وقوله :

واحتمالُ الأذى ورؤيـةُ جانيـ ... ـه غذاءٌ تَضْوَى به الأجسامُ

وقوله :

وتوهموا اللعبَ الوغى والطعنُ فى الـ ... ـهيجاءِ غيرُ الطعن فى الميدانِ

وقوله :

وإذا ما خـلا الجبانُ بأرض ... طلب الطعنَ وحدَهُ والنِّزالا

وقوله :

ومنَ الخيرِ بطء سَيْبِك عنّى ... أسرعُ السُّحبِ فى المسير الجَهامُ

---

(١) من قصيدة مدح بها المتنبي على بن محمد بن سيار بن مكرم وكان له وكيل يقول الشعر ويدعى العلم ؛ أرسله إلى المتنبي يناشده فتلقاه وسمع بعض شعره الركيك وكتب إلى على قصيدة مطلعها :

ضروب الناس عشاق ضروبا ... وأعـذرهم أشفهم حبيبـا

ومنها قبل بيت الأصل :

تيممنى وكيلك مادحـا لى ... وأنشـدنى من الشعر الغريبا

فآجرك الإله . . .

ومعنى هذا البيت أثابك الله على عليل (يريد وكيله) بعثت به طبيبا إلى المسيح يريد نفسه وأن منزلته فى الشعر كمنزلة المسيح فى الطب ووكيل الممدوح فى منزلة مريض جاء يداوى طبيباً ماهراً .

(٢) يريد أنه على الصمت أقدر منه على الكلام .

وقوله :

وليس الذى يَتَّبِّع الوبلَ رائداً كمن جاءه فى داره رائدُ الوبْلِ

وقوله :

أبلغُ ما يُطلب النجاحُ به الطبعُ وعند التعمق الزللُ

وقوله :

كم مَخْلَص وعُلاً فى خوض مَهْلَكَةٍ وقَتْلةٍ قُرنتْ بالذم فى الجُبُنِ

وقوله :

وما قلتُ للبدر أنتَ اللجينُ ولا قلتُ للشمس أنتِ الذّهبْ[1]

ومن ركب الثورَ بعد الجوا د أنكر أظلافهُ والغبَبْ[2]

وقوله :

فقــرُ الجهول بلا قلب إلى أدب فقْر الحمار بلا رأس إلى رَسَن

لا يُعجبنَّ مَضيماً حسنُ بِزَّتِه وهل يروقُ دفيناجودةُ الكفَن ؟

وقوله :

إذا ما الناسُ جرَّبهمْ لبيبٌ فإنى قــد أكلتُهمُ وذاقا

فلم أر وُدَّهم إلا خــداعاً ولم أرَ دِينهم إلا نِفاقا

وقوله :

ذريني أنَلْ ما لا يُنــال من العُــلا

فصعبُ العلا فى الصعب والسهــلُ فى السهل

---

(١) أى لم أنقصك عما تستحق من المدح ، كما ينقص البدر إذا شبه بالفضة ، والشمس إذا شبهت بالذهب ؛ يخاطب به سيف الدولة .

(٢) الأظلاف : جمع ظلف ، وهو من البقرة والشاة ونحوهما بمنزلة الحافر من الدابة . والغبب اللحم المتدلى تحت حنك البقرة . جعل الجواد مثلا لسيف الدولة ، والثور مثلا لمن لقى بعده من الملوك قال الخطيب : ذكر الركوب هنا : فيه جفاء ، ولا تخاطب الملوك بمثل هذا ، وهو كما قال خراش ابن زهـير :

ولا أكـون كمن ألقى رحالته على الحمار وخلى صهوة الفرس

تريدين لُقيانَ المعالى رخيصةً
ولا بُدَّ دونَ الشهد من إبَرِ النحل

وقوله :

تَمَنٍّ يَلَذُّ المستهامُ بمثله   وإن كان لا يغنى فتيلا ولا يُجدى
وغيظٌ على الأيام كالنار فى الحشا   ولكنه غيظُ الأسيرِ على القِدّ[1]

وقوله :

ومكايدُ السفهاء واقعةٌ بهم   وعداوة الشعراء بئس المُقْتَنَى
لُعِنَتْ مقارنةُ اللئيم فإنها   ضيفٌ يجرُّ من الندامة ضَيْفَنَا[2]

وقوله :

وما الخيلُ إلا كالصديق قليلةٌ   وإن كثرت فى عين مَن لا يُجرّب
إذا لم تشاهد غيرَ حُسْنِ شِيَاتِها   وأعضائها فالحسنُ عنك مُغَيَّبُ

وقوله :

تصفو الحياةُ لجاهل أو غافل   عما مضى منها وما يُتَوَقَّعُ
ولمن يُغالطُ فى الحقائق نفسَه   ويسومها طلبَ المُحَال فتطمع

كأنه من قول لَبِيد :

واكْذِب النفسَ إذا حدثتَها   إن صدقَ النفس يُزْرى بالأمل

وقوله :

وأتعبُ خلق الله من زاد همُّه   وقصر عما تشتهى النفسُ وُجْدُهُ
فلا يَنْحَلِلْ فى المجد مالُكَ كلُّه   فينحلَّ مجدٌ كان بالمال عَقْدُهُ
ودبره تدبيرَ الذى المجدُ كفُّهُ   إذا حارب الأعداءَ والمال زَنْدُهُ
فلا مجدَ فى الدنيا لمن قلَّ مالُه   ولا مالَ فى الدنيا لمن قلَّ مجدُهُ

---

(١) القد : السير يشد به المأسور .

(٢) ضيف : كذا فى ا واليتيمة . وفى سائر النسخ : صنف ، بصاد ونون . وضيفنا : كذا فى اليتيمة وحدها وهو الذى يناسب المعنى . والضيفن الطفيلى الذى يجىء مع الضيف بلا دعوة ؛ وفى جميع النسخ : ديدنا .

إذا كنتَ ذا شكٍّ من السيف فابْلُه ... فإمـا تُنفّيه وإمـا تُعِدّه[١]
وما الصارمُ الهندىُّ إلا كغيرِه ... إذا لم يُفارقْه النجادُ وغِمدُه

وقوله :

إنما تنجحُ المقالةُ فى المـر ... ء إذا وافقتْ هوًى فى الفؤادِ
وإذا الحلمُ لم يكن فى طباع ... لم يُحلِّمْ تقادُمُ الميلادِ
إنما أنت والدٌ والأب القـا ... طعُ أحنى من واصل الأولاد

وقوله :

وما الحسن فى وجه الفتى شرفًا له ... إذا لم يكنْ فى فعلِه والخلائق
وما بلـدُ الإنسانِ غير الموافق ... ولا أهلُهُ الأدنَوْن غير الأصادق
وجائـزةٌ دعـوى المحبةِ والهوى ... وإن كان لا يخفى كلامُ المنافق
وما يُوجعُ الحرمانُ من كفِّ حارم ... كما يوجعُ الحرمانُ من كفِّ رازق

وقوله :

إنمـا أنفُسُ الأنيس سباعٌ ... يتفارسْنَ جهـرةً واغتيالا[٢]
من أطاق التماس شىء غِلابا ... واقتسارا لم يلتمسْه سؤالا[٣]
كـلُّ غـاد لحاجة يتمنى ... أن يكونَ الغضنفرَ الرِئبالا

وقوله :

لولا المشقةُ ساد الناسُ كلهمُ ... الجودُ يُفقرُ والإقدامُ قتَّال
وقلَّمـا يبلغ الإنسانُ غايتَهُ ... ما كل ماشية بالرحل شِملال[٤]
إنا لَـفى زمن تركُ القبيح به ... من أكثر الناس إحسانٌ وإجمال
ذكر الفتى عمرُه الثانى وحاجتُه ... ما قاته وفُضُولُ العيش أشغال

---

(١) تنفيه ، بالتشديد المبالغة : بمعنى تنفيه . يريد أن السيف لا تعرف جودته إلا بتجربته ، وكذلك الرجال لاتبين أقدارهم لمن يريد اصطناعهم إلا بتجربتهم ، وخاصة عند الأزمات والشدائد .

(٢) الأنيس : الناس . يتفارسن : يفترس القوى منهم الضعيف جهرة وخفية .

(٣) الديوان : واغتصابا .

(٤) الشملال : الناقة الخفيفة السريعة .

وقوله :

ترى الجبناءَ أن العجز حزمٌ ‏ ‏ ‏ وتلك خديعةُ الطبع اللئيم
وكلُّ شجاعةٍ فى المرء تُغْنِى ‏ ‏ ‏ ولا مثلَ الشجاعةِ فى الحكيم

قيل له أنّى يكون الشجاع حكيما ؟ فقال : هذا على بن أبى طالب كرم الله وجهه كان شجاعًا حكيماً .

وكم من عائب قولا صحيحًا ‏ ‏ ‏ وآفتُــه من الفهم السقيمِ
ولكن تأخـــذ الآذانُ منـــه ‏ ‏ ‏ على قدر القرائح والعُلــوم

وقولِه :

ولقد رأيتُ الحادثاتِ فلا أرى ‏ ‏ ‏ يَقَقًا يميت ولا سوادا يَعْصِمُ[1]
والهمُّ يَخترمُ الجسيمِ نحافةً ‏ ‏ ‏ ويُشيبُ ناصية الصبى ويُهرم
ذو العقل يَشقَى فى النعيم بعقلِه ‏ ‏ ‏ وأخو الجهالةِ فى الشقاوة يَنْعَمُ
لا يخدعنَّك من عدو دمعُه ‏ ‏ ‏ وارحم شبابَك من عدو تُرحَمُ
لا يسلم الشرفُ الرفيعُ من الأذى ‏ ‏ ‏ حتى يُراقَ على جوانبــه الدمُ

قال ابن جنى : أشهد بالله أنْ لَوْ لم يقل غيرَ هذا البت لتقدم به أكثرَ المُحدثين ، وهذه الأبيات كلها غُرَرٌ وفرائد ، لا يصدر مثلُها إلا عن فضل باهر ، وقدرة على الإبداع ظاهرة ، ومنها :

والظلمُ من خلق النفوس فإن تجد ‏ ‏ ‏ ذا عفــة فلعِــلة لا يَظْلِمُ[2]
ومن البليةِ عذلُ مَن لا يَرْعوى ‏ ‏ ‏ عن جهله وخطابُ مَن لا يفهمُ
ومِن العداوةِ ما ينالُك نفعُه ‏ ‏ ‏ ومن الصداقةِ ما يَضُرُّ ويُؤلمُ

وقوله :

أرى كلَّنا يبغى الحياةَ لنفسِه ‏ ‏ ‏ حريصًا عليها مُستهاماً بها صبًّا

---

(١) اليقق البياض ، يريد بياض الشيب . يعنى أن حوادث الدهر تنال الصغير والكبير ، فلا يكون الشيب سبباً للموت ، ولا الشباب واقيا منه .

(٢) الديوان واليتيمة : « من شيم » .

فحبُّ الجبان النفسَ أورده الرَّدى ... وحبُّ الشجاع النفسَ أورده الحربا

وقوله :

ويختلِفُ الرزقان والفعل واحد ... إلى أن ترى إحسانَ هذا لذا ذنبا

وقوله :

وفيك إذا جنى الجانى أناةٌ ... تُظن كرامةً وهى احتقار

بنو كعب وما أثَّرتَ فيهم ... يدٌ لم يُدْمِها إلا السِّوارُ

بها من قَطْعِه ألمٌ ونقصٌ ... وفيها من جلالته افتخار

لهم حقٌّ بِشِرْكِك فى نزار ... وأدنى الشرك فى نسب جِوارُ

لعل بَنِيهم لبنيكَ جندٌ ... فأول قُرَّحِ الخيل المِهار

وما فى سَطوة الأرباب عيبٌ ... ولا فى ذِلة العُبْدانِ عار

وقوله :

من اقتضى بسوى الهندى حاجتَه ... أجاب كلَّ سؤال عن هَلٍ بلم

ولم تزل قِلةُ الإنصافِ قاطعةً ... بين الرجال وإن كانوا ذوى رحم

هَوِّنْ على بصر ما شقَّ منظرُه ... فإنما يقَظَاتُ العين كالحُلم

لاتَشكُوَنَّ إلى خَلْق فتُشْمِته ... شكوى الجريح إلى الغربان والرَّخَم

وكن على حَذَر للناس تَستُره ... ولا يَغُرَّنْك منهمْ ثغرُ مُبتسم

وقتٌ يضيعُ وعمرٌ ليت مدَّته ... فى غير أمته من سائر الأمم

أتى الزمانَ بنوه فى شبيبته ... فسرَّهمْ وأتيناه على الهَرَم

وقوله :

الرأىُ قبل شجاعةِ الشجعانِ ... هو أول وهْى المحل الثانى

فإذا هما اجتمعا لنفس مُرَّةٍ ... بلغتْ من العلياءِ كلَّ مكان

ولربما طعن الفتى أقرانَه ... بالرأى قبل تطاعن الأقران

لولا العقولُ لكان أدنى ضيغمٍ ... أدنى إلى شرف من الإنسان

وقوله :

لحى اللهُ ذِى الدنيا مُناخًا لراكب ... فكلٌّ بعيدِ الهمِّ فيها معذبُ
ألا ليت شعرى هل أقــول قصيدةً ... ولا أشتكى فيهــا ولا أتعتَّب
وبى ما يــذود الشعرَ عنى أقلُّــه ... ولكنَّ قلبى يا بنةَ القوم قُلَّبُ
أمَا تَغْلِط الأيامُ فىَّ بأن أرَى ... بغيضــا تُنائى أوْ حبيبا تُقرّب

وقوله :

أبىَ خُلُقُ الدنيــا حبيبا تُديمه ... فما طلبى منهــا حبيبا تَرُدُّه
وأسرعُ مفعول فعلتَ تغيرا ... تكلفُ شىء فى طباعِك ضدُّهُ

وقوله :

إذا ساء فعــلُ المرءِ ساءت ظنونُه ... وصدَّق ما يعتــادُه من تَوَهّم
وعــادى مُحبِّيــه بقولِ عُداته ... وأصبــح فى ليل من الشك مُظلم
وما كلُّ هــاو للجميل بفاعــل ... ولا كلُّ فعــال لــه بِمُتَمِّم
وأحسنُ وجه فى الورى وجهُ محسن ... وأيمَنُ كفّ فيهــمُ كفُّ مُنعِم
وأشرَفُهمْ مَن كان أشرفَ همةً ... وأكثرَ إقدامًا على كلّ مُعْظَم
لِمَنْ تطلبُ الدنيا إذا لم تُرِدْ بها ... سرورَ مُحب أو إســاءةَ مُجْرِم ؟

وقوله :

فــؤادٌ ما تُسَلِّيــه المــدامُ ... وعمرٌ مثــلُ ما تهبُ اللئــامُ
ودهــرٌ ناسُه ناسٌ صغــارٌ ... وإن كانت لهم جُثث ضِخــام
وما أنا منهمُ بالعيش فيهــمْ ... ولكنْ معدنُ الذهب الرَّغام
وشبــهُ الشىء منجذبٌ إليه ... وأشبهُنــا بدنيــانا الطَّغام
ولو لم يعــلُ إلا ذو محلٍّ ... تعالى الجيشُ وانحط القَتامُ
ولو حيزَ الحِفاظُ بغــير عقل ... تجنَّب عُنْقَ صَيْقَلِه الُحسامُ

وقوله :

أبدا تستردُّ ما تهب الدنــ ... ـيا فيا ليت جودَها كان بخلا

فكَفَتْ كونَ فرحة تُورثُ الغمَّ　　وخِلٌ يغادرُ الوجدَ خِلاً
وهْيَ معشوقةٌ على الغدر لا تحـ　　فظ عهداً ولا تُتمِم وصـلا
كلُّ دمع يسيـلُ منها عليها　　وَبِفكِّ اليـدين عنها تُخَلَّى

أى كلٌّ من أبكته الدنيا فإنما يبكى لفوت شىء منها، ولا يُخليها الإنسان إلا قسرا بفك يديه عنها .

ومن هذه القصيدة :

شِيَمُ الغانيات فيها فلا أد　　رى لذا أنث اسمهَا الناس أم لا
ولذيذُ الحياةِ أنفَسُ فى النفـ　　ـس وأشهى من أنْ يُمَلَّ وأحلى
وإذا الشيخُ قال أفٍّ فما ملَّ　　حياةً وإنمـا الضعفَ ملا
آلة العيش صِحةٌ وشبابٌ　　فإذا وليـا عن المـرء ولى

وقوله :

ما كل ما يتمنى المـرءُ يُدركُه　　تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

قف على هذه الظريفة

قال ابن جنى : حدثنى المتنبى ، قال : حدثنى فلان الهاشمى من أهل حرَّان بمصر قال : أُحدثك بظريفة : كتبت إلى امرأتى بحَرَّان كتابًا تمثلت فيـه ببيتك وهو :

بِمَ التَّعلل لا أهـلٌ ولا وطنُ　　ولا نديمٌ ولا كأس ولا سكنُ

فأجابتنى عن الكتاب وقالت : ما كنتَ والله كما ذكرتَ فى هذا البيت ، بل أنتَ كما قال الشاعر فى هذه القصيدة :

سَهِرتُ بعد رحيلى وحشةً لكمُ　　ثم استمرَّ مريرى وارعوى الوَسَنُ [1]

قال : ولما سمع سيف الدولة البيت الذى يتلوه وهو :

وان بُليتُ بُودَّ مثـل ودكمُ　　فإننـى بفراق مثلِه قَمِنُ

[قال : سار وحق أبى][2]

---

(١) استمر مريره: قوى بعد ضعف . وارعوى : ارتدع . والوسن : النعاس . والمعنى استوحشت بعد فراقكم لإلفى إياكم ، حتى جفانى الرقاد ، ثم تجلدت لما ذكرت من سوء صنيعكم ، فسلوت وعاودنى المنـام .　　(٢) زيادة من ديوان المتنبى لعزام هامش ص ٤٦٩ .

وهذه الأبيات من قصيدة قالها بمصر ، وقد بلغه أنه نُعِيَ فى مجلس سيف الدولة بحلب ، وبَعُدَ مطلعها :

أريدُ من زمنى ذا أنْ يُبلّغنى ... ما ليس يبلُغه فى نفسه الزمَنُ
لا تلق دهرَك إلا غيرَ مُكترث ... ما دام يصحبُ فيه روحَك البدن
فما يُديم سُرُورًا* ما سُرِرْتَ به ... ولا يرد عليك الفائتَ الحزنُ
مما أضرَّ بأهلِ العشق أنهُمُ ... هَوُوا وما عرفوا الدنيا وما فَطِنوا
تَفنى عيونهمُ دمعًا وأنفُسُهمْ ... فى إثرِ كل قبيح وجهُه حَسَنُ

ومنها أيضًا :

يا من نُعِيتُ على بُعْد بمجلِسه ... كلٌّ بما زعم الناعون مُرْتَهَنُ
كم قد قُتِلتُ وكم قد مِتُّ عندكمُ ... ثم انتفضتُ فزال القبرُ والكفنُ
قد كان شاهدَ دفنى قبل موتهمُ** ... جماعةٌ ثم ماتوا قبل مَنْ دفنوا

ومنها :

رأيتكمْ لا يصون العرضَ جاركمُ ... ولا يدر على مرعاكمُ اللبنُ(١)
جزاءُ كلِّ قريب منكمُ مللٌ ... وحظُّ كلِّ مُحِب منكم ضَغَنُ
وتغضبون على من نال رفدكمُ ... حتى يعاقبه التنغيص والمنن
فغادرَ الهجرُ ما بينى وبينكمُ ... يَهماءَ تكذبُ فيها العينُ والأذنُ(٢)
تحبو الرواسمُ من بعد الرسيم بها ... وتسألُ الأرضَ عن أخفافها الثَّفِنُ(٣)

---

* الديوان : فما يدوم سرور . ** الديوان : قولهم مكان موتهم .

(١) من جاوركم لا يصان عرضه ، لأنه يشتم فلا تدفعون ؛ والنعم لا يدر لبنها على مرعاكم لوخامته يريد أن نعمتكم مشوبة بالأذى ، فلا يهنأ آخذها .

(٢) ما : زائدة ، اليهماء : الأرض التى لا يهتدى فيها . ترى العين فيها من الأشباح ، وتسمع الأذن من الأصوات ، مالا حقيقة له ، لكثرة ما يتخيل فيها من المخاوف .

(٣) حبا : مشى على بطنه ويديه . والرواسم : الإبل التى تمشى الرسيم ، وهو ضرب من السير السريع . والثفن : ما مس الأرض من أعضاء البعير إذا برك ، كالركبتين والكركرة . أى لطول السير فى تلك الأرض ومتابعته ، تبرى الأرض أخفاف الإبل ، فتحبو على ثفناتها ، وتقول الثفنات للأرض : أين ذهبت الأخفاف حتى صار المشى علينا بعد أن كان عليها ؟

إنى أصاحبُ حلمى وهْو بى كَرَمٌ ولا أصاحب حلمى وهو بى جُبُنُ
ولا أقيم على مال أذلُّ به ولا ألَذُّ بما عرضى به دَرِنُ

ومنها :

وإن تأخر عنى بعضُ موعده فما تأخَّرُ آمالى ولا تَهِنُ
هو الوفىُّ ولكنى ذكرتُ له مودةً فهو يبلوها ويمتحن

محاسنه فى المراثى والتعازاى

ومن بدائعه افتضاضه أبكارَ المعانى فى المراثى والتعازى كقوله :

سالمُ أهل الودادِ بعدهمُ يَسلم للحزن لا لتخليد

أى إذا مات الصديق يَسلم صديقُه للحزن لا للخلود ، لأن كلا ميت .

فما يُرجَّى الخلودُ من زمن أحمدُ حاليْه غيرُ محمودِ

أى أحمد حاليك أن تبقى بعد صديقك ، وهو مع ذلك غير محمود لتعجل الحزن وانتظار الأجل .

وقوله :

المجد أخسرُ والمكارم صفقةً من أن يعيش لها الكريمُ الأروعُ(١)
والناسُ أنزلُ فى زمانك منزلا من أن تُعايِشَهم وقدرُك أرفعُ
قُبحًا لوجهك يا زمانُ فإنه وجهٌ له من كل قبح برُقعُ
أيموتُ مثلُ أبى شجاع فاتك ويعيشُ حاسدُه الخَصِىّ الأوكَعُ(٢) ؟

وقوله :

من لا تُشابهَهُ الأحياءُ فى شِيَمٍ أمسى تُشابهُهُ الأموات فى الرِّمَمِ(٣)

---

(١) الصفقة : أصلها من صفقة البيع ، ثم استعملت فى الحظ والنصيب . والأروع : الذكى الفؤاد . يقول : المجد والمكارم أنقص حظاً من أن يعيش لها هذا المرثى . فقد شقيت بموته لأنه كان يعزها ويجمع شملها .

(٢) الأوكع : الذى أقبلت إبهام رجله على السبابة ، حتى يرى أصلها خارجاً كالعقدة ؛ والمراد به اللئيم . والأبيات من قصيدة يرثى بها أبا شجاع فاتكا ، وله خبر طويل فى ترجمته فى ابن خلكان.

(٣) من رثائه الأمير فاتكا .

عَدِمته وكأنى سِرْتُ أطْلبُــه ... فما تزيدنى الدنيـا على العَدَمِ

وقولِه :

وقد فارق الناسُ الأحبةَ قبلنـا ... وأعيـا دواءُ الموتِ كلَّ طبيب
سُبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلُها ... مُنعنا بها من جَيْئة وذُهوب
تملكها الآتى تَملُّكَ سـالبٍ ... وفارقهـا الماضى فِراق سليبِ

هذا كقول بعض الوعاظ : فإنما فى أيديكم أسلابُ الهالكين استخلفها الباقون ، كما تركها الماضون ، وقد أفصح عن هذا المعنى بعض أهل العصر بقوله :

هذى منازلُنا التى كانت لهم ... للغـير نبقيها مـدى الأحقاب

وقولِه :

علينا لك الإسعاف إن كان نافعاً ... بشقِّ قلوبٍ لا بشق جُيوب[١]
فربَّ كئيب ليس تَندى جفونُه ... ورُبَّ كثيرِ الدمع غيرُ كئيب
وللواجدِ المكروبِ من زَفَراته ... سكونُ عَزاءٍ أو سكونُ لُغُوب[٢]

وقوله :

ما كنتُ أحسب قبل دفنك فى الثرى ... أن الكواكبَ فى التراب تَغورُ
ما كنت آملُ قبل نعشك أن أرى ... رَضْوَى على أيدى الرجال تسير
خرجـوا به ولكـل باك خلفَه ... صَعَقاتُ موسى يوم دُكَّ الطورُ
حـتى أتوا جَدَثاً كأن ضريحَه ... فى قلب كـل مُوَحِّدٍ محفور
كفل الثنـاءُ لـه بِرَدِّ حياتـه ... لما انطوَى فكأنـه منشـور[٣]

---

(١) فى اليتيمة : الإسعاد ، وهما بمعنى .

(٢) الأبيات من قصيدة يعزى بها المتنبى سيف الدولة عن عبده « يماك » التركى. والبيت « ورب كئيب ... إلخ» : مأخوذ مما أنشده أبو على فى آخر تكملة إيضاحه :

وما كل ذى لب بمؤتيك نصحه ... وما كل مؤت نصحه بلبيب

والبيت الأخير كقول أبى تمام :

أتصبر للبلـوى عزاء وحسبة ... فتؤجـر أم تسلو سلو البهائم

(٣) فى رثاء محمد بن إسحاق التنوخى ، والبيت الأول فيه نظر إلى قول آخر : =

وقوله فى تعزية سيف الدولة عن أخته :

ولعمرى لقد شَغَلْتَ المنـايا	بالأعادى فكيف تطلبْ شُغلا[١]
خِطبةٌ للحِمام ليس لهـا رَدٌّ	وإن كانت لها المسماةَ ثُكلا
وإذا لم تجد من الناس كُفْؤًا	ذاتُ خِدْرٍ أرادتِ الموتَ بَعلا

وهذا أحسن ما قيل فى مراثى حُرَمِ الملوك .

وقوله فى مرثية طفل لسيف الدولة وتعزيته عنه :

فإن تكُ فى قبر فإنك فى الحَشَا	وإن تك طفلا فالأسى ليس بالطفل
ومثلُك لا يُبكى على قدر سِنِّه	ولكن على قَدْرِ المَخيلة والأصل
عزاءكَ سيفَ الدولةِ المقتدى به	فإنك نصـلٌ والشدائدُ للنصل
ولم أرَ أعصى منك للدمع عَبرةً	وأثبتَ عقلا والقلوبُ بلا عقلِ
تخونُ المنـايا عهدَه فى سليله	وتنصرُه بين الفوارس والرَّجْلِ
ويبقى على مَرِّ الحوادث صبرُه	ويبدو كما يبدو الفرنْدُ على الصَّقْلِ
وما الموت إلا سارقٌ دقَّ شخصُه	يصول بلا كفٍّ ويسعى بلا رِجْلِ
يردُّ أبو الشبل الخميسَ عن ابنه	ويُسلمُـه عنـد الولادة للنمل

ومنهـا :

إذا ما تأملتَ الزمانَ وصَرْفَـه	تيقنتَ أن الموت ضربٌ من القتل
وما الدهر أهلٌ أن تُؤمَّلَ عنـده	حياةٌ وأن يُشتاق فيه إلى النسل
وقد ذقتُ حلواءَ البنينَ على الصبا	فلا تحسَبَنِّى قلتُ ما قلتُ عن جَهْلِ[٢]

= ما كنت أحسب والمنية كاسمها — أن المنية فى الكواكب تطمع

والبيت الثانى منقول من قول ابن المعتز :

هـذا أبو القاسم فى نعشـه — قوموا انظروا كيف تسير الجبال

والرابع من قول ابن الزيات :

يقول لى الخلان لو زرت قبرها — فقلت وهل غير الفؤاد لها قبر

(١) اليتيمة : يطلبن ، والضمير راجع إلى المنايا .

(٢) عقد ابن الأثير فى كتابه « المثل السائر » موازنة بين هذه القصيدة وقصيدة لأبى تمام فى رثاء ولدين لعبد الله بن طاهر ، ماتا فى يوم واحد ، مطلعها « نجمان شاء الله ألا يطلعا » وفضل المتنبى على أبى تمام =

وقولِه :

نحن بنــو الموتى فــا بالنُــا نَعافُ ما لا بُدَّ من شُربهِ
تبخــلُ أيدينــا بأرواحنــا على زمــان هى من كَسْبه
فهــذه الأرواحُ من جَــوِّه وهــذه الأجسامُ من تُرْبه
لو فكَّر العاشقُ فى منتهى حُسْنِ الذى يَسْبِيه لم يَسْبِه
لم يُرَ قرنُ الشمس فى شرقِه فَشَكَّتِ الأنفسُ فى غربه[1]
يموتُ راعى الضان فى جهلــه مَوْتَةَ جــالينوس فى طبه[2]
وربمــا زاد عــلى عُمْره وزاد فى الأمن عــلى سِرْبه
وغايــة المفُــرطِ فى سِلمه كغــاية المفــرطِ فى حربه
فلا قضى حاجتَــه طالبٌ فؤادُه يَخفِقُ من رُعْبــه

ومن قلائده الإبداعُ فى الهجاء ، كقوله : أهاجيه المنكية

إن أوحشتْك المعــالى فإنهــا دارُ غُرْبَهْ
أو آنستك المخــازى فإنهــا لك نِسبَهْ

وقولِه :

إنى نزلتُ بكذابين ، ضيفهُمُ عن القِرى وعن التَّرحال مَحْدودُ
جودُ الرجال مِنَ الأيدى وجودُهمُ من اللسانِ فلا كانوا ولا الجودُ
مايَقبضُ الموتُ نفسا من نفوسهمُ إلا وفى يده من نَتْنها عــودُ

يعنى العُودَ الذى يتناوله المعالج للشيء القَذِر ليكون واسطة بينه و بين يده

العبدُ ليس لحرٍّ صالحٍ بأخٍ لوْ أنه فى ثياب الحُرّ مولودُ

فى مواضع كثيرة ، والبيت الثامن : « يرد أبو الشبل . . . » مثل ضربه لقيام سيف الدولة بجليل الأمور ، وهو مع ذلك لا يدفع الموت عن ولده . ويقال إن النمل إذا اجتمع على ولد الأسد أكله وأهلكه ، فالأسد يرد الجيش عن ابنه ، ولا يستطيع رد النمل عنه .

(١) قرن الشمس : أول ما يبدو منها . وشكت : عطف على لم ير . والمعنى : من رأى الشمس طالعة لم يشك فى غروبها . وهو مثل . يعنى أن كل حادث لا بد أن ينتهى إلى الزوال .

(٢) فى رواية « ميتة » . وجالينوس : طبيب عالم من أطباء اليونان انتفع الأطباء بكتبه فى تعليم الطب .

من علَّم الأسودَ المخصىَّ مكرمةً ... أقومُه البيضُ أم آباؤه الصِّيدُ
أم أذْنُه فى يد النَّخَّاس دامية ... أم قدرُه وهو بالفَلْسين مردودُ؟
وذاك أنَّ الفحولَ البيضَ عاجزةٌ ... عن الجميل فكيف الخِصْيةُ السودُ

كأنه من قول أبى على البصير [١] :

عَجَزَ الراكبُ البصيرُ وأولَى ... منه بالعجز راجلٌ مكفوف

وقوله :

فلا تُرَجَّ الخيرَ عنـد امرئٍ ... مرَّتْ يدُ النخاس فى رأسِه

وقوله :

أخذتُ بمدحه فرأيت لَهْوًا ... مقالى للأُحَيْمقِ يا حكيمُ
ولما أنْ هجوتُ رأيتُ عِيًّا ... مقالِى لابنِ آوى يا لئيمُ
فهل من عاذر فى ذا وهـذا ... فمدفوعٌ إلى السَّقَمِ السقيمُ

وقوله :

لقد كنت أحسبُ قبل الخَصىِّ ... بأن الرؤوسَ محلٌّ النهى
فلما نظرتُ إلى رأسه ... رأيت النهى كلَّها فى الخُصَى

وقوله :

يمشى بأربعة على أعقابه ... تحت العلوج ومن وراءٍ يُلْجَمُ
وجفونُه ما تستقر كأنها ... مطروقةٌ أو فُتَّ فيها حِصْرِمُ
وتراه أصغرَ ما تراه ناطقا ... ويكون أكذبَ ما يكون ويُقسم
وإذا أشار مكلما فكأنه ... قرد يقهقه أو عجوز تلطم
يقْلِى مفارقةَ الأكُفِّ قذالُه ... حتى يكادَ على يد يتعمم [٢]

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) الأبيات من قصيدة يهجو بها أبا إسحاق الأعور المعروف بابن كيغلغ . والقذال : مؤخر الرأس . يقول : إن قذاله يكره مفارقة الأكف ، لأنه قد ألف صحبتها فى الصفع .

ومن قلائده

ومن قلائد أبي الطيب إبرازُ المعانى اللطيفة فى معارض الألفاظ الرشيقة الشريفة، والرمى بالطُّرَف والمُلَح كقوله فى الجمع بين مدح سيف الدولة وقد فارقه ، وبين مدح كافور وقد قصده فى بيت واحد وهو :

فراقٌ ومن فارقتُ غيرُ مُذَمَّمٍ　　وأمٌّ ومن يَممتُ خيرُ مُيَمَّمِ

ثم قال مُعرِّضا بسيف الدولة :

وما منزلُ اللذات عندى بمنزلٍ　　إذا لم أُبَجَّلْ عنـده وأكرَّم
رحلتُ فكم باك بأجفان شادنٍ　　علىَّ وكم باك بأجفان ضَيْغَمِ

المصراع الثانى تصديق لقوله :

* ليَحدُثَنَّ لمن ودعتُهم ندمُ *

وما ربةُ القُرط المليح مكانهُ　　بأجزعَ من رب الحُسام المُصَمِّمِ
فلو كان ما بى من حبيب مُقَنَّعٍ　　عَذرتُ ولكن من حبيب مُعَمَّمِ

وهذا أيضًا مما نبهت عليه من إجرائه المملوحَ من الملوك مجرى المحبوب فى كثير من شعره .

رمى واتَّقى رَمْيِي ومن دون ما اتَّقى　　هوًى كاسرٌ كفى وقوسى وأسهمى

وقوله فى مدح كافور والتعريض بالقَدْح فى سيف الدولة :

قالوا هجرتَ إليه الغيثَ قلتُ لهم　　إلى غيـوث يديـه والشآبيب
إلى الذى تهبُ الدَّولات راحتُه　　ولا يَمُنُّ على آثـار موهوب
ولا يَرُوعُ بمغـرور به أحداً　　ولا يُفَزِّعُ موفـورا بمنكوب
يأيهـا الملكُ الغانى بتسميةٍ　　فى الشرق والغرب عن نعت وتلقيبِ

يعنى أنه مستغن بشهرته عن لقب كلقب سيف الدولة .

أنت الحبيبُ ولكنى أعوذ به　　من أن أكون مُحبًّا غير محبوب

وهذا أيضًا من ذاك .

وقوله من قصيدة لسيف الدولة بعد ما فارق حضرته يُعرّض باستزادة يومه وشكر أمسه ، وهو من فرائده :

وإن فارقتْنىَ أمطـارُه فأكثر غُدرانها ماَنضَبْ
وإنى َلأُتْبعُ تذكـارَه صلاةَ الإله وسقى السحبْ

ومنها فى التعريض لكافور :

ومن ركب الثورَ بعد الجوا دِ أنكـر أظلافَه والغَبَبْ

وقولُه فى هزّ كافور والتعريض باستزادته :

أبا المِسكِ هل فى الكأس فضلٌ أنالُه فإنى أغنى منذُ حين وتشربُ

يقول : مديحى إياك يطربك ، كما يطرب الغناءُ الشاربَ ، فقد حان أن تسقينى من فضل كأسك .

وهبتَ على مقدار كفَّىْ زماننا ونفسى على مقدار كفيك تطلبُ

وقوله أيضًا فى التعريض بالاستزادة :

أرى لى بقربى منك عينًا قريرةً وإن كان قُربًا بالبِعاد يُشابُ
وهل نافعى أن تُرفعَ الحجبُ بيننا ودون الذى أمّلتُ منك حجاب
أقِلُّ سلامى حُبَّ ما خفَّ عنكمُ وأسكتُ كيما لا يكونَ جواب

أى لِحبّ ما خف عليكم .

وفى النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ سكوتى بيانٌ عندها وخِطابُ

وقولُه فى وصف الفرس :

ويوم كليل العاشقين كَمَنْتُه أراقب فيه الشمسَ أيان تَغْرُبُ
وعينى إلى أذنَىْ أغـرَّ كأنه من الليل باق بين عينيه كوكبُ

أى كأنه قطعة من الليل ، وكأن الغُرة فى وجهه كوكب ، وعينه إلى أذنه ، لأنه كامنٌ لا يرى شيئًا ، فهو ينظر إلى أذنى فرسه ، فإن رآه قد توحش بهما ،

تأهب إلى أمره ، وأخذ لنفسه الحذر ، وذلك أن أذن الفرس تقوم مقام عينيه ، وتقول العرب : أذُنُ الوحشى أصدق من عينيه .

له فَضْلَةٌ عن جسمه فى إهابه ... تجىء على صدر رحيب وتذهب[1]
شققتُ به الظلماء أُدْنى عِنانَه ... فيطغى وأُرخيه مِراراً فيلعب

أى إذا جذبت عنانه طغى برأسه لطماحه ، وعزةِ نفسه ، وإذا أرخيتُ عنانَه لعب برأسه .

وأصْرَعُ أىَّ الوحش قفَّيْتُه بهِ ... وأنزِلُ عنه مثلَه حينَ أركبُ

وقولُه فى التوديع :

وإنى عنك بعــد غد لَغَادٍ ... وقلبى فى فِنائك غيرُ غادِ
مُحبك حيث ما اتجهت ركابى ... وضيفك حيث كنتُ من البلادِ

وقولُه :

سِرْ حَلَّ حيثُ تَحُلُه النُّوارُ ... وأرادَ فيك مرادَك المقــدارُ
وإذا ارتحلتَ فشيعتْك سلامةٌ ... حيث اتجهتَ وديمةٌ مِدرارُ
وأراك دهرُك ما تحاولُ فى العدا ... حتى كأن صروفَه أنصارُ
أنت الذى بَجِــحَ الزمانُ بذكره ... وتزينتْ بحديثــه الأسمارُ

وقوله فى الرفق بالصديق والعنف بالعدو :

إنى لأجبنُ عن فِراق أحبــتى ... وتُحِسُّ نفسى بالحِمام فأشجُعُ
وَيزيدنى غضبُ الأعادى جُرأة ... ويُلِمُّ بى عتبُ الصديق فأجزع

وقوله فى حسن الكناية :

تشتكى ما اشتكيتُ من ألم الشو ... ق إلينا والشوقُ حيثُ النحولُ

وإنما كَنى عن تكذيبها ، ولم يُصرح به ، أى أنا أشتكى الشوق ، ونحولى يدل على ذلك ، وهى غير ناحلة ، فليست مشتاقة .

(١) يصف فرسه بعرض الصدر ، وسعة الجلد عليه ، وكلاهما يقتضى سعة الخطو ، وسرعة العدو .

وقولُه :

[عفيفَ ما فى ثوبه مأمونَهُ](١) أبيضَ ما فى تاجــه ميمونَه

أى عفيف الفرج ، فكنى به .

وقولُه فى العيادة :

لاتَعْذلُ المرضَ الذى بك شائق أنت الرجالَ وشائقٌ عِلاتِها(٢)
ومنازلُ الحمىَّ الجسومُ فقل لنا ما عذرها فى تركها خيراتِها

أى لا عذر للحمى فى تركها جسمك ، إذ هو أفضل الجسوم .

وقولُه :

قُصِدْتَ من شرقِها ومغربِها حتى اشتكتك البلادُ والسُّبُلُ
لم تُبق إلا قليــلَ عافيةٍ قد وفدت تجتديكها العِلَلُ(٣)

وقولُه :

يُجَشمك الزمــانُ هوًى وُدًّا وقد يُؤذَى من المقة الحبيبُ
وكيف تُعلُّكُ الدنيا بشىء وأنت لعلــة الدنيا طبيب ؟
وكيف تنوبُك الشكوى بداء وأنت المستغــاثُ لما ينوب ؟(٤)

وقولُه فى التهنئة :

المجدُ عُوفى إذ عُوفيتَ والكرمُ وزال عنك إلى أعدائك الألمُ
وما أخصك فى بُرء بتهنئــة إذا سلمتَ فكل الناس قد سَلِموا(٥)

---

(١) ما بين القوسين زيادة من الديوان واليتيمة ، وهو محل الشاهد .

(٢) هذا مثال من تعقيدات المتنبى . وبيانه : شائق : خبر مقدم لأنت ، والرجال مفعول شائق وترتيب ألفاظ البيت : أنت شائق الرجال ، وشائق علاتها ، فلا تعذل المرض الذى بك . والمعنى : المرض الذى بك لا يلام ، فإنك قد شوقت الرجال إلى زيارتك ، وشوقت علاتها أيضاً ، فهى تزورك مثلهم .

(٣) يقول أنفقت كل ما عندك ، ولم تبق لنفسك إلا بقية من العافية ، فقدمت العلل تستوهبها منك . وهو من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار .

(٤) فى سيف الدولة وقد تشكى من دمل .

(٥) فى سيف الدولة وقد برئ من الدمل .

وقوله :

إنمـــا التهنئاتُ للأكفـــاء ولمـــنْ يدَّنى ن البعداءِ
وأنا منـــك لا يُهنىْ عضوٌ بالمسرات سائـــرَ الأعضاء

وقولُه :

الصومُ والفطرُ والأعيادُ والعُصُر منيرةٌ بك حتى الشمسُ والقمرُ
ما الدهرُ عندك إلا روضةٌ أُنُفٌ يا من شمائلُه فى دهـــره زَهَرُ
ما ينتهى لكَ فى أيامه كرمٌ فلا انتهى لك فى أعوامه عُمرُ
فإن حظَّك من تكرارها شرفٌ وحظُّ غيرِك منها النومُ والسَّهَرُ

وقولُه فى الشيب :

تغـــيّر حـــالى والليالى بحالها وشِبتُ وما شابَ الزمانُ الغُرانق[1]

وقولُه :

تُسوّدُ الشمسُ مُنا بيضَ أوجُهِنا ولا تُسوِّدُ بيضَ العُذْرِ واللِّمَ
وكان حالُهما فى الحكم واحدةً لو احتكمنا من الدنيا إلى حَكَمِ

ومنها حسنُ المقطع ، كقولِه :

قد شرّف اللهُ أرضًا أنت ساكنُها وشرَّف الناسَ إذ سوّاك إنسانا

وقولِه :

سمـــا بك همِّىَ فوق الهمـــوم فلستُ أعُـــدُّ يَساراً يساراً
ومن كنتَ بحـــراً له يا علىّ لم يقبل الـــدرَّ إلا كبـــارا

وقوله :

أنلْتَ عبيـــدك ما أملّوا أنالك ربُّـــك ما تأمُـــلُ

---

(١) الغرانق : الشاب الناعم الجميل .

وقوله :

وأعْطِيتَ الذى لم يُعْطَ خَلْق عليك صلاةُ ربِّك والسلامُ

ما قاله فى حسن الحشو

وقولِه فى حسن الحشو :

صلى الإلهُ عليك غيرَ مُوَدَّعٍ وسقَى ثَرى أبويكَ صَوْبَ غَمامِ (١)

وقولِه :

وتحتقر الدنيـا احتقارَ مُجرِّب يرى كلَّ ما فيها وحاشاك فانيا

وقولِه :

إذا خَلَتْ منك حِمْصٌ لاخلت أبدا فلا سقاها من الوَسْمِىِّ باكرُهُ

ومما أوردَه له فى حسن الحشو البيت المشهور وهو :

إن الثمانــين وبُلغتَهـا قد أحوجتْ سمعى إلى تَرْجُمان

نقد المخدوم بهذا الكتاب

بشريطة أن يكون لفظ «وبلغتها» بتاء الخطاب، أما إذا كانت للمتكلم، فليس منه لكنْ أفادنا المولى المعنون باسمه الشريفِ هذا الكتاب أن البيت فيه نظر يظهر بالتأمل، إذا كان بتاء الخطاب، ولم نسمع بهذا النقد(٢) من غيره، أدام الله علُوّه، وزاد فى أوج المعارف سمُوَّه، فإنه المولى الذى تقتبس الفضائل من أنواره، وتغترف الفواصل من تياره، فلا زالت أيامه بالمحامد مشرقة، ولا برحت بحارُ فضائله بالفوائد مغدقة ما سطع بدرُ العدل، ولمع برقُ الفضلْ.

[خاتمة]

هذا، ونوادر أبى الطيب المتنبى غزيرة، وأخباره كثيرة، وقد اخترنا منها ما يُستظرفُ إيراده، ويُطربُ الألبابَ إنشاده، ومذْ تم ما جمع، وسُمِّىَ بالصبح المنبى عن حيثية المتنبى، تواردت التقريظات من العلماء الأعلام، وسميت بنسمة الصبح، وجرت منها مجرى الختام.

---

(١) يريد بالحشو هنا : الاحتراس.

(٢) لعل النقد الذى يشير إليه : أن الدعاء للمخاطب ببلوغ الثمانين، مع إخباره فى البيت بأنها قد أحوجت سمعه إلى ترجمان، فيه ما يوهم الدعاء عليه أيضاً بأن يصاب بهذا الوقر.

١

وأول ما ورد ما كتبه مخدومنا شخصُ الفضل وصورته ، وحَلْى الأدب وزينته ، سيد سادات مَن فى الشهباء من آل النبى ، أحمد أفندى الشهير نسبه الكريم بابن النقيب الحسنى ، وهو :

ما كتبه أحمد أفندى نقيب زاده

أيُوسُفُ إنْ أظهرتَ رَوضًا مدبَّجًا ... بيَرَاعِكَ – لا فصلُ الربيع – ربيعُه
وَجدَّدتَ للكِنْدِىِّ ذكرا بجامعٍ ... لأخبارِه ، قد قلَّ مَن يستطيعُه
وتوَّجتَه باسم الهُمام الذى لَه ... من الفضلِ ما بينَ الأنامِ جميعُه
سَليل حُسام الدين ذى المجدِ مَن غدا ... حُسامًا بهام الظالمين وقوعُه
وصدرِ موالى الرّوم مَن نُور عَدله ... تلألأ مثلَ الصُّبحِ زاد سُطُوعُه
ومَن لم يزَل للشرعِ بالزهد حافظًا ... وقد كانت الأطماعُ قبلُ تُضيعُه
ومَن شرَّفَ الشَّهباء مُذحلّ رَبعَها ... وأحيَا بنى الآداب فيها صَنيعُه
فمَن يتلقَّبْ بالبديع فإنما ... يكون بديعًا كلّ شىء بديعُه
وإن كنتَ قد حبَّرتَ فيه مدائحًا ... يسير بها من كل ركب سَريعُه
فمَا هوَ إلاّ الصاحبُ النَّدبُ سؤددًا ... وفضلا وإقبالا ، وأنت بديعُه

٢

ما كتبه نجم الدين أفندى الأنصارى

ثم ورد ما تفضلَ به شيخُنا ، الذى بزغَتْ فى الشَّهباء فضائله ، وعمَّت فضلاء الأدباء فواضلُه ، وأزرى سَنَا سُؤْدُده بالدرارى ، شمس المجد ، بدر الفضل ، نجم الدين أفندى الأنصارىّ ، وهو قولُه ، مدَّ الله ظله ، ورفع محلَّه :

رسالةُ مَولانا البديعىّ روْضةٌ ... تَنزَّه فيها السَّمْعُ والطَّرْفُ والفكرُ
أبانتْ مزايا ابنِ الحسين التى بها ... على شعراء الدّهرِ قَدَّمَه الشعْرُ
وأسكَرَت الألبابَ حتى كأنما ... أحاديثها المستحسناتُ بها خَمْرُ
ولا بِدْعَ أنْ أبدَى البديعىّ دُرَّهُ ... إذ البحرُ منهُ دائمًا يخرُجُ الدُّرُّ
فكيف ومَن صِيغَتْ لَهُ العلَمُ الذى ... على ما به الدهرُ الضنينُ سَخا الدَّهرُ
أتاها وليْلُ الظلمِ مُلْقٍ رواقَهُ ... فلما رأتْهُ مُقبلا سَطَعَ الفجرُ
إمامٌ كَسَا الشهباءَ ساطعُ عدلِه ... بَهاءً علَى مرِّ الزَّمان له الذكْرُ
بماذا يُجادُ القولُ فى مَدْحِ عالمٍ ... بكل فم فى كُلِّ أرض لَهُ شُكْرُ
جَوادٌ إذا ضَنّ الجوادُ بما لَه ... ولو لم يجُدْ أغناكَ عن بَذْله البِشْرُ

إذا ما تصدَّى للعلوم مُبَاحِثا علمتَ لماذا يشبهُ العالِمَ البحْرُ
فيا واحدَ الدُّنيا الذى جُمِعَت له الْـ مَعالى كما الأيامُ يجمعُها الشهْرُ
ويابن الحُسامِ المُنْتَضَى والَّذى به بشَهْبائنا مُذ حلَّها حَصَل الفخْرُ
رَأيناك أَوْلَى الناس بالمَدْحِ من ذَوى الْـ فضائل إذ أنتَ الذى عَبْدُه حُرٌّ
فَدُمْ ما تغنت فى الرياض بلابلٌ وأحْدَقَ فى فصل الربيع بها الزَّهْرُ

٣

تقريظ أبى الوفا العرضى

ثم ورد ما قاله عالم الشهباء وابن عالمها، ومُشيِّدٌ بالفضائل دعائم مَعَالِمِها صاحبُ النَّهْج المَرضىّ وهو الشيخ أبو الوفا العَرْضِى ، متَّع الله ببقائه الأنام :

يا جَوْهَرًا قام الكمال بذاته وأضاء مجدًا مِن صَفاء صفاتِه
والفاضل الفطِن الَّذِى دلتْ عَلَى إحسانه آثارُ تَنْميقاتِه
ربَّ المعانى والبديعىَّ الذى زان البيانَ بديعُ تحسيناتِه
عاشتْ بك الآدابُ وهْى رَميمةٌ وبَعثتَ للكندى رُوحَ حَياتِه
ونسخْتَ من « ذكرى حبيب» كلَّ ما نسختْه أيدى الدهرِ من كلماتَه
ونبذْتَ من « عَبَث الوليد » جَميعَ ما نطقتْ به الأيامُ من أبياته
وأبنْتَ بالبرهان « مُعْجِزَ أحمد » وكشفْتَ سَجْفَ الطَّعْنِ عن حسناته
وأقمت مِيزانَ العدالَة مُقْسِطًا لم تَتْرُكِ المثقال مِنْ ذرَّاته
لله درُّكَ من أديب مِصْدَع أبدًا حَلالُ السحرِ من كلماته
فى ضِمْن تأليفٍ تحرَّر باسم مَنْ زان الزمانَ بِدُرِّ تحقيقاته
السالك السَّنَنَ الأغرَّ نباهةً مَثْوَى العدالة مِن جميع جهاته
قل للذين تقدموا وتأخروا نورُ الهدى اقتبسُوه من مشكاته
وتعلَّموا الأحكامَ كيف قضاؤُها مَهْمَا تَوارَى الحقُّ فى شُبُهاته
وتأملُوا فيه العفافَ طبيعةً كغوامض التحقيق من مَلَكاتَه
هو من سيوف الله وابنُ حُسامه مَنْ رِيعَ قلبُ الزُّور من عزَماته
وأنارت الشهباءُ لما جاءَها وقد استنار الكشْفُ فى مرآته
فانجاب عنها كلُّ ظلمة ظالم فيها وعمَّ العدلُ من بركاته
لا زالتِ الفضلاءُ تخدُم بابَه والنصرُ لا ينفكُّ عن حركاته

٤

ما كتبه السيد يحيى الصادق

ثم ورد ما نمقه كُشاجمُ عصره ، وفاضلُ مِصْرِه ، بل واحد دهره ، السيد الأوحد فى الخلائق فضلا ، ربيع الفضل ، يحيى الصادق :

لله مــا نمَّقْتَ من مُرْقص ... يُغنى أخا اللبّ عن المُطربِ
أثبَتَّ من سحْرك فى طيــه ... إعجــازَ آياتِ أبى الطيب
وهكذا الفاضلُ من شأْنِه ... نُصرةُ ذى الفضل على الأجنبى
هذا وقــد قيــل على أنــه ... كناقلِ التمــرِ إلى يثرب
أو ساكبِ القَطْرِ على البَحْرِ أو ... مُهدِى رَذاذِ الطّلِّ للصيِّبِ
أو حامل الدُّرِّ إلى يَمِّــه ... أو مُرسلِ النُّورِ إلى الكوكبِ
لأنــه عنونــه باسْمِ مَنْ ... لولا ختامُ الرُّسْلِ قُلْنا نبى
فقلت مَهْلاً هــذهِ عادةٌ ... لا يُنكِرُ العادةَ إلا غَبِى
انظــرْ إلى الطاهِى وتقديمه الطَّ ... عامَ للمَوْلَى ولا تَعْجَبِ
وقَيِّمُ البُسْتــان قد يُتحِفُ الْ ... مالكَ بالفاخرِ والأطْيَبِ
والشاكرى يحمــل أستاذَه ... على ذُرا الأصْهَبِ والأشْهَبِ
وهــكذا ربُّ البــديع الّذى ... يُدْعى البديعى ليس بالمُعْتَبِ
لأنه أهــدى لأستــاذهِ ... باكورة الفضل ولَمْ يُسْهِبِ
مَعْ أن ما يعلمُه فــوق ذا ... لكنه قد جاءَ بالأعــذبِ
يَعْرِضُــه بين يَدَىْ واحد الد ... نيــا وأم الشرقِ والمغربِ
حامِى حِمَى الشرع القويم الذى ... قَدْ شَرَّفَ الشهباءَ بالمَنْصِب
سيفٌ من الرحمنَ قد سلَّــهُ ... وابنُ حُسام الدين إنْ يُنْسب
وكل من يَطْمَعُ فى مِثْلِهِ ... مِنْ دَهْرِه لُقِّبَ بالأشْعَبِى

٥

ما كتبه السيد موسى الراعى

ثم ورد ما قاله نَسيج وَحْدِه ، ووارث الفصاحة عن نِزارِه ومَعَدِه ، ومالك رِقِّ المعانى ، الحسيب النسيب السيد مُوسى الحَمْدانىّ ، وهو :

غَنِينا عن الياقوت واللؤلــؤِ الرطْبِ ... بعقدِ جُمان عُدَّ مِنْ جُمْلَة الكتبِ
تضمن أخبــاراً يَلَذُّ استماعُهــا ... كما لَذّتِ الشكوَى من الحِبِّ للحِبِّ

ولاحتْ به لابن الحسين قلائــدٌ ⁂ تُخبّرُ عَنْهُ أنّهُ أشعرُ العُرْب
وكيفَ ومُنشيه الّذى قد أطاعَهُ ⁂ نظامًا ونَثْرًا كُلُّ مبتكَرٍ صَعْبِ
وحيدُ بلادِ الشامِ بالفضلِ يوسفُ الْ ⁂ بَديعيُّ مَنْ عَنْهُ مؤلَّفهُ يُنْبِي
بِرَسْمِ وحيدِ الدهْرِ مَنْ عَمَّ عدله ⁂ وسارتْ به الرُّكْبانُ فى الشرق والغرب
سَليل الحسامِ اللوذعى الذى غَدَتْ ⁂ له عَزْمَةٌ أمْضَى من الصارم العَضْب
أجلّ مَوالى الرومِ مَنْ جود جُوده ⁂ على أمَدِ الأيام أجْدَى من السحْب
ومَنْ شَرفتْ شَهْباؤُنا بقدومه ⁂ وتاهتْ به عُجْبًا على السبْعَة الشهْب
ومَنْ فرّجتْ أيامُهُ كُلَّ كُرْبَةٍ ⁂ فصار اسمها فى الناس فَراجَةَ الكَرْب
فلا زالَ مَخْدومَ الأفاضلِ مَوْرِدَ الْ ⁂ فضائلِ مقصودا على البُعْد والقرْبِ

٦

ما كتبه السيد محمد التقوى

ثم ورد ما قاله صاحب النَّسب النبوىّ ، الأمجد الكامل السيد محمد التَّقَوىّ، وهــو :

أسحْر بابلَ أمْ ذى نَسْمة السَّحَرِ ⁂ سَرَتْ عن الشحْرِ أمْ عِقْدٌ من الدُّرر
أمْ غرةٌ فى جبينِ الدَّهْرِ شادخــةٌ ⁂ أمْ غادةٌ فتَنَتْ بالدَّلِّ والحَوَرِ
أمِ البَديعيّ أبدَى بِنْتَ فكْرَتِه ⁂ بكل مَعنًى رقيق اللفظِ مُبْتَكَرِ
راقت صَفاءً ورقّتْ كُلُّ حاشيةٍ ⁂ منْهــا ودقّتْ مَعانيها على الفكَرِ
كأنّها مِنْ عَصَا مُوسى قد اكتسبَتْ ⁂ فلَمْ تدَعْ للسِّوى صُنْعًا ولمْ تَذَرِ
تَضَمّنَتْ نظم أخْبار قد انتثرتْ ⁂ لابن الحسين بليغِ البدو والحَضرِ
وُدونَتْ باسْمِ مَوْلانا الذى بزغَتْ ⁂ يُوحُ العَدَالــة فى أيامه الغُرَرِ
نجل الحُسامِ الذى ماضِى عزيمته ⁂ فى المشكلاتِ يُرى أمْضَى منَ القَدَرِ
مَوْلًى كريم السجايا من خلائقه ⁂ تخلّقتْ نسماتُ الروض فى السَّحَرِ
لو كان للزُّهْرِ من لألاءِ سُؤْدُدِه ⁂ جُزْءٌ لما احتجبَتْ يومًا عن النَّظَرِ
طالتْ مدائحُه من كل ذى أدب ⁂ وهل تطولُ يدٌ للأنجم الزُّهُرِ
وإن يُقصّرْ مَديحى عن عُلاهُ فكَمْ ⁂ قد انثنى مادحٌ بالعِىِّ والحَصَرِ
أضمرتُ ذكرَ اسمِه فى طىِّ مِدْحتِه ⁂ إذ كان أشهرَ فى الدنيا من القَمَرِ

يا من فضائلُـهُ من كلّ ذى بَصر | فى الشرق والغرب مِلء السمع والبصَرِ
أبقيْتَ ذكرا بما أسديتَ فى حلَبٍ | كالذكر نتْلُوهُ فى الآصال والبُكَرِ

٧

تقريظ عبد القادر الحموى

ثم ورد ما قاله حمّادىّ الرواية ، وثعالبىّ الدراية ، صاحبنا الشيخ عبد القادر الحموىّ ، وهو :

بتأليف مولانا البديعىّ يُوسُـف | تجدّد ما لابن الحسين من الفضلِ
تحلَّى به جيــدُ الزمانِ وأصبحتْ | له نَضْرَةٌ كالروضِ غُودِىَ بالطَّلِ
وقد زيدَ حُسنًا أنه صِيغَ باسم مَن | له قلمٌ ما زالَ أمضى من النصلِ
يذكّــرنا ياقــوتَ أدنى حــروفِه | وكل مِثال منه جلّ عن المِثل
سمــا ربُّه كنز الهداية والحجا | سماءَ العُلا والمجد والفضل والبَذْل
حليفُ التقَى نجلُ الحسام الذى زهتْ | به حلبُ الشهباءُ والأبُ كالنَّجْل
وزحــزح عنــا ظلمة الظلم وانتضَى | على عاتِق العُدْوان سيفا من العَدْل
وأبــدى بها بدرَ الفضائــل بازغا | ومِن قبله قد كان فى سُدَفِ الجَهل
ومِن قبلــه والله لم نَــرَ قاضيا | له سطوةُ الضرغام فى ورع الشِبْلِى

* * *

هذا ما اخترناه من التقريضات ، ولولا خوف الإطالة لذكرناها جميعاً ؛ فإنه لم يبق فاضل ولا شاعر من أبناء الشهباء ، ولا من غيرها المقيمين بها إلا وقد كتب تقريضًا ، ومدح به جنابَ المولى أيده الله تعالى ، مساعداً لنا فى مدحه ، لقصورنا عن شكر ما أسداه لنا ، وما يسديه ، فلا زالت الأفاضل تحت ظلال جوده قائلة ، وألسنة الأقلام على أمَدِ الليالى بالإفصاح من محامده قائلة ، ولا برحت قلوب أعاديه من هيبته خافقة ، ورايات عدله المنصورة بالشرائع خافقة . وهذا دعاء يشمل كل إنسان ، فيجب أن ينطق به كل لسان .

وقد تم ووقع الفراغ من نسخه ، من نسخة أصله على يد الفقير الراجى عفو ربه الكريم المنان حسين ابن الحاج عثمان الحلبىّ ، غفر الله زلله ، وختم بالصالحات عمله ، وذلك فى اليوم السابع عشر من شهر رجب الفرد ، من شهور سنة أربعة

وخمسون[١] وألف . أحسن الله ختامه . والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

٨

ترجمة المصنف

يوسف المعروف بالبديعي ، الدمشقي الأديب ، الذى زين الطروس برشحات أقلامه ، فلو أدركه البديع ، لاعتزل صنعة الإنشاء والقريض ، عند استماعه نثره ونظامه .

خرج من دمشق فى صباه ، فحلّ فى حلَب ، فلم يزلْ حتى بلغ الشهرة الطنانة فى الفضل والأدب ، وألف المؤلفات الفائقة ، منها كتابه الموسوم « بالصبح المنبى ، عن حيثية المتنبى » ، وهو كتاب جم الفائدة ، وله كتاب « الحدائق » فى الأدب . ولما رأى كتاب الخفاجىّ « الريحانة » ، عمل كتاب « ذكرى حبيب ، فأحسن وأبدع ، وأطال وأطاب ، وأعرب عن لطافة تعبيره ، وحلاوة ترْصيعه ، وتمكنه من الاطلاع . إلا أنه لم يساعده الحظ فى شهرته ، فلا أعلم له نسخة إلا فى الروم ، كانت عند أستاذى المرحوم شيخ العزتى ، ونسخة عندى ، وكان ألف كتابه « الصبح » باسم شيخ الإسلام ، عبد الرحمن بن الحسام ، إذ كان قاضياً بحلب ، وكان يميل إلى البديعى ويقرّبُه . ولما ولى قضاء الشام ، كان فى خدمته أيضًا . وله فيه مدائح كثيرة . وشعر كثير ، أوردت له منه فى كتابى « النفحة » ما فيه مقنع . وأخبرنى والدى أن البديعى ، كان قد ولى قضاء الموصل فى آخر عمره . ووصل بعدها إلى قسطنطينية . فتوفى بها فى ثلاث وسبعين وألف .

نقلت من آخر تاريخ الأمين الدمشقى[٢] .

جاء فى الصفحة التالية لصفحة الترجمة السابقة بخط دقيق جميل :

« هذا الكتاب عندى بطريق العارية ، للأكمل الشيخ محيي الدين التاقىّ ، وذلك فى غرة جا سنة ١٢٥٤ . وأنا الفقير عمر زيتونة

عفى عنه

---

(١) هكذا ورد بالأصل والصواب أربع وخمسين .

(٢) قد أثبتنا نص هذه الترجمة فى صدر الكتاب والأمين الدمشقى هو صاحب خلاصة الأثر .

بيان

بان لنا ونحن بسبيل مراجعة التجارب وعمل الفهارس أن تقديم الكتاب يجب أن يكون آخر ما يكتب عنه، فإن هناك أموراً لم نُشر إليها فى التقديم ولم تتكشف لنا إلا أخيراً، لذلك كان لزاماً علينا أن نصدر هذا البيان لنذكر ما فاتنا التنبيه عليه ؛ فقد اشتملت هوامش الكتاب على التعريف بطائفة كبيرة من الأعلام الواردة به ؛ كما اشتملت على مسائل ذات قيمة أدبية وعلمية ولغوية ، من ذلك :

تحقيق اسم والد المتنبى « عيدان السقا » هامش (١) من ص ٢٠ ، ومنه تعليقنا على الحوافظ النادرة الحفظ كحافظة المتنبى ، وأبى العلاء ، وابن عباس ، وبديع الزمان هامش ص ٣٤ ، ومنها : معارضة أبى العلاء القرآن بما سموه قرآنه ونفى ذلك عنه هامش(١) من ص ٥٧ ، ومنها : الأدب المكشوف والرأى فى نشره أوطيه ، وعلاقته بالأخلاق هامش صفحتى ١٧١ ، ١٧٢ إلى غير ذلك مما حوته هوامش الكتاب .

وفى أثناء مراجعة التجارب وعمل الفهارس عثرنا على معلومات فيها تصويب أو إيضاح لبعض ما ورد فى الكتاب بعد تمام طبعه ننبه عليها فيما يلى :

١ ـــ جاء فى ص ٣٣ من كتاب الصبح هامش رقم ٦ فى السطر الحادى عشر : وروى أبو العباس سَوّار بن شُراحة ، والصواب : أبو الفياض سَوَّار بن أبى شُراعة . انظر ص ٦٦ من أخبار أبى تمام للصولى ، ثم ص ٢٥٩ من المرجع نفسه هامش رقم ١ ، ثم راجع تاريخ بغداد جـ ٩ ص ٢١٢ .

٢ ـــ جاء فى ص ٨٧ من كتاب الصبح : « قال عبد المحسن على بن كوجك : إن أباه . . . وقد عثرنا على ما يأتى : جاء فى كتاب ديوان المتنبى فى العالم العربى وعند المستشرقين للمستشرق بلاشير ص ١٥٥ ، ص ١٥٦ : المحسن بن كوجك مات سنة ٤١٦ هـ ، سنة ١٠١٥م ، وقد روى معلومات عن أبيه الذى مات سنة ٣٥٩هـ ، سنة ٩٦٩م ، والذى عرف المتنبى شخصياً فى حلب .

« وجاء فى ذكرى المتنبى لعزام ص١٠١ ، ١٠٢ : كثر الشعراء حول سيف الدولة

ينالون جوائزه، ويشيدون بذكره، ومنهم — غير أبى فراس وأبى الطيب — النامى، وعلى ابن عبد الله الناشى، والسرى الرفاء ... وابن كوجك، والخالديان، وأبو الحصين الرقى .

وجاء فى معجم ياقوت جـ ١٧ ص ٨٩ : المحسن بن الحسين بن على كوجك أبو القاسم ، وعلى هذا العنوان هامش يقول : لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته فى ياقوت ، وبين على وكوجك بياض يشعر بسقوط كلمة ، بدليل ما جاء فى ص ٩٠ من هذا الجزء السطرين : الخامس والعاشر إذ يسميه فى السطر الخامس : المحسن بن على بن كوجك أبو عبد الله من أهل الأدب . . .

وفى السطر العاشر يقول : أملى علينا الأستاذ أبو عبد الله المحسن بن على بن كوجك . ومن هذه النصوص نخرج بأن صحة هذا الاسم هى المحسن بن على بن كوجك . . . .

٣ — جاء فى ص ١٤٢ السطر الثالث من الهامش تعليقاً على الوزير المهلبى « تقدمت ترجمته » والصحيح أن الترجمة التى تقدمت هى ترجمة لعبد الله بن محمد بن أبى عيينة المهلبى هامش ٤ ص ٦٢ ، أما الوزير المهلبى فهو الحسن بن محمد المهلبى من ولد المهلب بن أبى صفرة ، كان وزير معز الدولة بن بويه وكان من ارتفاع القدر ، واتساع الصدر ، وعلو الهمة على ما هو مشهور به ، وكان غاية فى الأدب والمحبة لأهله ، توفى سنة ٣٥٢هـ جـ ١ ص ١٧٨ ، ١٧٩ ابن خلكان بتصرف

٤ — جاء فى ص ١٥٠ هامش رقم ١ تعليقاً على بيت البحترى فى وصف إيوان كسرى :

وهو ينبيك عن عجائب قوم   لا يشاب البيان فيهم بلَبْس

أن الضمير « هو » يعود على الجرماز فى بيت سابق ، والجرماز هو الإيوان ، وإيضاحاً لهذا ننقل ما جاء فى ص ١١٨ من الشوامخ (أبو عبادة البحترى) للدكتور محمد صبرى :

« الجرماز ، قال شارح البارودى : اسم بناء عظيم كان عند أبيض المدائن ثم عفا أثره . وقال آخر : الجرماز أحد أبهاء القصر ، وقال ثالث : الجرماز

أحد القصور فى الإيوان ،وهذه التفسيرات كغيرها لا تنقعغلة ،لأن البحترى يريد الإيوان نفسه ، وسياق الكلام يدل على ذلك ، وقد وجدنا بخط عبد السلام المصرى على هامش نسختنا الأصلية من ديوان البحترى ما يأتى :

قال أبو سهل : الإيوان بالفارسية : كرمانزى ، فعربه ، وقال جرماز ، وهذا قول البحترى :

فكأن الجرماز من عدم الإنـ ـس وإخلاله بنية رمس
لو تراه علمت أن الليالى جعلت فيه مأتماً بعد عرس
وهو ينبيك عن عجائب قوم لا يشاب البيان فيهم بلبس

وعلى هذا فالجرماز هو الإيوان كما قلنا مع العلم بأن الصبح قد بدأ أبيات البحترى فى وصف الإيوان بالبيت الأخير (وهو ينبيك عن عجائب قوم . . . . إلخ)

٥ ــ جاء فى الصبح ص ٢١١ اسم : أبو الحسن النحاس (بالحاء المهملة) وروى له البيت الآتى :

إذا أروت الأرض أسيافهم من الدم خلت سحابا همــع

يقابله بيت المتنبى :

قوم إذا أمطرت موتًا سيوفهم حسبتها سحباً جادت على بلد

وقد اتفقت مصورة نسخة الجامعة للإبانة لوحة ١٨ ا مع الصبح فيما نسب لكليهما ، ولكنها ذكرت اسم (أبو الحسن النحاس) : محمود بن الحسين الكوفى أبو الحسن النخاس (بالخاء المعجمة) ، ثم جاء فى الصبح صفحتى ٢٥٠ ، ٢٥١ الأبيات الآتية منسوبة لمحمود بن الحسن الوراق :

لا تلح شيبى وما شاهدت من كبرى مادمت أغدو صحيح العقل والبصر
قالوا : أبوك تميمى وهمتــه شم القُتار وأكلُ اللحم بالوضر
وما تميم إذا عدت أولى كرم فقلت فى النار معنى ليس فى الحجر

ويقابل بيته الأخير بيت المتنبى :

فإن تكن تغلبُ الغلباء عنصرها فإن فى الخمر معنى ليس فى العنب

وقد اتفقت مصورة نسخة الجامعة للإبانة لوحة ١١١ مع الصبح فيما نسب لكليهما ولكنها ذكرت اسم الوراق هكذا : محمود بن الحسين الوراق الكوفى التميمى يهجو من قصيدة أولها :

لا تلح شيبى . . . . . . إلى آخر الأبيات الثلاثة .

ونحن نرجح أن اسم الشاعر محمود بن الحسن لا الحسين ، كما جاء فى نسخة الأصل وفى تاريخ الخطيب ، وأنه النخاس بالخاء المعجمة لا بالحاء المهملة ، فقد جاء فى تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٨٧ ، ٨٨ فى ترجمته أنه : محمود بن الحسن الوراق ... ويقال : إنه كان نخاساً يبيع الرقيق ، وأنه تميمى كما تقول مصورة نسخة الجامعة ، وأبياته ناطقة بذلك .

٦ — وورد فى كتاب الصبح ص ٢١٢ اسم : مؤنس بن عمران البصرى ، وذكر له البيت الآتى :

طوته المنايا والثناء كفيله   برد حياة ليس يخلقها الدهر

يقابله بيت المتنبى :

كفل الثناء له برد حياته   لما انطوى فكأنه منشور

وذكر مرة ثانية فى ص ٢٥٦ باسم : موسى بن عمران ، واتفق الصبح ومصورة نسخة الجامعة على رواية قوله فى الموضعين مع ما يقابله من شعر المتنبى ، ولكن نسخة الجامعة ذكرته فى الموضع الأول لوحة ٢٣ ا باسم : مويس بن عمران البصرى ، وذكرته فى الموضع الثانى لوحة ٥٢ ب بهذا الاسم ، وزادت عليه فقالت : مويس ابن عمران بن جميع (بصيغة التصغير) التاجر البصرى ، وقد ضرب المأمون عنقه بسرخس لاتهامه إياه بقتل الفضل بن سهل ، ونستظهر أن نسخة الجامعة هى الصواب ، وأنه مويس لا موسى ولا مؤنس .

٧ — جاء فى ص ٢٤٩ من الصبح هامش رقم ٥ تعليقاً على الخطيب : هو سعيد الخطيب ، وقد ترجمناه فيما سبق ، وهذا سهو ، فإن المراد بالخطيب هنا : الخطيب القزوينى صاحب تلخيص المفتاح وقد توفى سنة ٧٣٩هـ ، أما سعيد الخطيب فشاعر كان فى عصر المعتصم وبين الاثنين قرون . ثم نستدرك ما يأتى :

ص

١٥ أول كلمة من السطر الأول « أجلّ » بصيغة المضارع وصوابها بصيغة التفضيل

١٧ السطر الثامن : بالبديعى . وصواب الترقيم أن توضع نقطتان رأسيتان .

٢٦ « السابع : أأفاق صبُّ والصواب : صبٌّ .

٣٠ البيت الرابع : يجتاب حزّة سهلها ووعورها والطيرهان مراده ودقوقا
ضبطت « والطيرهان » بضم الراء والصواب شد الطاء وكسرها وفتح الراء وضم النون ، وقد سئل الأستاذ حسن كامل الصيرفى محقق ديوان البحترى عنها فقال : إنها اسم دير للنصارى بسامرّا اشتراه المعتصم وبنى عليه أول قصر له .

٧٤ السطر الثانى (لئن حاد) والصواب : جاد

٨٤ « الرابع ماءُ الحديدُ بضم الدال وصحتها بالكسر

٨٦ « الرابع : وضع فى نهايته معقوف ونجم ، وفى الهامش عقب نجم ما يأتى : ما بين المعقوفين فى هذه الصفحة وسابقتها ساقط من سائر النسخ ولم يوضع المعقوف الأول وموضعه فى الصفحة السابقة فى ابتداء السطر السادس عشر .

٨٧ السطر الأول : قال عبد المحسن على ابن كوجك والصواب حذف الألف من كلمة ابن .

٩٢ السطر الثانى : محمد بن عيينة وصحته محمد بن أبى عيينة .

١٨٠ عنوان جانبى : كلام بن شرف القيروانى وصحته : كلام ابن شرف بزيادة ألف .

١٨٦ الكلمة الأولى من السطر السادس : بالحبترى وصحتها : بالبحترى .

٢١٥ آخر بيت يكتب هكذا :

وإذا تألق فى الندىّ كلامه ال ... مصقول خلت لسانه من عضبه

٢٤٨ السطر الرابع « والحاضر » وصحته : والحاضرة .

٣٦٠ السطر الحادى عشر يكتب البيت هكذا :

لم أحملك معلما هكذا إلا م لضرب الرقاب والأجواز

٣٨٧ سقط عنوان جانبى أمام السطر الثالث عشر هو : قف .

٤١٦ البيت الذى قبل الأخير : وجيادِ صحته بحذف الكسرة ، ورواية العكبرى والعرف : بجيادِ . . .

الفهارس

فهرس الأعلام (ويشمل هذا الفهرس المعرف بهم والشعراء)

« البلدان والأماكن وما إليهما

« القبائل والعشائر وما إليهما

« قوافي الأشعار مرتبة على حسب حروف الهجاء

« الموضوعات

ملاحظة : هذه الفهارس خاصة بصلب الكتاب

فهرس الأعلام

روعى فى هذا الفهرس ما يأتى :

١ ــ الأعلام التى بدئت بأب أو ابن أو « أل » أداة التعريف صرف النظر عما بدئت به وروعى فى ترتيبها ما بعد ذلك . فأبو بكر وضع فى الباء وابن أحمر وضع فى الهمزة وأبو العباس وضع فى العين .

٢ ــ وإذا ورد العلم مرة باسمه وتكرر مرات بشهرته لقبًا أو كنية روعى فى ذلك كثرة وروده فى الكتاب فأبو الفتح عثمان بن جنى ورد هكذا مرة وأكثر ما ورد « ابن جنى » ومن أجل ذلك ذكر بكنيته فى حرف الجيم،ونحن إذ نفعل ذلك إنما نجرى على نسق المؤلف فى إيراد الأعلام والتحدث عنها .

٣ ــ إذا ذكر العلم فى الصفحة الواحدة أكثر من مرة اكتفى بذكره فى الفهرس مرة واحدة .

٤ ــ والأعلام التى عرفنا بها فى هامش الكتاب ميزت بعلامة (×) عقب الصفحة التى بها التعريف . ومُيز الشعراء الذين روى لهم المؤلف شعراً من غيرهم بالعلامة (٭) قبل اسم الشاعر .

ب

خ

د

ش

ص

ض

ط

ع

غ

ف

ن

هـ

و

ى

فهرس البلدان والأماكن وما إليهما

روعى فى هذا الفهرس صرف النظر عما بدئ به الاسم من «أل» أداة التعريف ورتب ترتيبًا هجائيًا بحسب الحرف الذى يلى هذه الأداة .

فهرس القبائل والعشائر وما إليهما

روعى فى هذا الفهرس ما روعى فى سابقه من عدم الاعتداد بما بدئت به الكلمة من « أل » أداة التعريف . وإنما ينظر فى ترتيب الاسم إلى الحرف الذى يلى هذه الأداة ترتيباً أبجدياً :

الشعراء وقوافيهم

رتبت القوافي على حسب حروف الهجاء

(١) هذا عجز بيت ليس له صدر .

(٢) صدر البيت في الهامش .

(١) ليس لهذا الصدر عجز .

(١) لم ينسب هذا البيت ولكننا نعرفه للبحترى اقرأ ص ٣٤٣ .

(٢) عجزه بالهامش .

(٣) تمام المطلع فى الهامش .

(١) تمامه فى الهامش . (٢) الصدر فى الهامش . (٣) مر هذا البيت فى ص ٢٩٨ .

(١) تمامه فى الهامش .

(١) انظر هامش رقم ١ من صفحة ٢١٨ .

(١) صدر البيت فى الهامش . (٢) صدر البيت فى الهامش . (٣) صدره بالهامش

(٤) لم يرد له عجز . (٥) عجزه بالهامش .

(١) الصدر فى الهامش . (٢) صدره بالهامش . (٣) ليس لهذا العجز صدر .
(٤) نسب البيت لقائله فى الهامش . (٥) صدر البيت فى الهامش .

(١) انظر هامش رقم ٣ من صفحة ٢١٣ .

(١) تمامه بالهامش . (٢) صدره فى الهامش . (٣) تمام البيت فى الهامش .

ف

(١) تمامه فى الهامش .

(٢) عجز البيت فى الهامش .

(١) تمامه فى الهامش.

(٢) عجز البيت فى الهامش.

(١) صدره بالهامش .

(٢) تمام البيت فى الهامش .

(١) صدر البيت : أقبر وما طلت ثراك يد الطل . ولم يرد له عجز .

* اكتفينا بذكر القصيدتين وتركنا ما وازن فيه المؤلف بين الشاعرين .

(١) هذه القصيدة ، وقصيدة بشر الرائية وقصيدة البحترى البائية موضوعها وصف الأسد ، وقد ذكرنا كل قصيدة فى قافيتها ، وتركنا موازنة المؤلف ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ بين الشعراء الثلاثة .

(٢) تمام المطلع فى الهامش . (٣) صدره بالهامش .

(٤) انظر ص ٣٤٥ .

(٥) تمامه فى الهامش.

م

(١) صدر البيت في الهامش .

(٢) مر هذا البيت في ص ٧١ وسيمر في ص ٣٢٩ .

(٣) تمامه في الهامش .

(١) تمام البيت في الهامش.

(٢) تمامه في الهامش.

(٣) تمام البيت في الهامش.

(١) انظر ما كتب عن هذا البيت فى ص ٢٩٠، ص ٢٩١ . (٢) مر هذا البيت ضمن أبيات فى ص ٣١٩.

(١) تمامه فى الهامش .

(٢) تمام البيت فى الهامش .

فهرس موضوعات الكتاب

(١) رأينا أن نجعل لهذا الباب فهرساً خاصاً يبين كل ضرب وأمثلته التى ذكرها المؤلف وهو هذا المحصور بين معقوفين .

(١) ما بين المعقوفين من ص ٥٢٥ آخر العمود الثانى إلى هنا فهرس خاص لبيان سرقات المتنبى من الشعراء كما نقلها المؤلف عن العميدى فى الإبانة . (٢) ما بين المعقوفين زيادة منا لإيضاح هذه السرقات .

(١) ما بين المعقوفين زيادة منا لإيضاح هذه السرقات .

رقم الإيداع	١٩٩٤ / ٧٠٥٣
الترقيم الدولى	ISBN 977 - 02 - 4610 - 7

١ / ٩٢ / ١٦٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

Dhakhāʾir Al ʿArab

36

AṢ-ṢUBḤ AL-MUNBI

Par

Yousef al - Badīʿī

Edition Critique

Par

Mustafa as - Saqqa

Muḥammad Sheta

ʿAbdu Ziyāda ʿAbdu

